دورة مُعجَم البابطين

لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين

ندوة الثقافة وحوار الحضارات

الأبحاث والمداخلات

الكتّاب

- أ. هدى الدخيل
- د. أنتونيو فريندو
- د. هشام مصباح
- د. جوزيف مايلا
- د. الحسان بوقنطار
- د. أُنْس دباش
- د. عبدالرزاق قسوم
- د. جميل جريسات
- د. عبدالله الجسمي
- د. ماسيمو باكيغالوبو
- د. باتريك باراندر

الكويت

2010

أعدّه للطباعة وراجعه :

عبدالعزيز محمد جمعة

محمود إبراهيم البجالي

عدنان بلبل جابر

الصـف والتـنفيـذ

قسم الكمبيوتر في الأمانة العامة للمؤسسة

الاخراج وتصميـم الغـلاف

محـمـد العلـــي

حقوق الطبع محفوظة

مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

هاتف: 22430514 فاكس: 22455039 (00965)

E-mail : kw@albabtainprize.org

التصديـــــر

دأبت مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري على إصدار أبحاث كل دورة من دوراتها إضافة إلى المداخلات والمناقشات التي تجرى عقب كل جلسة من جلسات حوار الحضارات والندوة الأدبية في كتاب يقدم إلى القراء والباحثين والمهتمين ليطلعوا على موضوعات هذه الأبحاث حتى لا تكون محصورة الفائدة بمن يحضر هذه الندوات وحسب.

وقد استهل الكتاب بفصل يسجل وقائع حفل افتتاح الدورة الحادية عشرة «دورة معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين» الذي جرى على مسرح صباح السالم بجامعة الكويت في الساعة السابعة والنصف من مساء يوم الإثنين ٢٧ أكتوبر ٢٠٠٨ برعاية كريمة من حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ورعاه وبحضور معالي وزير الإعلام رئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الشيخ صباح الخالد الصباح.

جاءت هذه الاحتفالية احتفاءً بإصدار معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين الذي استمر العمل فيه أحد عشر عامًا متواصلة وشارك فيه مئات الباحثين الذين قاموا بالبحث والتحرير والتوثيق لأكثر من أحد عشر ألف شاعر كتبوا بالعربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ويقع في خمسة وعشرين مجلدًا تصبّ في معين الثقافة العربية الأصيلة وديوان العرب الخالد وسجل تراثهم.

وتنقسم الأبحاث على ندوتين، الندوة الأولى في حوار الحضارات والتعايش بين الأديان بعنوان: «عالم اليوم: ثقافات ومصالح» وبها ثلاثة محاور: الأول محور الثقافات

الحاكمة اليوم وبه بحثان، والثاني محور: «صراع المصالح وتأثيره في المشهد الثقافي العالمي»، أما المحور الثالث فعنوانه «حوار الثقافات طريق إلى حل القضايا»، وقد كتب في كل بحث من هذه الأبحاث باحث عربي وآخر غربي.

أما الندوة الثانية فهي الندوة الأدبية، وتقع في محورين، المحور الأول: محور دراسات المعجم وكتب فيه ثلاثة باحثين عرب، والمحور الثاني محور الدراسات النقدية والأدبية وكتب فيه أربعة باحثين عرب.

عزيزي القارئ ..

هذه الأبحاث بشقيها الأدبي وحوار الحضارات تضعها مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري بين يديك وتحت ناظريك.. فنهجنا وغايتنا ودعوتنا التسامح والتلاقي والتعايش بين الشعوب وأصحاب الأديان السماوية والناس أجمعين، مستلهمين ذلك من عقيدتنا السمحاء، وثقافتنا العربية الأصيلة، ومن روح الشعر الخالد وترًا ونغمًا جميلاً رقيقًا يأسر القلوب والعقول معًا.

وأخيرًا أتوجه بالشكر خالصًا لمن كتب ولمن عقّب وناقش، ولمن حضر، ولمن أبدى رأيّاً سديدًا في أي محور من محاور هذه الندوات ولكل من عمل على إنجاز هذا الكتاب من باحثي المؤسسة، سائلاً المولى تعالى أن يكون زادًا إضافيّاً للدارسين والباحثين والقراء إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله من قبل ومن بعد،،،

عبدالعزيز سعود البابطين

الكويت في 3 من جمادى الأخرة 1430هـ

الموافق 27 من مايو 2009م

****

دورة معجم البابطين لشعراء العربية
في القرنين التاسع عشر والعشرين

الكويت ٢٧ - ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٨

● الإعداد للدورة

قرر مجلس الأمناء في اجتماعه الثلاثين الذي عقد في الكويت بتاريخ ٢٠٠٦/١٢/٢٥ أن تحمل هذه الدورة اسم أحد المشاريع المعجمية الكبرى للمؤسسة، وهو «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين»، وتقام هذه الدورة في الكويت، البلد الذي احتضن هذا المشروع الكبير واستغرق من الجهود الجماعية ما يزيد على أحد عشر عامًا من العمل المتواصل، وتضمن سيرًا ذاتية ونماذج شعرية لـ (٨٠٣٩) ثمانية آلاف وتسع وثلاثين شاعرًا من شعراء العربية الراحلين منذ العام ١٨٠١ وحتى العام ٢٠٠٨، فضلاً عن أن هذه الدورة هي الدورة الأولى التي تقيمها المؤسسة في الكويت، بهدف إثراء دور الكويت الثقافي المعروف.

وأصدر رئيس مجلس الأمناء قرار تشكيل «اللجنة العليا المنظمة للدورة الحادية عشرة» بتاريخ ٢٠٠٧/١/٢٨، وقد عقدت اللجنة اجتماعها الأول في الكويت من ١٤ - ٢٠٠٧/٤/١٦ وقررت ما يلي:

١ - إعلان إنجاز طباعة «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين» وإصداره في طبعة ورقية وأخرى إلكترونية.

٢ - عقد «ندوة أدبية» تتضمن أبحاثاً عن «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين» والشعر العربي في القرنين المذكورين.

٣ - عقد ندوة حوار حضاري وثقافي بعنوان «عالم اليوم: ثقافات ومصالح» يشارك فيها ستة باحثين عرب وستة باحثين غربيين.

وكان قد أعلن عن جائزة المؤسسة لهذه الدورة في مختلف الصحف العربية، وظلت مكاتب المؤسسة تتلقى طلبات الترشيح للجائزة حتى ٢٠٠٧/١١/٣٠، حيث بلغ عدد المتقدمين للجائزة الذين انطبقت على إنتاجهم الشروط المعلنة (٢٤٤) متقدمًا على النحو التالي:

- **جائزة الإبداع في مجال نقد الشعر** ٢٢
- **جائزة أفضل ديوان** ٩٧
- **جائزة أفضل قصيدة** ١٢٥

وقد أصدر رئيس مجلس الأمناء قرارًا بتشكيل ثلاث لجان تحكيم لاختيار المرشح لكل فرع على حدة، مع إعداد تقارير تفصيلية عنه، وموجزة عن باقي المتقدمين.

وعقدت لجنة التحكيم الخاصة بفرع الإبداع في مجال نقد الشعر اجتماعها في دمشق بتاريخ ٢٠٠٨/٥/٢٢ وقد حجبت الجائزة لعدم وجود عمل نقدي يرقى للفوز.

واجتمعت لجنة التحكيم الخاصة بأفضل ديوان شعر في الكويت بتاريخ ٢٠٠٨/٥/٢٢، واتخذت توصية بترشيح الشاعر العراقي يحيى السماوي للفوز بجائزة هذا الفرع.

كما عقدت لجنة التحكيم الخاصة بأفضل قصيدة اجتماعها في القاهرة بتاريخ ٢٠٠٨/٥/١٠ واتخذت توصية بترشيح الشاعرة الفلسطينية نبيلة الخطيب للفوز بجائزة هذا الفرع.

أما الجائزة التكريمية للإبداع في مجال الشعر، والتي تمنح لواحد من الشعراء العرب الذين أسهموا بإبداعهم في إثراء حركة الشعر العربي، ولا تخضع للتحكيم، بل لآلية خاصة يضعها ويشرف على تنفيذها رئيس مجلس الأمناء، فقد منحت في هذه الدورة للشاعر الفلسطيني الكبير هارون هاشم رشيد.

وقد أقر مجلس الأمناء نتائج التحكيم النهائية في اجتماعه الثاني والثلاثين الذي عقد في بلودان (سورية) بتاريخ ٢٠٠٨/٦/٩ برئاسة الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين، وبعد انتهاء الاجتماع تم إعلان النتائج بشكل رسمي خلال مؤتمر صحفي لرئيس المؤسسة عقد في مكتبة الأسد بدمشق وزع خلاله بيان على الصحف ووكالات الأنباء العربية والأجنبية.

● **إصدارات الدورة**

١ - معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، من إعداد الهيئة الاستشارية للمعجم والأمانة العامة للمؤسسة ويقع في (٢٥) مجلداً ويضم سيراً ذاتية ونماذج شعرية لأكثر من أحد عشر ألف شاعر كتبوا بالعربية في القرنين التاسع عشر والعشرين.

٢ - ديوان الأخرس: السيد عبدالغفار بن عبدالواحد بن وهب الموصلي البغدادي البصري، تحقيق: وليد الأعظمي، مراجعة: عبدالعزيز جمعة وإبراهيم الأسود، ويقع في (٦٩٦) صفحة.

٣ - إيليا أبوماضي (الأعمال الشعرية الكاملة): إعداد وتقديم: أ. د. عبدالكريم الأشتر ، مراجعة: محمود البجالي، ويقع في (١١٤٦) صفحة.

٤ - ديوان صقر الشبيب: أعدّه وأضاف إليه وقدّم له: أ. د. يعقوب يوسف الغنيم، ويقع في (٧٣٦) صفحة.

٥ - صورة الغرب في الشعر العربي الحديث: تأليف: د. إيهاب النجدي، مراجعة: محمود البجالي، ويقع في (٤١٩) صفحة.

٦ - كتاب دورة شوقي ولامارتين - الأبحاث والمناقشات (جزآن): أعده للطباعة وراجعه: عبدالعزيز جمعة ومحمود البجالي، ومجموع صفحاتهما (١٢٧٧) صفحة.

٧ - دعم إصدار كتاب «الحركة الأدبية في الكويت - مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري وأشعار رئيسها نموذجًا» الذي أصدرته جامعة سيدي محمد بن عبدالله بفاس.

٨ - الفائزون بجوائز المؤسسة (أفضل قصيدة) من ١٩٩٠ إلى ٢٠٠٦: إعداد: جمال البيلي، ويقع في (١٣١) صفحة.

٩ - الفائزون بجوائز المؤسسة (الإبداع الشعري): إعداد: جمال البيلي، ويقع في (١٣٧) صفحة.

١٠ - الفائزون بجوائز الدورة الحادية عشرة - أكتوبر ٢٠٠٨، إعداد: جمال البيلي ويقع في (٣٩) صفحة.

وصدر على هامش الدورة كتابان تكريميان لكل من:

١١ - الأديب الكبير أبوالقاسم محمد كرو (تحية وتكريم): إعداد: الأمانة العامة، ويقع في (٣٧٢) صفحة.

١٢ - الدكتور عزالدين إسماعيل (ذكرى وتكريم): كتاب تذكاري بأقلام نخبة من زملائه وأصدقائه، (٣٢٦) صفحة.

١٣ - كتيب مجلس الأمناء (٢٤) صفحة.

برنامج حفل الافتتاح

- **الســـــلام الأميـري**
- مقدم الحفل **الأستاذ رضا الفيلي**
- **القـــرآن الكريم / المقرئ أحمد الطرابلسي**
- كلمـة الرعـاية: ممثل حـضـرة صـاحب **السـمـو الأمـيـر الشيـــخ صبـاح الأحـمـد الجـابـر الصبـاح حفظـه اللـه**

  معـالي الشـيخ صبـاح الخـالد الحـمـد المبـارك الصبـاح وزيـر الإعـلام رئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
- كلمة الضيوف: **دولة الرئيس فؤاد السنيورة**

  رئيس مجلس الوزراء/ الجمهورية اللبنانية
- كلمة رئيس مجلس أمناء المؤسسة

  الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين
- بيان التحكيم

  الأستاذ عبدالعزيز السريع
- توزيع الجوائز على الفائزين
- كلمة الفائزين: **الشاعر هـارون هـاشـم رشـيـد**
- القصيدة الفائزة.. **الشاعرة نبيلة الخطيب**
- تقديم معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين.. أمين عام المؤسسة رئيس مكتب التحرير **الأستاذ عبدالعزيـز السريـع**
- توزيع الدروع التذكارية على كبار العاملين في المعجم من قِبل الرعاية الكريمة ورئيس المؤسسة.

الختام بالســـلام الأميـري

الأنشطة المصاحبة للدورة

أولاً - في حوار الحضارات والديانات

ندوة عالم اليوم: ثقافات ومصالح

الجلسة الأولى

محور: الثقافات الحاكمة اليوم

رئيس الجلسة: أ. د. محمد الرميحي

البحث الأول: المشهد الثقافي العالمي والحضارات السائدة فيه

أ. هدى الدخيل (الكويت)

أ. د. أنتونيو فريندو (مالطا)

البحث الثاني: قراءة نقدية ورؤى مستقبلية للمشهد الثقافي العالمي

د. هشام مصباح (مصر)

أ. د. جوزيف مايلا (فرنسا)

الجلسة الثانية

محور: صراع المصالح وتأثيره في المشهد الثقافي العالمي

رئيس الجلسة: أ. د. سليمان العسكري

البحث الثالث: المصالح وتأثيرها في المشهد الثقافي العربي والعالمي

أ. د. الحسان بوقنطار (المغرب)

د. أُنْس دباش (تونس/ فرنسا)

البحث الرابع: القضايا العربية بين حسن التقدير وسوء الفهم

أ. د. عبدالرزاق قسوم (الجزائر)

أ. د. جميل جريسات (الولايات المتحدة)

الجلسة الثالثة
محور: حوار الثقافات طريقة إلى حل القضايا

رئيس الجلسة: أ. د. زهرة حسين

البحث الخامس: منطلقات أساسية لتعميق حوار الحضارات

د. عبدالله الجسمي (الكويت)

أ. د. ماسيمو باكيغالوبو (إيطاليا)

البحث السادس: دور المفكرين ومؤسسات المجتمع المدني في حوار الثقافات

أ. د. باتريك باراندر (بريطانيا)

● مع ملاحظة أن الدكتور عزالدين عمر موسى لم يفِ بالتزامه تجاه المؤسسة وكان من المقرر أن يشارك ببحث في هذا المحور.

ثانياً - الندوة الأدبية

الجلسة الأولى: محور دراسات المعجم

رئيس الجلسة: أ. د. سعاد عبدالوهاب

البحث الأول: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ومعاجم التراث: دراسة مقارنة بين الجهود التراثية ومعجم البابطين

الباحث: أ. د. محمد حسن عبدالله (مصر)

البحث الثاني: منهج معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين في تراجم الشعراء واختيار النماذج الشعرية

الباحث: أ. د. محمد فتوح أحمد (مصر)

البحث الثالث: المعجم الشعري في قصائد القرنين التاسع عشر والعشرين
الباحثة: أ. سعدية مفرح (الكويت)

الجلسة الثانية: محور الدراسات النقدية والأدبية

رئيس الجلسة: أ. د. ميمونة العذبي الصباح

البحث الأول: الشعر والهوية العربية في معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين
الباحث: أ. د. محمد إبراهيم حوَّر (الأردن)

البحث الثاني: إرهاصات النهضة في شعر القرن التاسع عشر
الباحث: أ. د. وجيه فانوس (لبنان)

البحث الثالث: استحضار القصيدة الجاهلية في شعر القرنين التاسع عشر والعشرين
الباحث: أ. د. وهب رومية (سورية)

البحث الرابع: موسيقى القصيدة العربية في معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين
الباحثة: أ. د. نسيمة الغيث (الكويت)

****

حفـــل افتتـــاح

دورة معجم البابطين لشعراء العربية
في القرنين التاسع عشـــر والعشـــرين

حفل افتتاح

«دورة معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين»

أقيم حفل افتتاح الدورة الحادية عشرة للمؤسسة «دورة معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين» على مسرح صباح السالم بجامعة الكويت في الخالدية في الساعة السابعة والنصف من مساء يوم الإثنين ٢٠٠٨/١٠/٢٧، وقد حضر الحفل نخبة من نجوم السياسة والفكر والثقافة والشعر والأدب، وتم حفل الافتتاح برعاية سامية من حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ورعاه وبحضور معالي وزير الإعلام رئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الشيخ صباح الخالد الصباح.

وجاءت هذه الاحتفالية احتفاءً بإصدار «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين» الذي استمر العمل فيه (١١) أحد عشر عامًا متواصلة، وذلك عملاً على استمرار سلسلة المعاجم والتأكيد على أصالة هذا الفن كديوان للعرب، وكحافز لنصرة قضايا التعايش والسلام ومبادئ الحق والجمال التي مثلها الشعر العربي، وكوسيلة لجمع الكلمة ونبذ الخصومة ودعم قيم الحوار وهو الشقّ الثاني الذي ترعاه هذه الدورة وتحتفي به، وهذه الدورة هي الدورة الأولى التي تعقدها المؤسسة في الكويت عملاً على دعم دور الكويت الثقافي الريادي المعروف.

وقد بدأ الحفل بالسلام الأميري.. ثم قدّم كلمة الافتتاح عريف الحفل الإعلامي الكبير الأستاذ رضا الفيلي والتي استعرض فيها جهود مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري في دعم الثقافة العربية ونشر اللغة وتكريس لغة التواصل مع الآخر والحوار بين الثقافات والحضارات وذلك من خلال مناخ وطني مهد السبيل لمثل هذه المبادرات.

ثم استهل الحفل بآيات بينات من القرآن الكريم تلاها المقرئ الأستاذ أحمد الطرابلسي.

● **عريف الحفل (الأستاذ رضا الفيلي):**

لحضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ورعاه دور تاريخي في قيام ورعاية الثقافة في دولة الكويت، وله بصمات وآثار مشهودة، فهو يشجع ويرعى بشكل دائم الحركة الثقافية والأدبية والفكرية منذ خمسينيات القرن العشرين المنصرم عندما ورئيسًا لدائرة المطبوعات والنشر، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر مجلة العربي، وسلسلة التراث العربي وعلى رأسها تاج العروس، ونذكر دعوته لاستضافة مؤتمر الأدباء العرب على أرض الكويت قبل الاستقلال في عام ١٩٥٨، وهناك كثير موثق لا نستطيع ذكره في عجالة، وتأتي رعاية حضرة صاحب السمو الأمير لدورة معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين تجسيدًا لريادته ودأبه وتواصله في دعم الحراك الفكري والثقافي والأدبي ودعم وتشجيع من يقف وراءه.

يسعدنا أيها الحفل الكريم أن نقدم معالي وزير الإعلام رئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الشيخ صباح الخالد الحمد المبارك الصباح ممثل راعي الحفل ليلقي كلمة الرعاية فليتفضل..

● **كلمة الرعاية**

كلمة الرعاية ألقاها معالي الشيخ صباح الخالد الحمد المبارك الصباح وزير الإعلام رئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ممثل حضرة صاحب السمو الأمير الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ورعاه، الذي أشار إلى الرعاية الأميرية التي تحظى بها المؤسسة خدمة للثقافة وقيم الإبداع، وأشاد بدور المؤسسة الفعال في فتح نوافذ الحوار بين الثقافات، والعودة إلى الجهود الموسوعية العربية في إصدار المعجم الذي يعد حدثًا فريدًا... وفيما يلي نص الكلمة:

بسم الله، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه..

فخامة رئيس مجلس الرئاسة لجمهورية البوسنة والهرسك الصديقة..

دولة الرئيس فؤاد السنيورة..

أصحاب المعالي الوزراء

أصحاب السعادة السفراء

السيدات والسادة

أيها الحفل الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

أرحب بكم أجمل ترحيب في بلدكم الكويت، وإنه لشرف لي أن أنقل لكم تحيات سيدي حضرة صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح أمير البلاد حفظه الله ورعاه، الذي تكرم وشمل هذه الاحتفالية برعايته، وأن أحمل لكم تمنيات سموه بالنجاح والتوفيق لأعمالكم، ولمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري بأن تواصل دورها الرائد في خدمة الثقافة العربية، وتحتضن الشعر العربي ومبدعيه، وتحفظ تراثنا الشعري الذي هو بحق ديوان العرب وسجل تاريخهم.

إن جمعكم هذا وتلبيتكم لدعوة المؤسسة لهو اعتراف كبير لما لهذه المؤسسة من دور بارز فعال في خدمة الثقافة العربية، وانطلاقًا من وطن عرف دائمًا برعايته لهذه الثقافة، إيمانًا منه بأنها الأصل والملاذ، فالكويت قد عاصرت وواكبت حركة النهضة العربية مع بدايات القرن العشرين وفتحت أبوابها لرياح النهضة العربية التي انطلقت في مصر وبلاد الشام لتستقبل العلماء والمصلحين، شعراء ومفكرين ومؤلفين وأدباء، وتستعين بهم في تحديث التعليم في مدارسها وبناء الإدارة الحديثة في مؤسساتها وإنشاء المكتبات العامة في ربوعها، ويتلقى حكامها وشعبها إنتاج المبدعين من الشعراء والأدباء وتعمر أسواقها بالمكتبات التي تستقبل ما تنتجه المطابع في البلاد العربية من كتب ومجلات وجرائد ظلت محافظة على دورها.

لقد خطت الكويت في سبعينيات ذلك القرن خطوات مهمة من أجل إقامة صروح ثقافية وعلمية قامت، ولا تزال، بدور بارز في نشر العلم والثقافة في ربوع الكويت وفي كافة البلاد العربية فكان من أبرز هذه المشروعات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ومعهد الكويت للأبحاث العلمية، ومؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ومعهدا

المسرح والموسيقى ودور الصحف المميزة.. وامتد هذا البناء العلمي والثقافي إلى خارج الكويت ممثلاً في إنشاء عدد من الجامعات والمعاهد العلمية في البلاد العربية وبادرت بالمساهمة في إنشاء معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بمدينة فرانكفورت بألمانيا وتحت مظلة جامعة فرانكفورت، وإنشاء معهد العالم العربي بباريس، وهما اليوم من أهم مراكز الإشعاع للثقافة العربية والإسلامية في أوروبا.

كويت الثقافة والعلم هذه وفرت البيئة الحاضنة للمؤسسات الخاصة والمبادرات الأهلية التي قامت لرعاية الثقافة والفنون، ومؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، التي تحتفل اليوم بأحد نشاطاتها المهمة، هي واحدة من أبرز هذه المؤسسات، التي حظيت بدعم كبير وتشجيع بارز من المغفور له أمير دولة الكويت الراحل الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح، طيب الله ثراه وأسكنه فسيح جناته، رجل المبادرات والمشروعات العلمية والثقافية البارزة، فقدّم - رحمه الله - كل الدعم والرعاية لهذه المؤسسة، حيث وهب مكتبتها موقعًا بارزًا في قلب العاصمة لتقوم شاهدًا على إيمانه الكبير بأهمية وقدر الثقافة ورجالها، هذا الصرح الثقافي الذي تعتز الكويت به، كمركز فريد من نوعه لخدمة الشعر العربي وشعراء العربية منذ أقدم الأزمان إلى يومنا هذا.

لقد عقدت مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري دوراتها على مدى هذه السنوات في دول متعددة عربية وأجنبية، وكانت تسعى من وراء هذا الامتداد الجغرافي إلى نشر الثقافة العربية وتوسيع أطر الاهتمام بها من خلال الاحتكاك والتفاعل مع الثقافات الأخرى، وكي تساهم في تقريب الثقافة العربية لشعوب العالم، ولفتح نوافذ في حوار الثقافات وتفاهمها وتصالحها، وها هي الآن تكمل مشروعها الكبير والرائد في خمسة وعشرين مجلدًا. الذي عكف على إنجازه طوال هذه السنين نخبة من الأدباء والنقاد العرب، الذين أرحب بهم وأحييهم وهم بيننا، على ما بذلوه من جهد في إنجاز هذا المعجم، وأعني به معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين.

إن صدور هذا المعجم – كما أراه – هو أداة للتواصل والربط وعودة لطريق انقطع طويلاً، وهو يعيدنا إلى دورنا الثقافي والحضاري الكبير في تاريخ الثقافة البشرية.

فأنتم لا تحتاجون إلى من يذكّركم بأن العرب المسلمين هم أول شعوب الدنيا الذين ابتدعوا ثقافة تأليف الموسوعات والمعاجم، وجاء العالم بعدهم بمئات السنين ليسلك طريقهم ويأخذ بعلمهم ويسير على منوالهم في هذا الفن العظيم من التأليف.

لقد ألّف أسلافنا العظام الموسوعات في علوم اللغة بكل فروعها وفنونها، وألّفوا في تراجم الرجال والنساء، في الأدباء وفي الأطباء والفقهاء، وألّفوا في البلدان، وفي النبات، وفي الحيوان ولم يستثنوا فنّاً من الفنون لم يؤلفوا فيه المعاجم والموسوعات، حتى الأغاني وأصول الموسيقى أفردوا لها المعاجم الكبرى. هذا تراثنا العلمي والثقافي يدل علينا، ونحن اليوم نواصل بهذا المعجم الكبير ذلك الدور الذي أبدعه أسلافنا، ونسير على خطاهم بإذن الله وتوفيقه.

أيها الإخوة..

إن الحضارات البشرية لم تنشأ وتتطور إلا على أيدي الباحثين والعلماء والمفكرين، ويأتي الأدباء والفنانون في الصفوف الأولى من مسيرة نهضة أي شعب، ونحن في الكويت نؤمن دومًا بأهمية العمل الثقافي العربي على كل مستوياته، وكانت المؤسسات الثقافية التي أنشأتها الكويت منطلقة من واقعها الوطني والقومي معًا، فلم تقتصر هذه المؤسسات في عملها وجهدها على العمل داخل الكويت فقط، ولكن لإيماننا بوحدة الثقافة العربية كانت أهداف تلك المؤسسات تتخطى المحلي لتقدم خدماتها للعربي فوصلت إشعاعاتها لكل المثقفين والقراء العرب في كل مكان، وشملت إصداراتها وندواتها ومشروعاتها الثقافية أوسع إطار من المفكرين والمثقفين العرب، يساهمون فيها ويثرونها بفكرهم وإبداعاتهم، لتعود بالنفع على المتلقي العربي في كل مكان، وتخطينا بذلك حتى حدودنا العربية لنلتقي مع الآخر الذي علينا أن نستهدفه في سعينا إلى بناء قاعدة من الحوار والمعرفة طريقًا للسلام والحرية للبشرية جمعاء.

إن الثقافة العربية بإمكانها أن تلعب اليوم دورًا مؤثرًا في تغيير الصورة النمطية المقدمة في الإعلام العربي عن العرب والمسلمين، وبإمكانها أيضًا أن تحقق للعالم العربي المناخ الفكري الذي يحرر العقول من الأوهام، ويؤكد على الدور العقلاني للمجتمعات العربية، ويستعيد قيم المعرفة التي ساهم بها العرب الأوائل في نهضة المعارف الإنسانية في أرجاء العالم.

إن لقاءكم هذا الذي يضم تلك النخبة المتميزة من المثقفين العرب شعراء ونقادًا ومفكرين، وبينهم نخبة من أصدقائنا وضيوفنا من المهتمين بثقافتنا العربية، وممن نأمل منهم أن يروا في ثقافتنا ما يساهم في هذا الحوار العالمي بين الثقافات، لهو أصدق تعبير عن دور الثقافة العربية في وحدة هذه الأمة وأنها الباقية، مهما حدث على السطح من صور متحركة عن خلافات واختلافات، فالثقافة في النهاية هي وعاؤنا الذي نلتقي فيه على التعاون والعمل على صون هويتنا وتراثنا الديني والإنساني الذي نسعى لأن يساهم في حضارة الإنسانية المعاصرة.

أيها الإخوة..

إنني أتمنى النجاح لاجتماعاتكم هذه، كما أتمنى أن تواصل مؤسسة البابطين، بقيادة هذا الرجل العاشق لفن الكلمة الأخ عبدالعزيز سعود البابطين عملها الدؤوب من أجل خدمة الشعر العربي ولغته الجميلة الساحرة، وأن نجتمع دائمًا للاحتفال بمشروعات ناجحة من مشاريعها القادمة.

كما أرجو أن تكونوا خلال مناقشاتكم في هذه الندوة على ثقة بأنه لا قيد على رأي ولا مصادرة لأي كلمة، لأن الكويت، كانت دائمًا وسوف تبقى، كما عهدتموها، بلدًا لحرية الكلمة والرأي وبلدًا للحوار والتسامح مع النفس والآخر.

أشكركم على حسن استماعكم وأتمنى لكم طيب الإقامة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

● **عريف الحفل:**

أيها الحفل الكريم، وكما أشار ممثل حضرة صاحب السمو أمير البلاد حفظه الله ورعاه وزير الإعلام ورئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، فإن رعاية الثقافة كانت أمرًا أساسيّاً وكان المرحوم الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد الصباح تغمده الله بواسع رحمته، يقف وراء الثقافة فكان هو الأب والمؤسس، والدافع للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.. وفي نهاية السبعينيات خرجت من الكويت الخطةُ والاستراتيجية للثقافة العربية على مستوى الوطن العربي، فأقرها وزراء الثقافة في الوطن العربي ومن الكويت خلال الأشهر الأربعة الماضية، خرجت أيضًا الخطة الثقافية لدول مجلس التعاون الخليجي وأُقرت في الاجتماع الأخير لوزراء الثقافة الخليجيين في الدوحة، فستظل الكويت هي المنبع للثقافة والفنون والآداب.

أيها الإخوة والأخوات..

شيمة أهل الكويت العربية الأصيلة دائمًا الترحيب والفرح والفخر دائمًا بقدوم الأشقاء العرب إلى بلدهم الثاني.

ودورة معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين أتاحت هذه الفرصة الطيبة وهذه الأيام الثقافية ليحل بيننا نخبة من إخواننا العرب وأصدقائنا الأجانب ليكملوا حواراتهم ومناقشاتهم حول تحديات وقضايا ومستجدات العصر.

ومن إنجازات مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، أنها بادرت وابتكرت وفتحت مسارات حوار الثقافات والحضارات والأديان بين الشرق والغرب، وها هي تتزامن وتتواصل في الكويت ضمن إطار الدورة الحالية.

يسعدنا أيها الحفل الكريم أن تمثل ضيوفنا الكرام بالتحدث إلينا شخصية عربية متميزة ورائدة ليست سياسية وحسب، بل اقتصادية وفكرية وحضارية، تنقل لنا شذا وحبّ لبنان وأهله وتراثه وإبداعاته وشعرائه وأدبائه وفنانيه وإسهاماتهم في الثقافة العربية عبر الزمان.

دولة الرئيس الأستاذ فؤاد السنيورة رئيس مجلس الوزراء في الجمهورية اللبنانية يلقي كلمة الضيوف، فأهلاً وسهلاً وليتفضل..

● **(كلمة الضيوف)/ دولة الأستاذ فؤاد السنيورة**

معالي الشيخ صباح الخالد الحمد الصباح، ممثل سمو أمير البلاد..

فخامة الرئيس حارث سيلادجتش

معالي الأخ عبدالعزيز البابطين

أصحاب المعالي

الشعراء والأدباء والمفكرين العرب والأجانب..

أيها الحفل الكريم،

اعتاد العرب القدامى على اعتبار الشعراء والخطباء ألسنة القبيلة والأمة تمثيلاً ودفاعاً ورؤية، ولذا فإن مؤسسة البابطين الزاهرة حققت الكثير، عندما هدفت منذ قيامها لصون هذا الموروث الثقافي والحضاري وتطويره بما يدفع إلى الإسهام والاستلهام. لكن الأزمنة الحديثة التي شهدت انقلابات هائلة في حياة الأمم، حاولت تنحية الشعر والخطابة عن مركز الصدارة، بوضع الاقتصادي والسياسي في واجهة الاهتمام. ثم أظهرت الأزمات المتلاحقة السياسية والاقتصادية وآخرها الأزمة المالية الحالية وتداعياتها الاقتصادية على صعيدي النمو ومستويات الاستقرار، أن البشرية بحاجة للرؤية الشمولية التي تفتح الآفاق على وجهات نظر أخرى يمتزج فيها الثقافي بالاقتصادي وبالسياسي والاستراتيجي والرؤيوي، الذي كان ولا يزال هو مهمة ورسالة الفيلسوف والشاعر. وأحسب أنه بسبب هذا الاعتبار الذي يراعي الشمول في النظرة، طلبت مؤسسة البابطين أن يكون الموضوع الثاني في هذه الدورة إلى جانب الشعر هو: «عالم اليوم، ثقافات ومصالح».

والواقع أن عالم اليوم لا تحضر فيه الثقافات والمصالح وحسب، بل تحضر أيضاً المواقف والمواقع والقيم المشتركة، وهي التي تهب الثقافات والمصالح اتساقها وصيرورتها بعد كل تقدير وحساب. فالعالم في شموليته هو عبارة عن نظام عالمي ذي

شعبتين: الجانب الجيوسياسي، والجانب الاقتصادي، وتؤثر فيه الثقافات المختلفة والمصالح ، وينبغي أن توجهه القيم الإنسانية العامة التي تضع الاختلافات الثقافية والمصالح في حجمها الطبيعي الذي لا يفاقم الخصومات، ويوسع من إمكانيات التلاقي والانتظام في نطاق المشتركات.

وقد شهد العقدان الماضيان اضطراباً في الجانب الجيوسياسي من النظام العالمي، ويشهد الجانب الآخر من النظام نفسه، وهو الجانب الاقتصادي اضطرابًا مماثلاً. وكما تأثرنا نحن العرب كثيراً وعميقاً بالاضطراب الجيوسياسي الذي انتشر في العالم خلال العقدين الماضيين، كذلك ستتأثر مصالحنا، وسيتأثر نمونا بالاضطراب في اقتصاديات العالم المعاصر. والواقع أن الاضطراب بشقيه يتناول بالدرجة الأولى الأساس الأخلاقي للنظام العالمي، ويترتب على ذاك الاختلال والافتقار إلى التوافق والإجماع، والقصور أو العجز في الآليات. وفي ظل هذه التفاوتات يصعب الحديث عن الاتساق والانتظام، والاعتراف المتبادل بالثقافات المختلفة، والمصالح المتنافسة.

إن الأساس الأخلاقي لأي نظام عالمي يتضمن الاتفاق الواسع على مفاهيم وقيم المساواة والحرية والعدالة والسلام، أو ما سماه الفيلسوف الأميركي جون رولز الإنصاف في كتابه: نظرية في العدالة. والمفروض أنه على ذلك كله قام ميثاق الأمم المتحدة، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان. لكن الحرب الباردة، والصراع على الموارد والنفوذ من جهة، ومساعي شعوب العالم الثالث من أجل التحرر من الاستعمار، وبناء حياة قائمة على الاستقلال والكرامة الإنسانية من جهة ثانية، كل ذلك عطل النظام العالمي إلى حد بعيد.

وعندما انتهت الحرب الباردة، ما عادت المؤسسات الدولية للعمل على أساس ميثاقها، بل كانت هناك مساع للهيمنة والأوحدية، أدت إلى زيادة الفوضى العالمية. وقد عانينا نحن العرب من الاستقطاب في الحرب الباردة الاستيلاء على فلسطين، وتوسع الاعتداء علينا بعد ذلك ليصل إلى احتلال المزيد من الأراضي العربية في كل من مصر وسورية ولبنان وفلسطين، وكذلك في منع قيام تعاون عربي وثيق في أكثر من مجال

وبالتالي في استمرار التراجع والتخلف عن ركب التقدم والازدهار والتلاؤم والمعاصرة في أكثر من قطر عربي. كما عانينا بعد ذلك من مسألة الأوحدية في هذين العقدين باحتلال العراق، وظهور التشققات والانقسامات الدينية والطائفية والمذهبية وكذلك الإثنية في جسم الأمة.

ولا يمكن في الحقيقة فهم الأزمة المالية والاقتصادية الحالية، معزولة عن الاضطراب الآخر الناجم عن الأوحدية من جهة وتراجع دور الدولة في بعض أنحاء العالم عن دور هو لها، ولا يمكن للفراغ الذي يحدثه غيابها أن يملأه أحد وذلك بوصفها راعياً وناظماً وضابطاً للحياة الاقتصادية ولدور القطاع الخاص وللمبادرات الفردية. وهذا هو التوازن الدقيق الذي يجب المحافظة عليه بين الابتكار والتنظيم كما بين الادخار والاستهلاك بحيث لا تُخنق المبادرات من جهة بما يحول دون استمرار القطاع الخاص بالاحتفاظ بحيويته وديناميته وتطوره وإبداعه واحتضان توقه إلى التحسين في أكثر من مجال. ومن جهة أخرى ينبغي أن لا يؤدي ابتعاد الدولة عن أدائها لدورها في الضبط والتوازن وإحقاق العدالة ومنع الاستغلال وحماية الفئات الضعيفة والمهمشة إلى أن يتفلت ذلك القطاع وتلك المبادرات عن القواعد والمعايير الرصينة والحصيفة اللازمة للاستقرار. كما يؤدي ذلك أيضاً إلى الابتعاد عن توطيد دعائم الأجهزة الرقابية على القطاعات المالية وإقدارها على التعامل مع المستجدات والتطورات ومع ما يستدعي ذلك من إجراءات ومعايير يجب الالتزام بها بما يخدم هدف تحقيق النمو المستدام للاقتصاد والاستقرار الاجتماعي الضروري لدى فئات المجتمع كافة. كذلك لا يمكن إدراك ذلك كله دون الإقبال على التعاون والتنسيق والاعتراف بالشراكة العالمية الصحيحة من خلال المؤسسات الدولية وبالتعاون معها بما يتيح للفرقاء كافة التعاون السليم والجدي على الصعيدين المحلي والدولي.

إنه من المعروف أنّ أمتنا كما وقعت في قلب الصراع الجيوسياسي في زمن الحرب الباردة؛ فإنها تقع اليوم في قلب الصراع على الموارد، مواردها هي، وثرواتها هي، في زمن الأزمة المالية والاقتصادية.

أيها السادة،

أيها الإخوة،

وسط الأزمة الواقعة في النظام الدولي بشقّيه المالي / الاقتصادي، والجيوسياسي، تتصاعد الدعواتُ من جديد لإصلاح النظام العالمي، سواء لجهة العودة إلى أسُسه الأخلاقية، أو لجهة الشراكة الحقيقية بين الدول وكذلك حول دور الدولة في تعاونها الخلاق والمفيد مع القطاع الخاص بما يضمن انتظام عمله، كذلك تتصاعد الدعوات لتحقيق التوافق على بلورة آليات جديدة أكثر نجاعة وصلاحًا وشمولية وفعالية لمعالجة المشكلات العالمية وفي هاتين العمليتين الإنسانيتين الكبيرتين، ينبغي أن يكون لأمتنا دور بارز لأن الخلل الحاصل على المستويين منذ عقود وعقود، كلفنا الكثير الكثير في الأرض وفي الثروات وضياع الفرص، وقبل ذلك وبعده في القدرة على التوحد من حول ثقافتنا وأمتنا ومصالحنا. والتأثير أو المشاركة التي أعنيها لا يمكن بلوغها إلا بالتلاقي الكبير والتكتل الكبير ضمن الجامعة العربية من جهة، ومنظمة المؤتمر الإسلامي من جهة ثانية، في الجانب الحضاري والجيوسياسي، وضمن السوق العربية المشتركة والتكامل الاقتصادي، في الجانب الاقتصادي والتنموي. والذي يجري اليوم في العالم، وفي ديارنا نحن يهبنا فرصة لإعادة النظر والتنسيق والانتظام والتعاون الحقيقي بين دولنا العربية القائم على الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة فيما بيننا، كما أنه يصبح ضرورة لكي نتجاوز حالات الاختلال والاستنزاف، وندخل مؤثرين وفاعلين في نظام عالمي جديد. فلا يصح أن نبقى على ما نحن عليه الآن من حيث عدم تحويل الإمكانات إلى قدرات وفعاليات، تسهم في الخروج من المشكلات الموروثة وعلى رأسها قضية فلسطين وإنهاء الاحتلال وتحقيق السلام على أساس من المبادرة العربية للسلام، وتمكّنُ مجموعتنا العربية من المشاركة في النظام العالمي الجديد القائم على العدل وحل المشاكل بعيدًا عن العنف أو الهيمنة، وهو النظام العالمي الجديد القائم على العدل والإنصاف والتعاون الذي نحن في حاجة إليه، كما هو الحال بالنسبة إلى الأمم والعوالم الجديدة والقديمة التي هي في حاجة إليه أيضًا. ولذلك

ينبغي أن تكون الأمة العربية قطبًا جديدًا في نظام عالمي متعدد الأقطاب، قائم على المساواة والحرية والسلام والعدالة، وقائم على الإنصاف بل التعارف الذي تحدَّثَ عنه القرآن الكريم: «يا أيها الناسُ إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا. إن أكرمكم عند الله أتقاكم» صدق الله العظيم.

أيها السادة،

أيها الإخوة،

يقول العديد من المعلقين إنه ربما يكون غير صحيح الحديث عن سقوط للرأسمالية، إلا أنه قد يكون صحيحًا الحديث عن أن هناك فشلاً وعدم تلاؤم فيما خص الكثير من الممارسات المتفلتة من أي ضوابط مؤسسة على نوازع أخلاقية أو تنظيمية. فالذي تدفعهُ الاقتصادات العالمية الكبرى اليوم وتدفعه الملايين من البشر هو ثمن الجشع كما ذكرت إحدى المجلات العالمية على غلافها الخارجي قبل ثلاثة أسابيع، لكن ومع التأكيد على ما ستعانيه غالبية سكان العالم من معاناة بسبب ما تقدم ذكره، لا ينبغي على الإطلاق التقليلُ من القدرة على تحويل الأزمات التي تعتري العالم إلى فرص مستجدة، كما لا ينبغي التقليل من الأشواق البشرية إلى الحرية وإلى العدالة وإلى الازدهار وإلى السلام وإلى الخلاص من الفقر والمرض، والتمتع ببيئة صحية سليمة، وإذا كانت أحلامنا هذه أحلامًا ويوتوبيات، فإن أشواق مئات الملايين من البشر المعذبين تعطي هذا الحلم قوة تفجيرية تسببت في حروب هائلة وكوارث في القرن العشرين، ناجمة عن عدم تحقق الآمال باتجاه التخلص من الهيمنة والاستضعاف والاستغلال. فليكن الاضطراب الراهن مدعاة لا ستخلاص الدروس والعبر وللاستيعاب، والإصلاح، وإقامة نظام عالمي للشراكة والعدالة والتقدم القيمي والأخلاقي والإنساني، يهذب المبادرات الفردية ويحقق التعاون الوثيق بين مؤسسات الدولة وعمل القطاع الخاص وبما يمكن الاقتصاد العالمي واقتصاد الدول النامية ومن ضمنها اقتصاداتنا العربية من تحقيق النمو المستدام والازدهار والاستقرار الاجتماعي.

إن لدينا نحن العرب والمسلمين واجبات والتزامات تجاه أنفسنا وأمتنا وتجاه العالم الذي نعيش فيه كما أن لدى الجهات العالمية والديانات الكبرى ومنها الإسلام مسؤوليات عليها أن تنهض بها متعاونة ومتكاتفة في شتى المجالات.

لقد اعتبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مجتمع المؤمنين بمثابة الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائرُ الأعضاء بالحمى والسهر، فالبشرية جسم واحد، ولذا فأنا أرى أن الاختلال الجيوستراتيجي، أدى إلى الاختلال في العلاقات بين الحضارات والأديان – وهذان الاختلالان كانا بين أسباب الأزمة المالية والاقتصادية الطاحنة اليوم. ولكي يعود الانتظام لا بد كما سبق القولُ من العودة إلى الأسس الأخلاقية والحضارية، ومن تعاون الجهات الثقافية والسياسية والاقتصادية. ومن ضمن المراجعات الشاملة مراجعة علائق الدين بالبناء الاجتماعي، ومراجعة علاقة الدولة بالسوق وبالنظام الاقتصادي، وعلاقات القيم بالمصالح.

أيها الإخوة..

إن الذي أراه أيضًا أن العالم الشعري العربي والعالمي الذي تحاول مؤسسة الشيخ عبدالعزيز سعود البابطين المحافظة عليه وتطويره يسهم في هذه الاندفاعه العربية والإسلامية والعالمية باتجاه الإبداع والسلام، وليس من منابع ذاك العالم في وادي عبقر كما كان العرب القدامى يعتقدون وحسب، بل ومن دولة الكويت، التي تسهم منذ قرابة الخمسة عقود في الثقافة العربية، والإبداع العربي، والتنمية العربية.

في هذا السياق، أحسب أنكم تتفقون معي أن لبلدنا لبنان مساهمة خاصة في هذا المجال. فهو مساحة لقاء وتفاعل وتلاقح فكري، تغتني بالتنوع والانفتاح. ولذلك نتحمل كلنا، لبنانيين وعرب ومسلمين ، مسؤولية كبيرة في الحفاظ على صيغته الفريدة، فهي مؤهلة أن تفتح أمامنا سبل التآلف الخصب بين الخصوصيات الثقافية والقيم الكونية، وهي، في كل حال، صيغة تتيح للبنان أن يؤدي دورًا ويحدده لمصلحة العالم العربي والعالم الإسلامي.

أشكركم على إتاحة هذه الفرصة لي للتحدث في هموم العرب والعالم في هذا المنتدى الراقي... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

● **عريف الحفل:**

أيها الحفل الكريم.. ما أحوجنا أن نتوقف دائمًا متأملين ومتفحصين لمثل هذه الرؤية الاستراتيجية الفكرية السياسية الاقتصادية، التي قدمها إلينا، الذي تحدث باسمكم، باسم المشاركين وضيوفنا وضيوف الكويت، لهذا المنتدى المهم.

الأخوات والإخوة.. عندما فكرت كيف أقوم بتقديم رئيس مجلس أمناء المؤسسة أصدقكم القول، شعرت بالحيرة والقلق، لأكثر من سبب، أولاً لأن هذه الشخصية هي أيضًا من فكّر في مشروع رائع تحول إلى واقع، فكّر في مشروع قيام مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، وبذل في سبيل ذلك الكثير والمهم من سنوات العمر والجهد والمتابعة والتركيز بلا كللٍ أو ملل، والأهم أنه شخصية بسيطة متواضعة، قنوعة، راضية، تكره المديح أو الإشارة إلى إبراز الإنجازات والنجاحات، فهو يعزوها ويعزو النجاحات دائمًا للوطن والأهل والعرب جميعًا، وسبب آخر؛ لأنه صديقٌ عصاميّ، تمتد علاقتي به لأكثر من خمسين عامًا، تصدقون أكثر من خمسين عامًا، عندما التقيته وهو فتى غض وكنت مذيعًا في إذاعة الكويت عام ١٩٥٨، لأجري معه بالصُّدفة مقابلة إذاعية في إحدى الطرق والأسواق، سألته: ماذا تعمل؟ وهو ينقل بعض الصناديق إلى السيارة، هل نتحدث معك عن ذلك؟ نظر إليّ وأجابني وقال: أنا أريدك أن تسألني عن الشاعر ابن زيدون! فاندهشت وكان ذلك... والفكرة هنا هي التالي: أن تمرّ السنون ويحل العام ٢٠٠٤ ليقيم الأخ عبدالعزيز سعود البابطين الدورة التاسعة لجائزته ويسميها دورة ابن زيدون في قرطبة بأسبانيا، وهكذا تصنع الأقدار الرجال، ويكيف الرجال ذوو الهمة حياتهم ونجاحاتهم.

أيها الإخوة والأخوات، بين الأعوام ١٩٥٨ و٢٠٠٨ عقود من الزمن حقق خلالها الصديق عبدالعزيز سعود البابطين النجاحات على صعيد الأعمال، ولكنه لم يكتفِ ولم

يقتنع لأنه أراد أن يمدَّ وطنه وأمته بهذا النبع من الثقافة، والتي تنوعت بين الدورات والملتقيات الشعرية، وصولاً إلى تأصيل ورفعة اللغة العربية وآدابها وشعرائها..

إنجازات وعطاءات مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري عديدة وموثقة، والرجل لايريحه الإطراء وتعديد المناقب، ولكني وجدتُ أنّ من حقه علينا هذا التنويه المتواضع، وأرجو قبول العذر منه.

والآن، يسرني أن أقدم بكل الاعتزاز والفخر والتقدير الصديق العصامي الذي أعطى ولم يزل الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين ليلقي كلمته فليتفضل.

● كلمة رئيس مجلس الأمناء الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على كل الأنبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين..

صاحب المعالي الشيخ صباح الخالد الحمد المبارك الصباح وزير الإعلام رئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب..

نجتمع في هذا المكان العريق، في يوم من أيام الثقافة العربية، لنحتفل معًا بإصدار أول موسوعة للشعر العربي في العصر الحديث، ولا بد أولاً أن نتقدم بالشكر والامتنان لراعي هذا الحفل، حضرة صاحب السمو الأمير الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ورعاه، ولمثل سموه في الرعاية، صاحب المعالي الشيخ صباح الخالد الصباح وزير الإعلام رئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ونذكر بالإكبار والتقدير رعاية أمراء الكويت للمؤسسة منذ ظهورها: سمو الأمير الشيخ جابر الأحمد رحمه الله وسمو الأمير الوالد الشيخ سعد العبدالله رحمه الله وسمو الأمير الشيخ صباح الأحمد حفظه الله، فقد كانوا عونًا للمؤسسة منذ خطواتها الأولى، تابعوا مسيرتها، وزودونا بنصائحهم وملاحظاتهم، وحرصوا على نجاحها، وكانوا لنا خير مرشد وهاد، وهذه الرعاية دليل ساطع على بصيرة حكام الكويت، حيث أدركوا بحدسهم العربي الأصيل، قيمة الثقافة كتجسيد لروح الجماعة، وكيف تتجاوز الدولة

بالثقافة حدودها، هكذا بالفعل الثقافي الجاد، أصبحت الكويت ممثلة لأمتها تتجاوز حدودها الأرضية لتلتقي بأبناء أمتها على امتداد التراب العربي، وتتجاوز حدودها الزمنية لتتحاور مع سدنة التراث على امتداد الزمن العربي.

الإخوة الأعزاء

إن مشروعية أي مؤسسة هي في استجابتها لمطالب بيئتها، وقدرتها على تجسيد أحلام قطاع كبير من مجتمعها، هكذا نشأت المؤسسة استجابة لافتقاد أي مركز للشعر العربي، يلم شتاته، ويرعى أنشطته، فكانت ولادتها إيذانًا ببدء عهد جديد للشعر العربي.

أيقنت المؤسسة قبل أن تخطو أولى خطواتها أن الشعر العربي لا يمكن قسمته إقليميّاً، فاحتضنت الوطن العربي على اتساعه، وعلمت أن الشعر العربي لا يمكن قسمته سياسيّاً فتجاوزت كل الانغلاقات الفئوية، وآمنت أن الشعر العربي لا يمكن قسمته زمنيّاً، فانفتحت على الشعر العربي بكل عصوره. أدركت المؤسسة أن الشعر العربي هو كيان حي واحد وأي تجزئة له هو تمزيق سيفقده قسماته المميزة.

وخلال عمر مشوارها الطويل أقامت المؤسسة عشر دورات سابقة دارت حول أعلام من شعراء العرب على مر العصور ولم تقتصر المؤسسة في دوراتها على هذا المحور الأدبي، بل أضافت إليه ندوات لحوار الحضارات استهدفت أن يتفهم كل طرف حقيقة الطرف الآخر لا ما يشاع عنه، وأن نصل من خلال ذلك إلى التعاون لما فيه الأمن والرخاء للجميع، وأقمنا مركزًا في المؤسسة لحوار الحضارات لكي يشرف على هذا الجزء الهام من أنشطة المؤسسة.

وحظيت هذه الدورات برعاية من أعلى المستويات في كل دولة قصدناها من ملوك وأمراء ورؤساء جمهوريات ومنظمات دولية، ولقيت إقبالاً كبيرًا على المستويين الثقافي والإعلامي، وكرست دور المؤسسة كمرجعية للشعر العربي.

وحفاظًا على ما تناثر من تراث الشعر العربي أنشأنا «مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي» التي افتتحت عام ٢٠٠٦ لنجمع بين جدرانها كل ما يتعلق بالشعر

العربي من دواوين وتراجم ودراسات ورسائل جامعية ودوريات ومخطوطات، وقد أهدانا الأخ عبدالكريم البابطين مكتبته القيمة وهي تضم ما يزيد على مائة ألف كتاب، وسعيًا إلى نشر اللغة العربية بين الطلبة في الجامعات الأوروبية والأمريكية عقدنا اتفاقات لإنشاء كراسي للغة العربية مع كل من جامعات: قرطبة وغرناطة وإشبيلية وملقا، ومالطا، وميزوري.

وانتبهت المؤسسة منذ وقت مبكر إلى ضرورة إصدار المعاجم الشعرية لأنها الوعاء الذي يحفظ التراث الشعري من الضياع.

هكذا أصدرت المؤسسة معجمها الأول «معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين» الذي ضم في طبعته الثانية عام ٢٠٠٢م قرابة الألفين من الشعراء الأحياء.

وانتقلت المؤسسة إلى مشروع أكثر طموحًا وهو المشروع الذي نحتفل اليوم بإصداره «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين». وإذا كان «معجم الشعراء» للمرزباني وهو المعجم الأول لشعراء العربية والذي صدر في القرن الرابع الهجري قد حفظ لنا في قسمه المتبقي تراجم في غاية من الإيجاز لألف وثمانين من الشعراء، فإننا في هذا المعجم وبعد ألف عام من المرزباني نترجم لأكثر من ثمانية آلاف شاعر، توزعت في خمسة وعشرين مجلدًا، وبهذين المعجمين تكون المؤسسة قد قدمت للثقافة العربية أول خريطة للشعر العربي في القرنين الأخيرين، تضيء مختلف مساحات هذا الشعر.

الإخوة الأكارم

من دلالات هذه الدورة أنها الأولى التي تعقد في الكويت وهذا برهان على أن الكويت وجدت نفسها في كل دورة عقدت في أي دولة عربية، كما أن كل دولة عربية تجد نفسها الآن في دورة الكويت، فدورات المؤسسة هي للعرب جميعًا، ولا وجود للمؤسسة إلا وهي ترتدي العباءة العربية التي تحيط بالجغرافيا وبالتاريخ العربيين.

والدلالة الثانية أن الدورات السابقة تمحورت حول شاعر عربي بارز، أما الآن فإنها تتمحور حول إصدار جديد، ولكن هذا الإصدار يضم بين مجلداته الوفيرة أجيالاً من الشعراء تضافروا ليبقى عمود الشعر مرفوعًا وخيمته تظلل العرب جميعًا.

وأمام هذا الإنجاز الرائع، لا بد أن أوجه الشكر إلى بناة هذا المشروع الكبير، بدءًا بأعضاء مجالس الأمناء المتعاقبة الذين كان المشروع أحد أحلامنا وأحلامهم، وأثني على أعضاء الهيئة الاستشارية للمعجم، الذين أشرفوا باجتماعاتهم المتكررة على سير العمل، وعلى أعضاء مكتب التحرير الذين كانوا العين الفاحصة لسلامة المادة ولجدارتها بالمعجم.

وأشيد بفريق المعجم الذين تحملوا عبء إخراج هذا المشروع بالشكل اللائق وفي موعده المحدد، من خلال عملهم الدؤوب الذي استمر أحد عشر عامًا متواصلة.

وأوجه الشكر لمئات الباحثين، الذين كانوا عيون المؤسسة في الوطن العربي وخارجه، وأقول لهؤلاء البناة جميعًا يكفيكم من الفخر أن هذا العمل سيخلد معه كل من شارك في صنعه.

والشكر أخيرًا لكل الحاضرين وللضيوف الذين توافدوا من أقطار الوطن العربي ومن خارجه ليضاعفوا من بهجتنا، وليؤكدوا أنهم معنا في كل أحلامنا وتطلعاتنا، ونعاهد الجميع على أن تبقى المؤسسة تحمل أمانة الشعر العربي، ليكون الشعر العربي بإبداعاته الباهرة كلمة جامعة لقلوب العرب، ورسالة سلام إلى شعوب العالم. والسلام عليكم جميعًا ورحمة الله وبركاته.

(وقد أضاف السيد رئيس مجلس الأمناء، إلى كلمته ما يلي: «كنا في دورة ابن زيدون في عام ٢٠٠٤، وبعد أن تركنا قرطبة، اجتمع رؤساء جامعات الأندلس، وقالوا ما دام العرب جاؤوا ليمدوا إلينا إيديهم، فلماذا لا نمد أيدينا إليهم بالمصافحة، فاجتمعوا وقرروا الذهاب إلى مدريد، إلى الحكومة المركزية، وقدموا لهم طلبًا بإقرار اللغة العربية كلغة رسمية ثانية تدرس في مدارس إسبانيا، والحمد لله أبشركم، منذ أشهر أقر مجلس الوزراء تعليم اللغة العربية كلغة رسمية ثانية في بلاد الأندلس). (وصفق الحاضرون كثيرًا عند سماعهم هذه الكلمة)..

● **عريف الحفل:**

أيها الحفل الكريم.. نصل الآن إلى المحطة المثيرة في هذه الاحتفالية بل والمهمة وهي إعلان أسماء الفائزين في المسابقة الشعرية لهذه الدورة، وندعو الأخ الأستاذ عبدالعزيز السريع أمين عام مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ليلقي بيان التحكيم وتسمية الفائزين.. فليتفضل.

● **الأمين العام للمؤسسة الأستاذ عبدالعزيز السريع:**

بسم الله الرحمن الرحيم

ممثل حضرة صاحب السمو راعي هذا الحفل معالي الشيخ صباح الخالد الحمد الصباح، أصحاب المعالي والسعادة، فخامة الرئيس حارث سيلادجتش - صديق المؤسسة الأثير، لكم جميعًا الحب والتقدير والثناء على حضوركم الذي يضفي على هذه المناسبة الكثير من البهجة والسرور.

لكي لا أطيل، فقد استمعنا إلى كلمات كبيرة ومدهشة منذ البداية حتى آخر المتحدثين الأخ العزيز عبدالعزيز سعود البابطين، قررت أن أصرف النظر عمّا أعددت، وأتجاوزه مباشرة إلى قرار التحكيم..

قرار التحكيم..

في يوم ٩ من الشهر السادس من هذا العام (٢٠٠٨) عقد مجلس أمناء مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري اجتماعه الثاني والثلاثين في بلودان بالجمهورية العربية السورية وبحث ضمن جدول أعماله اعتماد نتائج التحكيم لفروع الجائزة الثلاثة وهي: الإبداع في مجال نقد الشعر وأفضل ديوان وأفضل قصيدة، كما اعتمد المجلس بالإجماع نتائج التحكيم، وقرر منح جوائز الدورة الحادية عشرة للمؤسسة «دورة معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين» على النحو الآتي:

- جائزة أفضل قصيدة للشاعرة نبيلة الخطيب من الأردن .
- جائزة أفضل ديوان للشاعر يحيى السماوي من العراق.

وقد حجبت جائزة نقد الشعر لهذه الدورة، وقرر رئيس المؤسسة أن يمنح هذه الجائزة لاثنين في الدورة القادمة تعويضًا عن حجبها في هذه الدورة.

كما رحب مجلس الأمناء باختيار الشاعر العربي الكبير هارون هاشم رشيد من فلسطين باختياره للجائزة التكريمية لهذه الدورة.

وتم تقديم الجوائز إلى الفائزين من قبل ممثل الرعاية الأميرية السامية الشيخ صباح الخالد وزير الإعلام، والسيد رئيس مجلس الأمناء.

● الأستاذ عبدالعزيز السريع:

شكرًا وحيثيات التحكيم التي أحجمت عن قراءتها متوافرة في كتاب عن الفائزين وهو متاح للجميع..

● عريف الحفل:

كل التهنئة والتقدير نرفعها باسمكم جميعًا للفائزين بالجوائز مع التمنيات لهم بمزيد من العطاء والإبداع. والآن كلمة الفائزين بجائزة مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري يلقيها الشاعر الكبير هارون هاشم رشيد فليتفضل..

● كلمة الفائزين/ الشاعر هارون هاشم رشيد:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على حبيبنا، خاتم الأنبياء وسيد المرسلين محمد النبي الأمين.

سعادة الشاعر الكبير رئيس مجلس أمناء مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري.

الشاعر الكبير والأخ الكريم عبدالعزيز سعود البابطين حفظه الله ورعاه.

أيها السيدات والسادة..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد:

يسعدني، ويشرفني، أن أُندب عن زملائي، الفائزين بجائزة عبدالعزيز سعود البابطين، متمنيًا أن أكون عند حسن ظنهم في القيام بهذه المهمة، ذلك أنني اعتدت أن أقف، شاعرًا.. وأتحاشى أن أكون خطيبًا.

الشعر سيد الكلام الجميل.. الشعر ديوان العرب.. الشعر، ولد مع الإنسان.. حيثما كان، والشاعر الأصيل، ينشد الجمال والروح، والحرية، والأصالة، ويسعى إلى الابتكار، والابتداع..

فلا عجب أننا نلتقي اليوم في ظل واحدة من أعظم وأخلد إبداعات شاعرنا الكبير عبدالعزيز سعود البابطين.

إننا نلتقي، في هذه الليلة، في هذا العرس الثقافي والإنساني والإبداعي، نلتقي لنحتفل، بهذا الصرح الشامخ، هذا العطاء الخالد، نلتقي لنشاهد، ونلمس ونبهر بما يمكن للإنسان الإنسان، والمبدع المبدع، والمؤمن المؤمن، أن يضيء شموعه لتمحو الظلام وتبدد الجهالة، وأن يشيع البهجة، وينشر الفرحة، ويعمم السعادة، ويخفف من الوجع الإنساني.

نلتقي في ظلال مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، هذه المؤسسة التي أبدعها ذهن نيّر، وخيّر، وقلب كبير، جاءت لتواجه الزمن الرديء والتهديد الخطير، والفجاجة الموغلة في الأشياء، جاءت في زمن العولمة المهددة للأصالة والهوية والانتماء والتراث والتاريخ والإنسانية.

جاءت لتقول للدنيا، إن الخير مازال قائماً، ومازال خالداً، وسيبقى رغم رياح السموم التي تحاصره..

أيها الأحبة

ماذا أستطيع أن أقول الليلة عن هذا الصرح العظيم، وهل يتسع الوقت لأحصي وأعدد خوالد وأيادي وإنجازات هذا العمل الكبير، وقد شاءت الأقدار أن نلتقي بعد زمن من مولد هذا العمل الكبير، لنرى بأم العين كيف أن الشموع التي أشعلها عبدالعزيز سعود البابطين بمبادرته لتواجه الظلام المهدد للغة والهوية والأصالة، جاءت لتقف في وجه الرياح الأربع التي تحاول أن تسقط راية العروبة التي أساسها وقوامها، اللغة العربية.

اختار عبدالعزيز البابطين الأصعب فأوقد شموعه لتصبح اليوم مشاعل تضيء الطريق وتنير السبيل، وترد الروح.

عَمَّ أتحدث، عن الهدف وقد أصبح صرحاً قائماً، عن الغاية وقد تحققت وأبهرت وانتشر نورها في أنحاء الوطن العربي كله، بل وفي شتى أنحاء الدنيا وفي عواصم النور من باريس إلى الأندلس.

عبدالعزيز سعود البابطين، وهو الشاعر المبدع، والإنسان كبير القلب، المرهف الحس، النقي الصافي.. وقف إلى جانب الشعر، لإحساسه بالمخاطر، التي تهدده، والهجمة التي تستهدفه، والتي لا يتسع المجال للحديث عنها.

أطلق عبدالعزيز البابطين كتائبه لتحمل شموعه فكانت الدورات والمهرجانات، والدراسات واللقاءات والدعم المادي الذي لا مثيل له، كلها تتجه نحو هدف واحد وخالد هو اللغة العربية والشعر العربي.

فـأخـرجت وخـرّجت وتُخـرّج من حـين إلى حـين عـشـاقـاً للغـة، وعـشـاقًـا للأصـالة، يحافظون على اللغة بكل أدواتها ومعطياتها، فكما تناولت دوراتها النحو والصرف، كذلك أقيمت الدورات التي لا سابق لها في البناء العروضي، وتذوق الشعر، والمهارات اللغوية.

أطلق البابطين كتائبه لحماية اللغة والحفاظ على أصالتها، وتذوق الشعر والسمو به في دوراته المتلاحقة، ومراكزه ومكاتبه التي انتشرت في شتى أنحاء الدنيا والتي شدّ أزرها بدعمه المتواصل الذي لا مثيل له.

أيها السيدات والسادة

فها هي مؤسسة «عبدالعزيز سعود البابطين» بعد أن أخرجت عملها الكبير عام ١٩٩٥ «معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين»، ها نحن اليوم في هذا العرس، وفي هذا العيد، نحتفل مع «عبدالعزيز سعود البابطين»، بهذا العمل الضخم، والإنجاز المعجز والمذهل، نحتفل بصدور «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين» بعد جهد دام على امتداد أحد عشرعامًا متصلة من الجهود التي بذلها مئات الباحثين.

ماذا أقول؟ وماذا أعدد؟ وماذا أحصي؟! ونحن أمام المبهر مما قدمته وتقدمه، هذه المؤسسة العتيدة.

وإذا جاز لي أن أخرج قليلاً عن السياق، فاسمحوا لي أن أتوجه إلى شاعرنا الحبيب عبدالعزيز البابطين نيابة عن زملائي بأن أتقدم أيضًا بالشكر الذي حمّلني إياه أهلي وقومي تحت الاحتلال الظالم في فلسطين، واسمحوا لي أيضًا أن أتقدم بشكر خاص، وتحية حب صادقة من أهلي في مدينتي الحبيبة، مسقط رأسي (غزة) من القطاع الأسير السجين الذي يعاني حصارًا ظالمًا لم يشهد له التاريخ مثيلاً، أصدقكم أنني حملت تحيتهم ورسالتهم عبر رسل منهم، هم تلاميذ عبدالعزيز من خريجي دوراته، والمستفيدين من منحه.

أيها السيدات والسادة..

في القاهرة فاجأتني إحدى خريجات دورات (البناء العروضي، تذوق الشعر، والمهارات اللغوية) من شموع مؤسسة البابطين من غزة، التي تحولت إلى مشعل تحمل إليَّ باكورة إبداعها الشعري، ديوانها الأول «خلف الستار».. لأعطي رأيي، وأصدقكم أنني بهرت بسلامة اللغة وروعة الإبداع، وحلاوة الشعر، فلبيت طلبها وكتبت مقدمة الديوان الذي رحبت به (دار مجدلاوي للنشر)، والذي سيصدر في أوائل العام القادم، وهو من أفضال عبدالعزيز سعود البابطين.

وشاءت الصدفة أيضًا هذا العام أن تشهد كلية البنات بجامعة عين شمس مناقشة رسالة للماجستير بعنوان «مدى فاعلية السيكودراما في تدريب الأطفال الفلسطينيين، استجابات إيجابية، إزاء عدوانية الاحتلال على الأراضي الفلسطينية» بمنحة من مؤسسة البابطين، وقد أجيزت رسالة الدراسة بدرجة ممتاز، مع توصية بتبادلها مع الجامعات، وهي واحدة ممن تنجدهم وتأخذ بيدهم مؤسسة البابطين في وجه الحصار الظالم.

أيها السيدات والسادة..

اسمحوا لي أن أغتنم هذه الفرصة الكريمة، فأتوجه بالشكر والاحترام والاعتزاز إلى الكويت أميرًا وحكومة وشعبًا، لكل ما قدمته وتقدمه لخدمة الأمة العربية، ودعم قضاياها العادلة.

وختامًا باسمي، وباسم زملائي الفائزين بجائزة البابطين أشكر الشاعر الكبير عبدالعزيز سعود البابطين على ما قدمه ويقدمه، وما أبدعه، ويبدعه، مما يثري حياتنا الأدبية والثقافية عامة، وما يرسيه من تقاليد مبتكرة للإبداع، وإثرائه وتخليده، كما لا يسعني إلا أن أشكر أعضاء لجنة التحكيم التي اختارتنا لشرف الحصول على هذه الجائزة الكريمة.

فمن قلوبنا المحبة، نرجو لشاعرنا الكبير، عبدالعزيز سعود البابطين، الصحة والسعادة وهناء البال، ليظل قدوة ونبراسًا ومثلاً للمتطلعين إلى خير ورفعة هذه الأمة التي أرادها الله أن تكون خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر. والسلام عليكم، جميعًا، ورحمة الله وبركاته.

● عريف الحفل:

الشاعرة نبيلة الخطيب، التي فازت بالجائزة تلقي قصيدتها الفائزة فلتتفضل..

الشاعرة نبيلة الخطيب:

بسم الله الرحمن الرحيم.. إلى مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري والقائمين عليها أزجي كل التقدير والاحترام والمودة..

أيها الحفل الكريم، كل عام وأنتم بخير..

في عمّان ولدت القصيدة، وفي (الباذان) كانت الومضة الأولى بين يدي القصيدة، كان عصفورٌ صغير الحجم داكن الخضرة يرتاد حقل الزنابق المحيط ببيت والدي، ببيت الطفولة، بقرية الباذان، والباذان قرية رائعة الجمال قرب مدينة نابلس في فلسطين، مرّت السنوات، وبعد عشرين عامًا من الغياب أحضرت إلى حديقة بيتي في عمان بعض الزنابق المتفتحة، ولم يمضِ إلا وقت قصير حتى سمعت صوتًا ردّ إليّ الطفولة الغائرة في أعماق الزمن، وأعاد إليّ الوطن الذي على قربه بات بعيدًا، وأحاطني بوجوه أهلي الذين منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، كان ذلك الصوت هو نداء عصفوري الحبيب الذي أقبل على زنابقي، وراح يرتشف منها الرحيق.

ثم ألقت الشاعرة قصيدتها (عاشق الزنبق)، وهي:

مـــاذا أتى بك؟! قـــال: الـوجـــد والولَهُ
فـطـرتُ زهـوًا وخـلـتُ الـكـونَ لـي ولَـهُ

وكـــــيف تُقـــــبل، والأيامُ غـــــاديةٌ،
عليّ تحـــــمل طيف العـــــمـــــر أوّلَه؟!
أبعْـــــدَ هذا الفـــــراق المرّ تذكـــــرُني؟!
مـن أبرم الـوعـــــــــدَ فـي حـينٍ وأجّلـه؟!
يـا خِلُّ طيـــــفك لـم يـبـــــرح ذُرى أمَلي
وكلمـــــــا مسَّ قلبي اليـــــــأس أمّلـه
أين الخـــصـــورُ إذا مـــا الصـــبحُ زنَّرها؟!
ونُـضـــــــــرةُ الـفـلّ حـين الطَّلّ بـلّلـه؟!
حـقلٌ من الغـيـد لونَ العـيـد منتـشـيًـا
لـكلّ قـــــدٍّ هـوًى في البـــــال مـــــيّلـه
وكلُ خـــــدٍ بـوهْج الشـــــوق ملـتـــــهبٌ
يـزدادُ ذوبًا إذا المحـــــبـــــوب قـــــبّلـه
عـــــــــرائسُ الـزهـر بـالأثـوابِ رافلـةٌ
في سندس مـــــونـقٍ بالحُـــــسْن كـــــمّلـه
لكنهـــا الريحُ تلهـــو فـيـــه قـــاصـــدةً
وكلمـــا اشـــتـــدّ فِـعلُ الريح أخـــجـله

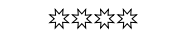

إن أبطأ الـنّسمُ والأفـنـانُ نـاعـــــســـــةٌ
تـراه هـبّ رفـــيـــــفًـــــا كي يُـعـــــجّلـه
يُصـــــابحُ الزنبقَ الغـــــافي فـــيـــوقظه
يطوف بالذكـــر حـــيث السّـــحـــرُ أذهلـه
يـظلّ بـالوردِ مـــــفـــــتـــــونًا يَظِلُّ بـه
وإنْ سَـــقـــتْـــهُ عـــيـــونُ الوردِ ظَلَّلـه
فـيـرشفُ العُـمـرَ من ذاك اللّمى عَـبَـقًـا
سـبـحـــانَ من صَـبَّـهُ خَـمْـرًا وحلَّله

مـــا كـــان يبـــرحُ في الأكـــمـــام مـــوردَهُ
إلا إذا الـعـــــــــبـقُ المـكـنـونُ أثْـمَـلَـه
دعَـوتُه نـحـــتـــسي الإصـبـــاحَ مُـؤتلقًـــا
وبـالـزنـابـقِ قَـــــــــدْ زيّـنـتُ مـنـزلَـه
بـادأتُهُ الشّـــدوَ حـــتى شـــفّـــهُ خَـــدرٌ
فـــــراحَ يرقصُ جـــــذلانًـا وأكـــــمَلَـه
تـلا عـلـيّ حـــــــــديثَ الـروح، ثـم إذا
صَـــــمَتّ أبـحـــــرُ فـي مـــــعـنـاهُ رتّـلـه
آيٌ: وأيّ جـــــــــــلال فـــي تـــأمّـــلـــه!
قـــد أجـــملَ الكونَ في سطرٍ وفـــصّلَه
كـــقـــبـــضـــةِ القلبِ لولا الريشُ همّ به
نـحـــــو الـفـــضـــاء وذاك الـهـمُّ أثقـلـه
كـفـسـحـة العين والإدهاشُ أوسـعَـهـا
وكـــــــرّ نجـمٌ بـذيـل الـلـيـل كَـــــــحَّـلـه
حـين ارتدى خـــضـــرة الأفنان دُكْنتَـــهـــا
تـوشّـح الـظِلّ أعـطـافًـــــا وأسْـــــدَلـه
يـفـــرّ كَـــالأُهِ إمّـــا الـوجـــدُ أطلقَـــهـــا
يرفّ كـــالـقلب إمّـــا الـعـــشق سَـــرْبَلَه
يرقي جـــــراحي فـــــلا ألقى لـهـــــا أثرًا
كـم عـلَّ قـلـبـيَ فـي لمـحٍ وعـلَّـلـه!
الوقتُ أرسلَ قـــرصَ الشـــمس يوقظنا
فـــأسـدل الليلُ أســـتـــارًا وأغـــفـله
فـــعُـــدتُ أســـأل علّي لستُ حـــالمةً
مـــاذا أتى بك؟! قـــال: الـوجـــدُ والولَهُ

عريف الحفل:

نصل الآن أيها الحفل الكريم إلى الحدث الكبير، وهو تاريخي بلا شك، إنه الإعلان عن إنجاز مشروع معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، وأمين عام المؤسسة، رئيس مكتب التحرير الأستاذ عبدالعزيز السريع سيقوم بتقديم المعجم والتحدث عن رحلة الأحد عشر عامًا، والعمل المتواصل لإكمال، ومشاركة خمسمائة باحث ومحقق لإتمامه، هل يمكننا أن نقول إنه شبيهٌ معاصر وصنوٌ لكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني؟

يتفضل الزميل عبدالعزيز السريع ليحدثنا عن هذا المعجم.

الأستاذ عبدالعزيز السريع..

السلام عليكم.. حديث المعجم يطول، لأنها معاناة أحد عشر عامًا من العمل المتصل، واصلنا فيها الليل بالنهار من أجل إنجازه في هذا الوقت القياسي.

ولكن أشهد بأن الأخ رئيس المؤسسة كان دافعًا قويّاً لإنجازه في هذا الوقت. كان وراءنا وكان يذلل لنا كل الصعاب ويساندنا في كل صغيرة وكبيرة، ويهمني وأنا من طبيعتي أحب الاختصار، أن أشير إلى أعمدة هذا العمل الذين قامت على أكتافهم الجهود الحثيثة لإنجاز هذا المعجم، أختار من كل مجموعة شخصًا واحدًا يمثل هذه المجموعة حتى لا أطيل عليكم.

أول ما أتذكر، أتذكر باعتزاز أستاذنا الراحل أستاذنا العزيز العالم الجليل الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر طيب الله ثراه، فقد وضع الفكرة والخطة، وباشر التنفيذ، واستمر معنا في العمل منذ العام ١٩٩٧ حتى وفاه الأجل المحتوم عام ٢٠٠٣، فأخذ مكانة أطال الله عمره أستاذنا الدكتور محمد فتوح أحمد وهو بيننا الآن.

أذكر بالتقدير زملائي في مكتب التحرير الأستاذ الدكتور سليمان الشطي والأستاذ الدكتور محمد حسن عبدالله، هؤلاء أفنوا الكثير من وقتهم وجهدهم وتضررت العيون وهي أثمن الأشياء كما تعرفون، وهم يراجعون كل كلمة وكل حرف في هذا المعجم.

أذكر بالتقدير الفارس النبيل الذي لولا جهوده لم نستطع أن نشهد المعجم هذه الليلة الأستاذ الجليل ماجد الحكواتي أحييه شخصيّاً ورفيقيه الأستاذ عدنان بلبل جابر والأخ جمال البيلي.

كما أشكر فريق الإنتاج أحمد متولي وأحمد جاسم وبثينة الدوماني ومحمد شمس الدين (مصمم هذا المعجم)، لا أريد أن أضيف الكثير، لكني أدعو معالي ممثل راعي الحفل والأخ رئيس المؤسسة لتوزيع الدروع على الإخوة فرسان هذا المعجم، فليتفضلوا..

هذا وقد نودي على المكرمين، وجرى تسليمهم الدروع التكريمية من قبل معالي ممثل راعي الحفل وزير الإعلام الشيخ صباح الخالد الحمد الصباح ورئيس مجلس الأمناء، وفي لفتة مشهودة جرى تسليم الدرع التكريمية إلى اسم الدكتور أحمد مختار عمر وقد تسلم الدرع ابنه الأستاذ خالد أحمد مختار عمر، والمكرمون هم:

- **الأستاذ محمد شمس الدين.**
- **الآنسة بثينة الدوماني.**
- **الأستاذ أحمد جاسم.**
- **الأستاذ أحمد متولي.**
- **الأستاذ جمال البيلي.**
- **الأستاذ عدنان بلبل جابر.**
- **الأستاذ ماجد الحكواتي.**

- المرحوم الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر/ (ابنه خالد)

- الأستاذ الدكتور إبراهيم عبدالله غلوم.

- الأستاذ الدكتور علي أبوزيد.

- الأستاذ الدكتور محمد صالح الجابري.

- الأستاذ الدكتور سليمان الشطي.

- الأستاذ الدكتور محمد فتوح أحمد المستشار الأول للمعجم.

- الأستاذ الدكتور محمد حسن عبدالله.

- الأستاذ عبدالعزيز السريع.

بعد ذلك، اختتم الحفل بالسلام الأميري.

****

رسائل وكلمات

وكان أن تلقى السيد رئيس مجلس الأمناء عددًا من رسائل التهنئة والمباركة والدعم المعنوي بمناسبة إقامة هذه الدورة، ومن هذه الرسائل:

• رسالة سمو الأمير الحسن بن طلال ولي العهد الأردني الأسبق رئيس منتدى الفكر العربي وفيما يلي نصّ الرسالة:

سعادة الشيخ عبدالعزيز سعود البابطين حفظه الله

رئيس مجلس الأمناء

مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد،،،

فيطيب لي أن أحييكم تحية المحبة والاعتزاز، وتحية الألق الشعري والروح الشعرية المتغلغلة في وجداننا العربي حتى أعمق الأعماق. فقد أصبح ديوان الشعر العربي مقرونًا بكم وبمشروعكم الفكري الحضاري.

بعد إنجازاتكم في الشعر العربي، أضفتم شعراء «اللغة العربية» فهذا العمل المعجمي الموسوعي يشكل علامة فارقة في كمه ونوعه. ومثل هذه الأعمال هي التي تشكل الطفرات في دنيانا الثقافية الفكرية التي نحن أحوج ما نكون إليها. طفرة كهذه تجبّ آلاف بل ملايين الأعمال المتشرذمة المتناثرة. فلا يوثّق هذا العمل الشعر فحسب، وإنما ينعش النفوس أيضًا ويبث فينا العزم وروح البهجة التي كدنا أن نفقدها في زمن الانكسار.

نعم! هنالك الجمال والألق والروحانيات التي يحملها الشعر والفن والأدب عمومًا. لكن، هنالك أيضًا البعد الحضاري الذي يجمع البشر ويهز الأوتار الحساسة لدى الإنسانية جمعاء.

إننا ننشد الحوار الثقافي الفكري الذي يسمو فوق السفاسف والمصالح الضيقة، ويصب في مصلحة البشر الذين هم شركاء في القواسم العالمية، وفي مقدورنا أن نوظف تراثنا الغني ومصادر ثقافتنا الأصيلة، فنستلهم منها ما يمكننا من المشاركة الحقيقية في بنية الخطاب الإنساني العالمي.

إن امتداد الضمير الإنساني يمكننا من التفاعل البناء مع الآخر ومد جسور الاتصال والتواصل معه استنادًا إلى الحوار الندِّي الهادف الذي لا يستثني أحدًا. فنتخطى الحواجز الدينية والسياسية والعرقية الضيقة لتسنح الفرص أمام تحقيق السلام ورأب الصدع بين أتباع الديانات والثقافات. كذلك، علينا أن نعزز قنوات الاتصال بين العامة والمثقفين في وجه مظاهر التهميش والعزلة.

نعيش في عالم يمور بالحراك والتغير والتقدم، تحتدم فيه الصراعات وتتقابل فيه الإرادات والسياسات، لا نريد أن نكون على هامش أحداثه؛ فائضًا بشريّاً يتأثر ولا يؤثر. وفي الوقت الذي نستذكر فيه إنجازات حضارتنا وأمجادها التليدة فإننا ندرك تمامًا تحديات اللحاق بركب الحضارة العالمية بكل تنوعاتها وأطيافها.

إن تحقيق هذه الغاية يقتضي منا ترسيخ مفاهيم المواطنة الفاعلة والمسؤولية الاجتماعية والإرادة الجمعية. هذه العناصر المحورية تساهم في تحقيق التكامل والاستقلال المتكافل على مستوى الوطن والإقليم والعالم.

أؤكد لكم ونحن في غمرة الأزمة الاقتصادية العالمية أن التركيز على البعد الإقليمي هو السبيل إلى تحقيق الأمن (الثقافي والعسكري والاقتصادي) والتعاون في المنطقة. نحن بحاجة إلى البدء في سيرورة فوق قطرية للتعاون والأمن وبناء الثقة في المجالات المختلفة مثل المياه والطاقة والبيئة والثقافة، وأن نرسخ أسس هذا التعاون من

خلال ميثاق اجتماعي للإقليم يضمن التوزيع العادل للمصادر والاستثمار المالي المدروس في مجال الأمن الإنساني بما يحسن نوعية الحياة والكرامة الإنسانية لشعوب المنطقة.

نتطلع إلى مستقبل يسوده الاستقرار ومبدأ العدالة للجميع، ويكون منصفًا للبيئة الطبيعية. كما نطمح إلى بناء مجتمع أفضل من خلال شراكة إنسانية قوية وتضامن استراتيجي مستدام.

وإذ آمل أن تكلل مساعيكم الخيرة بالنجاح، فإنني أسأل المولى العلي القدير أن يكلأكم بعنايته دومًا، ويوفقكم ويوفق مؤسستكم الزاهرة، وأن يسدد على دروب العطاء المثمر خطاكم... بوركتم وعوفيتم، ودمتم.

الحسن بن طلال

عمان في ١٧ شوال سنة ١٤٢٩هـ

الموافق ١٦ تشرين الأول/ أكتوبر سنة ٢٠٠٨م

● كلمة صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل رئيس مؤسسة الفكر العربي إلى الدورة الحادية عشرة دورة «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين»

«للثقافة رعاة ورواد مخلصون، يبذلون الفكر والمال والوقت والجهد طوعًا لخدمتها، يدركون مكانتها في حضارة الشعوب، ويوفون حقّاً يرونه واجب الأدباء لأمتهم، ولا شك أن الأخ عبدالعزيز سعود البابطين كما عرفته، وكما تعرفه دوائر الثقافة والعاملين عليها، يعمل ضمن هذا السياق النبيل، في خدمة الدائرة العربية.

وغرام صاحبي (الشاعر) بالشعر، جعله يخصه بمؤسسة يتنامى إشعاعها، وتتماهى دوائر تأثيرها في المحيط الثقافي – على مدى ما يناهز عقدين من الزمن – في خدمة القصيد وعلومه وأربابه، وما تطرحه دوراتها من قضايا هامة، عابرة الحدود برسالة تواصل راقٍ مع ثقافات العالم.

وقد سبق لي أن سعدت قبل نحو ست سنوات، بحضور الدورة الثامنة لهذه المؤسسة التي أعادت إلى الذاكرة العربية سيرة المبدع العربي الراحل علي بن المقرب العيوني، واليوم نرى دورتها الحادية عشرة زاخمة بهذا التوهج، ممثلاً في معجم البابطين المعنونة به الدورة، والذي يعرض أكثر من ثمانية آلاف من الشعراء العرب في القرنين: التاسع عشر والعشرين، بجهد علمي دؤوب تجاوز السنوات العشر، حتى أنجز هذا العمل الموسوعي المميز، الذي يمثل إضافة إلى التأريخ للشعر العربي، وندوتين مصاحبتين واحدة عن الشعر والهوية العربية يعالجها باحثون عرب، والأخرى عن حوار الحضارات والتعايش بين بني الإنسان، يشارك فيها العرب باحثون من أوروبا وأمريكا، ويحضر الندوتين مدعوون من أهل الاختصاص في دول العالم.

وإضافة إلى المعجم الموسوعة، تنشر الدورة مجموعة إصدارات من أهمها: الأعمال الكاملة لثلاثة من أشهر شعراء الحقبة التي رصدها المعجم، كما يتخللها مساءان يعزف فيهما الشعر منفردًا عيون قصائده.

إنه عرس كبير لسيد الفنون العربية الراسخة في الوجدان العربي، وحوار حضاري إنساني نافع، اجتماعًا تحت خيمة مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، في دورة استثنائية بكل المقاييس. فهنيئًا للمؤسسة إنجازاتها المميزة... وهنيئًا للشعر بك - يا أخي - راعياً..... ولمثل هذا فليعمل العاملون».. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

● **رئيس مجلس الأمناء في مؤتمر صحافي:**

«أزف إليكم البشرى بصدور معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

عقد رئيس مجلس الأمناء الشاعر عبدالعزيز سعود البابطين مؤتمرًا صحفيّاً في مقر جمعية الصحافيين بالكويت بتاريخ ٢٠٠٨/١٠/٢٢، بمناسبة انعقاد الدورة الحادية عشرة للمؤسسة «دورة معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

وشارك في المؤتمر الأمين العام للمؤسسة الأستاذ عبدالعزيز السريع وأداره عضو مجلس إدارة جمعية الصحفيين الأستاذ عدنان الراشد.

أثنى رئيس مجلس أمناء المؤسسة في مستهل المؤتمر على الجهد الإعلامي المخلص، الذي بذله الإعلاميون تعضيدًا لمؤسسة «جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري»، عبر عقدين من الزمن مَرَّا على وجودها في الحقل الثقافي.

واعتبر أن هذه المناسبة لها عمق آخر ومفهوم جديد مقارنة بمناسبات المؤسسة السابقة. وأضاف: أعلن لكم أن المؤسسة وبرعاية كريمة من حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ورعاه، ستعقد دورتها الحادية عشرة في الكويت، وسيكون حفل الافتتاح في تمام الساعة السابعة والنصف من مساء يوم السابع والعشرين من شهر أكتوبر على مسرح صباح السالم بجامعة الكويت في الخالدية.

وتابع: هذه هي المرة الأولى التي تعقد فيها دورتنا في وطننا الذي طالما هطلت أمطار عطائه الثقافي فوق الحقول العطشى للكلمة الإبداعية وللكتاب الغني بمضمونه.. الزهيد بثمنه، كي يتاح للجميع قراءة ما أنتجه الفكر البشري.

وقال: أود أن أزف إليكم خبرًا يهم الأوساط الأدبية والثقافية والإعلامية، ليس فقط على صعيد الوطن العربي بل وفي كل البلاد المهتمة بلغتنا، فمن خلال هذه الدورة

يسعدني أن أعلن إليكم البشرى، بصدور «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين». هذا العمل المعجمي الجديد، شكلاً ومضمونًا، والذي استمر العمل المتواصل في إنجازه مدة أحد عشر عامًا ليضم في صفحاته سيرًا وقصائد لـ (٨٠٣٩) ثمانية آلاف وتسعة وثلاثين شاعرًا.

وأكمل قوله: لقد كان عملنا في هذا المعجم الضخم أشبه بالأشغال الشاقة ولكنها في الوقت نفسه أشغال ممتعة على قساوتها، فلم يترك باحثونا دربًا إلا وسلكوه، ولم يدعوا مدخلاً وعرًا كان أم ممهدًا إلا انتهجوه للوصول إلى ورقة أو صورة أو قصاصة قديمة تدل على أن صاحبها كان شاعرًا، وبأن أثره الشعري يؤهله للحضور مع شعراء القرنين التاسع عشر والعشرين.

وأشار إلى أن الحقبة التي تناولها «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين»، من أهم الحقب التي مر بها شعرنا العربي. فيه شهد ديوان العرب تحولات عظيمة، بعض هذه التحولات أضافت إليه رونقًا كان يفقده، وبعضها الآخر أفقده رونقًا كان يحمله، وقد جاء معجمنا ليكون شاهدًا على هذا العصر ليس فقط من النواحي الأدبية بل وحتى السياسية والاجتماعية والتاريخية، بسبب ما دوَّنته القصائد التي حصلنا عليها من أحداث وتواريخ هامة، وقد يكون بعضها مما لم يدوَّن في كتب التاريخ.

وقال: إذ نعوِّل الكثير على هذا العمل الذي حشدت له المؤسسة خمسمائة باحث وفريقًا كبيرًا من الفنيين واللغويين والإداريين، فإننا في هذه الدورة قد يممنا اهتمامنا شطر حوار الحضارات والثقافات والتعايش بين الأديان، حيث أضافت المؤسسة منذ أربع سنوات مهمات أخرى لأهدافها الأساسية إلى جانب الدور الأدبي، فأعلنا رسالتنا الداعية إلى التفاهم والسلام في خضم التجاذبات التي تعتري إنسان اليوم، فتجعله حائرًا مضطرب التفكير والانتماء بسبب ما استجدَّ من صراعات بين الثقافات والحضارات. وبات لزامًا على كل ذي مقدرة ثقافية أن لا يقف محايدًا أمام مستقبل

مجهول ينتظر أجيالنا في هذا العالم المهدد بأصحاب الأفكار المتطرفة من شتى الديانات والاتجاهات الفكرية.

وشرح المسار الذي اتخذته المؤسسة في سنواتها الأخيرة قائلاً: لقد ذهبنا عبر عملنا في مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري بعيدًا في المضمارين الأدبي وحوار الحضارات والثقافات، وكانت النتائج حتى الآن تبشر بالخير، وتوحي بأن ثمة إضاءات تلوح في أفق العالم معلنة رغبة الشعوب في الجلوس إلى مائدة الحوار كبديل حضاري عن التناحر والاقتتال.

وأوضح: لقد أوصلنا إلى العالم من خلال دورتين سابقتين إحداهما في قرطبة بإسبانيا عام ٢٠٠٤ والأخرى في باريس عام ٢٠٠٦ رسالتنا العربية والإسلامية بأننا دعاة حوار وسلام، وقد تقبل العالم ما جئنا لأجله فحظينا برعايات على أعلى المستويات.

حديث الأمين العام:

من جانبه، تحدث الأمين العام عبدالعزيز السريع عن الإمكانات البشرية الكبيرة التي تم توظيفها في «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين»، وأفصح عن أبرز الشخصيات التي ستحضر الدورة، كما شرح للحضور النتائج الإيجابية التي تمخضت عنها دورات المؤسسة في الخارج، ومنها موافقة حكومة الأندلس على تدريس اللغة العربية في مناهجها بعد دورة ابن زيدون التي أقامتها المؤسسة في قرطبة بإسبانيا عام ٢٠٠٤.

☆☆☆☆☆

وفي ما يلي كلمة الأستاذ عبدالعزيز السريع أمين عام المؤسسة التي وردت في مجلة الجائزة الثلاثاء ٢٨ من أكتوبر ٢٠٠٨ العدد (٥٥).

● كلمات من القلب

كم يود المرء حين يفيض القلب بما يحمله من مشاعر الإعجاب والمودة أن تتحول الكلمات إلى أسلاك لنقل حرارة ما في الفؤاد من شحنات فائضة من المحبة، وأن تشف

الكلمات حتى تعكس بأمانة كل ما في النفس من عرفان بالجميل، هذا ما أحس به تجاه النخبة من الأفراد الذين تحملوا معي أمانة المعجم خلال فترة نيفت على عقد من الزمن، كان العبء ثقيلاً، إذ على هذا العمل المعجم أن يغطي أكثر من قرنين من الزمن، وأن يمتد على أرض تمتد من بوينس آيرس إلى جاكارتا، وكانت مساحات كثيرة من هذا الزمن، ومن هذه الأرض لا تزال مجهولة لم يرتدها أحد من قبل، وكان ينتابني أحيانًا القلق أن نعجز عن تأدية هذه الأمانة، ولكن هذه الثلة من فرسان الكلمة والذين كانوا ممن وصفهم القرآن الكريم بأولي العزم، وكان كل منهم كما قال يوسف عن نفسه: (القوي الأمين)، كانوا مطمئنين تمامًا إلى أن العمل سينجز وبالشكل اللائق.

أذكر على رأس هذا الفريق العالم الجليل المرحوم الدكتور أحمد مختار عمر الذي كان له الفضل الكبير في إنجاز المعجم الأول للمؤسسة، وغادرنا بعد أن وضع الأساس المنهجي للمعجم الثاني، وخلف وراءه ذكرى عطرة وقدوة حسنة نسير على ضوئها. وكان من هذا الفريق زملائي أعضاء مكتب التحرير وهم كل من الدكاترة: محمد فتوح أحمد، ومحمد حسن عبدالله، وسليمان الشطي، ومن هذه النخبة فريق المعجم في الأمانة العامة وعلى رأسهم الأستاذ ماجد الحكواتي، وقسم الطباعة بالكمبيوتر وأولهم السيد أحمد متولي.

هذه الكوكبة المتناسقة من العاملين الذين سعدت بالعمل معهم هم الذين تحملوا عبء العمل الأساسي في هذا الصرح الثقافي الكبير، تابعوا مراحل العمل يومًا بيوم ولحظة بلحظة منذ كان بذرة ثم عاينوه وهو ينمو شيئاً فشيئاً حتى استوى على سوقه وآتى أكله.

كان همهم أن يخرج هذا العمل إلى النور سليمًا معافى وبالصورة اللائقة ولو كلفهم من العناء ما ينوء به الجسم، كان عليهم أمام هذا المحيط من الشعراء والذي تجاوز العشرة آلاف بسيرهم وأشعارهم أن يدققوا في كل كلمة، وفي كل حركة، وفي كل علامة ترقيم ليضمنوا لها السلامة، وكان عليهم أن يراجعوا كل معلومة ليتأكدوا من صحتها، وكانوا يتفحصون كل تفعيلة وكل قافية لكي لا يكون هناك نشاز في النغم،

وكانوا يراقبون كل قول لكي لا تكون فيه إساءة إلى أي جهة، ويتمعنوا في الشعر ليقيسوا مدى ملاءمة مستواه الفني للمعجم وأن يفرزوا من الاستمارات الصالح من غير الصالح، وأن يستكملوا النواقص.

كان هذا العمل مجهدًا تكلّ فيه العيون ولا تكلّ فيه العقول، وتضنى به الأجسام، ولا تضنى به العزائم، كانوا يؤدون عملهم لا باعتباره واجبًا وظيفيّاً بل باعتباره رسالة، وكانوا يشعرون أنهم ينوبون عن الأمة وعن مثقفيها في تأدية هذا الفرض، لم تكن لديهم أوقات راحة، بل وقتهم جلّه للعمل وفي هذا العمل وحده راحتهم الكبرى.

وإذ أعبر باسم المؤسسة وباسمي الشخص عن عميق الشكر، وعن فائق الثناء لهذا الفريق الرائع الذي تعلمنا منهم كيف يكون العمل عبادة، وكيف يصبح الفرد كتيبة، وكيف يتحول العناء إلى فرح، فأنا على يقين أن الأمة كلها تشكر لهم صنيعهم وأن التاريخ سيذكرهم في سجله الناصع.

ويسعدني غاية السعادة أن أرى هذه الوجوه المشرقة التي أتتنا من كل مكان من الوطن العربي ومن خارجه لتشاركنا الفرحة بهذا الإنجاز، وأن أرحب بهم أجمل ترحيب، وأعبر لهم عن يقيني بأن ما غمرونا به من مشاعر المودة والتآزر هو الذي يمنحنا جسارة الفعل، وصلابة الإيمان، وحلاوة التضحية.

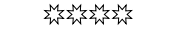

● رسالة السيد فؤاد بوزير وزير المالية السابق في جمهورية إندونيسيا (مراقب سياسي واقتصادي) التي بعث بها إلى المؤسسة بمناسبة عقد الدورة الحادية عشرة:

The End of Capitalism

By: Dr. Fuad Bawazier
Former Minister of Finance of the Republic
of Indonesia, Economic and Political Observer

The global financial crisis (maybe more appropriately called the global financial and economic crisis) recently occurring has astonished, baffled and even jeopardized many circles including governments, international financial

institution, academics, politicians, market players, and common people. The global financial crisis which started in the Untied States of America reminds us of the fall of absolute socialism, the archenemy of capitalism. Absolute socialism basically gives birth to a doer or an only child other wise known as authoritarian government, because it acts as the owner of all economic resources, as the main doer. All in one. One by one, governments of the absolute socialism economic system fall down, beginning with the collapse of Soviet Union and East European countries. These dramatic events are remembered with an analogy that absolute socialism has consumed its only child that is the downfall of authoritarian governments. Other similar countries had preempted to hurriedly adjust to save themselves like china and Vietnam whom combined their economic system in accordance with their national requirement. It is believed, this absolute socialism system failure was because their government elites had aggregately and overly enjoyed unfair luxuries at the expense of neglect of the people. The slogan of equal rights, equal wealth and so on, was realized into an empty promise.

On the contrary, capitalism is a free market economic system with minimum interference fro the role of government. This free market is what runs the economy, not the government. The task go government is to guide and allow the free market economy grows and flourish, so that the invulnerability and potency of free market can make the people prosperous through efficient allocation of resources, is not disturbed. According to capitalism, government intervention against the course of market economy is considered as a distortion and taboo. In other words, capitalism gives birth to twins, namely: the first child named free market and the second child named government having a duty to protect he freedom of market economy.

The current global financial crisis will cause dissatisfaction among the people that would eventually force a war between the twins, namely free market VS government. It wouldn't seem overly inappropriate to say that now capitalism has also consumed its own weak child namely the government which must provide market stabilizing funds or economic rescuing funds due to the global financial crisis in extraordinary large amounts. Despite the first child of capitalism(free market) that committed acts of carelessness an greed, it is the second child (government) who has to assume the burden of losses by using people's money (tax revenues).

The asymmetrical capabilities of the twins of capitalism (free market and

government) have resulted in the fear of governments in nearly all over the world in facing the elite players of the free market, namely multinational cooperation (giant companies) that are able to influence, dictate and control governments' policy, work program, and the state budget. Control by and for the interest of capitalism has even gone international through bilateral ties (e.g assistance from USAID, or other foreign foundations) or through international institutions such as the World Bank and the International Monetary Fund (IMF) which are disguised in the form of loans, grants, training, international cooperation, and others that have infiltrated to many government units and Non Governmental Organizations (NGOS) am mass organizations in many developing countries.

It is asymmetrical because the government is generally occupied by politician who inadequately knows the market or business attitude that tend to be greedy they are frequently replaced inline with the mechanics of democracy, and too busy maintaining their image. In contrast, the main doers of free market are generally very experienced persons who understand the market intricacies quite well and have good understanding of the attitude of the government officials that easily panic and like publicity to maintain their image. The relationship of these strengths (government officials and main doers of free market) seems very close and balanced when in fact is actually one sided since their skill and ability level is asymmetrical. It is a common secret that, in countries adhering to free market economy including the United Sates and Indonesia, retired government officials are offered jobs as retune of favors at companies of the main doers of free market. These government officials have usually accumulated moral obligations to the main doers of free market, and expect continues support when they retire later. This tradition also increasingly affirms especial relations between both parties, that is mutual help of fellow brothers of twins of capitalism, often at the expense of public interest or the state budget. In its further development, relation of the twins of capitalism is known as the conspiracy of authority -businessman.

The global financial crisis of 2008 beginning from the United States actually starts from the carelessness in the real sector (property / real-estates) which was continued by carelessness in financial and capital market sectors. What turned to be junk marketable securities traded in the United Stats were

also purchased overseas that willing or not, were dragged into the financial crisis and forced to share the burden of such loses with all its consequences. The U.S currency that still dominate as a world currency and the many U.S short-term investment companies (such as Lehman Brothers and Merrill Lynch) operating worldwide have magnified the global effects of such crisis in each country, certainly depends on the economic and trade relation they have with the United States.

Indonesia, for example, which practices free market with its buoyant neo-liberal spirit, its smoldering globalization desire, and the most liberal foreign exchange regime in the world, suffered double hits. Firstly, the plunge of the Rupiah exchange rate and capital market of Indonesia like most other countries. Secondly, unlike other countries that decreased its interest rates, Indonesia was forced to increase its interest rates in Rupiah. These Rupiah interest hikes is the price that Indonesia has to pay for adhering to s super liberal foreign exchange regime and open the capital market to allow global and domestic market speculators to dominate the market with their hot money. This interest rate hike will of course have its own consequences to economic growth rate and banking non performing loans. Although it does not create any employment opportunities, the government of developing countries such as Indonesia are proud of such hot money speculation, because among others, it increases foreign exchange reserves however, that quasi and vulnerable it is when such hot money must be returned to its ailing origin countries in crisis, the Indonesian stock market crashes and Rupiah exchange rates fall, at a rate exceeding those in neighboring countries, despite Indonesian Central Bank's effort to intervene the falling Rupiah by spending billions of U.S dollars.

The bustle and the panic of the Government of Indonesia in responding or anticipating the impact of global crisis as in other countries with capitalist economic system, reflects the closeness of the capitalism-supporting government to rescue its twin, namely, the doers of free market in this capitalist system which has been adored till now. However, the effort to rescue the market economy with government intervention, particularly in the United Stats the champion of free market without intervention, has resulted in various debates in the effectiveness of the capitalism economy. But, since the world has long been confused and mistaken, the developing countries

including Islamic Countries -without exception- thin and work for capitalism economy rescue in the framework of such controversial discipline.

This debate is shaking the confidence in the ideology that capitalism makes the people prosperous in a just manner.

Firstly, although the capitalism spirit with its free market is anti-government intervention, now when the market players suffer from loss or market failures, the government is forced to intervene by using the public money to share the burden of speculator losses. The government intervention by way of "stabilization fund or rescuing fund" is essentially to save capitalism as a free market economic system and the maintain confidence in the capitalist system. This intervention is also to help keep the elite players in the capitalist market from suffering losses. This analysis is quiet evident and reasonable in view of the financial crisis taking start from the wild swing in the money market and the capital market that are both dominated by elite players and ending in the plummet of index in the stock exchange.. Therefore, it is no surprise that he government of the United States, Europe and Asia, use maximum effort to maintain such an elite market by among others, adding government guarantee to third party funds in the banking system and injecting funds into the capital market and the banking system.

But isn't government intervention against the spirit of capitalism itself? The government of the United States and the United Kingdom, as supporters and fanatic spreaders of capitalism, are presently forced to inject money to the market of US$ 700 Billion and US$691 billion, respectively. Germany spent US$ 679 billion, Ireland spent US$ 549 billion Franc spent US$ 494 billion and so on. These government funds were spent to support the pillars of the capitalist economy of their own countries.

In the United States, for example, the government injected US$ 100 billion each to 2 giant home financing companies (Fannie Mae and Freddie Mac).The US Government was also forced to purchase 80% shares of insurance company AIG, worth US$85 billion. The purchase of privet companies' shares by the U.S government is actually similar to nationalization and turned privet companies into stated - Owned Enterprise. The U.S. Government is also trying to nationalize some of its privet banks. Meanwhile other companies were failed to be rescued, including Leman Brothers that went bankrupt by leaning debts amounting to US$ 600 billion

and Washington Mutual) the largest savings and loans bank in the United States) which went bankrupt in September 2008.

In Europe, capitalism-supporting countries in droves injected money into privet companies in the financial, banking and real sectors that effectively nationalized them into state-owned enterprises.

This kind of government intervention clearly contravenes the spirit of the market economy they adhere to i.e demanding the government NOT to enter the market. So far, they believe the market is able to cope with its own problems efficiently. They believe in "the invisible hand"

Secondly, the 2008 global economic crisis has driven the people and the government of the United States to intervene the market using newly tight regulations, in particular, in the money and capital markets.

Thirdly, the U.S. Government will find it difficult and may have to stop propaganda on the potency of free market and global free market with its laissez-fair style to the developing countries. Presently, the World Bank, IMF and the U.S model economy are being questioned.

Fourthly, market intervention by the U.S Government) and governments of other countries) to rescue the capital market is a reflection of injustice and proof that the government is a slave to Wall Street or Capital market. The governments are scared of the fluctuation in share prices indexes (to point that some exchanges set unnatural upper and lower fluctuation limits such as in the Indonesian Stock Exchange). But they tend to be indifferent to the fluctuation in the prices of public commodities such as rice, sugar, Kerosene and Onion.

This crisis should open the eyes of the governments that have so far adored and is proud of the money and capital markets, even always pampering them, to now shift their focus and preferences to the goods and services market and labor market. It is necessary to remember that economic crisis usually originates from the elite market, namely the money and the capital market.

The governments of developing countries, including Indonesia should be aware of and able to free themselves from the firm grip of money market and capital market that are characterized by the following:

- **Its players are few, elite and wealthy.**
- **The market is speculative.**

- **The market location is limited, small and does not creat significant employment opportunity.**
- **Goods being traded are abstract, limited and easily manipulated.**
- **The working ours are relatively orderly and limited. The Indonesian Stock Exchange or Wall Street for example, open from Monday to Friday from 9:00AM to 4:00 PM.**

It is difficult from the public market namely goods and services market, and labor market that have the following characteristics:

- **The participants are in the millions; producers, farmers or consumers, and job seekers.**
- **The location can be anywhere and is active for 24 hours.**
- **Type of goods and servicers that are being traded are in the millions.**
- **The markets are real and employ millions of workers.**

Despite these obvious differences, slowly but surely capitalism has been able to persuade governments to make this speculative and elite money and capital markets as the measuring stick of economic success. Meanwhile the market embraced by the masses has been second classed. Money that should become means of payment or medium of exchange is now traded in the amount that frequently exceeds goods traded.

The current global crisis is expected to end the confusing attitude of money governments all over the world including Indonesia and countries of other members of Islamic Conference organization.

Fifthly, the fanatic supporters of free market with its neo liberal globalization that usually oppose various types of subsidies on the basis of inefficiency, now shamelessly are demanding exceptionally large amount of subsidy disguised in the name of economic stability fund and its kind. Certainly we must be cautious, since past experience, especially the Asian economic crisis in 1997/1998m those rescue funds or economic stability funds were eventually enjoyed by the business / economic elites that caused the crisis. The economic crisis rescuing process was often orchestrated in conspiracy between the authorities and the market players so that the cost was more and more expensive and the period of recovery was longer and longer. The perpetrators (the cause of the crisis) tend to be protected, while the unorganized and less powerful masses tend to give and give up.

Confusion regarding the collapse of the mighty free market and capitalist system not only occurred in the developing countries but also in developed

countries as recognized by the President of World Bank, Robert Zoellich or as stated by Josepg Stiglitz, a winner of the Noble Prize in economics, said that the world amazement on US capitalist economic model with its free market is now in question. According to Stiglitz, many people in other countries now feel suffering from or have become victims of the U.S financial crisis. Or on the contrary, China with its simple money market model (not complicated and sophisticated as in the United States) is considered better protected and will weather the effect of frightening financial crisis much better.

Therefore, the government of Indonesia and other debtors that have so far been loyal as to become a disciple of World Bank and IMF capitalism with their preaching of privatization and globalization of the financial market should rethink and introspect on their pride of having "gone international" considering the gurus (the mentors) have failed. Indonesia and other debtors nations of the World Bank and IMF need to come back to their own national economic system consistent to their national merits and in the spirit of national independence, not hesitating to take the side of the national interest for the public.

Best regards and thank you for your kind attention

وفي ما يلي ترجمة رسالة السيد باوزير إلى اللغة العربية:(*)

نهاية الرأسمالية

إن الأزمة المالية العالمية التي حدثت مؤخرًا (ومن الأفضل تسميتها الأزمة الاقتصادية المالية العالمية) قد حيرت وأربكت العديد من الأوساط الحكومية والمؤسسات العالمية الأكاديميين، والسياسيين، والتجار والعامة بشكل عام. إن الأزمة المالية التي بدأت في الولايات المتحدة الأمريكية تذكرنا بسقوط النظام الاشتراكي العدو اللدود للرأسمالية. هذه الاشتراكية التي أدت بشكل رئيس إلى نشوء الحكومة الفاشستية لأنها تقوم بدور المالك الوحيد للاقتصاد ومصادره والفاعل الرئيس فيها.

بدأت الحكومات ذات النظام الاقتصادي الاشتراكي بالتساقط واحدة تلو الأخرى بدءاً بالاتحاد السوفياتي وأوروبا الشرقية. هذه الأحداث الدراماتيكية تحاكي تماماً مسألة

(*) ترجمة أ. محمد زقريط الباحث بالمؤسسة.

أن الاشتراكية قد أنهكت تابعيها وكان هذا سبب سقوط الحكومات الفاشستية. وثمة بلاد أخرى كالصين وفيتنام اللتين قد شاركتا نظامهما الاقتصادي وفقاً لمتطلباتهما الاقتصادية الوطنية، قد سارعت قبل أي دولة أخرى إلى (ملاءة) وحماية نفسها.

إنه من المؤكد أن انهيار الاشتراكية والنظام الاشتراكي كان بسبب الجماعات الحكومية التي آثرت التمتع بالسلطة بشكل مبالغ فيه على حساب شعوبها. كما أن شعار الحقوق المتساوية والعبء المتساوي وتوزيع الثروة بشكل متساوٍ وما إلى ذلك، كل هذا عبارة عن وعود فارغة. على النقيض من ذلك فإن الرأسمالية وهي نظام سوق مالي حر ودور حكومي محدود. هذه السوق الحرة هي التي تشغل الاقتصاد وليس الحكومة التي مهمتها التنظيم والسماح لهذه السوق بالتوسع والازدهار، لذلك فإن الحصانة والقوة التي يتمتع بها السوق الحر يمكن أن تحقق للناس رفاهية أكثر من خلال حصص فعالة من الموارد بالنسبة للرأسمالية إن تدخل الحكومة هو ضد مبدأ السوق الاقتصادي ويعتبر تابو. بعبارة أخرى الرأسمالية أنشأت توأمًا: الأول اسمه السوق الحر والثاني اسمه الحكومة.

إن الأزمة الاقتصادية المالية ستسبب عدم الرضا بين الناس؛ وهذا الأمر سوف يُحدث حربًا بين التوأم المسمى السوق والحكومة. سوف يكون من غير المناسب القول الآن إن الرأسمالية هي أيضاً قد استنزفت طفلها الضعيف وهو الحكومة والذي يجب عليه أن يوفر الاستقرار لسوق النقد أو إنقاذه اقتصاديّاً وذلك بسبب الأزمة العالمية الاقتصادية غير المسبوقة وعلى نطاق واسع. وعلى الرغم من أن الطفل الأول وهو الرأسمالية (السوق الحر) يتصرف بلامبالاة وجشع، فإن الطفل الثاني (الحكومة) هو الذي يجب أن يتحمل عبء الخسارة من خلال استخدام أموال العامة (دخل الضرائب)، فالمقدرات اللاتماثلية بين الرأسمالية (السوق الحر) والحكومة قد نشأت من خوف الحكومات من مواجهة الجماعات اللاعبة في السوق الحر والتي تسمى مؤسسات عالمية متعددة (شركات عملاقة) وهي قادرة على التأثير وفرض الشروط والتحكم بسياسات الحكومة وبرنامج العمل والميزانية.

إن تحكم الرأسمالية أصبح عالمياً من خلال العلاقات الثنائية (مثال: المساعدة من USAID أو مؤسسات أجنبية أخرى) أو من خلال مؤسسات دولية مثل البنك الدولي ومؤسسة النقد الدولية متخفية في شكل قروض ومنح وتدريب للمؤسسات الدولية أو تلك التي تتغلغل ضمن الوحدات الحكومية والمؤسسات غير الحكومية ومنظمات عديدة في العديد من البلدان المتطورة. هذا شيء غير متطابق لأن الحكومة عادة تحكم من قبل السياسيين الذين لا يعرفون السوق والعمل، الذين يأخذون الجشع كمذهب بشكل كافٍ، فهم يتغيرون بشكل مستمر بالتوازي مع آليات الديمقراطية، وهم منشغلون الى حد كبير بتحسين وتلميع صورتهم. وعلى العكس، فإن الفاعلين أو اللاعبين الأساسيين بالسوق الحر هم أشخاص متمرسون يفهمون مشاكل السوق بشكل جيد ويتمتعون بفهم التوجهات الحكومية الرسمية، فهؤلاء السياسيون يحبون الشهرة وتلميع صورتهم للعموم. إن العلاقة بين هذه القوى (الرسميون الحكوميون واللاعبون بالسوق) تبدو مترابطة ومتوازنة وهما في الحقيقة وجهان لعملة واحدة في حين أن مهاراتهما وإمكاناتهما غير متماثلة. إنه من الشائع في البلدان التي ترتبط باقتصاد السوق مثل الولايات المتحدة الأمريكية وإندونيسيا أن الشخصيات الحكومية المتقاعدة تعمل بعد تقاعدها في الشركات ذات التأثير والفاعلية وذلك كرد للجميل، فهذه الشخصيات قدمت التزامات أخلاقية لهؤلاء اللاعبين الأساسيين لذا فإنها تتوقع دعمًا مستمرًا لها حتى بعد التقاعد. هذا التفكير يثبت العلاقة بشكل واضح ومتزايد بين الطرفين، وهذه منفعة مشتركة لتوأم الرأسمالية، وغالباً ما تكون هذه المنفعة على حساب العامة وميزانية الدولة. إن العلاقة بين طرفي لتوأم في مراحلها المتقدمة تعرف بمكيدة سلطة رجال الأعمال.

إن الأزمة المالية الاقتصادية في العالم ٢٠٠٨ بدأت من الولايات المتحدة الأمريكية بشكل فعلي بسبب عدم مبالاة القطاعات العقارية التي كانت قد استمرت باللامبالاة في قطاعات الاسواق المالية الرئيسية، وهذا الشيء تحول ليصبح ضمانات مالية زائعة متداولة في الولاتيات المتحدة الأمريكية وبقية الدول الأخرى سواء كانت راغبة في ذلك أم لا، حيث وجدت نفسها مسحوبة إلى هذه الأزمة ومجبرة على الاشتراك في الخسائر وتحمل النتائج المرتبة على كل ذلك.

العملة الأمريكية النقدية لا تزال تسيطر على النقد الدولي، شركات الاستثمار القصير الأمد مثل (ليمن برازر وميرل ليتش) التي تعمل حول العالم قد فاقمت الأزمة الاقتصادية وتأثيرها العالمي في كل بلد، خصوصًا تلك التي تعتمد علاقات اقتصادية وتجارية مع الولايات المتحدة الأمريكية. إندونيسيا على سبيل المثال التي تستخدم السوق الحر بروح تحررية نشطة ورغبتها الكامنة في العولمة وأكثر نظام صيرفي حر في العالم قد تعرضت لضربة مزدوجة:

أولاً: تدهور أسهم البورصة والسوق المالية الإندونيسية كما حدث في العديد من دول العالم.

ثانياً: على نقيض العديد من دول العالم التي خفضت سعر الفائدة، فإن إندونيسيا قد أُجبرت على زيادة معدل سعر الفائدة وهذا الارتفاع هو الثمن الذي يجب على إندونيسيا أن تدفعه بسبب التزامها بنظام مصرفي حر وسوق مالية مفتوحة للسماح للمضاربين بالأسواق العالمية والمحلية أن يسيطروا على السوق من خلال مالهم الشخصي.

إن الارتفاع بسعر الفائدة سيكون له أثره على مستوى النمو الاقتصادي و القروض البنكية. على الرغم من أن هذا لا يخلق فرص عمل، فإن الحكومات في البلدان المتقدمة مثل إندونيسيا فخورة بمثل هذا التضارب المالي لأنها من بين الكثيرين الذين زادوا من احتياطي التداول الخارجي.

عندما يعود المال إلى أصله المريض في تلك البلاد فإن البورصة الإندونيسية ستنهار، وسعر الروبية سيسقط بشكل كبير أكبر مما هو عليه في البدان الأخرى المجاورة رغم الجهود التي يبذلها البنك الإندونيسي المركزي من خلال صرف البلايين من الدولارات.

إن استجابة الحكومة الأندونيسية للأزمة المالية العالمية والأثر الناتج عنها تبعًا لما حصل للدول الأخرى يعكس الترابط والتقارب بين الرأسمالية والحكومة الداعمة للرأسمالية من أجل حماية توأمها وهو اللاعب بالسوق الحر في هذا النظام المالي الرأسمالي المحبوب حتى الآن. لكن الجهد المبذول من قبل الحكومة لحماية هذا السوق وخصوصاً في الولايات المتحدة الأمريكية شكل تحديًا وأدى إلى العديد من الشكوك على أثر وفعالية النظام الرأسمالي.

في الوقت الذي كنا نرى فيه العالم مضطربًا لوقت طويل فإن البلدان المتقدمة بما في ذلك الدول الإسلامية من دون استثناء فكرت وعملت على إنقاذ النظام الرأسمالي في إطار عمل ومبدأ متناقضين. هذا الشيء يهز الثقة في أن نظرية الرأسمالية تجعل الناس أكثر تطورًا وازدهارًا.

أولاً: على الرغم من أن روح الرأسمالية وسوقها الحر هي ضد تدخل الحكومة، إلا أنه عندما بدأ اللاعبون بالسوق الحر بتلقي الخسارة، فإن الحكومة وجدت نفسها مضطرة للتدخل من خلال استخدام المال العام للمشاركة في خسارة المضاربين. إن التدخل الحكومي من خلال استقرار النقد وإنقاذه هو بشكل أساس لحماية الرأسمالية كسوق حر وللحفاظ على الثقة بالرأسمالية. هذا التدخل أيضاً يساعد على منع اللاعبين بالسوق الحر الرأسمالي من تلقي مزيد من الخسارات. وهذا التحليل هو دليل أكيد وموضوعي في توضيح الأزمة العالمية المالية بداية من تأرجح رأس المال في الأسواق والأسواق المالية الرأسمالية التي تحكمها مجموعات من اللاعبين وانتهاء بهبوط عمودي بالبورصة. لذلك فإنه من غير المستغرب أن تبذل الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا وآسيا أقصى الجهد للحفاظ على مثل هذه المجموعات عوضًا عن غيرها وإضافة ضمانات حكومية إلى أطراف أخرى في النقد والنظام المصرفي وضخ المال في السوق الرأسمالي والنظام المصرفي. ولكن ألا يعد تدخل الحكومة ضد روح الرأسمالية نفسها؟ حكومة الولايات المتحدة والمملكة المتحدة كداعمين متعصبين للرأسمالية، الآن هما مضطرتان لضخ الأموال في الأسواق (٧٠٠ بليون دولار و٦٩١ بليون دولار)، وبشكل مماثل ألمانيا صرفت ٦٧٩ بليون دولار وإيرلندا صرفت ٥٤٩ بليون دولار وفرنسا صرفت ٤٩٤ بليون دولار، وهناك العديد من الدول الأخرى. إن هذه الدولارات التي صرفت في هذه البلاد كانت من أجل دعم أعمدة الاقتصاد الرأسمالي فيها.

في الولايات المتحدة على سبيل المثال ضخت الحكومة ١٠٠ بليون لكل من الشركتين العملاقتين (Fannie Mea) و (Freddie Mac) كما أجبرت الولايات المتحدة الأمريكية على شراء ٨٠٪ من أسهم شركة التأمين AIG بأكثر من ٨٥ بليونًا. إن شراء أسهم

الشركات الخاصة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية هو شبيه تماماً بالتأميم، وجعل هذه الشركات الخاصة ملكاً للحكومة والدولة كما تسعى الحكومة الأمريكية إلى تأميم بعض مصارفها الخاصة، وفي هذه الأثناء فشلت بعض الشركات من إنقاذ نفسها مثل شركة ليمان التي أعلنت إفلاسها تاركة الديون قرابة ٦٠٠ بليون دولار، والواشنطن ميتشوال أضخم بنك للقروض في الولايات المتحدة الأمريكية أعلن إفلاسه في أيلول ٢٠٠٨.

في أوروبا، البلدان الداعمة للرأسمالية ضخت المال لمساعدة الشركات الخاصة في القطاع المالي والعقاري حيث أممتها بشكل واضح وجعلتها في ملكية الحكومة. هذا النوع من التدخل الحكومي يعتبر ضد روح الرأسمالية. لقد اعتقدوا أن هذا السوق قادر على الكفاح من أجل حل مشاكله الخاصة بشكل مستقل حيث آمنوا «باليد الخفية».

ثانياً: إن الأزمة الاقتصادية العالمية التي بدأت في ٢٠٠٨ جعلت الناس والحكومة في الولايات المتحدة الأمريكية يتدخلون بالسوق باستخدام تنظيمات جديدة وخصوصاً فيما يتعلق بالأسواق المالية.

ثالثاً: إن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ستجد أنه من الصعوبة بمكان، وربما يتوجب عليها أن توقف الدعاية التي تثبت فعالية وتنافسية السوق الحر حالياً، البنك الدولي ومؤسسة النقد الدولية و(اليو.اس مودل ايكونومي) هم الآن في موضع المساءلة.

رابعاً: إن التدخل الحكومي الذي شهده السوق الحر من قبل الحكومة الأمريكية وحكومات بعض الدول ما هو إلا دليل قاطع على عدم العدالة وأن هذه الحكومات هي عبد لِـ (وول ستريت وهذا السوق الرأسمالي، فالحكومة متخوفة من التضخم في مؤشرات أسعار الأسهم إلى درجة أن بعض البورصات تسجل تضخمًا قياسيًا صعودًا ونزولاً مثل بورصة إندونيسيا، ولكن هذا لا يختلف كثيراً عن أسعار السكر والرز والكيروسين والبصل.

إن هذه الأزمة الاقتصادية الحالية يجب أن تفتح عيون الحكومات التي عبدت وبشكل كبير السوق الحر، وقد كانت فخورة بهذه العبودية، حتى إنها أفرطت في تدليل هذا السوق. إنه من المفيد التذكر أن الأزمة الاقتصادية عادة تنشأ من مجموعات السوق وتدعى السوق المالي وسوق رأس المال.

حكومات البلدان المتقدمة بما فيها إندونيسيا يجب أن تدرك وأن تكون قادرة على تحرير أنفسها من قبضة سوق المال وسوق رأس المال والذي يتمثل فيما يلي:

١ - الفاعلون فيها قلة من المجموعات والأثرياء.

٢ - السوق هو سوق مضاربة.

٣ - مساحة السوق محدودة وصغيرة ولا توفر فرص عمل مميزة.

٤ - البضائع التي يتم التعامل بها مجردة وسهل التلاعب بها.

٥ - ساعات العمل محدودة (سوق إندونيسيا للأوراق المالية و(wall street) تفتحان من الإثنين إلى الجمعة «٩ - ٤»).

إن السوق العام وسوق الخدمات تختلف عن السوق المالية وسوق العمل حيث يتمتع بالمواصفات التالية:

١ - المشاركون بالملايين؛ منتجون وفلاحون وطالبو عمل ومستهلكون.

٢ - المكان، يمكن أن يكون في أي مكان ونشيط لمدة ٢٤ ساعة.

٣ - أنواع البضاعة التي يتم الاتجار بها بالملايين.

٤ - السوق حقيقية وتوظيف ملايين الموظفين.

على الرغم من الاختلافات السابقة فإن الرأسمالية كانت قادرة وببطء على اقناع الحكومات أن تجعل هذا السوق اقتصادياً حيث أصبح مقياس نجاح الحكومات. في الوقت الذي تحتضن فيه السوق الحقيقية من قبل الجماهير، فقد تم تصنيفه كدرجة ثانية. المال الذي يجب أن يكون وسيلة للدفع أو وسيلة للتبادل التجاري، الآن يتم المتاجرة به بحجم أكبر من حجم البضاعة.

الأزمة الاقتصادية الراهنة من المتوقع أن تنهي المواقف المضطربة للكثير من الحكومات حول العالم بما في ذلك إندونيسيا وبلدان المؤتمر الإسلامي.

خامساً: الداعمون المتعصبون للسوق الحر بعولمتها الجديدة والتي تعارض الأنواع المختلفة من الإعانات المالية التي تعتمد على مبدأ عدم الكفاءة. فإنهم الآن ومن دون خجل

يطلبون مبالغ كبيرة وطائلة باسم استقرار الاقتصاد والنقد. من دون شك، يجب أن نكون حذرين حيث إن التجربة السابقة وخاصة أزمة الاقتصاد الآسيوي في ١٩٩٧/ ١٩٩٨. إن الذين يطالبون بإنقاذ النقد هم الذين تمتعوا بالاقتصاد والعمل وهم الذين تسببوا بهذه الأزمة. إن عملية إنقاذ الاقتصاد تم صوغ لحنها بالتآمر بين السلطات واللاعبين بالسوق، لذلك فإن التكلفة كانت كبيرة جداً والوقت الذي سيستغرقه العلاج أيضاً كبير..

إن مسببي هذه الأزمة محميون بينما الجماهير الأقل تحصناً وتنظيماً يجب عليهم أن يعطوا ويتنازلوا.

الشك في انهيار السوق الحر والنظام الرأسمالي ليس موجودًا في البلاد المتقدمة وإنما في البلاد النامية كما تم تصويره من قبل السيد روبرت زولك مدير البنك الدولي أو كما أُشير إليه من قبل جوزيف ستيغلتز الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد، حيث قال إن العالم قد دُهش بنظام الولايات المتحدة الأمريكية وسوقها الحر، وهما الآن في موضع مساءلة. بالنسبة لستيغلتز فإن العديد من البشر في العديد من البلدان الآن يشعرون بالمعاناة بسبب كونهم ضحايا الأزمة المالية الأمريكية. وعلى العكس فإن الصين بنظامها الحالي البسيط غير المعقد كما في الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر أكثر أمنا وتتعامل مع الأزمة المالية بشكل أفضل.

لهذا فإن حكومة إندونيسيا والعديد من المدينين الذين كانوا مطيعين لدرجة كبيرة حتى أصبحوا تابعين للبنك الدولي ومؤسسة النقد الدولية من خلال نصحهم بتخصيص السوق المالية، لذلك عليهم الآن أن يفكروا ويفحصوا دوافعهم ففخرهم بأنهم أصبحوا عالميين مع الأخذ بعين الاعتبار أن هؤلاء الناصحين قد فشلوا. إندونيسيا وبعض الأمم المدينة للبنك الدولي ومؤسسة النقد الدولية عليهم العودة إلى اقتصادهم الوطني والاصرار على الاقتصاد الأهلي مع روح الاستقلال وعدم التردد في أخذ المنفعة الوطنية من أجل الجماهير. وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والتقدير.

✱✱✱✱

• الرجل والمشروع

د. محمد صالح الجابري - مدير الموسوعة العربية/ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، عضو الهيئة الاستشارية للمعجم:

بصدور الجزء الثاني من المعجم الشامل لشعراء العربية، يتأكّد بيقين قاطع أن المكتبة العربية ستحظى لأوّل مرة بأوسع وأشمل معجم يؤرّخ لشعراء هذه الأمة، انطلاقًا من شعرائها المعاصرين الذين خُصُّوا بأوّل معجم وهو «معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين»، وصلاً بشعراء القرنين التاسع عشر والعشرين الذي نشهد ولادته بهذا الحجم القياسي، في هذا الحفل البهيج الذي يماثل في بهجته وروعته ونوعية المدعوين إليه الحفل الذي كنّا حضرناه قبل سنوات عند استقبالنا لمعجم الشعراء العرب المعاصرين، واثقين كلّ الوثوق اليوم وقبل أي وقت مضى من أن الإرادة التي حفّت بإنجاز هذه الأعمال الضخمة، وسهرت على رعايتها وتابعتها بحرص ودقة وإتقان، وبصيرة نافذة، واستقصاء مضنٍ ما تزال صلبة، إن لم تكن قد ازدادت صلابة وعنادًا ومضاءً على مواصلة هذا العمل حتى آخر شاعر وآخر لحظة من لحظات الإبداع في تاريخ هذه الأمة العظيمة، أمتنا العربية الإسلامية على امتداد مساحتها الجغرافية التي تغطي قارات وأقاليم كان لها شرف إبلاغ رسالتها إلى أقصى أقاصيها وأعمق أعماقها حيث كان لها تأثيرها الحضاري واللغوي في مرحلة كانت العربية خلالها لغة السيادة والتعامل، ولغة العصر فأثمر ذلك التأثير إنجاب مبدعين في مجالات معرفية متعددة من ضمنها الشعر.

وأبلغ دليل على ذلك ما زخر به هذا المعجم الأخير الذي كشف لنا ولأول مرة عن شعراء كتبوا باللغة العربية في هذه القارات من إفريقيا إلى آسيا وأوروبا، فضلاً عن الجزر المترامية على أطراف المحيطات، مما لم يكن معروفًا لدى الباحثين، فضلاً عمن دونهم إلمامًا بتاريخ الثقافة العربية وانتشارها.

إن الأفكار والمشروعات كانت دائمًا ملقاة على قارعة الطرق، مثل اللآلئ في الخلجان والبحار، لكن المعضلة كانت تكمن دائمًا فيمن يهتدي إلى القبض على هذه

الأفكار وتلك المشاريع، ويصطاد ما تزخر به البحار من لآلئ ويحولها إلى واقع ملموس، كمثل هذا الذي فعله الأستاذ الشاعر عبدالعزيز سعود البابطين الذي حوّل حلم معجم شامل لشعراء هذه الأمة الموصوفة بالشعر والمنتسبة إلى الشعر، حوّله إلى واقع مجسم يحتل مكانته عن جدارة في صدارة المكتبات العربية وغير العربية.

ومن خبر الرجل عن كثب، واقترب منه، وعاينه، وجالسه في الاجتماعات الدورية التي أسفرت عن هذا الإنجاز العظيم سوف يحدوه تفاؤل منقطع النظير من أن هذا المشروع قد وجد له الرجل المناسب الذي سخر جهده وماله، وكرّس الجزء الأوفى من حياته في خدمة أمته وشعرائها.

وعلى أولئك الذين اطمأنوا إلى المشروع ووثقوا من نجاحه منذ انطلاقه أن يزدادوا اطمئنانًا على اطمئنانهم، أما أولئك الذي أثاروا غُبار الشك حوله، وأحدثوا الزوبعة في فناجينهم فما عليهم اليوم إلا أن ينكّسوا أعلامهم.

والمجد للعاملين والمؤمنين والظافرين والطامحين وفي مقدمتهم هذا الرجل الفذ الفاضل عبدالعزيز سعود البابطين.

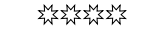

● كلمة د.حسناء القنيعير، عضو مجلس الأمناء (وردت الكلمة في مجلة الجائزة يوم الخميس ٣٠ من أكتوبر ٢٠٠٨ العدد «٥٧»).

معجم الشعراء وبعث سوق عكاظ العصر

منذ أن تأسست جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، حملت على عاتقها المكون الثقافي والاحتفاء بكل مقولاته تأكيدًا لامتلاك الثقافة العربية رؤيتها الخاصة أصالة ومعاصرة، وفي الوقت الذي كثرت فيه منابر الشعر العامي عبر أوعية الإعلام المختلفة، راهنت مؤسسة جائزة البابطين على استثمار اعتبر حينها ضربًا من المجازفة بالمال، حيث التوجه العام في المنطقة من قبل بعض شرائح المجتمع نحو الشعر الشعبي لا الفصيح، ولكن رهان المؤسسة أثمر نتائج إيجابية، إذ صار يجمع الشعراء

والأكاديميين والباحثين على مائدة الشعر ليتوحدوا فيه بحثًا ونقدًا ورؤية، وها هي اليوم بعد مضي ما يزيد على ثمانية عشر عامًا تتبلور صورتها الحقيقية في دعم العلاقات والروابط بين مؤسسات المجتمع المدني والمثقف العربي من خلال مشاريعها الثقافية المختلفة، حتى أصبح كل اجتماع للمؤسسة احتفالية ثقافية وإبداعية يتمنى كل مثقف عربي الوصول إليها، فقد كنا ونحن نرى الغرب يتباهى بمهرجاناته وجوائزه الثقافية الكثيرة، نتطلع لليوم الذي نبعث فيه مؤسسات مماثلة تحتفي بثقافتنا وإبداعنا، حتى أصبح الحلم حقيقة ساطعة.

لقد تمكنت المؤسسة من تحقيق أهدافها الكثيرة التي منها الاتصال بأساتذة أقسام اللغة العربية في الجامعات العربية وأقسام الاستشراق في الجامعات الأجنبية للتعاون معهم في ما يتعلق بالشعر العربي إبداعًا ونقدًا ودرسًا، كما فعّلت «مركز البابطين لحوار الحضارات» ووقّعت الاتفاقيات مع المؤسسات الثقافية العالمية لإنشاء جائزة خاصة للمؤرخين الذين يكتبون عن الدور العربي، وهذا يؤكد تحولها لداعم أساس للباحثين الغربيين المهتمين بالثقافة العربية، حيث أصبحت من أهم المؤسسات العربية التي تسعى للحفاظ على اللغة العربية، إذ وهي مؤسسة فردية تقوم بدور ريادي في شمولية التوسع والانتشار على مستوى الوطن العربي متجاوزة إقليمية المكان لتحافظ على الهوية العربية من خلال الباحثين والمبدعين والمثقفين العرب، وقد كان هذا الدور واضحًا من خلال تخريج ثلاثة عشر ألف دارس من أنحاء الوطن العربي في دورات تذوق الشعر وتعلم مهارات اللغة العربية، إضافة إلى إقامة مسابقة عامة في الشعر العربي وفي نقده مرة واحدة كل سنتين ضمن دورات المؤسسة، وتكريم المبدعين في هذه المجال.

كما تركّزَ في صلب رؤية المؤسسة إحياء حركة الشعر العربي المعاصر بمعجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، وهو إنجاز يندرج ضمن مشروعها الثقافي، وهي

المؤسسة التي ربما لم تقم في الأصل إلا من أجل إنشاء جائزة للإبداع في مجال الشعر قولاً ونقدًا، ولكنها تنامت في تصوراتها للعمل الثقافي الكبير، وامتد شعاع الدائرة التي تعمل فيها، فأصبح إنجاز المعجم ومتابعته ثم مراجعته وتشجيع الملتقيات المتصلة به هدفًا جديدًا يكاد يتجاوز مهمة إسناد الجائزة إلى وضع مدونة معاصرة تعد مكسبًا للثقافة العربية، ومنجمًا خصبًا للباحثين في الشعر العربي المعاصر، نظرًا لما حواه من مادة غزيرة لم تحوها أي مدونة معاصرة.

☆☆☆☆☆

● كلمة حول المعجم بقلم الدكتور محمد شاهين عضو مجلس الأمناء (مجلة الجائزة - الجمعة ٣١ من أكتوبر ٢٠٠٨ العدد «٥٨»).

سئل ماتيران عن أغلى مقدرات فرنسا فأجاب الثقافة، أما الناقد الإنجليزي الذي كتب كتابًا عن شكسبير فقد استهله بالقول: لو كان على بريطانيا أن تختار بين التخلي عن أكبر مستعمرة لها في التاريخ وهي الهند والتخلي عن شكسبير لاختارت أن تحتفظ بشكسبير، وهكذا أثبت التاريخ فيما بعد أن شكسبير، خير وأبقى، وأن ثقافة الأمة هي الديمومة التي نعيش بها.

وعبارة النص المقدس التي نرددها في المناسبات المختلفة هي: «في البدء كانت الكلمة» وهي عبارة تجمع من التكثيف في المعنى ما يجعلنا نستشهد بها بل ونبدأ بها دراسات متنوعة في علوم معرفية كثيرة تدلل على أن قدرة الإنسان ليست في عضلاته بل في لغته التي صنعت منه مخلوقًا يتميز عن باقي المخلوقات في هذا الكون.

ثم كيف استطاع الاستعمار أن يؤسس دعائمه في العالم؟ صحيح أنه امتلك قوة حربية وغير حربية كان من شأنها أن تساعده على احتلال أرض الغير وأملاكه، لكنه كان دائمًا وأبدًا يعول على أنه يمتلك ثقافة تتفوق على الغير، وكان يحملها معه كدرع يبرر وجوده بل ويساعد على استمراريته. في رواية (قلب الظلام) نجد الراوي يقول إن

الاستعمار الأوروبي في إفريقيا يحمل معه مشعلاً للحضارة مهمته الإنسانية استبدال الظلام في إفريقيا بنور أوروبي من عند الله، وقد رأى كاتب الرواية كونراد أن في هذا الاعتقاد الأوروبي الخاطئ إجحاف في حق البشرية بل وظلم في حق المواطنين الأصليين، وجعل عميل الاستعمار الذي بعثت به الشركة البلجيكية إلى الكونغو لجمع العاج ينطق بكلمة تلخص تاريخ الاستعمار وذلك بعد أن مرّ بنفسه في تجربة الاستعمار ورأى فيها من البشاعة ما دعاه أن يصيح تلك الصيحة التي اختزلها في كلمة لا يمكن أن تنصفها الترجمة وهي (**The horror the horror**) أي يا للرعب يا للرعب! وقد نطقها كورتز وهو يفارق الحياة على مسمع الراوي مارلو الذي مرّ بنفس التجربة وأكبر في زميله قدرته على أن يستشف التجربة الاستعمارية التي خبرها بنفسه بل وبدأ حياته مجندًا لخدمتها إلى أن أفاق على الحقيقة.

وعودة إلى مشروع معجم البابطين الذي نجتمع هذه الأيام من أجل تحيته وتحية راعيه، فقد لاحظت المؤسسة التي قامت على المشروع بداية النقص الهائل في المعاجم العربية قياسًا بالمعاجم التي تتوافر في لغات وثقافات مختلفة أخرى. فعلى سبيل المثال لا الحصر صدر عن مطبعة جامعة أكسفورد حديثًا معجم مشابه في طبيعته لمعجم البابطين هو معجم الأدباء بما فيهم الشعراء طبعًا والمفكرون البريطانيون الأحياء والأموات في ستين مجلدًا، والمعجم البريطاني هو طبعة جديدة مزيدة للطبعة الأولى التي قام بها أديب بريطاني معروف اسمه لزلي ستيفن والد فيرجينيا وولف، الذي أفنى حياته في المشروع.

ويعد المعجم مصدرًا هامًا ورئيسيّاً للقارئ، وما زالت المرجعيات الثقافية تشيد بهذا المعجم والجهد الهائل من ورائه الذي استغرق عقودًا من الزمن.

معجم البابطين مشروع ضخم يقع ضمن سياق المشاريع الثقافية العالمية، والذي يدعو للإعجاب هنا، هو أنه تم في مدة زمنية قياسية.

وهكذا يخرج معجم البابطين إلى الوجود ليسدّ فراغًا كبيرًا ويؤسس جسرًا مع التراث العربي حاضرًا وماضيًا ويساهم في تثبيت أقدام لغتنا العربية على خارطة العالم.

قبل عقدين ونيف صدر مجلد ضخم يقع في ما يقرب من أربعة آلاف صفحة عنوانه: «المرشد في الأدب العالمي الحديث» وقد صدر عن دار نشر ماكميلان وهي دار نشر مرموقة جدًا ومعروفة. وقد لفت نظري أن الأدب العربي احتل أربع صفحات فقط، وعندما تقصّيت الأمر مع المحرر شخصيّاً وعاتبته على هذا الإجحاف البين، أجابني أن المصادر حتى بالعربية عن الأدب العربي شحيحة وكأنه يقول لي إن القصور أساسًا يأتي من أصحاب الأدب الذين لا يولون العناية الكافية لأدبهم.

هذا مشروع يستحق الثناء والإكبار والاجلال، فتحية لكل من ساهم في تحقيق الحلم وجعله حقيقة ماثلة أمامنا اليوم.

☆☆☆☆☆

● كلمة الأستاذ محمد بن صالح النعيم من المملكة العربية السعودية (وردت في مجلة الجائزة الخميس ٣٠ من أكتوبر ٢٠٠٨ العدد ٥٧)

البابطين وأبعاد جهوده تجاه الشعر والشعراء

لم نجد أي جهة حكومية أو هيئة متخصصة اهتمت بشعر العرب على اختلاف عصوره، إلا في مؤسسة واحدة فقط، وهي مؤسسة الشيخ عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، فلها سبق الريادة في هذا المجال بلا منازع، وأبعاد ما قامت به المؤسسة من جهود جبارة يعكس ما يتمتع به العرب من مزايا حميدة عززها الإسلام وجسدها الشعراء في قصائدهم، والفضل في ذلك يعود للشيخ عبدالعزيز الذي أوكل لمؤسسته مهمة التفرد والتخصص في جمع تراث العرب من الشعر الفصيح قديمه وحديثه، لذا نجده يسخّر كل طاقاته وإمكانياته، وما أتيح من قوة الإرادة وصدق العزيمة لإبراز دور أمته فكريّاً وثقافيّاً، فكيف بنا إذ نرى رجلاً واحدًا يقوم بما تعجز عنه كثير من الدول والهيئات الإقليمية والمنظمات العالمية، إلى جانب دعمه السخي

للبعثات الدراسية الخارجية للمحتاجين من أبناء العرب والمسلمين أينما كانوا، بالإضافة إلى أعماله الخيرية المتنوعة التي لا يمكن حصرها. لقد جمع حوله الشعراء والأدباء والمفكرين العرب من شتى الأقطار حتى من كان منهم في المهجر، وهيأ لهم الإمكانيات اللازمة والأجواء المناسبة، وتبنت المؤسسة طباعة الكثير من أعمالهم، كما هيّأ لجانًا أخرى تضم مئات الباحثين موزعين في كافة الأقطار العربية والإسلامية هدفها جمع الأشعار العربية الفصيحة القديم منها والجديد، وشكّل لجانًا أخرى من النقاد والأدباء المتخصصين للفرز والتنقيح، وطبعت على أثرها المجلدات والمعاجم الشعرية مع تراجم أصحابها، ولم يتوقف عند هذا الحد، بل أقام الاحتفالات والندوات للأحياء منهم والأموات، وعقدت من أجل الشعراء الراحلين الدورات والمؤتمرات في عدد من الدول العربية والإسلامية، حيث جمعت وطبعت الكتب والدواوين الخاصة بتلك الدورات منها على سبيل المثال: الدورتان الأولى والثانية اللتان اقتصرتا على توزيع الجوائز للعديد من الشعراء والنقاد العرب، وأقيمت الدورة الثالثة عن محمود سامي البارودي بالقاهرة عام ١٩٩٢م، وأقيمت الدورة الرابعة عن أبي القاسم الشابي في مدينة فاس بالمغرب عام ١٩٩٤، وكذلك الدورة الخامسة عن أحمد مشاري العدواني بأبوظبي عام ١٩٩٦م، وأقيم ملتقى عن محمد بن لعبون بالكويت عام ١٩٩٧م، وأيضًا الدورة السادسة عن الأخطل الصغير في بيروت عام ١٩٩٨م، و«ملتقى سعدي الشيرازي» أقيم في إيران عام ٢٠٠٠م، وأقيمت الدورة السابعة عن أبي فراس الحمداني مع احتفاء خاص بالأمير عبدالقادر الجزائري في الجزائر عام ٢٠٠٠م، وطبعت المؤسسة مختارات من الشعر العربي في القرن العشرين بمناسبة اختيار الكويت عاصمة للثقافة العربية عام ٢٠٠١م، وأقيمت الدورة الثامنة عن علي بن المقرب العيوني مع احتفاء خاص بإبراهيم طوقان بمملكة البحرين عام ٢٠٠٢، وكذلك أقيمت الدورة التاسعة عن ابن زيدون بقرطبة عام ٢٠٠٤، وتبنت المؤسسة إصدارات بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية عام ١٤٢٦هـ، وإصدارات بمناسبة اختيار حلب عاصمة للثقافة الإسلامية عام ١٤٢٧هـ، وأقيم «ملتقى الكويت الأول للشعر العربي

في العراق» في الكويت عام ٢٠٠٥م، وأقامت المؤسسة الدورة العاشرة عن شوقي ولامارتين في باريس عام ٢٠٠٦م، وأصدرت المؤسسة سلسلة من المعاجم منها معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، وإصدارًا خاصًا عن عاشق اللغة العربية العالم الجليل أحمد مختار عمر، وتقيم حاليًا مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري دورتها الحادية عشرة في الكويت لمدة أربعة أيام ابتداء من ٢٧ من أكتوبر وحتى يوم ٣١ من الشهر نفسه، تحت عنوان «دورة معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين»، احتفاء بصدوره بعد أحد عشر عامًا متصلة من الجهود المضنية التي بذلها مئات من الباحثين، ويقع المعجم في خمسة وعشرين مجلدًا، ويضم تراجم ومختارات لأكثر من ثمانية آلاف شاعر.

هذا إلى جانب العديد من الإصدارات الشعرية للمؤسسة منها: ديوانان للشيخ عبدالعزيز سعود البابطين هما «بوح البوادي» و«مسافر في القفار»، وغيرها من الدواوين والمطبوعات والإصدارات.

ولو فكرنا أيضًا في أبعاد ما قامت به مؤسسة البابطين للإبداع الشعري من جهود جبارة، التي لولاها لضاع الشعر ونُسي الشعراء، ولم يبق منه للذكر إلا ما سُجّل في بطون بعض الكتب والدواوين الصغيرة، ولكن بفضلها سيبقى شعر العرب بكامله رمزًا شامخًا منقوشًا في مجلدات ومعاجم وموسوعات بعدة لغات عالمية لا يمكن اندثارها ولا نسيانها مهما طال الزمن.

نسأل الله له التوفيق على ما بذله في السابق وما يبذله في اللاحق من أجل حفظ تراث أمته العربية والإسلامية، وأن يمتعه بالصحة وطول العمر، ويجعله ذخرًا للعروبة والإسلام.

● مدعوو الدورة الحادية عشرة:

حضر احتفالية افتتاح الدورة وندواتها جمهور كبير من داخل الكويت وخارجها.. حيث تم توجيه الدعوة إلى (٥٣٨) مدعوًا استجاب منهم للحضور (٤٠٥) مدعوين أي

ما نسبته (٧٥,٣٪) من مجمل المدعوين واعتذر (١٣٣) مدعوًا أي ما نسبته (٢٤,٧٪) وكان الحضور من العرب (٣٢٩) مدعوًا أي ما نسبته (٨١,٢٣٪) ومن غير العرب (٧٦) مدعوًا أي ما نسبته (١٨,٢٧٪) من مجمل الحضور. وقد حضر حفل افتتاح الندوة وفعالياتها على مدى (٤) أيام جمهور كبير من داخل الكويت.

ومن أبرز الشخصيات التي حضرت:

- فخامة الرئيس حارث سيلاجيتش	رئيس البوسنة
- دولة الرئيس فؤاد السنيورة	رئيس وزراء لبنان
- معالي الدكتور حمد بن عبدالعزيز الكواري	وزير الثقافة والفنون والتراث في قطر
- معالي الأستاذة خليدة التومي	وزيرة الثقافة الجزائرية
- معالي الدكتور طارق متري	وزير الإعلام في لبنان
- معالي السيدة بهية الحريري	وزيرة التربية والتعليم العالي في لبنان
- معالي الأستاذ محمد أبوبكر المفلحي	وزير الثقافة في الجمهورية اليمنية
- معالي الأستاذة نانسي باكير	وزيرة الثقافة الأردنية
- معالي الأستاذة تهاني أبودقة	وزيرة الثقافة في فلسطين
- معالي الأستاذ محمد أبو زيد مصطفى	وزير الدولة السوداني بوزارة الثقافة والشباب والرياضة
- معالي الأستاذ عبدالرحمن سيد بكر	وزير الإعلام الناطق باسم حكومة جمهورية القمر
- سعادة السيد محمد سعيد الضنحاني	رئيس الديوان الأميري في الفجيرة
- سماحة الشيخ الدكتور محمد رشيد قباني	مفتي لبنان
- نيافة الأنبا بسنتي	من كبار رجال الدين الأقباط في مصر
- سعادة الدكتور غلام حداد عادل	رئيس مجلس الشورى الإيراني السابق
- سعادة السيناتور جوكو سكينري	فنلندا
- سعادة السناتور بانا ميرشنت	عضو مجلس الشيوخ الكندي
- سعادة السناتور مارسيل برودوم	عضو مجلس الشيوخ الكندي

- سعادة السيد ساجد مير	عضو مجلس الشيوخ الباكستاني
- سعادة الدكتور فؤاد باوزير (وزير سابق)	أندونسيا
- سعادة السفير أدهم باشيتش	مستشار الرئيس البوسني لشؤون العلاقات الخارجية
- معالي الدكتور محمود السيد	وزير الثقافة السوري السابق
- معالي الدكتور محيي الدين عميمور	وزير الثقافة والاتصال الجزائري السابق
- سعادة الدكتور عبدالله بوخلخال	رئيس جامعة قسنطينة (الجزائر)
- سعادة الدكتور توفيق الوزاني الشهدي	رئيس جامعة سيدي محمد بن عبدالله (المغرب)
- سعادة الدكتور أفتاب كمال باشا	مدير الدراسات الخليجية في جامعة نهرو (الهند)
- سعادة الدكتور أكبر إيراني قمي	رئيس مركز تحقيق التراث بوزارة الثقافة (إيران)
- سماحة السيد محمد علي أبطحي	نائب رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية السابق
- سعادة الأستاذ ثابت الطاهر	مدير عام مؤسسة شومان
- فضيلة الشيخ سعيد عبدالحفيظ حجاوي	مفتي المملكة الأردنية الهاشمية
- سعادة الدكتورة رفيعة عبيد غباش	رئيسة جامعة الخليج
- سعادة السفير جان هنجسن	سفير سابق (السويد)
- سعادة السفير جعفر عبدالله شيخ أحمد	سفير جمهورية القمر المتحدة بالقاهرة
- سعادة الأستاذ ألفريد سمعان	الأمين العام لاتحاد الأدباء (العراق)
- سعادة السيد سلاجاف كيداف	(منغوليا)
- سعادة الدكتور ابنكبات تسند	(منغوليا)

فضلاً عن نخبة من رجال الدين المسلمين والمسيحيين.

ومن رؤساء ومديري تحرير الصحف العربية والأجنبية، حضر كل من:

- الأستاذ عبدالحميد أحمد (الإمارات)	رئيس تحرير صحيفة جلف نيوز
- الأستاذ ظاعن شاهين (الإمارات)	رئيس تحرير صحيفة البيان
- الدكتور عبدالجليل بوقرة (تونس)	رئيس تحرير صحيفة الصحافة
- الأستاذ فلاح المشعل	رئيس تحرير صحيفة الصباح العراقية
- الأستاذ كمال حسن بخيت	رئيس تحرير صحيفة الرأي العام السودانية
- الأستاذ فارس خضر (مصر)	رئيس تحرير مجلة الشعر
- الأستاذ عماد العبدالله (قطر)	مدير تحرير مجلة الدوحة
- الأستاذ عبدالله القاق (الأردن)	مدير تحرير صحيفة الدستور
- الأستاذ عاطف مصطفى (مصر)	مدير تحرير مجلة الهلال
- الأستاذ سلام العيداني (العراق)	نائب رئيس تحرير صحيفة الأيام
- الأستاذ أسامة هيكل (مصر)	نائب رئيس تحرير صحيفة الوفد
- الأستاذ جابر الحرمي (قطر)	نائب رئيس تحرير صحيفة الشرق
- الأستاذ تيموفي كوزنتسوف (روسيا)	نائب تحرير مجلة روسيسكايا غازيتا
- الأستاذ حيدر أغانين (روسيا)	مدير تحرير قناة روسيا اليوم
- السيدة وانغ فو - فريدة (الصين)	رئيسة تحرير مجلة الصين اليوم
- الأستاذ يوري تافر وسكي (روسيا)	رئيس تحرير الجريدة الأدبية

● **الأمسيات الشعرية**

أقيمت على هامش الدورة أمسيتان شعريتان:

- **الأمسية الأولى:**

أقيمت مساء يوم الأربعاء ٢٨ أكتوبر ٢٠٠٨ على مسرح مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي، وشارك فيها كل من الشعراء:

- هارون هاشم رشيد (فلسطين)، لينا مطاوع (الأردن)، إبراهيم الأسود (سورية)، عبدالمنعم عواد يوسف (مصر)، عبدالله السلوم (المملكة العربية السعودية)، محمد نجيب المراد (سورية)، روضة الحاج (السودان).

قدّم الشعراء في هذه الأمسية د. محمد خضر عريف من السعودية من جامعة الملك عبدالعزيز بجدة، وتنوعت قصائد الشعراء بين تناول المشهد العربي الراهن والتغني بأحلام الإنسان العربي، وأشادت بعض القصائد بدولة الكويت وبدورة معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، كما قدّم بعض الشعراء تجارب رومانسية خالصة.

- الأمسية الشعرية الثانية:

أقيمت على مسرح مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي مساء يوم الجمعة ٣١ أكتوبر ٢٠٠٨ مختتمة بذلك فعاليات الدورة الحادية عشرة «دورة معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين»، وقد أحيا هذه الأمسية تسعة شعراء هم: (عبدالعزيز سعود البابطين من الكويت، ومحمد الجلواح وعبده حسن سيد وعبدالرزاق سعود المانع من السعودية، ناصر لوحيشي وحنين عمر من الجزائر، نبيلة الخطيب من الأردن، ويحيى السماوي من العراق، ومحمد ولد طالب من موريتانيا).

● الحفلان الفنيان

على هامش دورة معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، وترحيبًا بالضيوف المشاركين فيها، قدمت فرقة العميري للفنون الشعبية حفلاً غنائيّاً على مسرح مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي مساء يوم الثلاثاء ٢٨ أكتوبر ٢٠٠٨، قدمت فيه أنواعًا من فنون البحر والبر وفنون البادية، لاقت ترحيبًا وقبولاً من الحضور الذين تفاعلوا مع هذه الألوان من الفنون الشعبية الكويتية.

وقدمت فرقة التلفزيون للفنون الشعبية حفلاً فنيّاً لضيوف دورة المعجم على مسرح مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي مساء يوم الخميس ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٨.

أصداء «دورة معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين» في الإعلام العربي والأجنبي.

أقيم مركز إعلامي لتقديم الخدمات الإعلامية حول الدورة حيث جرى وضع خطة متكاملة ساهمت في نجاح المهام الإعلامية للدورة وفق ثلاثة مسارات: مسار سابق للدورة ومسار أثناء الدورة ومسار لاحق للدورة.

● المسار السابق للدورة ويتمثل في النقاط التالية:

– زيارات قام بها السيد رئيس المؤسسة ورافقه الأمين العام في بعضها إلى رؤساء تحرير الصحف المحلية وإلى رئيس مجلس إدارة «كونا»، وجرى طرح الفكرة عليهم وشرح أهداف هذه الدورة ورسالة المؤسسة بشكل عام، وقد لاقت هذه الزيارات قبولاً كبيرًا لدى رؤساء التحرير، وأفردوا صفحات كاملة أحيانًا لأنشطة الدورة.

– انطلقت الحملة الإعلامية بشكل مبدئي منذ أن تم الإعلان عن أسماء الفائزين بجوائز المؤسسة في مؤتمر صحفي عقده السيد رئيس المؤسسة في دمشق.

– تحرك المركز الإعلامي لتفعيل الاتصالات المكثفة السابقة مع الإعلاميين خارج الكويت، وخصوصًا مع الصحف العربية ورؤساء الأقسام الثقافية ومحرريها.

– جرى عمل خطة إعلامية زمنية لنشر الأخبار واللقاءات الصحافية مع السيد رئيس المؤسسة والكشف شيئًا فشيئًا عن أنشطة الدورة وفق تسلسل زمني محدد، وقد حققت الخطة بفضل الله تعالى الهدف المأمول منها.

● المسار أثناء انعقاد الدورة:

– قام رئيس فريق العمل الأستاذ عبدالرحمن خالد البابطين بتجهيز المركز الإعلامي بأحدث التقنيات وأوفرها، مما سهل على الإعلاميين مهمتهم وتمكنوا من إرسال تغطياتهم الإعلامية إلى صحفهم بسهولة ويسر.

– قام فريق المركز الإعلامي بمساعدة الإعلاميين بإرسال المواد عبر الإنترنت لمن لا يجيد استخدام هذه الشبكة بشكل جيد.

– كما قام المركز الإعلامي بوضع خطة لتوزيع الأخبار والتغطيات على مواقع الإنترنت والصحف التي تعذر حضور محرريها.

– نظم المركز الإعلامي في اليوم الأخير للدورة مؤتمرًا صحفيّاً للسيد رئيس المؤسسة للإعلان عن عزم المؤسسة إطلاق معجم جديد.

● المسار اللاحق على اختتام الدورة:

– لم تنته أعمال المركز الإعلامي بانتهاء الدورة، فقد استمر بالنهوض بمهامه، حيث قام بمتابعة ما نشر في الصحف والحصول عليها إما بطريقة البحث عبر الإنترنت أو بالطلب من أصحابها إرسال نسخ منها أو أصولها.

– قام أرشيف المؤسسة بتجميع ما نشر حول الدورة ووضعها ضمن ملفات.

● نتاج عمل المركز الإعلامي:

– تمكن المركز الإعلامي بفضل الله تعالى وبما تتمتع به المؤسسة ورئيسها من سمعة طيبة من تحقيق نتائج إيجابية على صعيد الانتشار الإعلامي الأفقي بين صحف ومواقع الإنترنت في الوطن العربي.

– قامت صحف تركية وإسبانية ومواقع أجنبية بنشر تغطيات عن الدورة، وهو مكسب يتحقق لأول مرة بهذا الزخم.

● التغطية الإعلامية للدورة الحادية عشرة:

حظيت الدورة بتغطيات إعلامية واسعة من الصحافة العربية والمواقع الإلكترونية العربية والأجنبية ووكالات الأنباء، وفي ما يلي أسماء الصحف والمواقع التي أمكن حصرها:

- الأردن: الدستور، الرأي، الشاهد، الغد، العرب اليوم، وكالة أنباء بترا.
- دولة الإمارات العربية المتحدة: الخليج، موقع مؤسسة سلطان العويس (عربي وإنجليزي)، وكالة أنباء الإمارات.
- مملكة البحرين: وكالة أنباء البحرين، نشرة وزارة الإعلام البحرينية.
- تونس: الصحافة، الحرية، الملحق الثقافي، الصباح، الشروق، الملاحظ.
- الجزائر: المسار، أخبار اليوم، وكالة الصحافة الجزائرية.
- المملكة العربية السعودية: الحياة (الرياض ولندن)، الشرق الأوسط (الرياض ولندن)، وصحيفتا الوطن والرياض.
- سورية: الثورة، الفرات، سيريانيوز.
- العراق: التآخي، الدستور، الصباح.
- فلسطين: القدس.
- دولة قطر: الراية، الشرق، وكالة الأنباء القطرية.
- دولة الكويت: القبس، الراي، الأنباء، السياسة، الوطن، أراب تايمز، النهار، الصوت، عالم اليوم، الرؤية، الصباح، الدار، الوسط، أوان، الجريدة، كويت تايمز، الحياة، وكالة الأنباء الكويتية.
- لبنان: الأنوار، دار الفتوى، المستقبل، شبكة العلمانيين العرب، موقع ليبانون فايلز.
- مصر: الأهرام، أخبار الأدب، حريتي.
- المغرب: العلم، الحدث.
- اليمن: ١٤ أكتوبر، وكالة أنباء اليمن، المؤتمر نت.
- أستراليا: ذا ميدل إيست تايمز.
- هونغ كونغ: ندوة برس (باللغتين الصينية والعربية).
- لندن: جريدة العرب.
- تركيا: حريات.
- البوسنة: موقع **Isria**، موقع **Rinascita Balcanica**

- إيران: طهران تايمز، وكالة الأنباء الفارسية.
- أمريكا: موقع **Symbois HH**، **MSN**.
- بوليفيا: موقع **Vbuzzer**.
- إسبانيا: راديو وتلفزيون جرانادا (غرناطة)، موقع **EFE**، مجلة **Nurain Magazine**، موقع **Sabor**، صحيفة **La Vanguardia**، موقع **Coches.net**، موقع **entretienes**، موقع **yahoo. T. Noticias**، موقع **Ialla Tu**، موقع: **Alibaba.com**، موقع **Univision**.
- الكونغو الديمقراطية: موقع **organizando.**
- الهند: موقع **dent xpress**
- مواقع إلكترونية أخرى: ميدل إيست أونلاين، صوت العروبة، موقع دروب، موقع أنهار الإخباري، منتديات اليراع، شبكة نحن العرب، شبكة راصد الإخبارية، شبكة منتديات درة العرب، شبكة شعاع الإعلامية، منتديات مكتوب، موقع الخيمة، شبكة التوافق، منتديات اليوم السابع، شبكة الإعلام الحقيقي، شبكة (سعوديون) الإخبارية، جريدة الجمهورية والعالم أونلاين، نت أرابيك، شبكة الأخبار العربية، منتدى الكتاب العربي، اتحاد وكالات الأنباء العربية، كويت ساماشار، زوايا، انترانيوز.

الحضور الإعلامي

بالإضافة إلى الإعلاميين من الكويت من مختلف وسائل الإعلام، فقد دعي لحضور الدورة وشارك في تغطية فعالياتها (٦٥) خمسة وستون من الإعلاميين العرب من كل من: المملكة العربية السعودية، مصر، قطر، دولة الإمارات العربية، الجزائر، الأردن، سلطنة عمان، العراق، تونس، اليمن، السودان، لبنان. كما دعي إلى الدورة (٢٥) خمسة وعشرون إعلاميّاً أجنبيّاً من بريطانيا، روسيا، تركيا، بلجيكا، كندا، الولايات المتحدة، إسبانيا، ألمانيا، الصين، وإيران.

****

الندوة الأولـــى

عالم اليوم ثقافات ومصالح

الجلســـة الأولـــى

محور: الثقافات الحاكمة اليوم

رئيس الجلسة: د. محمد الرميحي

بعد افتتاح جميل أمس استمتعنا فيه بكلمات طيبة وبحضور زاخر من وجوه المثقفين والمثقفات العرب والأصدقاء، نبدأ هذا اليوم الكويتي الجميل بوجود السادة الضيوف وهذه الندوة التي تستمر وتتواصل حتى نحظى بالكثير من النقاشات التي سنستمتع بها.

نبدأ هذا اللقاء بكلمة كريمة أرسلها قداسة البابا بينديكت السادس عشر لهذا اللقاء يلقيها المطران منجد الهاشم الممثل البابوي في الكويت فليتفضل..

كلمة قداسة البابا ألقاها المطران منجد الهاشم

أيها الأصدقاء الأعزاء، حضرة الدكتور عبدالعزيز سعود البابطين مؤسس ورئيس مجلس أمناء مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري. قد تفضلتَ ووجهتَ دعوة لطيفة إلى قداسة البابا بينديكت السادس عشر ليوفد ممثلاً يشارك في أعمال الدورة الحادية عشرة وموضوعها عالم اليوم ثقافات ومصالح.

يقدِّر قداسته دعوتكم هذه والعبارات اللطيفة التي وجهتموها إليه واعترافكم بدوره في تعزيز الحوار البناء بين المسيحيين والمسلمين، يشرفني ويسرني بصفتي رئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان أن أنوب عنه وأبعث إليكم هذه الرسالة التي ينقلها ويتلوها المطران منجد الهاشم السفير البابوي في الكويت.

إن قداسة البابا بيندكت السادس عشر يبعث إلى المشاركين والمساهمين في هذه الندوة أحرّ تهانيه وأطيب أمنياته. لقد أظهرت الكنيسة الكاثوليكية دائمًا اهتمامًا بالغًا بالثقافات خصوصًا تلك التي ترتكز على أسس وجذور دينية وتحتضن التعابير الثقافية الأصيلة التي تتضمنها مختلف الديانات، وفي الآونة الأخيرة برز اهتمامها هذا بصورة واضحة وجلية في تأسيسها بين دوائرها المركزية؛ المجلس البابوي للثقافة والمجلس البابوي للحوار بين الأديان، وكما تعلمون إن قداسة البابا بولس السادس السعيد

الذكر، قد أنشأ هذا المجلس البابوي في ١٩ أيار مايو ١٩٦٤ ليعزز الدراسات ويقوّم العلاقات بين الكنيسة الكاثوليكية والأشخاص والجماعات الذين ينتمون إلى جماعات أخرى.

إن المسلمين لكونهم يؤمنون بالإله الواحد الأحد وينتمون إلى الأسرة الإبراهيمية، يحتلون مكانة خاصة في مهام المجلس البابوي للحوار بين الأديان.

وتوجد داخل هذا المجلس نفسه لجنة خاصة للعلاقات بين المسلمين كما توجد لجنة مماثلة للعلاقات مع اليهود في المجلس البابوي لوحدة المسيحيين. أما فيما يتعلق بالشِّعر والإبداع الشعري فلست بحاجة إلى أن أذكّركم بأن التعبير الشعري الأصيل يتعدى ويتجاوز الحدود الإنسانية كافة أيّاً كان نوعها إثنية أم عنصرية، ثقافية أم دينية.

إن الشِّعر عندما يبث وينقل كل ما هو نبيل وحقيقي، يشكل حقّاً تعبيرًا ساميًا شاملاً للروح الإنسانية وللشعور الإنساني بما فيه من قيم ومشاعر دينية مثل محبة الله وعبادته وتبجيله وطلب غفرانه ومسامحته.

في الواقع إن شعراء ينتمون إلى ديانات مختلفة قد وضعوا قصائد معروفة للغاية، متوجهين إلى الله، فاتحين له قلوبهم ومعبرين له عن شعورهم نحوه.

إن الإحدى عشرة قصيدة في الكنيسة الكاثوليكية هي تلك التي ألفها القديس فرنسيس القسيسي وعنوانها نشيد المخلوقات عظّم فيها الله جميع مخلوقاته التي يدعوها لتعبر له تعالى عن عرفان جميلها وفقًا لطبيعتها الخاصة. كما أن أحد أبناء الشرق القديس إفرام السرياني يعتبر بالمطلق أحد أعظم شعراء المسيحية حتى أنه استحق لقب كنارة الروح القدس.

وإنني أعرف أن الإسلام ينعم بعدد كبير من الروحانيين الذين اتخذوا الشّعر وسيلة تعبير عن مشاعرهم الدينية، وأود أخيرًا أن أذكر أن السعيد الذكر البابا يوحنا بولس الثاني كان هو أيضًا شاعرًا، ألّف قصائد مؤثرة، ومن هم بينكم شعراء يمكنهم

تاليًا أن يفتخروا برفاقٍ عظام هم زملاء لهم، وفي ما يتعلق بمطبوعات هذه الدورة؛ «عالم اليوم: ثقافات ومصالح»، إن الثقافة تستحق حتمًا هذا الاسم، وكما تعلمون إن الحياة تشمل الإنسانية جمعاء، وتتناول مصالح تمتاز بطابع كريم وشريف، إذ إن الثقافة الحقّة تتجاوز المصالح الفردية وتسمو بها إلى مستوى يحافظ على القيم المشتركة الهامة، فلا ينبغي أن تشكل المصلحة والربح وحدهما العوامل التي تسود بين العلاقات بين البشر لا سيما بالنسبة إلى الأشخاص المتجذرين جيدًا في تقاليدهم الدينية الخاصة.

إنني استمطر عليكم وعلى نخوتكم من لدن الله القدير والبركات الغزيرة. الكردينال جون بوتيران رئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان. وشكرًا.

رئيس الجلسة: د. محمد الرميحي

بعد هذا التصفيق الحار لعلكم تشاركونني بشكر المطران منجد الهاشم على قراءته لهذه الرسالة البابوية التي نفتتح بها عملنا هذا الصباح.

سنبدأ حديثنا حول المشهد الثقافي الراهن، ثم قراءة نقدية لهذا المشهد. لدينا أربعة متحدثين، وسنبدأ بالزميلة التي رافقتنا في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الأستاذة هدى سعود صالح الدخيل التي ستحدثنا عن المشهد الثقافي الراهن والثقافات السائدة، وكما قلت هي عضو نشيط في الحركة الاجتماعية والثقافية في الكويت فلتتفضل..

****

محور الثقافات الحاكمة اليوم

المشهد الثقافي العالمي والثقافات السائده فيه
العولمة والإنتاج الإبداعي

أ. هدى صالح الدخيل

إن الحديث عن المشهد الثقافي العالمي المعاصر في ظل العولمة، يستدعي إلى الذهن عدداً كبيراً من السلبيات التي تحذر منها كثير من الأدبيات التي تسود الساحة الثقافية العالمية المعاصرة. فالعولمة الاقتصادية عموماً، والعولمة الثقافية على وجه الخصوص، كما تراها هذه الأدبيات، تمثل جملة من المخاطر التي تهدد بطمس واندثار العادات والتقاليد والثقافات المحلية والتعدد الثقافي لمصلحة ثقافة السوق والمجتمع الاستهلاكي. هذه المخاوف لها، ولا شك، ما يبررها، خصوصاً حين نأخذ بعين الاعتبار أن الشروط الموضوعية للعولمة – وفق منظور الليبرالية الجديدة – لا تتسم بكثير من العدالة في ما يتعلق بقدرة الشعوب الأفقر اقتصادياً والأضعف تقنياً على مواجهة تحدياتها. ولكن التمعن في تفاصيل ما يحدث على أرض الواقع اليوم، في مجالي التبادل الثقافي والإنتاج الإبداعي على المستوى العالمي، ربما يبين لنا صورة مختلفة شيئاً ما عن ذلك الاعتقاد لما تحمله العولمة من إمكانات إيجابية. ولهذا الغرض سأبدأ بعرض موجز عن الخلفية التاريخية لليبرالية الجديدة، ثم سأستعرض ملامحها الاجتماعية الثقافية، ودوافع وكيفية عولمة هذه الثقافة، ثم سأناقش أثرها في مسألة التعدد الثقافي، لأبين أن المخاوف من أثر العولمة السلبي على هذا الصعيد تحتوي على كثير من المبالغة، وأننا بتنا في حاجة إلى إعادة النظر في كيفية فهمنا للتعدد الثقافي، حتى نتمكن من تقدير الإمكانات الإيجابية التي تتيحها العولمة لتعزيز هذا التعدد، وسأدلل على ذلك من خلال تتبع أثر العولمة والسوق العالمية المعاصرة في المستويات المختلفة من عملية الإنتاج الإبداعي.

مقدمة تاريخية

إن البوادر الأولى للعولمة، كعملية اقتصادية، قديمة قدم التاريخ. وكان تجليها الأول في سيطرة أسرة (هان) في الصين على طريق الحرير، مروراً بالدور التجاري الذي

اضطلعت به الإمبراطوريات العظمى الرومانية والإسلامية والمغولية والبرتغالية والإسبانية والبريطانية، التي تمكنت بفضل حجمها وقوتها الفائقة – آنذاك – من فرض مُثلها وثقافتها على الأمم التي سادتها. ومع نهاية القرن السابع عشر تحولت العولمة إلى ظاهرة اقتصادية مؤسسة، مع إنشاء شركة شرق الهند الألمانية، أول شركة متعددة الجنسية تُدخل مفهوم الأسهم في التجارة الدولية، الذي يعد أحد أهم المفاهيم المحركة للعولمة الاقتصادية. أما القرن التاسع عشر، الذي يرى البعض أنه عصر الازدهار الأول للعولمة، فقد اتسم بالازدهار السريع للتجارة والاستثمار الدوليين بين الدول الاستعمارية الأوروبية ومستعمراتها، ولاحقاً الولايات المتحدة الأمريكية. ثم بدأ الازدهار الاقتصادي لهذا العصر بالتخلخل مع اندلاع الحرب العالمية الأولى، في بدايات القرن العشرين، لينهار تماماً في العشرينيات والثلاثينيات من القرن نفسه إبان «الكساد العظيم»، ويستبدل به نظام الحمائية الكينزي.[1] ولكن بعد أن اتضحت الأعباء الكبيرة للحمائية الكينزية وانخفاض مستوى التكامل الاقتصادي الدولي، بدأت المرحلة الحديثة من العولمة، مع توقيع اتفاقيات مؤتمر (بريتون وودز – Bretton Woods) في العام (١٩٤٤)، التي نتج عنها تأسيس البنك الدولي وصندوق النقد الدولي. ويظل أحد الفروق المهمة بين هاتين المرحلتين من العولمة هو أن الأولى كانت عالمية التوجه، بمعنى أنها كانت تعنى بالتكامل الاقتصادي والاتفاقيات والمعاهدات الاقتصادية بين الدول، وبفتح أسواق عالمية جديدة. في حين تسعى الثانية نحو خلق سوق عالمية حرة، يُحجم فيها – بل وحتى يُلغى – دور الدولة في تنظيم وتخطيط العملية الاقتصادية. وقد كان الفكر الليبرالي الجديد، كما تأسس على يد (فريدريك فون هايك/ Hayek) في مدرسة شيكاغو الاقتصادية، هو الآلة المحركة لهذا التحول.

وقد جاءت الانطلاقة الحقيقية الأولى لليبرالية الجديدة مع تولي (مارغريت تاتشر) رئاسة وزراء بريطانيا في العام (١٩٧٩)، وإعلانها مشروعها الاقتصادي الاجتماعي الذي سمي اختصاراً «تينا» TINA[2] الذي نادى – وفق منظور الليبرالية الجديدة – بأن ليس

---

١ – نسبة إلى عالم الاقتصاد البريطاني جون مينارد كينيز **Keynes**، الذي كان يرى أن الدولة يمكنها أن تحافظ على الاستقرار والنمو الاقتصاديين في نظام اقتصادي مختلط من القطاعين العام والخاص. وأنه باستطاعة الدولة تفعيل النشاط الاقتصادي وحل أزمة الكساد بواسطة خفض نسبة البطالة وخفض سعر الفائدة والاستثمار في مشاريع بناء البنية التحتية. للمزيد انظر **Sean Turnell, Keynes, "Economics and war: A Liberal Dose of Realism"; http://www.econ.mq.edu.au/research/2002/7-2002Turnell.PDF**

٢ – اختصار لعبارة **There Is No Alternative**، أي "ليس هناك بديل".

هناك من مخرج أمام الاقتصاد البريطاني لاستعادة موقعه في العالم إلا الحد من دور الدولة المفسد في تنظيم وتخطيط النشاط الاقتصادي، وضغط الإنفاق العام بفتح الباب على مصراعيه أمام الخصخصة الكاملة لكل الخدمات الرئيسية العامة في الدولة. وقد كان لتبني ودعم الرئيس الأمريكي (رونالد ريغان) هذا الطرح - من خلال إقراره عدداً من السياسات التي حررت الاقتصاد الأمريكي من تحكم الدولة وتخفيض الضرائب عن أصحاب المؤسسات التجارية - أثره الأكبر في إطلاق عملية العولمة على المستوى الدولي، لتستمر سطوتها على الأسواق العالمية منذ ذلك الحين في التنامي باطراد، مغيرة بذلك، ليس فقط آليات الاقتصاد العالمي بشكل غير مسبوق، بل أيضاً بُناه وأنظمته الاجتماعية والسياسة والثقافية.

فعلى الصعيد الاقتصادي شهد العالم نشوء أسواق تجارية ومالية وصناعية عالمية، بناءً على حرية التبادل التجاري والمالي التي عززتها اتفاقيات دولية مثل الجات وغيرها. وعلى الصعيد السياسي شهد العالم نشأة منظمات دولية تنظم العلاقات بين الحكومات وتضمن الحقوق في مواجهة العولمة الاقتصادية والاجتماعية، مثل منظمة التجارة العالمية، والبنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، ومحكمة العدل الدولية، والمحكمة الجنائية الدولية، كما شهد تفرد الولايات المتحدة -كقوة عظمى- بعد سقوط النظام الشيوعي وتفكك الاتحاد السوفييتي. وعلى المستوى التقني حدثت تطورات هائلة على صعيد البنى التحتية لتقنيات الاتصال الدولي والدفق الهائل للمعلومات بين كل أرجاء العالم، باستخدام تقنيات مثل الإنترنت وأقمار الاتصالات والكيبلات البحرية والتلفونات المحمولة وغيرها. وعلى المستوى الاجتماعي نلاحظ حركة التنقل والهجرة الكبيرة للأيدي العاملة من كل مكان في العالم إلى كل أرجاء العالم، وازدياد حركة السياحة العالمية، وانتشار السلع الاستهلاكية المحلية في دول مختلفة من العالم، بالإضافة إلى انتشار صرعات الأزياء والطعام وما شابه ذلك.

أما على الصعيد الثقافي فيشهد العالم نمواً غير مسبوق في الاتصال عبر التواصل الثقافي، وظهور أنماط جديدة من الوعي والهويات التي تحمل ملامح المزج الثقافي والرغبة في المساهمة في الثقافة العالمية، بالإضافة إلى الانتشار الواسع لأوجه الثقافة الشعبية في مجالات مثل الموسيقى وألعاب الكومبيوتر والأفلام السينمائية وغيرها الكثير.

لم تكن العولمة يوماً ما عملية اقتصادية بحتة، ولم تكن أيضاً يوماً ما أيديولوجيا[1] كما هي عليه في عالمنا اليوم. ويمكن تلمس ملامح هذه الأيديولوجيا في أطروحات الليبرالية الجديدة، التي يرى كثير من المختصين أنها امتداد للفكر الليبرالي كما تبلور على يد (آدم سميث) في كتابه «ثروة الأمم» في العام (١٧٧٦). يحاجج سميث في هذا الكتاب بأن الأفراد قادرون على بناء حياة أخلاقية واقتصادية فاعلة من دون توجيه من الدولة. وبأن الأمم ستكون أقوى حين يكون مواطنوها أحراراً في العمل وفق مبادراتهم الخاصة. وبأن السوق قادرة -إن توافرت لها الظروف المناسبة- على تنظيم نفسها، وستكون أكثر قدرة على الإنتاج من الأسواق المقيدة. التجارة الحرة إذن -وفقًا لسميث- هي أفضل السبل لتطوير اقتصاد الأمة، وعليه فقد دعا إلى إنهاء تدخل الحكومة في العملية الاقتصادية، ورفع القيود عن التصنيع والتبادل التجاري، وإلغاء التعريفة الجمركية، وغيرها من القيود التي تحد من حرية الفرد في العمل والمنافسة. ولكنه أتاح للحكومة تولي شأن المهمات التي لا يمكن تركها للمصالح، مثل تفعيل سلطة القانون واستقلاليته لمنع الأفراد من استخدام القوة والغش للتأثير في المنافسة أو التبادل التجاري أو الإنتاج - أي أن تصبح مجرد شرطي يحمي الأمن وسلاسة سير العملية الاقتصادية عبر تطبيق القانون وحفظ الحقوق- وأنه يجب على كل مواطن أن يسهم في دعم الحكومة بما يتناسب مع دخله الذي يتمتع به تحت حمايتها. ولقد أُسس هذا الفكر على مرتكزات أساسية تتلخص في: «ضمان حقوق الإنسان الأساسية (الحق في الحياة، الكرامة، التحرر من العبودية، حرية المعتقد، حرية الدين، حرية التعبير، ... إلخ)، وكذلك المساواة في الحقوق والواجبات والفرص، وسيادة واستقلالية سلطة القانون، واحترام الحرية الشخصية، وحق الملكية الخاصة، وحرية السوق، والديمقراطية». وهي مرتكزات ذات جاذبية كونية، أسهمت في توفير أرضية خصبة لقبول المشروع الليبرالي على المستوى العالمي من قبل كثير من الدول

١- استخدم مصطلح "أيديولوجيا" هنا بمعناه الواسع. فعلى الرغم من أن عصرنا هذا يوسم بأنه عصر نهاية الأيديولوجيا والسرديات الكبرى، فإن المشروع الليبرالي الجديد، في التحليل النهائي، هو مشروع طوباوي يسعى إلى خلق مجتمع مثالي لا- طبقي، لكل فرد فيه القدرة والحرية الكاملتان على أداء دور الوسيط، الذي يتنافس مع غيره من الوسطاء ضمن إطار منطق السوق. للمزيد عن هذا الموضوع انظر: **Jackie Smith , Social Movements for Global, Johns Hopkins University press (2007). Democracy**

والمنظمات والأحزاب السياسية، إلى أن بدأ هذا المشروع في التهاوي في أعقاب الحرب العالمية الأولى وما تلاها من تبعات اقتصادية.

وأجبرت الأزمة الاقتصادية التي بدأت في البروز، في تلك الفترة، الليبراليين على إعادة تقييم التجربة، فكان تحدي الاقتصادي (كينز) لادعاء الليبرالية بأنها أفضل نظام لخدمة رأس المال. إذ إنه انطلاقاً من معطيات واقع الاضطراب السياسي وتحجيم الحريات الذي ساد آنذاك -الذي عزاه كثيرون إلى تنامي عدم المساواة النسبية في تحقيق الثراء - استنتج أن الأسواق غير المقننة لا يمكنها أن تحقق الازدهار ولا أن تمنع الفقر. ورأى ضرورة منح الدولة صلاحيات أكبر في تقنين العملية الاقتصادية، خصوصاً في ما يتعلق بتوفير فرص العمل وتحقيق التوظيف الكامل الضروري لخدمة مصلحة رأس المال، لأن الحكومات والبنوك المركزية فقط هي من تقدر على تحقيق هذا. كما رأى أن على الحكومات التدخل لحماية المصلحة العامة لضمان استمرار الرأسمالية ولحماية المواطنين من تجاوزاتها في آن واحد. وقد كان لقبول (روزفلت) هذه الأفكار، ووضعها موضع التطبيق، أثرهما الأكبر في تحويلها إلى رؤية تبنّتها كثير من المجتمعات في كل أنحاء العالم، وعُمِل بها على نطاق واسع حتى بداية الثمانينيات من القرن الماضي، خصوصاً بعد أن نجحت في تحقيق شيء من الرخاء والاستقرار الاقتصادي في الولايات المتحدة الأمريكية خبا معه نجم الليبرالية الكلاسيكية.

أما (فون هايك) فكان له رأي مختلف، إذ إنه حذر مبكراً جداً من أن تدخل الدولة في العملية الاقتصادية سوف يؤدي إلى تعطيل السوق. وقد كان تحذيره في محله، إذ تبين أن جملة من القرارات التنظيمية التي اتخذتها الحكومة الأمريكية كانت السبب الرئيس للكساد الكبير في ثلاثينيات القرن العشرين. على سبيل المثال، فرض قيود على البنوك حدت من قدرتها على الاستجابة للمتطلبات المالية للسوق، وربطُ سعر العملة بالذهب، ورفع الضرائب، ثم طبع مزيد من العملة لتسديد الديون، مما سبب تضخماً أدى إلى استنزاف مدخرات الطبقة الوسطى، ما أسفر عن تعطيل قدرة السوق على الاستجابة للتحديات الاقتصادية التي واجهتها. كما حاجج (فون هايك) بأن ازدياد تدخل وتحكم الدولة في العملية الاقتصادية من شأنه أن يؤدي إلى نشوء شكل من الدكتاتورية الشمولية التي ستقضي على الحريات المدنية والسياسية. لذا فقد رأى أن الحرية الاقتصادية التامة للفرد شرط ضروري للحريات المدنية والسياسية المستدامة.

وهنا يكمن موطن المفارقة بين الليبرالية الجديدة والليبرالية الكلاسيكية، إذ على الرغم من اشتراكهما في كثير من المرتكزات الأساسية، يظل موقفاهما من دور الدولة في العملية الاقتصادية متباينين، إذ إن الليبرالية الجديدة تسعى إلى نقل التحكم في العملية الاقتصادية من الدولة إلى القطاع الخاص، حتى لا تخضع السوق لأي سلطة سوى سلطة قوانينها فقط. وهذا يعني الانتقال من المجتمع البيروقراطي الرعوي – عبر تخفيض الأجور، وتخفيض الإنفاق على الخدمات العامة وخصخصتها، وتخفيض الضرائب عن أصحاب الأعمال – إلى مجتمع المنافسة على أساس الكفاءة والقدرة على خدمة المصالح الاقتصادية. وشكل المجتمع يجب أن يكون نتاج مجموعة من العمليات (كما هي السوق) التي يجب ألا يعرقلها أي شيء، وأن يكون التوزيع العادل للثروة في المجتمع، هو فقط ذلك الذي ينتج عن عمليات السوق. لذا فإن الليبرالية الجديدة ترفض أي شكل من أشكال التخطيط أو التوجيه للمجتمع، سواء كان ذلك التوجيه أخلاقياً أو دينياً أو غيرهما، ويجب ألا تكون للمجتمع أهداف ثابتة، وإنما يُترك لما تسفر عنه العملية الاقتصادية (وهذا، وفقاً لرأي بول ترينور[1]، هو سبب عدائها للمجتمعات غير الليبرالية، مثل النظام الشيوعي سابقاً، والمجتمعات الإسلامية حالياً، التي لا ترى الليبرالية أنها مختلفة فقط، بل خاطئة أيضاً).

ثقافة العولمة وعولمة الثقافة

في مثل هذا المجتمع تعد الحرية قيمة تسمو على الخير والشر، وليس هناك مكان للحقائق المطلقة أو القيم الأخلاقية الثابتة، بل هناك آراء يجب التعبير عنها علانية حتى يمكن لها أن تتنافس في ما يشبه سوق الآراء، التي هي ما يحدد الحقيقة. والعامل المحرك في مجتمع السوق هذا هو المنافسة التجارية الدائمة والمستمرة بين أفراده، خصوصاً تلك التي يقودها الوسطاء entrepreneurs، لذا تعد طبقة الوسطاء، من وجهة نظر الليبرالية الجديدة، هي نخبة المجتمع الضرورية لبقائه، التي لا غنى عنها لاستمرار نجاحه. ولمد الأمور إلى أقصاها، هي التي يجب على المجتمع أن يخدم مصالحها، وهي التي يجب أن توضع بيدها مفاتيح التحكم في الاقتصاد، إذ من دون الوسطاء لن تكون هناك سوق حرة. وهكذا تحولت الليبرالية الجديدة إلى ما يشبه الأيديولوجيا، الغرض منها خدمة مصالح

---

1 - Paul Treanor, "Neo liberalism: Origines, Theory, Definition"; web.inter.nl.net/users/Pqul.Treanor/neoliberalism.htm.

هذه النخبة التي يتميز أفرادها بأنهم أحرار مستقلون، يتخذون قراراتهم ومواقفهم بناءً على تفكير عقلاني موضوعي لا يرجع إلى عرف أو دين أو عاطفة أو سلطة سوى سلطة العقل، وهم يعيشون في مجتمع ديموقراطي يتيح لهم حرية اختيار وتحديد مسارات حياتهم على النحو الأمثل لتحقيق طموحاتهم الشخصية التي يجب ألا تتدخل فيها عوامل الإيثار والتضحية من أجل الآخرين.

والليبرالية الجديدة أيضاً لا تكتفي بأن تكون هناك سوق، بل ترى أنه يجب ألا يكون هناك ما هو ليس سوقاً[1] . وترى أن الأفراد موجودون من أجل السوق وليس العكس. ووفق هذا المنطق، يكون كل شيء قابل للتسليع، بما في ذلك الإنسان. لذا من الواجب أخلاقياً على كل فرد أن يوجه حياته على نحو يوفر له أقصى قدر ممكن من المنفعة في سوق العمل، بما في ذلك اختيار الأصدقاء والهوايات والشركاء، بل وحتى تحسين مظهره الخارجي (عن طريق العمليات التجميلية)، باختصار أن يتعامل مع نفسه كسلعة يجب تسويقها لدى أصحاب الأعمال حتى تزداد فرصه في سوق العمل. وفي ضوء هذا المنطق، فإن هذه الأيديولوجيا نفسها، إذا أريد لها أن تنجح في تحقيق غرضها من إنشاء السوق العالمية، يجب عليها – هي أيضاً – أن تسوق نفسها كسلعة براقة جذابة ومرغوبة على أوسع نطاق ممكن، وفي كل أرجاء العالم. المشكلة في تحقيق هذا الهدف تكمن في أن أكثر الأفكار والقيم التي تقوم عليها الليبرالية الجديدة، إن لم تكن مرفوضة تماماً من قبل المجتمعات غير الغربية، فهي على الأقل غير مرحب بها. لذا كان من الضروري تحييد أي وعي وطني أو تقليدي أو روحي معارض واستبداله بقيم الليبرالية الجديدة.

من هنا بدأ تكثيف التركيز على خلق «ثقافة مشتركة» تساعد على إعادة تصدير هذه الأفكار والقيم بشكل غير مباشر. هذه الثقافة الجديدة يجب أن تحظى بقبول أكبر قدر ممكن من الأفراد عبر كل الحدود والثقافات، مما يعني ضرورة أن تبتعد عن كل ما من شأنه الإشارة إلى رموز دينية أو اجتماعية أو أخلاقية بعينها. كما يجب أن تكون ثقافة ذات مفردات بسيطة ومحايدة تخاطب الإنسان مباشرة من خلال حواسه، ومن خلال نزوعه الطبيعي نحو كل ما هو ممتع ومسل. فكان التركيز على الترويج لثقافة شعبية عالمية عبر التلفزيون والسينما والموسيقى والمجلات المتنوعة، سمتها الأولى الإمتاع والترفيه. وقد تمكنت الليبرالية الجديدة من تحقيق هذا الهدف من خلال نزع شذرات من الثقافات

---

١ – المرجع السابق.

القديمة، وبعض من بقايا التقاليد شبه المنقرضة، من سياقها واستخدامها في إنتاج بضائع مادية وغير مادية ذات صبغة عالمية متنوعة ومتجانسة ومنمطة، تهدف من خلالها إلى تحقيق أقصى ربح ممكن، بالإضافة إلى خلق نوع من الوحدة التي تنبني على الاستهلاك، والتي تسوق على أنها مساواة وتعددية وعولمة. يسمي (ريفكين)[1] هذه العملية بـ «رسملة الثقافة» Capitalization of Culture، التي لا تعني فقط أولوية اقتصاد المعلومات والخدمات على اقتصاد الصناعة، بل تعني أيضاً «تتجير» Commercialization الخبرة الإنسانية نفسها وطموحاتها ومعانيها. والتسويق هو الأداة التي من خلالها تنقب الثقافات بحثا عن كل ما يمكن أن يحمل معنى ذا قيمة ثقافية، ويمكن تسليعه وبيعه. وهكذا نشأت بيئة ثقافية عالمية غير خلافية تتيح للأفراد – من كل الثقافات – الالتقاء والشعور بالانتماء إلى مجتمع مألوف، وبالتالي تسهل من عملية التحول الثقافي نحو قيم الليبرالية الجديدة. وهي من ناحية أخرى ترسخ قيم الاستهلاك لدى المشاركين فيها، وبالتالي تؤسس المجتمع الاستهلاكي العالمي (الضمان الوحيد لتحقق واستمرار السوق العالمية على أرض الواقع). وهكذا دخل العالم ما يسمى عصر العولمة الثقافية عبر الثقافة الاستهلاكية[2].

ولنشر هذه الثقافة الجديدة على المستوى العالمي، وترويض الجماهير من خلالها، كان لا بد من تطوير وسائل الاتصال المباشر وغير المباشر فائقة السرعة (على سبيل المثال محطات التلفزيون والإذاعة الفضائية وكيبلات الفايبر أوبتكس والأقمار الصناعية والهواتف المحمولة والإنترنت وغيرها) لإغراق المجتمعات المحلية المختلفة من خلالها بموجهات هذه الثقافة، وكذلك كان من الضروري تطوير التقنيات المستخدمة في إنتاج الأشكال المادية المختلفة لهذه الثقافة، على سبيل المثال برمجيات الكمبيوتر وتوابعها، مما سهل نقلها ونشرها على نطاقات غير مسبوقة في تجاوزها للزمان والمكان وحتى الإدراك. يقول (جيم ماك غويغن): «إن أكثر ما يشد انتباهي، كمحلل ثقافي وليس كمختص في الاقتصاد السياسي، هو سيطرة الليبرالية الجديدة على الوعي العام والحياة اليومية».[3] وهذا ما نلحظه في النجاح الكبير لهذه الاستراتيجية في تحقيق هدفها، فها نحن اليوم

---

1 - Jeremy Rifkin, The Age of Access, Tarcher; (March 27, 2000).

٢ – للمزيد عن خلفيات نشأة الثقافة الاستهلاكية، انظر: د. عبدالله الجسمي "الهوية والعولمة"، مجلة العربي، العدد ٥٦٠ (يوليو ٢٠٠٥).

3 - Mcguigan, J.. 2003, "The Social Construction of a Cultural Disaster: New Labour's Millennium Experience"; Cultural Studies 17.6, pp 669 - 690.

نشهد تنامي مظاهر العولمة الثقافية في كل مكان، خصوصاً بين فئات الشباب حول العالم، بحكم أنهم الأكثر قرباً من هذه التقنيات الحديثة والأكثر قدرة على التعامل معها. وصار الشباب، إلى جانب عضويتهم في مجتمعاتهم المحلية، أعضاء في مجتمع آخر أكبر وأكثر اتساعاً، هو مجتمع الاستهلاك العالمي.

تتميز النزعة الاستهلاكية بتواصل إقدام الفرد على شراء الأشياء والخدمات الجديدة من دون اعتبار لحاجته الحقيقية إليها، أو مدى جودتها أو منشئها أو الأضرار البيئية التي قد تترتب على إنتاجها أو التخلص منها، أو غيرها من الاعتبارات. ودافعه الأهم هنا هو الاستجابة لما خلقه لديه هذا السيل الهائل من الدعايات عالية التكلفة، التي اعتاد اقتحامها لوعيه من دون أن يتمكن من الدفاع عن نفسه ضدها عبر كل أشكال الوسائط الإعلامية، التي تخلق لديه الرغبة في اتباع أحدث صرعات «الموضة» وما يترتب عليها من إحساس بإشباع الذات الذي ينتج عن اقتنائها. هذا السعي – الذي لا يشبع – نحو اقتناء الأشياء والحصول على الأموال اللازمة لشرائها يؤدي إلى ربط الفرد تقديره لقيمته ومكانته بمعيار قدرته على الاقتناء، كما يؤدي أيضاً إلى نزوعه نحو التخلص المستمر من القديم، إما بسبب ضعف جودته وإما بسبب تغير الموضة. ولهذا نجد أن ثقافة المجتمع الاستهلاكي تمتاز – أولاً – باللحظية. فما هو موجود هنا اليوم غالباً ما سيختفي غداً، وعندما تنطلق صرعة جديدة في مكان ما من العالم ستكون قد وصلت إلى نصفه على الأقل قبل أن تتمكن من مجرد التفكير في الاستجابة لها، ثم تجدها وقد اختفت في اليوم التالي. هذه السرعة الشديدة في التغير، تجعل المتلقي أقل قدرة على التركيز والتأمل والتحليل وأقل سرعة في الاستجابة. كما أنها تعمق في المجتمعات المختلفة الفجوة بين الأجيال من ناحية، والطبقات الاجتماعية من ناحية أخرى. صحيح أن الشاب العربي – على سبيل المثال – مازال عربياً، والأمريكي مازال أمريكياً، والفرنسي مازال فرنسياً، لكن هؤلاء الشباب صاروا، من حيث المظهر والمسلك، أكثر شبهاً بنظرائهم من شباب العالم، منهم بوالديهم. ومع التطور المتواصل لتقنيات الاتصال، نرى أن الفجوة بين الأجيال والتأثير في الثقافات المحلية يزدادان اتساعًا وعمقًا بسرعة شديدة التزايد.

السمة الثانية لهذه الثقافة هي ارتباطها الوثيق بالتقنية، على سبيل المثال (الهواتف المحمولة والمودمات والكمبيوترات المحمولة وطابعات الليزر وغيرها). فهذه التقنيات هي أساس ترابطها وتماسكها. وكلما ازدادت جودة هذه التقنيات وانخفضت تكلفتها، ازدادت

قوة المجتمع الاستهلاكي وازدادت معها المعرفة والثروة والتأثير الذي يقلب المجتمعات التقليدية ومنظماتها رأساً على عقب، نتيجة تحول مراكز القوى في هذه المجتمعات إلى الجيل الأكثر قدرة على التعامل بفاعلية مع هذه التقنيات. كما نرى أن تنامي هذه التقنيات صار يسرع من وقع التغير الاجتماعي، من خلال تقليص الزمن المتوافر لهذه المجتمعات للتأقلم مع معطيات هذا التغير. ومن ناحية أخرى، تسهم هذه التقنيات في خلق ما يمكن أن نسميه بـ «المستهلك العجول»، فالتطور التقني رفع كثيراً من سقف توقعات المستهلك في ما يتعلق بسرعة توفير الخدمات وتلبية الطلبات (على سبيل المثال البريد العادي لم يعد مرضياً، ولا بد من استخدام البريد السريع)، خصوصاً مع ما وفرته الإنترنت من خفض كبير في تكلفة توافر هذه الخدمات وإتاحتها مصادر بديلة ومتنوعة.

السمة الثالثة لهذه الثقافة هي السعي إلى كل ما هو جديد ومستطرف. فأعضاء المجتمع الاستهلاكي يبحثون بدأب عن التجارب والخبرات الجديدة في كل مكان. ومما ساهم في تعزيز هذه النزعة تنامي الإقبال على السفر والسياحة في أكثر الأماكن بعداً وغرابة. هذا النوع من التجوال كان في السابق مقصوراً على الأثرياء ومحبي المغامرات. أما اليوم فهو متاح لمن يرغب. وسهولة التنقل من مكان إلى آخر أتاحت للكثيرين فرصة التعرف مباشرة على أنماط وأساليب جديدة مختلفة من الحياة والإنتاج والأزياء والطعام والمفروشات وغيرها. وهذا بدوره أدى إلى رفع سقف توقعات المستهلك بشأن ما يقدمه إليه الباعة من بضائع وخدمات، والتي صار يتوقع دائماً أن تكون مبتكرة وجديدة وغريبة.

وأخيراً تتسم هذه الثقافة بأنها موجودة في كل مكان، فمع انتقال كثير من الأفراد في كل أرجاء العالم إلى مصاف الطبقة المتوسطة العالمية، نجد أنهم باتوا يشتركون في العناصر الضرورية للمجتمع الاستهلاكي، على سبيل المثال توافر مناهج التعليم في العلوم الطبيعية والنظرية، والتمكن من الحصول على المنتجات التقنية قليلة التكلفة، والتشبع بالوسائط الإعلامية متعددة القنوات، والأهم القدرة على الاتصال والتفاعل مع آخرين من أعضاء المجتمع الاستهلاكي.

العولمة الثقافية ومسألة التعدد الثقافي

إن محاولة نشر ثقافة الاستهلاك هذه، عبر ما يسمى بالعولمة الثقافية، تثير كثيراً من الاعتراضات والمخاوف. ومن أهم هذه الاعتراضات تهديد العولمة -المفترض- للتعدد

الثقافي. فهناك خوف من أن سعي العولمة الاقتصادية الدؤوب لتكريس سيطرتها الثقافية – عبر تسخير الوسائط الإعلامية وتقنيات الاتصال لترسيخ ثقافة الاستهلاك عبر المجتمعات المختلفة، من أجل ضمان الاستمرار في فتح وتوسعة مسارات السوق العالمية في كل أرجاء العالم – سوف يؤدي إلى القضاء على الثقافات المحلية والتعددية الثقافية، وخلق مجتمعات متجانسة ذات رؤية شمولية واحدة، تتمحور حول قيم السوق والاستهلاك. ويكفي أن نمر بنظرة سريعة حول العالم لنرقب الشباب من الجنسين في سلوكهم وملبسهم واهتماماتهم وطموحاتهم، لنجد أن أكثريتهم الساحقة تقريباً يريدون أن يكبروا ليصبحوا مثل قدوتهم التي يتخذونها من أشهر نجوم هوليوود، بدلاً من الاقتداء برموز من ثقافاتهم المحلية، أو حتى برموز عالمية ذات دور معتبر في خدمة الإنسانية، وأن يأكلوا شطائر «البيغ ماك» بدلاً من أطباق مطابخهم المحلية، ويلعبوا ألعابهم المفضلة على الـ «بي إس بي» بدلاً من الألعاب الشعبية الجماعية، وأن يقضوا إجازاتهم في مدينة ديزني الترفيهية وهم يرتدون بنطلونات الجينز والـ «تي شيرتات» والقبعات الرياضية، ويستمعون للموسيقى الشبابية بواسطة «الأيبود»، وغيرها من مظاهر التأثر بالثقافة الاستهلاكية، التي تمتد حتى تشمل نظرتهم إلى علاقات الصداقة والأسرة والمجتمع، التي صارت تتبنى أكثر فأكثر المفهوم الغربي عن الفردية والاستقلالية الذي تستهجنه كثير من المجتمعات غير الغربية. إن هذه المظاهر شبه الموحدة بين الشباب من الثقافات المختلفة هي، بالنسبة إلى المعترضين على العولمة الثقافية، مؤشر مهم إلى انبثاق ما يمكن أن نسميه «الهوية المعولمة» ذات الثقافة السطحية التي تفتقر إلى الأصالة والعمق. وهذا بلا شك أمر مثير للقلق، لأنه مؤشر إلى مدى نجاح العولمة في بسط هيمنتها الثقافية على قطاع واسع من الشباب، على نحو يمثل تهديداً خطيراً لثوابت ثقافات المجتمعات التي ينتمون إليها، وبالتالي يهدد باندثارها ومعها التعدد الثقافي على المستوى العالمي.

وعلى الرغم من أن في هذه الاعتراضات والمخاوف ما يستوجب التأمل، فإنني أرى أنها تتضمن قدراً من المبالغة (التي ربما كانت غير بريئة). فمن ناحية النظر إلى مسألة العولمة الثقافية، ضمن سياقاتها التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والأيديولوجية، يجب علينا التمييز بين معنيين لـ «العولمة الثقافية»: الأول هو خلق ثقافة عامة مشتركة تنتظم ضمن إطارها العلاقات بين المجموعات الثقافية المختلفة. والثاني هو خلق ثقافة عالمية واحدة متجانسة على حساب أي ثقافة أخرى. فالعولمة الثقافية بالمعنى الأول لا

تختلف كثيراً عن أي ثقافة وطنية قائمة اليوم. فالثقافة، كما يرى (غلين فيشر)، هي السلوك المشترك الذي «ينظم الطرق التي ينجز بها الناس الأشياء، على نحو يجنبهم التشوش ويسمح بالتعاون، حتى تتمكن المجموعة من تحقيق ما ليس باستطاعة الفرد أن ينجزه بمفرده».[1] فوظيفة الثقافات الوطنية لدى أي أمة هي توفير أرضية مشتركة من المبادئ والرؤى والأفكار عن العالم وموقعنا ودورنا فيه، ويمكن من خلالها تنظيم علاقتنا مع الآخر، الذي نشترك معه في الانتماء إلى هذه الأمة، بغض النظر عن اختلاف انتماءاتنا العرقية أو الدينية أو الاجتماعية أو الثقافية. وهذا هو بالتحديد الدور الذي تؤديه العولمة الثقافية اليوم (وإن لم يكن متعمداً من قبل الليبرالية الجديدة)، أي خلق ثقافة مشتركة تجمع الأفراد الذين ينتمون إلى ثقافات مختلفة، ضمن إطار مجتمع عالمي واحد من شأنه أن ينظم العلاقات وأن –وهذا هو الأهم– يتيح إمكان الحوار والتفاهم والتقارب بينهم، من أجل تحقيق السوق العالمية على أرض الواقع وتسهيل عملها.

وعلى الرغم من عدم توافر القصد في ذلك، لكن هذا الإمكان ترتبت عليه نتائج على قدر كبير من الإيجابية، منها على سبيل المثال انتشار ظاهرة «الهوية المهجنة»[2] أي الهوية التي تمتزج بها ثقافات متعددة. فالفرد ذو الهوية المهجنة تطور لديه ما يمكن أن نسميه «الوعي العالمي»، إذ على الرغم من أنه مازال عضواً فاعلاً في ثقافته المحلية فإن هذه الثقافة ما عادت تحتويه تماماً، لأنه تكيف مع ثقافة أخرى، وطور ثقافة خاصة خارج حدودها. الإيجابي في هذا التطور، هو أنه يضع الفرد المهجن الهوية في موقع يتيح له قدرة أكبر على فهم الحالة الإنسانية والاختلاف الثقافي، وعلى التعامل مع الأسئلة التي تتجاوز حدود ثقافته المحلية المحدودة، وبالتالي فإنه يتيح له قدرا أكبر من المرونة في تقبل التحولات الثقافية المختلفة، واتخاذ القرارات في مواقف محددة، والاختيار بعيداً عن معايير وإملاءات ضوابط السلوك في ثقافته المحلية، على نحو يتيح له قدراً أكبر من الاتصال والتواصل والتأثر والتأثير في الثقافات الأخرى. وليس أدل على أهمية هذه الظاهرة من تبلور ما يشهده العالم اليوم من تكثيف للجهود الدولية على مستوى الأفراد والجماعات والمنظمات غير الحكومية والمنظمات العابرة للحدود في الدفاع عن قضايا تهم

---

1 - Glen Fisher, Minosiets: The Role of Culture And Perception In It; Intercultural Press (1988).

٢ – للاطلاع على معالجة نقدية مهمة لمفهوم الهجنة الثقافية، انظر: جون توملينسون، "العولمة والثقافة: تجربتنا الاجتماعية عبر الزمان والمكان"، سلسلة "عالم المعرفة" العدد ٣٥٤ ، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت (أغسطس ٢٠٠٨)، ص ١٩٢ – ٢٠٢.

الإنسانية جمعاء، بغض النظر عن ثقافاتها وحدودها وأنظمتها ومواقعها، مثل قضايا البيئة وحقوق الإنسان والسلام والعدل الدوليين.

أما العولمة الثقافية، بالمعنى الثاني، فهي مشروع غير قابل للتحقق، لأنها – من ناحية– لا تتفق مع أغراض العولمة الاقتصادية، وفق منظور الليبرالية الجديدة، لأنها بكل بساطة لا تتفق مع مصلحة السوق. فالسوق لا يُحفز عملياتها، من إنتاج وبيع وشراء وعرض وطلب، سوى التعدد والتنوع، ونشوء ثقافة واحدة إقصائية تتجانس فيها الأهواء والرغبات والمتطلبات، من شأنها أن تضعف قوتها وحركتها. ومن ناحية أخرى، يقتضي هذا الطرح ضمنياً أن تكون استجابات كل الأفراد والمجتمعات لتحديات العولمة الثقافية – مهما تباينت – واحدة موحدة، تتمثل في استسلامها للمتغيرات الثقافية على تنوعها بإذعان خال من التفاعل. وهذا افتراض يتنافى وطبيعة البشر، وأيضاً وطبيعة العملية الثقافية نفسها. إذ إن علاقة الفرد بالثقافة التي ينتمي إليها علاقة مركبة: فهو يحددها ويتحدد بها. ومن خلال مساهمته في هذه الثقافة، يصبح جزءً من عملية التغيير الثقافي. فالفرد في ثقافة ما يعيش ضمن سياق اجتماعي محدد، يسوده نظام معقد من العلاقات والتفاعلات مع محيطه المباشر، يكتسب من خلالها ثقافته الأولية التي تتمثل في الثقافة العائلية، ومن ثم ثقافته الوطنية التي تتحدد ملامحها وتترسخ عبر تفاعله الاجتماعي والسياسي والاقتصادي مع المجتمع. لتتحول معطيات كلتا الثقافتين لديه إلى منظومة من المسلمات الواضحة بذاتها بالنسبة إليه، توجه سلوكه وتنظم علاقاته على اختلاف مستوياتها، بحكم أنها تحوي افتراضاته الأساسية عن ماهية الحياة وكيفية التعامل مع مشكلاتها اليومية، والبنى الأساسية للمعنى والموجهات اللاواعية التي تحكم سلوكه وردود أفعاله وفهمه للواقع، أي باختصار رؤيته للحياة. هذه المنظومة تمثل الطبقة الثالثة الداخلية من طبقات الثقافة[1]، التي هي متمايزة ومتداخلة مع بعضها البعض في آن واحد، في حالة تأثر وتأثير مستمرين، والتي تشمل: الطبقة الخارجية، التي هي أكثر الطبقات وضوحاً، حيث إنها تحتوي على منتجات الثقافة المختلفة، من مصنوعات يدوية ومنتجات إبداعية ولغة وطعام وما شابه ذلك، والطبقة الداخلية الثانية التي تتضمن معايير الصحة والخطأ والقيم التي تحدد الخير والشر.

---

1 - Trompenaars, F. & Hampden-Turner C., Riding the Waves of Culture: Understanding Cultural Diversity in Business; (Second Edition) Nicholas Brealey (1997):22.

وعندما يتعرض الفرد لمؤثرات ثقافية مكثفة ومغايرة لثقافته (على سبيل المثال، انتقال الفرد للعيش في مجتمع جديد ذي ثقافة مغايرة لثقافته الأصلية)، فإنها تسبب له «صدمة ثقافية» نتيجة التحدي الذي تتعرض له بنى المعنى التي يتبناها اعتماداً على ثقافته المحلية، مما يؤدي إلى خلخلة التوازن الثقافي لدى الفرد، وتعرضه لما يسميه المختصون «الضغط الثقافي» (أي فقدان الحس بالاتجاه والشعور بالارتباك والتشوش نتيجة لجهل الفرد بما يجب عليه أن يفعل وكيف يفعل ما يريد، وما هو السلوك المناسب أو غير المناسب في هذه البيئة الجديدة). واختلال التوازن هذا يدفع الفرد إلى إعادة النظر في ثوابت ثقافته التي كان يحسبها من المسلمات الواضحة بذاتها، وفحصها عن قرب بالمقابلة مع معطيات واقعه الجديد، في محاولة لإعادة التوازن المفقود والتكيف مع الثقافة الجديدة. ويعد هذا الشد والإرخاء بين الضغط الثقافي والتكيف الثقافي من أعمق وأهم التجارب التعليمية التي قد يمر بها الفرد في طريقه إلى درجة أعلى من الوعي بالذات والنمو الشخصي من خلال مقابلة الذات بالآخر. وفي ضوء معطيات الواقع الثقافي العالمي الجديد صارت هذه العملية جزءً من الحياة اليومية لكثير من الأفراد في كل أرجاء العالم، يمرون خلالها بعدد من المراحل في أثناء محاولتهم التكيف مع الثقافة الجديدة بعد تعرضهم لصدمة ثقافية، يلخصها (بول آدلر)[1] في: مرحلة الاحتكاك الأولي، التي يختبر فيها الفرد الحماس والإثارة، وينظر إلى الثقافة الجديدة من منظور (مركزيته الإثنية Ethnocentrism أي اعتقاده أن ثقافته هي مركز الكون). ثم مرحلة التفكك، التي يبدأ فيها الفرد بملاحظة الفروق بين الثقافتين باطراد وبشيء من التشوش، ويبدأ بالإحساس بالاغتراب والإحباط نتيجة لذلك. ثم مرحلة التكامل، التي يقرر فيها الفرد ما إن كان سيتراجع إلى المراحل الأولى من التفاعل، أو أنه سيمضي إلى درجة أعلى من التكيف مع الثقافة الجديدة. ثم مرحلة الحكم الذاتي، التي تتميز بفهم أكبر للثقافة الجديدة، يرافقه شعور الفرد بمزيد من التمايز والسيطرة على الذات مقابل التشويش الذي عاناه، مما يؤهله للاستجابة لتحدي الثقافة الجديدة بفاعلية.

ولما كان الفرد هو المسرح الأساسي لعملية التغيير، فإن استجابة المجتمعات لهذه المتغيرات تتناسب طرداً دائماً مع تنوع من ينتمي إليها من الأفراد والمجموعات في رؤيتهم

---

1 - P.S. Adler, "The transitional experience: An alternative view of culture shock"; Journal of Humanistic Psychology, (1975), 15 4, pp. 13-23.

وفهمهم للحياة وفق منظوماتهم الثقافية الخاصة. هذه الاستجابة تأتي في أشكال متعددة[١]، منها ما يتمثل في رفض هذه المتغيرات ومقاومتها ومحاولة إيجاد بدائل للتغلب عليها (على سبيل المثال منع حكومات بعض الدول مواطنيها من اقتناء أطباق الأقمار الصناعية للحد من دور التأثير الإعلامي الأجنبي، أو مشروع الفرنكوفونية الفرنسي). ومنها ما يتمثل في قبول هذه المتغيرات ودمجها ضمن إطار الثقافة المحلية، عبر إسباغ معان خاصة جديدة عليها، مما ينتج ثقافة جديدة هجينة (الانفتاح النسبي في قضية الحقوق الاجتماعية والسياسية للمرأة في المجتمعات الشرقية). ومنها ما يتمثل في الإقدام على اختيار ثقافة جديدة تختلف عن كل من الثقافة الوطنية والمتغيرات التي تفرضها الثقافة الجديدة، إما بغرض الاختلاف من أجل التميز (على سبيل المثال انخراط الشباب من الجنسين حول العالم في ما يسمى ثقافة الـ«هيب هوب» Hip Hop، التي نشأت بتأثير موسيقى الـ «هيب هوب» الأمريكية)، وإما بغرض إشباع حاجات لدى الفرد عجزت كلتا الثقافتين عن إشباعها (على سبيل المثال، العودة إلى الأصولية الدينية، سواء الإسلامية أو المسيحية أو اليهودية أو غيرها من الديانات. وذلك نتيجة تجاهل الثقافة العلمانية للمسائل الدينية ما يحرمها القدرة على الإجابة عن الأسئلة الروحية الكبرى، ومن ثم تعجز عن أن تمنح الفرد الأرضية الراسخة من البنى والمعاني التي تعد بالحقيقة السامية الخالدة والتقاليد العريقة ذات الموقع الأصيل في التاريخ الإنساني). والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: إذا أخذنا بعين الاعتبار ليس فقط النزوع الطبيعي لدى الإنسان نحو التميز والاختلاف، بل أيضاً الشروط المعقدة لعملية التغير الثقافي والتنوع في الاستجابة للتحديات الثقافية، فكيف يمكننا التحدث جديًا عن تهديد جذري للتعدد الثقافي في المجتمع الإنساني؟

يدفعنا هذا السؤال إلى النظر في مفهوم «التعدد الثقافي»، حيث يجب علينا التمييز بين مفهومين: التعدد بمعنى اتساع نطاق الاختيارات المتاحة، والتعدد بمعنى التمايز الثقافي[٢] . (على سبيل المثال، عندما يباع عمل فني أُنتج في مجتمع ما إلى مجتمع آخر،

---

١ – انظر **Joana Berdenbach & Ina Zukrigl, "The Dynamics of Cultural Globalization. The Myths of Cultural Globalization"; Cultural Collaboratory, http://www.inst.at/studies/collab/breidenb.htm.**

2 - Brayan Caplan & Tyler Cowen, "Do We Underestimate The Benefits of Cultural Competition?"; May 2004, Competition, Vol 94 No. 2.

فإن نطاق الاختيارات في المجتمع الذي بيع إليه العمل الفني صار أوسع، لأن المستهلكين في هذا المجتمع صارت لديهم خيارات أكثر. لكن التمايز الثقافي بين المجتمعين في هذه الحالة صار أقل، لأنهما صارا أكثر شبهاً، كل منهما بالآخر، نتيجة اختبارهما المباشر لهذا العمل الفني (أو المؤثر الثقافي) نفسه، وإن اختلفا في كيفية استجابتهما له). وبتعميم هذا المثال على مستوى التبادل الثقافي في السوق العالمية، فإن هذا يعني أن دور العولمة الثقافية – الذي قد يبدو أنه تحديد للتعدد الثقافي بمعنى التمايز – هو في الواقع تكريس للتعدد الثقافي، بمعنى اتساع نطاق الاختيار لدى المستهلك العالمي. لذا، فإن السؤال الذي يجب أن يُطرح هنا هو ليس ما إذا كان هناك تعدد ثقافي في ظل العولمة الثقافية؟ وإنما ما نوع التعدد الثقافي الذي ينتج عن العولمة الثقافية؟ وخير مثال للتدليل على ذلك هو ما نشهده من تأثيرات العولمة الثقافية في عملية الإنتاج الإبداعي.

العولمة والإنتاج الإبداعي

على الرغم من السلبيات الكثيرة التي يمكن رصدها في أشكال الإنتاج الثقافي المعاصر في ظل العولمة الثقافية ونتيجة لها، فإنها – شأنها شأن أي نشاط أو مشروع إنساني– فيها ما هو سلبي وما هو إيجابي. يقول (رفكين): «عندما تتحول كل أشكال الاتصال إلى سلع، فإن الثقافة، مادة الاتصال، هي أيضاً لا بد أن تصبح سلعة. وهذا ما يحدث. الثقافة – الخبرة المشتركة التي تمنح الحياة الإنسانية معنى– تُجر عنوة إلى وسط السوق، حيث يعاد تشكيلها وفقاً للمسارات التجارية».[1] والسؤال هنا: هل تسليع المنتج الثقافي هو بالضرورة أمر سيئ؟

لقد كان مصطلح الثقافة، حتى مطلع القرن الثامن عشر، يصف المفاهيم النخبوية أو ما يعرف بالثقافة الراقية، التي تتعلق بكل ما هو ذو قيمة مما ينتجه البشر من فنون وآداب وموسيقى ومنتجات يدوية. وفي منتصف القرن التاسع عشر اتسع نطاق استخدام المصطلح ليشمل مفهوم الثقافة الجمعية الذي انبثقت منه الثقافة الشعبية (لاحظ تزامن تطوير التعريف على هذا النحو مع تبلور الفكر الليبرالي في المرحلة الزمنية نفسها تقريباً)، التي تمثل: «كل من الوسائل والقيم التي تنشأ بين مجموعات وطبقات اجتماعية متمايزة،

1 - Jeremy Rifkin, The Age of Access; Tarcher, pp 140.

على أساس ظروفها وعلاقاتها التاريخية المعطاة، والتي من خلالها «تدير» وتستجيب لشروط الوجود»[1] وثقافة اليوم، هي أيضاً بنت ظروفها التاريخية والموضوعية، التي سبق عرضها، والتي أدت بالضرورة إلى تجاوز وطمس الحدود التقليدية التي كانت تفصل بين الثقافتين، الراقية والشعبية، والتي تتكفل حالياً كل من شبكة الإنترنت والثقافة الرقمية بالقضاء على ما تبقى منها، لتصبح الثقافة عبارة عن عملية (لا تختلف عن عملية السوق) مادتها خليط معقد من الوسائط والتقنيات والأفكار يتدفق عبر شبكة معقدة من الاتصال والتبادل الثقافي ويرفض أن تحتويه أي حدود.

والفنون على اختلاف أنواعها، هي التجلي المادي للثقافة، وهي الأداة الأهم التي وظفتها الليبرالية الجديدة أمهر توظيف في الترويج لثقافتها. وهي – وفق تعبير (بورديو)–، «عالم من الثورة الدائمة». وتقييم عمل ما على أنه فن أو فن جيد هو أيضاً «مشروط دائماً بظروفه التاريخية، ونابع من ظروف حياة الجماعة التي ينتمي إليها أصحاب هذا التصنيف». حيث تحاول كل جماعة من دون قصد – تقريباً – تعريف الواقع الثقافي بطريقة تناسب مصالحها على أفضل نحو ممكن. إن الآراء السائدة في مجتمع معين حول ما هي الأشياء «الفنية» والأشياء غير الفنية ستكون شديدة الصلة بذوق وتفضيلات المجموعات الاجتماعية المهيمنة. ولما كانت التصنيفات لما يعد «فناً» غير ثابتة البتة، فإن بعض الأشكال الثقافية، كالسينما أو موسيقى الجاز أو التصوير الفوتوغرافي، يمكن أن تعد عند نقطة زمنية «ثقافة شعبية»، وعند أخرى (بعض العناصر منها على الأقل) يمكن أن تعرف كـ «فن» أو شيء مقارب له[2].

ولما كانت النخبة التي تهيمن مصالحها وقيمها على ساحة العمل الثقافي العالمي (أو السوق الثقافية العالمية إن شئت) حالياً هي نخبة المجتمع الاستهلاكي، ولما كان طابع هذا المجتمع هو التغير السريع والمتواصل، فمن الطبيعي أن تتسم ثقافة هذا المجتمع وتجلياتها المادية بهذه السمات. ثقافة اليوم سريعة الإيقاع، دائمة التغير والتجديد، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتقنيات الحديثة، كما تحتوي على عناصر يمكن اختبارها واقعيا في أي مكان من

---

1 - Stuart Hall, "Cultural Studies: two paradigms"; Media, Culture and Society 2 (1980).

٢- ديفيد إنجليز وجون هفسون، "سوسيولوجيا الفن"، ترجمة د. ليلى الموسوي و مراجعة د. محمد الجوهري، سلسلة "عالم المعرفة" العدد ٣٤١، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت (يوليو ٢٠٠٧)، ص: ٣٦ – ٣٧.

العالم، والأهم هو أنها مسلية وممتعة – وهو ما يتجلى بكل وضوح، (على سبيل المثال، في ما تقدمه هوليوود من أفلام إثارة سريعة الإيقاع، وما تقدمه موسيقى الراب والروك والهارد ميتل وغيرها من إيقاعات أسرع). وعليه، فإن ما يرفضه كثيرون، على اعتبار أنه ليس ثقافة، أو لأنه ثقافة وضيعة، هو في الواقع ثقافة هذا العصر التي يجب علينا أن نأخذها في عين الاعتبار بكل جدية كي لا نجانب الموضوعية. وخير عبرة لنا في ذلك، هو الموقف من مسرحيات شكسبير، التي كانت تعد يوماً ما فناً من فنون الرعاع. والواقع أن السوق العالمية صارت اليوم قادرة على دعم كل أنواع الفن، وأن تفسح في المجال للمنافسة الإيجابية أمام الفنانين الذين يمتعون الجمهور ويرفهون عنه، جنباً إلى جنب مع الفنانين الذين لا يعيرون رأي الجمهور كثير اهتمام. وهكذا فإنه ضمن إطار السوق تصبح الثقافتان الشعبية (الممتعة) والراقية (الجادة) كل منهما متممة للأخرى، وليستا نقيضين يجب الاختيار بينهما.

والإنتاج الفني، هو أيضاً عملية تتم ضمن شبكة مركبة من الإنتاج والتوزيع والاستهلاك، وتتضمن التقنيات والتسويق وأدوات العرض ونظم المكافآت وأنظمة التقدير والنقد والجمهور. وأي تغيير في أحد عناصر هذه الشبكة لا بد من أن يتبعه بالضرورة تغير في عناصرها الأخرى، وإن تفاوتت درجات هذا التغيير. وفي هذا المجال، نجد واحدة من أعمق تأثيرات العولمة (خصوصاً بسبب ارتباطها الوثيق بالتقنية على اختلاف أنواعها)، حيث إنها غيرت هذه الشبكة والعلاقات القائمة بين عناصرها جذرياً، بل غيرت أيضاً من طبيعة المنتج الثقافي نفسه.

قلب هذا الشبكة هو المبدع، الذي من دون مساندة غيره من الأشخاص والمنظمات (على سبيل المثال الممولون، صناع المواد الأولية والأدوات، المتاحف، دور المزادات، الوسطاء،.. وغيرهم) لن يتمكن من الإنتاج أو من الترويج لهذا الإنتاج. تقليدياً، كانت سوق الإبداع محدودة جداً. فالفنان التشكيلي، على سبيل المثال، كان يعمل بموجب تكليف مباشر من أحد الأثرياء لإنجاز عمل فني محدد، مثل رسم لوحة شخصية له أو لأحد أفراد أسرته، أو تزيين أحد المباني وما شابه ذلك. أو أنه كان معروفًا ومقرباً من دوائر النخبة، ما يمكنه من العمل بحرية أكبر نسبياً، حيث بإمكانه رسم لوحات من دون تكليف محدد، وبيعها ضمن هذه الدوائر، مادام إنتاجه يندرج ضمن ما تعتبره هذه النخبة فناً. لذا كان المبدع دائماً رهينة مصادر التمويل المحدودة، وإنتاجه دائماً محكوم بمزاج ورؤية الممول،

سواءً كان فرداً أو منظمة متخصصة، وكان يتعين عليه، إن أراد أن يحافظ على هذا التمويل، أن يلتزم برغبة الممول ومزاج المدارس الفنية أو الفكرية السائدة، لأن الغناء خارج السرب يغدو باهظ التكلفة. أما البديل الذي قدمته العولمة إلى المبدع من خلال السوق، فيتمثل في تحريره، نسبياً، من هذه القيود.

صحيح أن ربط قيمة العمل الإبداعي بحكم السوق فيه تقليل من شأن الفن الجاد. وصحيح كذلك أن ربط تقدير موهبة المبدع بمدى نجاحه في المنافسة ضمن إطار السوق يفتقر إلى كثير من العدالة. وصحيح أيضاً أن التعامل مع المنتج الإبداعي كسلعة عادية من سلع السوق يفرض عليه قيوداً من شأنها أن تُحجم من – أو على الأقل تعرقل – عملية الإبداع (على سبيل المثال القوانين المعقدة والتكلفة العالية التي باتت تحكم حقوق الملكية الفكرية[1]). لكن في المقابل نجد أن توافر سوق أوسع قد أدى إلى استحداث مصادر تمويل أكثر وأكبر تنوعاً (على سبيل المثال المستثمرون الأجانب والمنظمات العالمية غير الحكومية المختصة) منحت المبدع حرية أكبر في الاختيار والتنقل بينها وفق ما تقتضيه حاجته. كذلك فإن التقنيات المتطورة التي توظفها هذه السوق، والتي تؤدي دوراً كبيراً في مساعدة المبدع على الانتشار والترويج لأعماله على نطاق شديد الاتساع، أتاحت له فرصة تحقيق الاكتفاء الذاتي من حيث التمويل، وهذا أمر لم يكن متوافراً سابقاً إلا إذا كان المبدع أو أسرته من الأثرياء. وإمكان التمويل الذاتي هذا، أدى بدوره إلى تحرير المبدع من قيود التبعية القسرية لما هو سائد ورائج. فالمبدع اليوم صار حراً في التعبير عن أفكاره ورؤاه، وفي ابتكار وتطوير أدواته وأساليبه بعيداً عن إملاءات المزاج العام على نحو غير مسبوق. كما أنه أسهم بشكل غير مباشر في دمقرطة الفن من خلال إتاحة الفرصة أمام المبدعين من المجموعات التي جرت العادة على استثنائها من دعم المنظمات المختصة (على سبيل المثال النساء والأقليات العرقية والمجموعات الاجتماعية المهمشة). فضلاً عما توفره تقنيات الاتصال وسهولة التنقل والسفر من فرص تعليمية تثقيفية غير مسبوقة للمبدع تساهم في اتساع مداركه ونضج أدواته وصقل موهبته وقدرته على الإبداع، وهذا كله لا بد من أن يترك أثراً واضحاً في شكل وطبيعة ما ينتجه من أعمال إبداعية[2].

---

١ – انظر: جون هارتلي، "الصناعات الإبداعية" ، سلسلة "عالم المعرفة" العددين ٣٣٨ و٣٣٩ ، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت (أبريل ومايو ٢٠٠٧).

٢ – للمزيد حول هذا الموضوع انظر: "سوسيولوجيا الفن" (مرجع سابق)، و**Tyler Cowen, In Praise of Commercial Culture; Harvard University Press (2000).**

وأما فيما يتعلق بالمنتج الفني فقد كان، دائماً، سلعة. لكنه كان سلعة يرتبط معناها ارتباطاً وثيقاً بإنتاجها ضمن سياق اجتماعي وثقافي محدد، وضمن الظروف الموضوعية في زمان ومكان وأنماط إنتاج محددة، وضمن بنى المعنى الخاصة بهذا السياق. أما اليوم، فما عاد معناه مرتبطاً بهذه السياقات التقليدية لأنه، بفضل النزعة الاستهلاكية والتقنيات التي ترتبط بها، صار سلعة معولمة عابرة للقوميات والثقافات والجغرافيا والزمان والمكان. ولم يعد مطلوباً منه التجاوب مع متطلبات بيئة ثقافية محلية بعينها ومستهلك محلي ما، وإنما صار عليه الاستجابة لمتطلبات المستهلك العالمي الجديد في كل مكان ومن أي بيئة ثقافية. وهذا الفصل عن السياق، وفق رأي المعترضين، له أثره السلبي في المتلقي، إذ إنه يصبح سبباً في تشوشه نتيجة عدم قدرته على موضعة هذا المنتج ضمن إطار ما تعوده من بنى المعنى وتقدير القيمة اللذين يمنحانه الثبات والواقعية. لكن الواقع هو أن هذا التشويش قد يتيح للمتلقي فرصة الانفصال عن واقعه وتأمله من بُعد من خلال مقابلته مع هذا المنتج الجديد، ومحاولة موضعة هذا المنتج ضمن سياق جديد يضفي عليه معاني جديدة. وهذه تجربة مهمة تفتح أمام المتلقي المبدع آفاقاً أوسع من الرؤى والأفكار الجديدة، التي من شأنها أن تجدد رؤيته للفن، وأن تحفز قدرته على الإبداع وتطوير أدواته ومهاراته الفنية. ليعود بالتالي ويسهم هو نفسه، من خلال إنتاجه المطور، في التأثير في رؤى غيره من المبدعين الذين ينتمون إلى ثقافات أخرى، في حركة جدلية مستمرة من شأنها، إن توافرت لها شروط المنافسة العادلة، أن ترتقي بالمبدع والمنتج الإبداعي في كل مكان. وربما كان خير مثال على هذا التفاعل الخلاق هو الموسيقى الهجينة. فهذا النوع من الموسيقى يعتمد على المزج بين ألوان موسيقية مختلفة من خلفيات ثقافات مختلفة، (على سبيل المثال مزج موسيقى البوب مع التخت الشرقي، أو الموسيقى الهندية مع موسيقى الجاز وغيرها) ليُنتج جُملاً موسيقية تحمل روح ثقافتين أو أكثر، لكنها لا تُطبع بطابع خاص لأي منها. إن أهم ما يميز مثل هذه التجربة هو أنها لا تقتصر – فقط – على تعريف المبدع على ألوان الفنون لدى الثقافات المختلفة، بل إنها تدفعه إلى إعادة تأمل الفنون الخاصة بثقافته المحلية وإعادة إحياء ما اندثر منها، وأيضاً تطويرها وتفعيلها، مما يتيح إمكان مد جسور جديدة لإعادة اكتشاف الذات، بالإضافة إلى التفاهم والتقارب مع الآخر على نحو يسهم في تجانس بعض أوجه العلاقة بينهما، مع احتفاظ كل منهما بخصوصيته.

والمواد الأولية والأدوات التي تستخدم في عملية الإنتاج الفني، كانت هي أيضاً مقيدة دائماً بما يتوافر ضمن حدود البيئة الطبيعية التي ترتبط بها، ومدى تطور التقانة ونمط الإنتاج في المجتمع الذي ينتمي إليه المبدع. لكن نمو التبادل التجاري العالمي المتسارع، بالإضافة إلى ما وفرته تقنيات الاتصال السريع والتسويق الإلكتروني من فرص للتعرف على مواد وأدوات جديدة وإمكان استيرادها وتصديرها، ورغبة المستهلك العالمي في ما هو جديد وغريب، كل ذلك فتح أيضاً آفاقاً جديدة أمام المبدع. فالبدائل أمامه صارت متعددة وشديدة التنوع. وهي بدائل لم تعد تقتصر على المواد الطبيعية أو المواد التي تنتج من مواد طبيعية (الألوان الزيتية على سبيل المثال) بل تجاوزتها إلى البدائل غير الطبيعية، مثل الوسائل والبرمجيات الإلكترونية (برامج التصميم والرسم، كالفوتوشوب والكورال درو والفلاش على سبيل المثال). صحيح أن هذا الأمر له تأثيره السلبي في عنصر مهم من عناصر شبكة الإنتاج الثقافي المحلية، ألا وهو موردو المواد الأولية والأدوات، إلا أنها في الوقت نفسه ذات آثار إيجابية أكبر في جوانب أخرى. فهي من ناحية، قد تكون عاملاً مساعداً في تنشيط أحد جوانب الاقتصاد المحلي، من خلال مواجهة الموردين لهذا التحدي عن طريق تحفيزهم لشبكات إنتاجهم الفرعية لتطوير أساليب الإنتاج وتوفير الجديد المرغوب. وهي، من ناحية أخرى، تسهم في تحفيز الرؤية الإبداعية وتطور نوعية الإنتاج الفني، بإطلاقه ضمن وسائط جديدة من شأنها أن تستجيب لمتطلبات المستهلك العالمي المعاصر من تجديد مستمر وغرابة. خذ على سبيل المثال نشأة نوعين جديدين من الفن: الفن ممتزج الوسائط (Mixed media Art) والفن متعدد الوسائط (Multimedia Art) كلا هذين النوعين من الفن يوظف مواد مختلفة في عمل فني واحد، لكن الأول يركز على مزج المواد البصرية، مثل الأصباغ والأحبار وكولاج من أوراق الجرائد أو الأقمشة وغيرها، بينما يضيف الثاني إلى هذا المزيج مواد غير بصرية، مثل التسجيلات الصوتية والمرئية والمقتطفات الأدبية وحتى الروائح، وقد يكون العمل الفني من هذا النوع متحركاً، أي أنه يتغير خلال فترات زمنية معينة. والحق أن هذه الأشكال من الفن لم يكن من الممكن إنتاجها أو حتى التفكير بها لولا توافر الحد الأدنى من التبادل الثقافي والتطور التقني الذي وفرته العولمة، وأيضاً لولا متطلبات السوق.

وربما كانت التقنيات المعاصرة من أهم عناصر هذه الشبكة وأكبرها تأثراً وتأثيراً في تغيير العلاقات بين عناصرها (صحيح أن هذه التقنيات ليست متاحة بعد لأعداد كبيرة من البشر على مستوى العالم، لكنها صارت متاحة لقدر معتبر من النخب في كل مكان، والنخبة على امتداد التاريخ الإنساني، كانت دائماً هي قائدة التغيير). فهي أتاحت للمستخدم إمكان الوصول إلى كم غير مسبوق من الكثافة والتنوع في المعلومات الثقافية بكل أشكالها (نصوص ولوحات وصور وتسجيلات صوتية ومرئية وغيرها)، مما فتح آفاقاً لم يكن من الممكن تصورها عن إمكانات وحدود التبادل الثقافي، وما ترتب عليها من دفع وارتقاء بعملية الإنتاج الإبداعي. فالإبداع لا يأتي من فراغ. إنه عملية تحليل وفك وتركيب وإعادة تركيب لما هو موجود، وإعادة تقديمه برؤية وسياق جديدين، وهو عملية تحفزها المواجهة، والتفاعل مع ما هو جديد ومختلف ومنافس. ومن خلال مصادر المعلومات المفتوحة، وقواعد البيانات المختصة، ومحركات البحث المتنوعة، وتقنيات حفظ وتخزين واسترجاع المعلومات ونقلها عبر شبكة الإنترنت بسرعة فائقة وقليلة التكلفة نسبياً، توافرت للمستخدمين بوجه عام، وللمبدعين خصوصاً، مناجم لا تضاهى من المواد الأولية للعملية الإبداعية، التي تتمثل في الأفكار المعاصرة الجديدة، وتجارب المبدعين القدماء، ومنتجات الثقافات المختلفة التي تحفظ اليوم على الإنترنت من خلال المتاحف الرقمية والأسواق الإلكترونية وغيرها من المواقع المختصة. كذلك نجد أن التقنيات المساندة، مثل الطابعات والماسحات الضوئية والبرمجيات الخاصة بالتصميم وغيرها، تؤدي أيضاً دوراً مهماً في عملية الإنتاج الإبداعي، من حيث توفير الجهد والوقت والتكلفة في إنتاجه للاستجابة بالسرعة التي تتطلبها السوق، ومن حيث نوعيته وجودته وجِدته التي يتطلبها المستهلك. ففي مجال الفن التشكيلي، على سبيل المثال، صار من الممكن تصميم اللوحة، إما من صورة وإما من مجموعة من الصور المخزنة على الجهاز بواسطة المسح الضوئي، وتنفيذها وتعديلها بالكامل على جهاز الكمبيوتر بوساطة برمجيات التصميم والرسم، ومن ثم طباعة أكثر من نسخة منها عن طريق طابعات على درجة عالية من التطور وعلى أجود أنواع الورق وبأجود أنوع الأحبار والأصباغ. أو من الصفر عن طريق صياغة برمجيات خاصة (الخورزميات)، وإعطاء أمر للكمبيوتر لإنتاج اللوحة (أو حتى المقطوعة الموسيقية) بكاملها

من دون تدخل الفنان، كما هي حال لوحات الفن الكسري (من حساب الكسور) Fractal Art. صحيح أن الفنان قد يضيف يدويًا لمسته الشخصية لاحقاً على هذه اللوحات عبر بعض الرتوش ليعطيها شيئاً من التميز الذي يطلبه المستهلك، لكن اللوحة الفنية هكذا لم تعد ذلك العمل الذي يستمد فرادته من مهارة مبدعه (ضربة ريشته أو تحكمه في درجات ألوانه)، وتميزه من ضعفه (الأخطاء البشرية التي قد تشوب اللوحة)، ولكنها تبقى ذات فرادة تستمد من محتواها وموضوعها اللذين يعبران عن رؤية هذا المبدع وموقفه وقدرته على توظيف هذه الوسائط الجديدة للاستجابة للتحديات التي يواجهها، وأيضاً تطوير هذه الوسائط والتقنيات لتستجيب لرؤاه الإبداعية الجديدة.

بالإضافة إلى ذلك، نجد أن هذه التقنيات قد أدت إلى تغيير طبيعة كثير من الإنتاج الإبداعي، من رسم وتصوير وموسيقى وأدب. وهو تطور يضع كلاً من المبدع والناقد أمام تحد حقيقي يتطلب إعادة نظر جذرية في أدوات ومعايير كل منهما في تقييم وتحليل المنتج الإبداعي. خذ على سبيل المثال تجربة الأدب الإلكتروني، خصوصاً فن القصة. فالأدب، تقليدياً، هو أكثر أشكال الإنتاج الإبداعي التصاقاً بالواقع الذي أنتج فيه. وفن القصة بالذات هو أكثرها ارتباطًا بالواقع والثقافة المحليين، وأيضاً بالزمان والمكان المحليين. لكن الأدب الإلكتروني غير هذا. لقد نشأ الأدب الإلكتروني بعد ما يزيد على ٥٠٠ عام من الأدب المطبوع، ولذلك كان من الضروري لهذا النوع من الأدب أن ينطلق بناءً على أساس توقعات القراء التي شكلها الأدب التقليدي المطبوع، على الرغم من تعديله وإعادة تشكيله لها. لذا كانت بدايته على شكل مقاطع من النصوص التشعيبية (Hypertext)، التي لم تكن تختلف كثيراً عن الأدب المطبوع إلا في إضافة محدودة من الصور والرسوم المتحركة والألوان والأصوات. ومع تطور شبكة الإنترنت وتقنيات التصميم الرقمي والصوت والصورة والاتصال المستخدمة فيها تطور هذا الأدب إلى ما يسمى بـ «الدراما التفاعلية» Interactive Drama، التي تعد نقلة نوعية حقيقية في الإنتاج الأدبي. فهو أدب ينتج في عالم افتراضي ثلاثي الأبعاد – بعيدًا عن الواقع المعيش الذي ينتج فيه الأدب عادة – وهو كثير الشبه بنمط الألعاب الإلكترونية، حيث يمكن للمستخدم، أو لأكثر من مستخدم في آن واحد، أن يساهموا في كتابته وتوجيه مسار حبكته عبر تحليل وتفسير الرموز وحل بعض الألغاز المتضمنة في النص، للانتقال عبر أجزائه المختلفة (ولك أن تتخيل الأبعاد والمسارات التي يمكن للقصة أن تتخذها على هذا النحو إن أخذت في عين الاعتبار تنوع

الخلفيات والمشارب الثقافية والفكرية لمجموعة المستخدمين هذه). ولم يقف تطور هذا النوع من الأدب عند هذا الحد، بل تجاوزه إلى خلط الواقع الافتراضي بالواقع المُعاش باستخدام الهواتف المحمولة وكمبيوترات اليد PDA، وذلك، على سبيل المثال، عبر إرسال رسائل متسلسلة إلى هذه الأجهزة تحتوي على قصة درامية يمكن للمستخدم تتبع أحداثها في مواقع بعينها، وكذلك المشاركة في هذه الأحداث عبر الاستجابة لتعليمات متضمنة في القصة، (على سبيل المثال البحث عن شيء مخبأ في موقع تحدده القصة، والعثور عليه في الموقع نفسه) وهكذا نرى كيف أدت التطورات التقنية إلى تغيير طبيعة تجربة الإنتاج الأدبي، من خلال فصلها عن واقعها المباشر، وجعلها تتحدد بمعطيات التقنية والبرمجيات المستخدمة فيها، في زمان ومكان وعوالم كاملة تنطمس فيها الحدود الفاصلة بين ما هو افتراضي وما هو واقعي، وكذلك توظيف رؤى وأفكار ومواهب كل من المستخدم والمنتج بتفاعل جدلي من شأنه أن يؤدي إلى فتح آفاق أوسع أمام الإنتاج الإبداعي[١].

ومن ناحية أخرى، تعد تقنيات الاتصال والتنقل بشكل عام بوابة الليبرالية الجديدة إلى العالم، وأحد المرتكزات الأساسية للسوق العالمية المعاصرة. لكن الإنترنت تحتل موقعاً خاصاً في مقدمتها من حيث الأهمية والفاعلية في التأثير الثقافي واسع النطاق وفي أكثر من مستوى تضع المبدع في موقع أفضل ضمن سوق المنافسة. فالإنترنت تتيح للمستخدم فرصة التفاعل البيني الفوري والمباشر مع الآخر، عبر الرسائل النصية والصوت والصورة في أي مكان وفي أي منطقة زمنية. لذا فإن المبدع اليوم لديه فرص أكبر للمتابعة والتواصل والحوار وتبادل الأفكار مع المختصين في مجاله من فنانين ونقاد، وبالتالي متابعة كل ما هو جديد ومثير – وربما أيضاً محظور في بيئته المحلية – من أفكار وأساليب وأدوات، وبالتالي فرصة أكبر للمشاركة في إثراء الثقافة العالمية والتنوع الثقافي بشكل مباشر أو غير مباشر.

كذلك تتيح تقنيات الاتصال والتنقل المعاصرة فرصة مهمة للتواصل بين المبدع وجمهوره. وهذه النقطة مهمة من ناحيتين: فهي من ناحية فرصة مهمة لكي يروج المبدع نفسه ويسوق أعماله. صحيح أن هذه الفرصة مقيدة نوعاً ما بأحكام ومزاج السوق وتسلط المولين والوسطاء وشروط الثقافة السائدة، لكنها تظل فرصة انتشار تفوق كثيراً ما تقدمه

---

١ – لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظر **N. Katherine Hayles, "Electronic Literatyre: What is it?", v1.0 January 2, 2007; The electronic Literature Organization, http://www.eliterature.org**

وسائل الدعاية والإعلان التقليدية. ومن ناحية أخرى، وهي الأهم، تتيح الإنترنت للمبدع فرصة التواصل المباشر مع جمهور غير مسبوق، من حيث كثرته وانتشاره الجغرافي وتعدد خلفياته الثقافية، وبالتالي تنوع متطلباته، مما يرفع من وتيرة التحدي لدى المبدع لتقديم الأفضل والأجود للحفاظ على الانتشار والتميز. ويجب ألا ننسى الجمهور، فكما قال المخرج الأمريكي أورسون ويلس: «الجمهور يصوت من خلال شراء التذاكر. والجمهور أذكى من الأفراد الذين ينتجون ما يرفه عنه. وأنا لا أستطيع أن أفكر في أي شيء لا يمكن للجمهور أن يفهمه. المشكلة الوحيدة هي كيف نثير اهتمامه. وبمجرد أن تلفت انتباهه، فإنه سيفهم أي شيء في العالم». إذن، الأهمية هنا لا تكمن فقط في الجانب التجاري من الموضوع، أي فرصة الاطلاع المباشر على الأمزجة والرغبات والمتطلبات الاستهلاكية لهذا الجمهور ومحاولة الاستجابة لها، وإنما تكمن في فرصة دخول كل من المبدع والجمهور في حوار جدلي تفاعلي مستمر قد يتحول إلى سلاح ذي حدين. إذ إنه قد يؤدي إلى ما نشهده اليوم من المظاهر السلبية لما يسمى «عولمة الثقافة الاستهلاكية»، التي قد يساهم فيها المبدع مدفوعاً بهدف تحقيق الربح السريع. وهو من ناحية قد يتحول إلى فرصة تعليمية قيمة من شأنها أن تصل بكلا الطرفين إلى فهم أكبر وارتقاء أفضل بالذائقة وتهذيب للرغبة في الاقتناء، عبر وضع كل من المتلقي والمستقبل في مواجهة أسئلة عميقة عن الذات والهوية وموقعهما في هذا العالم.

إن فرصة المشاركة في هذا الدمج بين التقنية والثقافة مازالت غير متاحة بعد لكل الناس في العالم، بسبب استقطاب وتركز الثروة والدخل والمعرفة في يد النخبة بازدياد مطرد، وتنامي الفجوة بين من تتاح لهم فرصة التمكن من التقنيات الحديثة ومن لا تتاح لهم هذه الفرصة على نحو درامي، إلا أن هذه الفرصة مازالت تتنامى باستمرار (تبين إحصائية موقع (www.internetworldstat.com)، أن الاستخدام العالمي للإنترنت للعام (٢٠٠٨) لا يتجاوز (٢١,٩٪) من تعداد سكان العالم، كما تبين أن نسبة نمو الاستخدام العالمي بين العامين (٢٠٠٠ – ٢٠٠٨) هي (٣٠٥,٥٪). أضف إلى ذلك أن الثقافات المختلفة تتباين بشدة في درجة تأثرها بالعولمة. والفجوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة، وبين المدن والمناطق الريفية داخل الدولة الواحدة في ما يتعلق بالتقنية وأساليب الحياة

مازالت قائمة، بل ربما ازدادت في السنوات الأخيرة (قارن، على سبيل المثال، بين الشباب العربي من الطبقتين العليا والمتوسطة من سكان المدن وأقرانهم في المناطق الريفية. تجد أن المجموعة الأولى من الشباب كثيرة الشبه في سلوكياتها بسلوكيات الشباب الغربي. فهم يتمتعون بقدر من الوفرة المادية التي تسمح لهم بقضاء فترة أطول بالمؤسسات التعليمية لعدم وجود حاجة ملحة تدفعهم إلى العمل المبكر لإعالة أسرهم. كذلك تتاح لهم كثير من الفرص التعليمية والترفيهية الأخرى مثل إمكان استخدام الإنترنت والتجمع في المقاهي لممارسة الألعاب الإلكترونية ومتابعة المحطات الفضائية مع الأصدقاء وغيرها. في المقابل، نجد أن أقرانهم من سكان المناطق الريفية يتركون المدرسة مبكراً للمساهمة في إعالة أسرهم من خلال أعمال لا تتيح لهم كثيراً من الفرص التعليمية والترفيهية المتاحة لأقرانهم من سكان المدن. وهم لذلك مازالوا – بدرجة أو بأخرى– بعيدين عن التأثير المباشر للعولمة الثقافية، (على العكس من أقرانهم سكان المدن). وكذلك الأمر بالنسبة إلى بنى المعنى الداخلية لدى الأفراد، فهي، باستخدامها في أوجه الحياة اليومية المختلفة للفرد، مازالت مركزة على البيئة المباشرة، أي البيئة الوطنية. فهذه البيئة مازالت هي الأساس – على وجه الخصوص – بالنسبة للأفراد الذين لم يغادروا ثقافتهم المحلية جغرافياً. وعلى الرغم من أن بنية المعنى لديهم صارت تتضمن بعضاً من عناصر الثقافة الكونية، فإنها لم تزل مرتبطة بالثقافة المحلية بقوة.

لكن هذا الخليط من الأسواق سريعة الاستجابة للتغيير والتقنية، التي تتمثل في وسائل النقل والاتصال السريعة والمتقدمة والعولمة الثقافية، وفقا لنمط الليبرالية الجديدة، أدى إلى ارتباط الأفراد والأعمال والثقافات ارتباطاً وثيقاً بلا نظير. كما ازداد تأثرنا وتأثيرنا في عملية التغيير المتبادل، وصرنا أكثر قدرة على تبادل كل شيء وأي شيء، على نحو أدى ومازال يؤدي إلى تعزيز تنوع الخبرات والتجارب البشرية، ومعها تطوير أشكال جديدة من التعدد الثقافي. وقد حاولت في هذه الورقة – من خلال تتبع مسار تطور فكر الليبرالية الجديدة والأسس والأهداف والسمات التي يقوم عليها مشروع العولمة الثقافية التي تسعى إلى تحقيقها، وآثار هذا المشروع على الإنتاج الإبداعي – أن أبين أنه على الرغم مما يظهر للعيان من مظاهر شمولية الثقافة الاستهلاكية، فإن الواقع يبين أن حجم

المخاوف من تهديد العولمة للتعدد الثقافي يحمل قدرًا كبيراً من المبالغة. فبينما صارت أساليب حياة كثيرة في طريقها إلى الاندثار، بدأت تظهر أساليب حياة أخرى أحدث وعلى القدر نفسه من التنوع. نعم، الثقافات تتلاقح وتُهجَن، والهويات الجديدة تنشأ والمجتمعات تتحلل ويعاد تشكيلها، والناس يتحولون عبر الثقافات والهويات المختلفة في كل مكان، لكن الثقافات المحلية مازالت قائمة جنباً إلى جنب مع الثقافات الجديدة. والتركيز على ما هو محلي مازال قائماً، ولم نصل بعد إلى الثقافة الكونية. واندثار بعض السمات الخاصة بثقافة محلية ما لا يعني – بأي حال من الأحوال – اندثار هذه الثقافة وموتها. فالثقافة أكثر بكثير من مجرد مجموعة من السمات الواضحة، فما يجعلها متميزة وخاصة هو نظام عميق ونوعي لا يمكن تجاوزه ببساطة. الثقافات تتلاقح وتُهجَن لكنها لا تختفي. والعولمة، على الرغم من كل ما تحمله من سلبيات، تفتح عالماً غير محدود من الإمكانات والبدائل الإيجابية. والإجابة عن السؤال حول كيف نستثمر هذه الإمكانات والبدائل ونوظفها التوظيف الأمثل؟ تبقى مسألة اختيار.

✱✱✱✱

المشهد الثقافي العالمي والثقافات السائدة فيه

أ. هدى صالح الدخيل

ملخص البحث

يتناول البحث في بدايته نظرة عامة عن العولمة الثقافية الاقتصادية، وينتقل بعد ذلك للحديث عن البوادر الأولى للعولمة من خلال «مقدمة تاريخية»، وبيان كيف أن العولمة كانت اقتصادية في بداياتها، فهي قديمة قدم التاريخ. ابتداءً من الحضارة الصينية، وانتقالاً إلى الرومانية والإسلامية والمنغولية وغيرها.

ويتضمن البحث الحديث عن الفكر الليبرالي وبدايات انطلاقته الأولى في بريطانيا وكيف أن انتشار العولمة على مستوى دولي بدأ بتخفيض الرئيس ريغان الضرائب على المؤسسات وتحرير الاقتصاد من تحكم الدولة، ما أدى إلى انتشار السطوة الأمريكية وذلك على عدة أصعدة ثقافية وعلمية وتجارية وسياسية واجتماعية، لكن ذلك لم يمنع من ظهور مؤسسات ومنظمات تقف في وجه العولمة. مع أن الكثير من المختصين يرى أن العولمة ما هي إلا امتداد لليبرالية وأنها السبب الرئيسي في الكساد الاقتصادي واستنزاف الطبقة الوسطى.

ويتضمن البحث الحديث عن الثقافة وارتباطها بالعولمة تحت عنوان «ثقافة العولمة وعولمة الثقافة». وهنا يتم التركيز على خلق «ثقافة مشتركة» مبتعدة عن الرموز الدينية والاجتماعية والأخلاقية، والنزوع إلى ثقافة تركز على كل ما هو مسلٍّ وممتع، ونشرها من خلال السينما والمجلات والتلفزيون والموسيقى والعمل على تطويرها. وتمت الإشارة إلى قضية «رسملة الثقافة» وقضية النزعة الاستهلاكية الشرائية عند الفرد دون الاعتبار لمدى الجودة أو حجم الضرر على البيئة.

والسمة الثانية لهذه الثقافة هي ارتباطها الوثيق بالتقنية.

والسمة الثالثة هي السعي لكل ما هو جديد. ويتطرق البحث إلى قضية (العولمة الثقافية ومسألة التعدد الثقافي) حيث انتشرت هذه الثقافة عبر أفلام هوليود، ونشر الثقافات الأمريكية المحلية بدلاً من الثقافات الأصلية للأمم سواء في العمل أو المطبخ أو غير ذلك كالموسيقى، مما يؤدي إلى انتشار (الهوية المهجنة) والوعي العالمي.

ودرس البحث نقطة هامة هي «الصدمة الثقافية» التي تؤدي إلى «الضغط الثقافي» وذلك نتيجة معايشة أكثر من ثقافة أو الانتقال من ثقافة محلية إلى ثقافة جديدة كليّاً. ويبين البحث أن الفرد هو المسرح الأساسي لعملية التغيير لمجتمعات تتبع الأفراد.

ويطرح البحث مفهوم «التعدد الثقافي» والتمييز بين مفهومين: التعدد بمعنى اتساع نطاق الاختيارات المتاحة والتعدد بمعنى التمايز الثقافي.

ويتناول البحث قضية العولمة والإنتاج الإبداعي: فالليبرالية تسعى إلى ترويج ثقافتها وذلك واضح جلي في انتشار موسيقى الراب والهارد والروك، ويبين البحث أن قلب الشبكة هو المبدع الذي لا يستطيع العمل إلا بتوفير الأدوات اللازمة للإبداع وحتى اقتراح الموضوع الذي سيبدع فيه، والتنبيه إلى أن المنتَج الفني هو دائمًا سلعة، بالإضافة إلى أن التقنيات الحديثة أدت إلى تغيير كثير من الإنتاج الإبداعي سواء الرسم أو التصوير أو الموسيقى، فحيث تعد تقنيات الاتصال بوابة الليبرالية إلى العالم فإنها تتيح بدورها سهولة التواصل بين المبدع وجمهوره، مع أن فرصة المشاركة في هذه التقنية غير متاحة بعد لدى كل الناس.

وتبقى العولمة على الرغم من سلبياتها تفتح عالمًا من الإمكانات والبدائل الإيجابية.

✱✱✱✱

The current international cultural scene
In light of globalization

Professor Huda Saleh Al-Dakheel

Abstract

This research begins with a general overview of cultural and economic globalization. It then goes on to discuss the emergence of globalization through a historical introduction, which shows how globalization began as an economic phenomena. It is as old as history itself, from the Chinese civilizations to the Roman, Islamic and Mongolian, among many others.

The research discusses liberal thought and how it first came about in Britain. Moreover, it addresses the spread of globalization, at an international level, which began with former U.S. President Ronald Reagan, who introduced tax reductions for organizations and freeing the economy from state control. This lead to the spread of American domination on several cultural, scientific, commercial, political and social levels. However, this did not prevent some institutions and organizations from going head-to-head with globalization. In fact, many experts view globalization to be an extension of liberalism and the main reason behind the current world economic recession and the depletion of middle-class society.

In addition, the research also discusses culture and its relation with globalization, under the title Culture of Globalization and Globalization of Culture. Here the emphasis lies on creating a shared culture, regardless of ethical, religious and social symbols. The development of this culture tends to be based around the entertaining and interesting aspects, which it spreads through the cinema, magazines, television and music. It also refers to the issue of Capitalization of Culture and purchasing tendencies of individuals who consume products without considering quality or the extent to which it may harm the environment.

The second characteristic of this culture is its close association with technology.

The third characteristic is the pursuit of all that is new. The research includes the issue of cultural globalization and multiculturalism, which has spread through Hollywood cinema. This point also incorporates the spread of American local cultures instead of the countries' native cultures, whether being at work or at home, or through other mediums such as music. This thereby leads to the spread of hybrid identities and global awareness.

The research also mentions a very important issue, that of culture shock, which leads to cultural pressure. This results from several cultures living together or when an individual is exposed to a completely new or foreign culture altogether. This study illustrates the individual as the most important factor in the process of change in societies that follow the individuals.

The research also raises the concept of multiculturalism and distinguishes between the use of 'multi' to mean expanding the range of choices available or to mean cultural differentiation.

The research also addresses the issue of globalization and creative production: Liberalism tries to promote its culture, which is evident in the spread of Hard Rock and Rap music. The research demonstrates that the creative individual cannot work without the necessary tools for creativity and without proposing their creative subject.

The study points out that the artistic producer is always seen as a commodity. It also explains how modern technology has led to many changes in the creative production of design, photography and music.

Communication technology, the liberal gateway to the world, in turn, has facilitated communication between the artist (the creator) and his audience, although the chance to participate in this technology is not available to all.

In spite of its negativism, globalization continues to offer the world a wide variety of possibilities and positive alternatives.

☆☆☆☆☆

رئيس الجلسة

متحدثنا الآخر في السياق نفسه وهو المشهد الثقافي العالمي الراهن هو الأستاذ الدكتور أنتونيو فريندو، وهو من مالطا فليتفضل..

الدكتور أنتونيو

شكرًا.

✱✱✱✱

THE GLOBAL CULTURAL SCENE AND THE DOMINANT CULTURES

Anthony J. Frendo

It is a commonplace that from amongst the myriad descriptions and definitions of what culture is, sociologists and anthropologists seem to have taken one point on which they all agree, namely that culture can be viewed as all the non-biological things which humans inherit from each other in a given society. It is thus clear that language, music, customs, traditions, food recipes, and such like things all constitute culture and that in the last analysis culture does have a substantial symbolic function in society. The corollary of all this is that there are at least as many different cultures as there are different nations; indeed, it is accepted that within each nation itself various cultures can be found and that these stand in relation to the general culture of a particular society. The problem arises when this relationship is such that the general culture of a country turns out to be the dominant one in the sense that it reflects the culture of the majority who look upon the other cultures as being not only different but also as inferior. Thus, for example, it has been shown that with respect to "subordinate groups", schools actually depicted cultures other than that of the dominant group not only 'as different within a multicultural framework but as both different and inferior' (Stanley 1992: 97).

The foregoing points are not only pertinent to particular societies; indeed, they also apply to the relationships between the cultures of different nations. In this case, the dominant culture pertains to either one or more nations who culturally lord it over others and who actually exercise cultural imperialism which 'involves the universalization of a dominant group's experience and culture, and its establishment as the norm' (Young 2000: 45). In such a scenario, the dominant group in fact presents its own experience as if it were that of all humanity, and it is self evident that cultural encounters and exchanges between nations are the only thing which can challenge the negative claims made by the dominant group (Young 2000: 45). It is clear that the dominant culture which one or more dominant nations 'impose' on other people leads to the well-known phenomenon of globalization. However, it is also important to keep in mind the oft-forgotten fact that particular cultures themselves frequently end up by absorbing global culture rather than being absorbed by it. In this case, people generally take 'what is perceived as useful or desirable and reject what is not' (Lewellen 2002: 53-54). However, once a specific culture accepts certain things from a 'global culture', these can take on a different meaning. Thus, for example,

when a TV set is taken over by a particular culture it may well turn into an item of prestige for 'dowry or bride price' rather than function as a device for communication (Lewellen 2002: 54). This means that the dominant culture does not always impose its culture on particular groups; the latter actually still act freely and pick and chose the items which suit them best. And yet, one can certainly not deny the fact that the dominant culture exercises such a great influence on particular people that one wonders whether the latter are fully conscious of the fact that their very act of absorbing 'foreign' influence can actually delete many of the hallmarks of their local culture.

The two tendencies mentioned in the foregoing paragraph account for the variegated characteristics of globalization, namely of both its negative and its possible positive aspects in a multi-cultural world. There is no doubt at all that the digital revolution has broken down the traditional barriers of time and space and that it has had an influence on the economy of the whole world, as well as on the relation between different cultures. Those groups or nations who view other people not only as different but also as inferior actually turn out to be the dominant groups in a globalized world and they end up by exercising the 'cultural imperialism' which was mentioned above. It is a commonplace that the western world acts as the dominant group and that the Islamic world constitutes one of the most important 'subordinate' groups. Although the Islamic world too (just like all other subordinate groups) absorbs those aspects of global culture which it chooses to and which best suit it, it in fact also offers the greatest resistance to a globalized culture which is essentially western. Indeed, global culture is somehow linked to Islamic fundamentalism – which in its extreme form includes terrorism. The world has become so globalized that this Islamic resistance itself becomes a global phenomenon; indeed, 'the very attempt to restore a sacred tradition as a basis for a meaningful social order is globally significant, as one effort among others to preserve or achieve a certain cultural authenticity in the face of a greedy, universalizing global culture. It is, in other words, a particular, albeit radical and problematic, form of striving for communal and societal identity under circumstances that make such deliberate identification a global expectation' (Lechner 2004: 327).

It is important to ask ourselves why the extreme factions of Islam 'hate' the West, particularly the United States of America. There are two possible answers, and both of them are likely. First of all there are those who claim that terrorism breeds simply owing to the fact that some fanatics are against pluralism, tolerance, and secularism. In this sense, it is clear that there is only one solution: to eradicate such militant fanaticism. However, things are not that simple, and on closer analysis one could also say that extreme Islamism is sprouting because development and a globalized economy have refused any economic opportunities to millions of people. Indeed there is no equitable distribution of wealth and opportunities, and in this case the solution would be to work on a 'long-term reconsideration of global

development policy' (Gallopin and Raskin 2002: 19). In brief, this means that on one hand the success of globalization has lead ideologues to a 'fanatical resistance', whereas its failure 'to offer hope to billions' has led to more support for fanaticism (Gallopin and Raskin 2002: 19). Although there are no simple solutions, it seems clear that one first step in the right direction would be to work for a more equitable distribution of wealth worldwide.

Some scholars see globalization as a form of postmodern colonialism in the sense that the dominant nations have control on the 'consciousness' and 'consumption' of other people rather than on their land, states, or political organizations (Silbey 2006: 248). Indeed this is a subtle, but still powerful form of domination by those who in fact wield the dominant culture. The harsh and brutal aspects of domination in this type of globalization are somewhat mitigated by the fact that the dominant groups customize their 'products' to the needs of the locals with the result that the universal aspects of a globalized culture, which in practice turns out to be the culture of the dominant group, are adapted to the culture of those groups of people, or indeed to whole nations, who constitute the sub-group with respect to those who are in power, namely those forming the dominant group. This blending of the universal aspect of a globalized culture with some concern for the particular cultural tenets of various groups is known as 'glocalization', which is 'a neologism joining globalization and localization to describe the customization of globally produced products or services for local cultures and markets' (Silby 2006: 246). Global networks which provide cell phone services for a local group of people are a good example of glocalization (Silby 2006: 246). Although glocalization mitigates somewhat the negative effects of globalization which dominant groups cause, it still does not solve the problems of the relationship between a globalized culture and the culture of multiple local groups each having their own cultural traditions.

The current cultural world scenario described and discussed thus far, is the one which anthropologists and sociologists generally subscribe to. Although the basic principles mentioned above are true and they can account for (at least partially) the current state of culture worldwide, it would be interesting to try and stand back for a while and look at some attempts at globalization in antiquity so as to be able to better understand some of the reasons which account for its negative results and to hopefully eradicate them. I shall be looking at two peoples of the ancient near East, which can both be viewed as the dominant group of their time, namely the Phoenicians, and the Assyrians of the Neo-Assyrian Empire. By the eighth century B.C., the Phoenicians became an economic force to be reckoned with and their influence was both long-lasting and far-reaching, although I shall be limiting myself chronologically to their period of influence during the first half of the first millennium B.C. As far as the Neo-Assyrian Empire is concerned, the chronological parameters are those generally agreed to by virtually all scholars, namely the eighth and the seventh centuries B.C., and more

precisely from 746 – 609 B.C. I have chosen these examples from the past because they provide us with two different types of globalization: one which bluntly showed its ugly and brutal face during the Neo-Assyrian Empire, and the somewhat humane type of Phoenician globalization which occurred mainly during the first half of the first millennium B.C.

It is a commonplace that the emperors of Assyria ruled their own region and the whole of the near East with a mighty hand. Their empire expanded during the eighth and the seventh centuries B.C., during which period the Assyrian army spread terror wherever it went. The Assyrians annexed whole territories, they imposed harsh taxes, and they dominated their neighbours with an iron hand spreading fear wherever they went. During this period, the armies of the Neo-Assyrian Empire were throwing their weight over Iraq, south-east Turkey, Syria, Lebanon, Cis-Jordan and Trans-Jordan. Indeed by about 664 B.C., during the reign of the Assyrian emperor Assurbanipal (669-635 B.C.), the Neo-Assyrian armies were also in control of Egypt right up to the area just south of Thebes (Manley 1996: 118-119). The Assyrian material remains unearthed by archaeologists of the near East and Egypt dating to the eighth and the seventh centuries B.C. are ultimately the result of brutal domination and not that of an exchange of goods between equals. The common factors of the culture of Egypt and virtually the whole of western Asia during the Neo-Assyrian Empire cannot be deciphered as the result of a benign type of globalization; in this case there is hardly any doubt at all that we are dealing with a type of globalization which was simply the result of a dominant group imposing its culture and policies without respect for the sub-groups, namely the various ethnic groups which the Assyrians controlled. This is a far cry even from the above-mentioned 'glocalization'. Such a brutal type of globalization reached its climax in the Neo-Assyrian practice of the transplantation of peoples from one part of the empire to the other. The classic example of the uprooting of local people from their homeland, which was then populated by different people who were taken away by force from other areas, is the case of the deletion by Assyria of the northern kingdom of Israel in 722/721 B.C. This event marks the death knoll of the ten northern tribes of this kingdom, when 'its king, nobles and crack cavalry corps were deported' to be substituted by people from the Zagros and Babylonia, as well as by Arabs who were all settled in Samaria (Kuhrt 1995: 469). The foregoing points show clearly that in the case of the Neo-Assyrian Empire, the globalization current in most of Egypt and western Asia was brutal, ugly, and it was ultimately the result of military imposition.

The case of the Phoenicians is somewhat different. It is a well-known fact that they are the direct descendants of the Canaanites and that they emerged as a group of important sea-traders during the first millennium B.C. (Frendo 1993). By the ninth century B.C., they were already well established in Cyprus; indeed, 'taken as a whole, therefore, the archaeological and textual evidence indicates Phoenician settlement in

Cyprus by at least the ninth century BC. This seems to cohere with current theories on the foundation-dates of Phoenician colonies in the western Mediterranean' (Reyes 1994: 21). It is perhaps paradoxical, but there is a link between the brutal globalization imposed by the Assyrians during the eighth and the seventh centuries B.C., and the wholly different type of globalization which was common to the near East, Egypt, and the Mediterranean regions during the first millennium B.C. when the Phoenicians were emerging as the most important sea-traders the world had ever seen up to that time. When the Neo-Assyrian Empire started to expand in the Levant, the Assyrian emperors were at first easy-going with the Phoenician city-states. In fact, Tiglath-Pileser III (744-727 B.C.) even left the city of Tyre 'intact and under independent rule'; however, one should remember that this attitude 'was based not upon Assyrian altruism but upon a recognition of the city's potential commercial importance to the empire' (Markoe 2000: 42). This is borne out by the fact that Sargon II (721-705 BC) subdued and even exacted tribute from the seven independent Cypriote kings, most probably having aimed at controlling Phoenicia's copper trade at Kition (Markoe 2000: 42). Later on, the Assyrians showed their true colours when they threw their weight around even on the Phoenician city-states. In fact, one can say that 'up to the reign of Sragon II, the Phoenician cities and their territories were left alone, provided that they maintained a submissive posture to the Assyrian state. Such submission involved the payment of taxes and the offering of tribute (tamartu), which was exacted on a sporadic basis. This policy changed under Sargon's successor, Sennacherib (704-681 BC), who demanded regular annual tribute from the Phoenician cities and other dependencies in the empire as a sign of fealty to the state' (Markoe 2000: 42-43). Such a move was tantamount to Assyria actually explicitly considering Phoenicia as its vassal, and it thus comes as no surprise that it was during the late eighth century B.C. that the Phoenicians started to migrate in larger numbers to the various trading posts which they had established all along the shores of North Africa and many other Mediterranean countries during the previous two centuries. Indeed, by about the mid-eighth century B.C. they were already settled in the western Mediterranean, for example in Spain (Aubet 2002: 100). The Phoenicians must have also remembered how Shalmaneser III (858-824 BC) had already attacked the Levant in the ninth century B.C. and how he had exacted tribute from the "kings of the sea coast" which had included 'presumably all of the Phoenician dynasts' (Markoe 2000: 40).

It was largely now in the eighth century B.C., that the Phoenicians transformed their previously founded multiple trading posts into permanent settlements. Although scholars generally refer to this phenomenon as that of Phoenician colonization and they think that the Phoenicians 'normally assumed the role of a commercial "outsider"' in the regions they went to (Markoe 2000: 180), it is important to remember that there is no evidence that they actually imposed their culture on the peoples in whose areas they

now settled. These new permanent settlements seem to have arisen peacefully, and the Phoenician newcomers appear to have had good relations both with the local inhabitants as well as with their main rivals, namely the Greeks. Archaeological research has shown that the initial phase of contact between the Phoenicians and the Greeks in Italy and Sicily was characterized by cooperation and cultural exchange; indeed, one can say that 'l'établissement eubéen de Pithécusses est aujourd'hui l'exemple le plus connu d'une coexistence pacifique entre les deux «partis»' (Niemeyer 1995: 266). Moreover, the case of the Maltese archipelago shows clearly that the Phoenicians did not simply refrain from imposing their culture on other people, but that they also 'interacted closely with the indigenous population' (Markoe 2000: 180). It is interesting to note that one can claim that in Malta 'la presence Phénicienne est caractérisée par une très grande integration avec la communauté locale qui trouve son expression dans des apports certainment actifs et innovateurs' (Ciasca 1995: 706 and references there). Such an example helps us to better understand the fact that the Phoenicians were not acting the way dominant groups generally do, for they did not impose their culture on the people they found in the areas they settled in during the eighth and seventh centuries B.C.

All the foregoing points show that in the case of the Phoenicians one cannot really speak of globalization in the usual sense of the word. The Phoenicians did indeed spread their culture wherever they went to, as is clearly shown by the ubiquitous presence of their red-burnished slipped pottery and particularly their mushroom-lipped and trefoil-mouth jugs (Markoe 2000: 161). These pottery types are found in many areas of the Levant, North Africa, as well as in many southern Mediterranean regions – in short, they are found wherever the Phoenicians settled or wherever they had commercial relations. However, the spread of the Phoenician culture is not to be read as an imposition by the Phoenicians on the peoples they came into contact with because it is a well-known fact that the Phoenician material culture was itself heavily influenced by many characteristics stemming from the material culture of other people. Thus, for example, although the Phoenicians were very good stone masons, time and time again they exhibited clear Egyptian influence in their architecture. Such is the case with the so-called _urrieq Tower in Malta, which is a square building made of ashlar stones and which is topped by an Egyptian cornice. Such Egyptian influence on Phoenician architecture is found elsewhere in Malta and the Mediterranean region (Hölbl 1989: 149-150). A superb illustration of how the Phoenicians took their culture wherever they went without actually imposing it on others but actually demonstrating that they were open to other cultures, is provided by a papyrus fragment from Tal-Virtù, Rabat, in Malta. This piece of papyrus was found in an amulet holder in a Phoenician tomb, and it has an inscription in ink on it in Phoenician letters dating to the sixth century B.C. The interesting thing is that on the papyrus there is a drawing in ink of Isis, the well-known Egyptian goddess who was, amongst other

things, the protectress of the dead. Indeed, it is now known that the Phoenician person or persons who wrote this inscription in their own tongue were very much open to Egyptian culture since the wording of the inscription echoes phrases and ideas from various Egyptian writings. Indeed in the inscription from Tal-Virtù, Isis could be viewed as exhorting a number of beings, who were probably gods and goddesses acting as her allies in her fight against the enemy of the sun god (Hölbl 1989: 121), to destroy this enemy who tried to block the journey of dead people over the waters into eternity. It is known from Egyptian literature that the enemy of the sun god was the monster Apophis (or perhaps monster Seth mentioned in the myth of Horus), and that his aim was precisely that of hindering dead people from reaching their eternal abode (Hölbl 1989: 116-121; 123). The Tal-Virtù inscription echoes phrases and concepts from different Egyptian literary sources stemming from different periods, with the closest parallels coming from the book of Apophis, which consists of a collection of magical spells dating to the New Kingdom period. Those addressed as the courageous ones in the Tal-Virtù inscription turn out to be the various gods and goddesses mentioned in the book of Apophis, amongst whom there is Isis herself (Hölbl 1989: 121 and references there). In view of this I think that it is thus likely to view Isis in the Tal-Virtù inscription not as the one who is speaking, but as one of those who are being addressed, and that this allows for another interpretation of who those addressed are, namely Isis and her entourage of deities, who are being begged to destroy Apophis in favour of the deceased person. In the case of the Book of the Dead, the dead person himself played the role of the victorious sun god who defeated Apophis (Hölbl 1989: 120). Such cross-cultural interactions were very common during the period of Phoenician expansion in the Mediterranean, and they are also splendidly exemplified by a Phoenician type of pottery known as 'black-on-red' or Cypro-Phoenician ware which in Palestine dates from the tenth to the eighth centuries B.C. (Crée 1991: 97). This pottery appears in three different traditions, which are reflected in its production on Cyprus, in Philistia, and in Phoenicia proper (Markoe 2000: 161). The examples adduced here show that in the case of the Phoenicians, globalization is clearly not synonymous with exploitation and cultural imperialism.

The example of the Neo-Assyrian Empire during its heyday in the eighth and seventh centuries B.C. and that of the Phoenicians during the first half of the first millennium B.C. provide us with two different types of dominant cultures. I have dwelt somewhat more at length on the example of the Phoenicians because, as I shall show below, it can help us gain some insights into how we could heal the ugly and negative aspects of globalization today. The case of the Neo-Assyrian Empire shows how a dominant group who impose their policies and their culture by military might end up by ruling ruthlessly over others to the point of even erasing certain ethnic groups from the map. It is self-evident that this is wrong because such a type of dominant culture leads to a globalization which is tantamount to cultural imperialism

in the most negative sense that the dominant group views others not only as different but also as inferior. The example of the Phoenicians provides us with a different state of affairs. Although they spread their culture in many areas of western Asia, all along the North African shore, as well as in most of the Mediterranean lands, the Phoenicians were themselves very much open to other cultures to the extent that their own culture can be called 'electic' as shown by the examples adduced above. Indeed in the western Mediterranean, the Phoenicians are firstly identified 'by art objects that show the remarkable oriental eclectic style, often in combination with high standards of craftsmanship' (Geus 1991: 11-12). This clearly shows that we are here dealing with a case of cross-cultural influences rather than with the domination of one culture over that of other groups or nations. The case of the Phoenicians is particularly interesting in that it paradoxically demonstrates that the culture which they spread was not dominant in the usual sense of the word because, in spreading an eclectic culture, they succeeded in spreading a culture which they helped to forge on the basis of inter-cultural relations and the mutual respect between different ethnic groups. Indeed, this is so true that in the case of the Phoenicians it becomes even harder than usual to infer ethnicity on the basis of the material culture alone. They succeeded in spreading their eclectic culture through a network of trade which they had all over the Mediterranean and most of western Asia, and which they conducted peacefully. In this sense, they did not impose globalization through military or cultural imperialism; on the contrary, they produced a standard type of culture with which other ethnic groups could identify and which was simultaneously more than the sum of different cultures pasted together. In brief, the Phoenicians set up a type of humane globalization.

It is now time to turn our attention once again to our contemporary world. The current cultural scenario which was briefly described and discussed above in view of the principles and analyses generally agreed to by anthropologists and sociologists, as well as the two different types of globalization from the ancient world which were presented, should help us to reflect better on the globalization and the dominant cultures of today. It is a commonplace that the dominant culture or cultures today worldwide are those of western civilization and this has led to a globalized economy and culture which is often seen by many as a type of economic and cultural imperialism. Indeed, it is no secret that the United States of America constitute the dominant culture today and that through economic power, trade, and information technology they have influenced many other cultures all over the world. Such a type of globalized culture can have negative effects on many, since it is seen by them as an imposition by the west on other people, for example on those millions of people who embrace Islam. As it was already shown above, an indiscriminate type of globalization can lead to extreme reactions such as terrorism, and the best way forward is to ensure that there will be a just distribution of wealth and that steps are taken

so that everybody is included in the new type of wealth which is being generated. As far as the cultural imperialism which stems from a global culture is concerned, the above-mentioned glocalization is one step in the right direction - albeit a small one - since it purports to take into consideration the local hallmarks of a culture rather than simply imposing indiscriminately the dominant culture of today on other people.

However, glocalization and the long-term planning of a more equitable distribution of wealth on their own do not provide long-lasting solutions to the negative effects brought about by globalization. A more profound type of solution is needed, and I suggest that this can be found in the fostering of better human relationships both on the individual and the social level. This is something which seems obvious, but which is in fact often forgotten. It is ultimately based on the values which different people hold dear to themselves. If we were to simplify the problems accruing from a crude type of globalization, we could say that we have two opposite cultural camps, namely the West and the East: the former can be symbolized by the United States of America, whereas the Islamic world can stand for the latter. The reason why I chose the Islamic world to stand for the camp which is antithetical to the West is because I think that in fact Islam is the most vibrant culture of the non-western world and this is owing to its religious hegemony. For the purposes of this study, I shall not take into consideration the fast-emerging nations such as China and India.

The East views the West as being too materialistic and irreligious, whereas the West thinks that the East is outmoded, fundamentalist, and religiously fanatic. It is clear that in such a context, it is inevitable that these two cultural groups are bound to be at loggerheads. To make things worse, the West tends to impose its culture on the East in a context of a globalized economy where millions of people do not share in any of the economic growth which benefits the few. In such a scenario, we need to turn to human relationships as the key to bridging the cultural divide between the two camps.

It was already shown above that dominant groups tend to view others not only as different but also as inferior. Such a negative attitude is based on prejudice, and this attitude can only be eradicated if all cultural groups within a society and between different societies and nations were to look at each other as being truly equal. This means that when it comes to our globalized world, the dominant groups will have to keep in mind the fact that all other cultures are simply different to theirs and not inferior. This demands that relations at both the individual and international level be based on mutual respect.

Such respect cannot be fostered, unless different cultural groups talk to each other and try to understand each other. In brief, today's global culture will be marred by inhumane characteristics which bring suffering to many, even on the economic level, unless the value of dialogue is fostered. This too seems commonsensical and obvious, but just as in the case of mutual

respect, dialogue is in fact rare. Indeed, we often witness 'polarized debate', but not genuine dialogue (Gerzon 2006: 170). Real dialogue implies mutual respect, an attitude to learn from one another, and a deep passionate love for the truth. If the West and the East were to enter into a true dialogue, they would learn much from each other, prejudices would be overthrown, and a better appreciation of each other would be reached. Indeed the value of dialogue is as important as ever in our globalized world, and without it the latter would turn into a machine of oppression and disrespect of many people. Both camps need to sit down and hold honest conversations with each other. Indeed, in any form of dialogue the aim is not that one individual or group win and dominate over the others, but that all those involved learn from each other and gain one step further closer to the truth. In a real dialogue there are no winners, in the sense that everybody wins. In fact, 'a dialogue is something more of a common participation, in which we are not playing a game against each other but with each other. In a dialogue, everybody wins' (Justice and Jamieson 2006: 189). Dialogue can turn out to be one great antidote against the poison of inhuman globalization; in fact, 'just as dialogue can serve a single state, or a specific corporation, so can it serve the wider world. Never before in human history has there been a greater need for global dialogue to deal with the global issues we now face' (Gerzon 2006: 172).

It is clear that dialogue cannot succeed, unless we learn each other's language, at least in the sense of being aware that other cultures are different to ours. In one word, we need to have cultural awareness of other groups and nations. Applied to the West and the East, this means that the West must be culturally aware of the East and vice-versa. Even in the field of nutritional education, cultural awareness can be defined as 'the process of becoming aware of our own learning biases and prejudices toward other cultures through self-assessment, while being aware of the beliefs, values, practices, lifestyles, and problem-solving strategies of other groups' (Contento 2007: 455). If different individuals and groups make an effort to grow in cultural awareness, they will become culturally sensitive learning how to see others and their culture as different without passing any judgement as to whether these differences are good or bad (Contento 2007: 455). It is clear that cultural awareness is better achieved if it is linked to a study of the language spoken by the group whose culture one is trying to understand. It is a commonplace that each language has its own idioms, turn of phrases, and vocabulary which are intrinsically linked to the way its speakers view the world. In this sense, it can be claimed that one very important aim of the study of modern languages is to achieve cultural awareness (Byram, Morgan, and colleagues 1994: 75 and reference there). If the West and East were to make a true effort at gaining cultural awareness of each other and at studying each other's language, much more progress in dialogue could be achieved. I am convinced that many contemporary political problems of the Middle East occur because the dominant nations of the West have not made an effort at gaining sufficient

cultural awareness, in the broadest possible sense of the word, of the peoples and cultures of this region.

If the West and the East both succeed in gaining a sufficient cultural awareness of each other, the ground will be laid for there to be authentic trading relations where no economic power dominates any other nation. Such a situation would be ideal, for the simple reason that trade will in fact take place between equal partners who understand that their respective cultures are different and that this does not mean that any one partner is in any way inferior to the other. In this case, the ugly and inhumane face of globalization would disappear, and instead there would be a global culture which would not be tantamount to the domination of one group over another, but which would be the result of a dissemination of a culture stemming from authentic dialogue, cultural awareness, authentic mutual respect, and intercultural relations just as in the case of the Phoenicians discussed above. This would obviously be a far cry from emulating the example of the Neo-Assyrian Empire which imposed a globalized economy and culture via a ruthless military machine.

The aforementioned values of mutual respect, dialogue, cultural awareness (including the study of modern languages of other nations), and trade based on the equality of the trading partners and not on the domination of one over the other, are probably the best antidotes against the negative aspects of a global culture which is often understood as the imposition of the culture of the dominant groups at a given moment in time. These values are within the reach of every human being, and I think that it is rational to endorse them. However, they are probably even better understood and accepted by those (both in the West and in the East) who subscribe to another important value, namely that of a religious belief. For the believer, whether Christian, Jew, or Muslim, the aforementioned values can be subsumed under the value of love and this means that the way forward is that of dialogue on all levels, not least that of religious dialogue. This is not the place to delve into the problem of such a type of dialogue, but it is interesting to note that the value of love constitutes a first important bridge which can aid the dialogue between the Christian and the Muslim faiths, and thus between the West and the East; indeed, 'the God of the Muslims is all-pervading, as is the Tao, but incorporates the love that Jesus preached' (Hausen 1996: 90). In such a scenario, the global cultural scene will be characterized by mutual respect and understanding and not by domination. The ideal is that no single culture wins but that we all win, and such a global human victory can be achieved if we all remember what one very hospitable Palestinian woman in the occupied west bank had told me many years ago, 'we are all sons of Adam, whether Palestinians, Jews, Turks, or British; we should live in peace.' Her point was that peace can be achieved, if we remember that we are one big human family made up of different groups each having their own culture with no single group dominating and viewing as inferior any other group. In brief, it is all about intercultural relations, and not about domination.

References

Aubet, María Eugenia Semmler. 2000. Phoenician Trade in the West: Balance and Perspectives, in, Marilyn R. Bierling, translator and editor, The Phoenicians in Spain: an archaeological Review of the eighth-sixth centuries B.C.E.: a Collection of articles translated from the Spanish, Winona Lake, Indiana: Eisenbrauns, 97-112.

Byram, Michael, Morgan, Carol, and Colleagues. 1994. Teaching-and-Learning: Language-and-Culture, Clevedon, Philadelphia/Adelaide: Multilingual Matters Ltd.

Ciasca, A. 1995. Malte, in, Véronique Krings, ed., La Civilisation phénicienne et punique: Manuel de Recherche, London/New York/Köln: E.J. Brill, 698-711.

Contento, Isobel R. 2007. Nutrition Education: Linking Research, Theory, and Practice, Sudbury,MA/Missisauga,Ontario/London,UK: Jones and Bartlett Publishers

Crée, F. de. 1991. The Black-on-Red or Cypro-Phoenician Ware, in, E. Lipi_ski, ed., Phoenicia and the Bible: Proceedings of the Conference held at the University of Leuven on the 15th and 16th of March 1990, Leuven: Departement Oriëntalistiek and Uitgeverij Peeters, 95-102.

Frendo, Anthony J. 1993. Some Observations on the Investigation of the Phoenicians/Canaanites in the ancient Mediterranean, Journal of Mediterranean Studies, 3: 169-174.

Gallopin, Gilberto C., and Raskin, Paul D. 2002. Global Sustainability: Bending the Curve, London: Routledge.

Gerzon, Mark. 2006. Leading through Conflict: How successful Leaders transform Differences into Opportunities, Boston, Massachusetts: Harvard Business School Press.

Geus, C.H.J. de. 1991. The material Cutlure of Phoenicia and Israel, in, E. Lipi_ski, ed., Phoenicia and the Bible: Proceedings of the Conference held at the University of Leuven on the 15th and 16th of March 1990, Leuven: Departement Oriëntalistiek and Uitgeverij Peeters, 11-16

Hausen, E. 1996. Human History at the Crossroads: Where do we go from here?, Westport, CT: Bergin and Garvey.

Hölbl, Günther. 1989. Ägyptisches Kulturgut auf den Inseln Malta und Gozo in phönikischer und punischer Zeit: die Objekte im archäologischen

Museum von Valletta (Anhang von Karl Becherer: Untersuchung des Materials der unfertigen ägyptischen Statue in Valletta), Wien: Verlag der österreichischen Akademie der Wissenschaften.

Justice, Thomas, and Jamieson, David W. 2006. The Facilitator's Fieldbook: Step-by-Step Procedures, Checklists and Guidelines, Samples and Templates, New York, NY: Amacom.

Khurt, Amélie. 1995. The Ancient Near East: c. 3000-330 B.C., 2 vols., London/New York: Routledge.

Lechner, Frank J. 2004. Global Fundamentalism, in, Frank J. Lechner and John Boli, ed., The Globalization Reader, 2nd edn, Oxford: Blackwell Publishing Ltd, 326-329.

Lewellen, Ted C. 2002. The Anthropology of Globalization: cultural Anthropology enters the 21st Century, Westport, CT: Bergen and Garvey.

Manley, Bill. The Penguin historical Atlas of ancient Egypt, London: Penguin Books.

Markoe, Glenn E. 2000. Phoenicians, London: British Museum Press.

Niemeyer, H.G. 1995. Expansion et Colonisation, in, Véronique Krings, ed., La Civilisation phénicienne et punique: Manuel de Recherche, London/ New York/Köln: E.J. Brill,247-267.

Reyes, A.T. 1994. Archaic Cyprus: a Study of the textual and archaeological Evidence, Oxford: Clarendon Press.

Silbey, Susan. 2006. Globalization, in, Bryan S. Turner, ed., The Cambridge Dictionary of Sociology, Cambridge: Cambridge University Press, 245-248.

Stanley, William B. 1992. Curriculum for Utopia: social Reconstructionism and critical Pedagogy in the postmodern Era, Albany: State University of New York.

Young, Iris Marion. 2000. Five Faces of Oppression, in, Maurianne Adams, Warren J. Blumenfeld, Rosie Castañeda, Heather W. Hackman, Madeline L. Petus, and Ximena Zúñiga, ed., Readings for Diversity in social Justice, London/New York: Routledge, 35-49.

✷✷✷✷

المشهد الثقافي العالمي والثقافات السائدة فيه

البروفيسور أنتونيو فريندو

ملخص البحث

يتفق علماء البيولوجيا وعلم الاجتماع بشكل عام على أن الثقافة تتكون من العوامل غير البيولوجية والتي يرثها البشر من بعضهم بعضًا في المجتمع وبناء عليه فإن اللغة، والموسيقى، والعادات، والتقاليد ووصفات الطبخ كلها لها وظيفة رمزية مهيمنة. وإن الثقافات المتعددة التي يمكن أن توجد في مجتمع واحد وفي أمم مختلفة لا تعيش بانسجام دائم مع بعضها بعضًا، وهذا يعود إلى أن الثقافات المهيمنة عادة ما تنظر إلى الثقافات الأخرى على أنها ليست فقط مختلفة بل أقل تقدماً أو متأخرة عن الجماعات المهيمنة، وعادة ما تفرض ثقافتها على الجماعات والأمم الأخرى وذلك لاعتقادها بأن تجربتها تمثل تجربة البشرية بأكملها، إن هذه الامبريالية الثقافية قد فسرت على أنها شكل من أشكال استعمار ما بعد الحداثة حيث إن الأمم المهيمنة تسيطر على " الوعي" و"الاستهلاك" عند الشعوب بدلاً من السيطرة على الأرض ، الدولة، أو المؤسسات السياسية. رغم هذا الواقع، ومن الضروري أن نتذكر أن الجماعات المهيمنة لا تفرض دائماً ثقافتها على الآخر بهذه السهولة والبساطة، فالآخر له حرية الاختيار معطياً معنىً رمزياً جديداً لما قد يختاره من الثقافة المهيمنة. فعلى سبيل المثال ، يمكن لجهاز التلفاز أن يشكل جزءاً من جهاز أو مهر العروس بدلاً من من أن يكون وسيلة اتصالات كما أرادته أن يكون الجماعات المهيمنة. إن للثقافات المهيمنة أثراً كبيراً على بعض الأشخاص غير المدركين ، فتأثرهم بالأجنبي قد يفقدهم الكثير من خصائص الثقافة الأم . وباختصار فإن هذا يعني بأن الظاهرة المعروفة بالعولمة هي بشكل رئيسي ظاهرة سلبية، وما يطلق عليها "بالعولمحلية" وهو تعبير أو تسمية جديدة نابعة من "العولمة" و"المحلي" بالإشارة إلى محاولة أمم مختلفة أن تضفي الطابع المحلي أو الوطني على بضائع عالمية وهذا بالطبع لا يشكل حلاً للمشكلة.

سوف نتفحص مثالاً من الماضي من أجل تفهم أفضل لبعض أسباب النتائج السلبية للعولمة. إن الامبراطورية الآشورية الجديدة في القرنين الثامن والسابع ما قبل الميلاد والتوسع الفينيقي الغربي في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط في نفس الحقبة التاريخية يمثلان محاولتين مختلفتين بشكل جذري للعولمة. أما في حالة الامبراطورية

الآشورية الجديدة فقد أثبتت أن تيار العولمة في معظم مصر وغرب آسيا في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، كان تياراً قبيحاً ووحشياً مما أدى في النهاية إلى الاستعمار العسكري . من الناحية الأخرى، في الحالة الفينيقية ، فقد اكتسب مفهوم العولمة بعداً آخر فلم يقدم الفينيقيون على فعل ما فعلت الجماعات المهيمنة ، فلم يفرضوا ثقافتهم على المناطق التي استقروا فيها في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد. وفي هذه الحالة، فإن العولمة لا تعد مرادفاً لمفهوم الامبريالية الثقافية رغم أن الفينيقيين كانوا قد نشروا ثقافتهم في آسيا الغربية وعلى شواطىء شمال إفريقيا ومعظم أراضي البحر الأبيض المتوسط وتقبلوا بصدر رحب الثقافات الأخرى إلى حد جعل ثقافتهم إكلكتيكية تقريباً. فقد نشروا ثقافتهم عبر التجارة بكل سلام وبعيداً عن العنف وخلافاً للآشوريين الجدد، فالفينيقيون لم يعرفوا العولمة عن طريق الخيار العسكري أو الامبريالية الثقافية .

يبين هذا أنه من الممكن خلق نوع إنساني من العولمة يتجاوز فكرة التخطيط طويل الأمد من أجل التوزيع العادل للثروة ، فهذا يشكل فقط خطوة أولى جيدة، لكن من أجل خلق عولمة إنسانية يجب رأب الصدع بين الغرب والشرق (الولايات المتحدة الأمريكية والعالم الإسلامي) فنحتاج إلى حل أكثر عمقاً، وأعتقد أن ذلك الحل يكمن في دعم العلاقات الإنسانية على المستوى الفردي والاجتماعي ولكن الوضع الحالي بعيد كل البعد عن العلاقات الطيبة بين الأمم، فالشرق يرى في الغرب مجتمعاً مادياً علمانياً إلى أبعد الحدود ، بينما الغرب يعتقد أن الشرق متخلف ومتطرف دينياً ، ومما يزيد الطين بلّة هو أن الغرب يفرض ثقافته على الشرق من خلال العولمة الاقتصادية.

على الجماعات المهيمنة أن تعتبر الثقافات الأخرى مجرد ثقافات مختلفة وليست أقل تقدماً أو متخلفة ليصبح العالم مكاناً تعيش فيه الأمم على قدم المساواة، وهذا يتطلب أن تكون العلاقات الغربية و العالمية الدولية مبنية على مبدأ الاحترام المتبادل والذي يتطلب أن تتواصل الجماعات الثقافية المختلفة من أجل فهم بعضهم بعضًا، فالحوار مهم جداً، ومن غيره لا يمكن أن يكون هناك وعي ثقافي. إن العلاج الفعال للنواحي السلبية للعولمة الثقافية هو الحوار، والاحترام المتبادل ، و الوعي الثقافي (وهذا يشمل دراسة لغات الأمم الأخرى)، والتجارة المبنية على المساواة. وهذه القيم يغنيها الدين، فقيمة الحب قيمة مشتركة بين الدين الإسلامي، والمسيحي، واليهودي، وبناءً على ذلك يمكن للهيمنة الثقافية أن تتحول إلى علاقات ما بين الثقافات المختلفة، حيث تتعامل جميع الأطراف باحترام ومساواة.

✱✱✱✱

The global cultural scene and The dominant cultures

Anthony J. Frendo

Abstract

Anthropologists and sociologists generally agree that culture consists of all the non-biological things which humans inherit from each other in any given society, and that therefore things like language, music, customs, traditions, and food recipes all have a substantial symbolic function to play. The various cultures which can be found in one society as well as in different nations are not always in harmony with each other. This is largely due to the fact that those groups who are dominant tend to view other cultures not only as different, but also as inferior. Indeed, the dominant groups tend to impose their own culture on other groups or nations mainly because the former present their own experience as if it were that of all humanity. Such cultural imperialism has been explained as a form of postmodern colonialism in the sense that the dominant nations control the 'consciousness' and 'consumption' of other people rather than their land, states, or political organizations. Despite such a state of affairs, it is also important to remember that the dominant groups do not always simply impose their culture on other groups. Indeed, the latter actually still feel free to pick and chose those items which suit them best and to which they can impart a new symbolic meaning, such as in the case of a TV set which is 'transformed' into a prestige item for 'dowry or bride price' rather than function as a means of communication as originally envisaged by the dominant groups. Notwithstanding this, the dominant culture exercises such a great influence on particular people that one wonders whether the latter are fully conscious of the fact that their very act of absorbing 'foreign' influence can actually delete many of the characteristics of their local culture. In brief, this means that the well-known phenomenon of globalization turns out to be mainly a negative phenomenon, and that the so-called 'glocalization', which is a new term stemming from globalization and localization to indicate the customization for different nations of products which are produced globally, does not really solve the problem.

In order to better understand some of the reasons which account for the negative results of globalization, two examples from antiquity are examined.

The Neo-Assyrian Empire in the eighth and seventh centuries B.C. as well as the Phoenician expansion westwards into the Mediterranean region around the same period of time present two very different attempts at globalization. The case of the Neo-Assyrian Empire shows that the globalization current in most of Egypt and western Asia in the eighth and seventh centuries B.C. was brutal, ugly, and ultimately the result of military imposition. On the other hand, the example of the Phoenicians shows that in their case one cannot speak of globalization in the usual sense of the word. They did not in fact act the way dominant groups generally do, for they did not impose their culture on the people they found in the areas they settled in during the eighth and the seventh centuries B.C. Indeed, the examples adduced in this paper indicate that in the case of the Phoenicians, globalization is not synonymous with exploitation and cultural imperialism. Indeed, although the Phoenicians spread their culture in many areas of western Asia, all along the North African shore, as well as in most of the Mediterranean lands, they were themselves very much open to other cultures to the extent that their own culture can be called 'eclectic'. They spread their culture through a network of trade which they had all over the Mediterranean and most of western Asia, and which they conducted peacefully. Contrary to the Neo-Assyrians, the Phoenicians did not impose globalization through military or cultural imperialism.

These two examples from antiquity show that it is possible to create a humane type of globalization which goes beyond simply concentrating on the long-term planning of a more equitable distribution of wealth. The latter solution is a first good step forward. However, for there to be a humane type of globalization and in order to heal the rift between the West and the East (the former symbolized by the United States of America and the latter by the Islamic world), we need a more profound type of solution, and I suggest that this can be found in the fostering of better human relationships both on the individual and the social level. The current state of affairs is a far cry from such good relationships: the East views the West as being too materialistic and irreligious, whereas the West thinks that the East is outmoded, fundamentalist, and religiously fanatic. To make things worse, the West tends to impose its culture on the East in a context of a globalized economy where millions of people do not share in any of the economic growth which benefits the few.

In order to create a world where all nations are on a par, it is important

that the dominant groups keep in mind the fact that all other cultures are simply different to theirs, and not inferior. This demands that relations at the both the individual and international level be based on mutual respect, which cannot be fostered unless different cultural groups talk to each other and try to understand one another. Indeed dialogue is crucial, for without it there can be no mutual cultural awareness. The values of mutual respect, dialogue, cultural awareness (including the study of modern languages of other nations), and trade based on the equality of the trading partners and not on the domination of one trading partner over the other, are probably the best antidotes against the negative aspects of a global culture, which often turns out to be the imposition of the culture of the dominant groups on others. These values are enhanced by the value of religious belief, where the value of love runs as a common thread in the Jewish, Christian, and Muslim religions. This is what can transform cultural domination into intercultural relations, where every group is respected and given its rightful place.

✲✲✲✲✲

رئيس الجلسة

شكرًا جزيلاً للدكتور أنتونيو فريندو. والآن ننتقل إلى الرؤية النقدية من خلال الزميلين الدكتور هشام مصباح والدكتور جوزيف مايلا. ونبدأ مع الدكتور هشام مصباح الأستاذ المساعد في قسم الإعلام – جامعة الكويت فليتفضل..

د. هشام مصباح

شكرًا وأبدأ قراءة بحثي في الخمس عشرة دقيقة المتاحة..

✲✲✲✲

المشهد الثقافي العالمي المعاصر:

قراءة نقدية ورؤية مستقبلية

د. هشام مصباح

يضم المشهد الثقافي العالمي حالياً مزيجًا فريدًا من التداخلات والتفاعلات التي لم تعهدها البشرية خلال مسيرتها الطويلة، إذ بدأت الثقافات المحلية في التآكل والتكيف مع الثقافة العالمية التي وجدت طريقها عبر الاقتصاد، ووسائل الإنتاج، ووسائل الاتصال، وباتت «الذاتية الثقافية « تعبيراً رومانسيًا لا ينسجم مع روح العصر التي اختصرت المسافات، ووحدت أنماط الإنتاج والاستهلاك والتعليم في العالم، ونقلت السيطرة ورسم السياسات من الحكومات إلى الشركات العالمية متعددة الجنسية، فصار الناس على اختلاف جنسياتهم ولغاتهم ومناخهم يأكلون أطعمة لا ترجمة لها في ألسنتهم المحلية، ويشاهدون نفس الأفلام، ويستمعون إلى أغانٍ بعينها، ويتسابقون إلى إتقان اللغة العالمية الحالية (الإنجليزية أو Lingua Franca العصر) على حساب معرفتهم بلغتهم الأم، وبدأ «الخارج» ينتقل إلى «الداخل» تدريجياً، وبدأ «الداخل» في التحور ليتكيف مع «الخارج»، وانطلق الحديث التشاؤمي عن «صراع الثقافات» الذي توقعه صمويل هنتنجتون نتيجة الاختلافات الدينية واللغوية بين الحضارات العالمية السبع التي حددها وما يمكن أن ينجم عن حرب عالمية ثالثة مدمرة. وصدرت أيضاً نظرة تفاؤلية قدمها «فوكوياما» في حديثه عن كمال النموذج الديمقراطي الغربي الذي ما إن يسود حتى ينتهي الصراع من العالم؛ ومن ثم ينتهي التاريخ.

وما بين هذه التحولات الثقافية – أو بالأحرى الاندماجات الثقافية – والصراعات المتوقعة بين الحضارات يقف العرب في مفترق طرق، أو في مرحلة رمادية انتقالية ما بين البداوة والحداثة، وما بين الاستبداد والديموقراطية، وما بين الانغلاق على الذات والانفتاح

على الآخر، وما بين نموذج الدولة الأبوية البسيطة ونموذج الدولة الحديثة ذات التنظيم السياسي والإداري المعقد. وفرضت واقعة تدمير برجي التجارة العالمية في الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ الكثير من التعقيد، إذ أصبح العرب محل اتهام وريبة، ووجدت الثقافة العربية نفسها في محل استدعاء كل رموز التسامح وقبول الآخر دينيّاً واجتماعيّاً واقتصاديّاً، وذلك خوفاً من العزلة، أو الاتهام، أو حتى الحصار وما يمكن أن يفرضه من مواجهة لسنا مستعدين لها.

وتحاول هذه الورقة رسم المشهد الثقافي حاليّاً في العالم، ووضع تصور لعلاقة الثقافة العربية بهذا المشهد، و طرح رؤية مستقبلية للعلاقة بين هذه الثقافة مع العالم حولها.

المشهد الثقافي العالمي

شهد القرن العشرون تحولات كبرى في كلٍّ من طبيعة العلاقة بين القوى السياسية والحضارية في العالم، وطبيعة الصراع الذي نشأ بينها؛ فمع نهاية الحرب العالمية الأولى نحت القوى الاستعمارية المنتصرة نحو تقسيم مناطق النفوذ والمصالح خدمةً لأهداف اقتصادية في الأساس، واستمر الصراع بين القوى الكبرى ناشئاً من تضارب المصالح الاقتصادية والرغبة في تأمين طرق التجارة ومنابع المواد الخام والسعي الدؤوب نحو فتح أسواق جديدة والحصول على العمالة الرخيصة، إلا أن نجاح الثورة الشيوعية البلشفية عام ١٩١٧ مهد الطريق أمام كلٍّ من الثقافة والأيديولوجيا لتختلطا بالسياسة في حقبة ما بين الحربين العالميتين، وتؤثرا على العلاقات بين الدول الكبرى المنتمية للحضارة الأوربية الغربية. ومع نهاية الحرب العالمية الثانية بدت العلاقات الدولية أكثر تأثراً في ما عرف بالحرب الباردة التي شهدت تقسيماً للعالم بناء على الفكر والتوجه ما بين الشيوعية والرأسمالية، ومثل بناء سور برلين عام ١٩٦٣ التجسيد المادي لهذ الصراع بين المعسكر الشرقي ممثلاً في حلف وارسو والمعسكر الغربي متمثلاً في حلف شمال الأطلنطي.

ومع هدم سور برلين عام ١٩٨٩ وتفكك الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩١ انتهت حقبة الحرب الباردة، وخرجت الولايات المتحدة قوةً عظمى وحيدة في العالم اقتصاديّاً وعسكريّاً،

ودليلاً على صواب النظرية الرأسمالية بما تحمله من قيم ليبرالية، ونموذجًا حضارياً للنجاح تتطلع إليه الحضارات الأخرى، وهو الإحساس الذي بدأ ينمو بقوة لدى الأمريكان وانعكس على الثقافة الأمريكية المفعمة بالثقة والتفاؤل منذ منتصف القرن العشرين، وظهرت كتابات كثيرة تحمل هذا النفس؛ مثل « كوماجر» (Commager 1950) الذي أشار إلي أنه «لا شيئ» في التاريخ نجح مثل أمريكا، وكل أمريكيٍّ يعرف هذه الحقيقة» (ص٥)، كما طرح «كرولي» (Croly 1965) أن «أمريكا في خاطر الأمريكيين هي الأرض الموعودة، وأن الأمريكيين يعتقدون أنه على نحوٍ ما، وفي وقتٍ ما، فإن أمراً ما أفضل سيحدث للأمريكيين (الطيبين) على نحو لم يحدث للبشر في أي بلدٍ آخر» (ص٣).

وبدأت مفاهيم العولمة تسود العالم على نحوٍ غير مسبوق، إذ خلف عصرٌ جديد من التفاعل والاندماج الذي تجاوز الحدود القومية وأسس ما اصطلح على تسميته بالقرية العالمية التي تعني شيوع أنماط مشتركة من الإنتاج والاستهلاك والتعليم، أو نشأ ما وصفه «روبرتسون» (Robertson 1992 ، ص٨) بضغط العالم وتكثيف الوعي بالعالم باعتباره كياناً واحداً.

وتمثل الحضارة الغربية الرافد الأساسي للعولمة، إذ تمثل النظرية الديمقراطية الوجه السياسي للعولمة، في حين يتمثل الوجه الاقتصادي للعولمة في الرأسمالية وحرية انتقال السلع ورأس المال، أما البعد الثقافي للعولمة فيتمثل في اللغة الإنجليزية الأكثر انتشاراً في العالم، وقيم المجتمع الغربي، ومن ثم فإن الحضارة الغربية في المشهد الثقافي العالمي الحالي هي الثقافة العالمية التي تمتزج بالثقافات المحلية وتؤثر فيها بدرجات متفاوتة تبعًا لعوامل سياسية واقتصادية وثقافية تتباين من مجتمع لآخر. هذه «الشيوعية الثقافية» هي النتاج للانتصار السياسي الذي أحرزه الغرب في الحرب الباردة، كما أنها نتاج التقدم المضطرد علميّاً وتعليميّاً.

وتبوأت الولايات المتحدة موقع الصدارة من الحضارة الغربية المعاصرة، يدعمها اقتصاد ضخم وإجمالي ناتج قومي يتجاوز الثلاثة عشر تريليون دولار سنويّاً، وهو ما يمثل حوالي ثلث إجمالي الناتج القومي لدول العالم كله، ويشير الاقتصاديون إلى وجود ما

يسمى بنادي التريليون الذي يضم الدول التي يبلغ إجمالي ناتجها القومي السنوي التريليون دولار أو يتجاوزه، ويضم هذا النادي ثماني دول هي: الولايات المتحدة، واليابان، وألمانيا، وبريطانيا، وروسيا، وفرنسا، وإيطاليا، والصين. إلا أن إجمالي الناتج القومي للولايات المتحدة بمفردها يعادل مجموع إجمالي الناتج القومي لبقية الدول الأعضاء في نادي التريليون.

هذه القدرة الاقتصادية لا تأتي من الفراغ ولا تذهب إلى الهباء؛ بل تترجم إلى قيادة وهيمنة سياسية وثقافية تتجاوز حدودها القارية لتشمل الكرة الأرضية، وذلك بمشاركة فاعلة من حليفيها الرئيسيين: بريطانيا وفرنسا. ونظرة سريعة لتوزيع المقدرات الثقافية والإعلامية في العالم توضح لنا من أين تأتي الغلبة الثقافية للحضارة الغربية على بقية الحضارات في عالمنا اليوم؛ فالوكالات الإخبارية العالمية الأربع الكبرى التي تسيطر على حركة الأخبار والصور الإخبارية والأخبار التليفزيونية وأخبار الاقتصاد والأسواق المالية تنتمي اثنتان منها للولايات المتحدة (الآسوشيتدبريس واليونايتدبرس إنترناشيونال)، وواحدة بريطانية (رويترز)، والرابعة فرنسية (أ.ف.ب). إي إن التدفق الإخباري العالمي يتم من خلال هذا الثالوث حاملاً معه القيم الإخبارية الغربية ومركزاً على الغرب باعتباره مركز العالم فكريّاً وسياسيّاً، في حين تهمش الدول النامية وتختصر أخبارها في الحروب، والكوارث، والانقلابات، والمجاعات.

أما كبرى الشركات الإعلامية في العالم فتنتمي كلها للحضارة الغربية الغالبة، وتأتي على رأسها شركة (AOL Time Warner) التي نشأت نتيجة صفقة اندماج بلغت قيمتها ١٦٥ بليون دولار (أي ما يتجاوز إجمالي الناتج القومي السنوي للكثير من الدول النامية)، إذ اندمجت شركة أمريكا أون لاين مع شركة تايم وورنر في يناير عام ٢٠٠١، ووافق اتحاد الاتصالات الفيدرالي FCC على الاندماج، ليخرج إلى العالم عملاق إعلامي أمريكي يهيمن على سوق الأفلام الروائية، وأفلام الكارتون، ويقتني سلسلة ضخمة من الصحف المجلات ومحطات الراديو والتليفزيون وشركات الموسيقى. وحولت الشركة تركيزها من السوق المحلية الأمريكية إلى السوق العالمية، ففي العام ١٩٩٠ كانت نسبة أرباح شركة تايم وورنر

من السوق خارج الولايات المتحدة ١٥٪، وفي عام ٢٠٠٧ بلغت نسبة الأرباح الخارجية للشركة نفسها بعد اندماجها مع شركة أمريكا أون لاين أكثر من ٥٥٪.

وتضم قائمة كبرى الشركات الإعلامية في العالم _أو ما يسمى بعمالقة وسائل الإعلام Media giants مجموعة من الشركات الأوربية والأمريكية والأسترالية، مثل شركة فياكوم Viacom التي تهيمن على سوق الاتصالات في العالم، وتجاوزت أرباحها السنوية ٥٠ بليون دولار، وشركة والت ديزني الأمركية التي تملك أعلى نصيب في سوق أفلام الأطفال على مستوى العالم، وشركة «برتلسمان» Bertelsman، ثم تأتي شركة «فيفيندي» Vivindi الفرنسية، إضافةً إلى الشركة الإخبارية News Corp التي يملكها الملياردير الأسترالى «روبرت ميردوك».

وتعد ظاهرة الشركات الإعلامية العملاقة نتاجاً لعصر العولمة الذي جعل من العالم سوقًا واحدة، وهي ظاهرة بدأت في التبلور مع نهايات القرن العشرين، إذ ظل النشاط الإعلامي للشركات محلياً أو قوميّاً في الأساس حتى الثمانينيات من القرن العشرين، ولكن تحت ضغط من البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، ورغبةً في البقاء في ظل منافسات اقتصادية صعبة، بدأت الحكومات في إعادة صياغة تشريعاتها الإعلامية وتسهيل عملية الاندماج بين الشركات الإعلامية، والسماح بزيادة عدد المحطات والصحف التي تمتلكها الشركات، فظهرت إلى الوجود كيانات إعلامية ضخمة، وساعد على ذلك ظهور التكنولوجيا الرقمية التي ساهمت في زيادة كفاءة وجودة وسعة الاتصالات، لتصبح في النهاية هذه الشركات هي المسيطرة على سوق الترفيه والأخبار والاتصالات عبر العالم.

أما السوق العالمية للإعلانات فتقودها شركة RSCG الأوربية التي تمتلك ٢٣٣ مكتباً في ٧٥ دولة، وتنفذ الحملات الإعلانية لكبريات الشركات في العالم، وتليها شركة Ogilvy Mather & Worldwide التي تمتلكها مجموعة WPP العالمية. وبالتالي فإن الرموز والنماذج Icons الإعلانية تصمم وتنفذ من وجهة نظر وثقافة هذه الشركات الغربية وتوزع على بقية دول العالم، ليشاهد الجمهور «شاكيرا « بردائها الأحمر تروج للبيبسي في المكسيك والولايات المتحدة ومصر والمغرب، ثم تغير الفكر الإعلاني من حيث المضمون وليس من حيث

الإستراتيجية، فظهر اتجاه بين وكالات الإعــلان العالمية مؤداه «فكّر عالمياً، ونفذ محلياً Think globally and act locally أو مايعرف بالاتجاه المحلي العالمي Glocal في تصميم حملات الإعلان للمنتجات العالمية، لتظهر «شاكيرا « بردائها الأحمر في المحطات الغربية، وتحل محلها «نانسي عجرم « برداء مشابه على المحطات العربية.

وتستأثر شعوب الحضارة الغربية بأعلى معدلات استخدام الإنترنت في العالم، وتشير بيانات الجدول التالي الذي أعدته مجموعة «ميني واتس» للتسويق Miniwatts إلى أن نسبة استخدام الإنترنت بين سكان أمريكا الشمالية تبلغ ثلاثة أضعاف ونصف ضعف متوسط نسبة استخدام الإنترنت بين السكان في العالم كله.

جدول (١): معدلات استخدام الإنترنت في العالم

مناطق العالم	عدد السكان (تقديرات ٢٠٠٨)	عدد مستخدمي الإنترنت	معدل الانتشار بين السكان
أمريكا الشمالية	٣٣٧,١٦٧,٢٤٨	١٠٨,٠٩٦,٨٠٠	٧٣,٦٠٪
إستراليا	٣٣,٩٨١,٥٦٢	٧,٦٢٠,٤٨٠	٥٩,٥٪
أوروبا	٨٠٠,٤٠١,٠٦٥	١٠٥,٠٩٦,٠٩٣	٤٨,١٪
أمريكا اللاتينية	٥٧٦,٠٩١,٦٧٣	١٨,٠٦٨,٩١٩	٢٤,١٪
الشرق الأوسط	١٩٧,٠٩٠,٤٤٣	٣,٢٨٤,٨٠٠	٢١,٣٪
آسيا	٣,٧٧٦,١٨١,٩٤٩	١١٤,٣٠٤,٠٠٠	١٥,٣٪
أفريقيا	٩٥٥,٢٠٦,٣٤٨	٤,٥١٤,٤٠٠	٥,٣٪
إجمالي العالم	٦,٦٧٦,١٢٠,٢٨٨	٣٦٠,٩٨٥,٤٩٢	٢١,٩٪

ويشير الجدول أيضاً إلى أن معدلات استخدام الإنترنت في أمريكا الشمالية تتجاوز إجمالي معدلات استخدام الإنترنت في مناطق العالم النامي مجتمعة (أمريكا اللاتينية والشرق الأوسط وآسيا وأفريقيا).

ومـرة أخـرى تـأتي الولايات المتـحـدة فـي المرتبـة الأولى في العـالم من حـيث عـدد مسـتـخـدمي الإنترنت، وكـذلك من حيث عدد أجـهـزة الكمبـيوتر الخـادمـة Servers لديها (Foreign Policy 2007).

هذه الهيمنة الإعلامية للغرب طبعت العالم بسمات ثقافية واقتصادية متجانسة، ومن ثمـ أظهرت نتيجة التصنيف الـذي أجـرته مجلـة Foreign Policy بالتعـاون مـن مؤسسة T.A. Kearney عـام ٢٠٠٧ أن الدول الأكـثـر اسـتـحـوذا على مـؤشـرات العـولمة لا تنتـمي للحضـارة الغربية فقط؛ فقد حدد القائمون بالتصنيف أربعة مؤشرات أساسية لقياس انتشار العولمة في الدول:

١- المشاركة السياسية: وتشمل المساعدات الخارجية التي تقدمها الدولة، وعدد المعاهدات الدولية التي وقعت عليها، والمنظمات الدولية التي تشارك فيها، والقوات التي تشارك بها في حفظ السلام.

٢- الاتصالات الشخصية: وتشمل المكالمات الهاتفية، والسفر، والتحويلات المالية للأفراد.

٣- تكنولوجيا الاتصال: وتشمل عدد مستخدمي الإنترنت، وعدد أجهزة الكمبيوتر الخادمة Servers، والمضيفة Hosts

٤ - الاندماج الاقتصادي: ويشمل المعاهدات التجارية الدولية، وتدفق الاستثمارات الخارجية المباشرة.

وأتت كل من سنغـافـورة وهونـغ كـونغ في المركـزين الأول والثـاني على التـوالي في إجمـالي عدد النقاط الخـاصة بمقاييس العولمة الأربعة، وقد تصـدرت سنغافورة هذه القـائمة للعام الثالث على التوالي منذ عام ٢٠٠٥، كما دخلت الأردن في قائمة الدول العشر الأوائل طبقا لهذا التصنيف، حيث تعد الأردن من أكثر الدول مشاركة في جهود حفظ السلام في العالم، وجاءت الولايات المتحدة متأخرة في المركز السابع بسبب قدرتها السياسية التي أعفتها من التوقيع على معاهدات دولية عدة مثل المحكمة الجنائية الدولية وقمة الأرض في كيوتو، وضعف التدفقات الاستثمارية إليها بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

وخلت قائمة الدول العشرين الأكثر عولمةً من كل الدول المنضمة إلى نادي التريليون باسـتـثناء الولايات المتـحـدة الأمـريكيـة، في حـين اشـتـملت القـائمـة على دول كانت تابعـة

للمعسكر الشرقي مثل إستونيا، وجمهورية التشيك، وسلوفينيا بسبب تدفقات السياح والتدفقات الاستثمارية على هذه الدول، كما ضمت قائمة العشرين الأوائل كل الدول الإسكندنافية التي تتميز بضعف الكثافة السكانية. ومن ثم فإن العولمة في الحقيقة هي الأكثر جذباً للدول الصغيرة والأقل مساهمة في الثقافة العالمية والأكثر رغبة في الاندماج في العالم، فقائمة الدول العشر الأكثر «عولمة» في العالم تضم كلا من: سنغافورة، وهونغ كونغ، وهولندا، وسويسرا، وأيرلندا، والدنمارك، والولايات المتحدة، وكندا، والأردن، وإستونيا. وتجد أن سبعة من هذه الدول يقل السكان بها عن ٨ مليون نسمة، كما أن رقعتها الجغرافية أقل بكثير من مليون كم مربع.

وبالتالي فإن الدول الكبرى داخل الحضارة الغربية تقوم بدور المنبع الذي يغذي بقية الدول داخل نفس الحضارة، وكذا بقية الحضارات، بروافد تصبغ وجه الحياة بلون واحد، وتحول العالم ثقافياً من الشكل الدائري إلى الشكل المسطح على حد تعبير الكاتب الأمريكي «توماس فريدمان». وتبدو هذه القواسم المشتركة التي نبعت من دول المركز داخل الحضارة الغربية وخصوصًا الولايات المتحدة الأمريكية في مجموعة الظواهر التالية:

● تحول المستهلكين إلى خادمين: فقد ابتكرت سلسلة مطاعم «مكدونلدز « أسلوباً خاصا في خدمة الزبائن، وذلك بأن يخدم الزبائن أنفسهم، ابتداء من اختيار الطعام، ثم الحصول عليه، والتقاط أدوات الطعام والمشهيات، ثم التخلص من أدوات المائدة المستخدمة وإعادة كل شيء مكانه، فكأن سلسلة المطاعم تحولت إلى استخدام زبائنها لتوفير العمالة، وامتد هذا الأسلوب «المكدونلدزي» إلى أنشطة تجارية أخرى في أنحاء العالم، فالزبون هو الذي يقوم بالخدمة من أجل أن يحصل على الخدمة، وهو ما يعرف الآن بصبغ العالم بأسلوب «مكدونالدز « في إدارة الأعمال McDonaldization of the world.

● شيوع مفاهيم اجتماعية غربية: بدأت الحضارات غير الغربية في استخدام مفاهيم اجتماعية غربية في الأساس، ففي المجتمعات الإسلامية ظل تصنيف الوضع الاجتماعي للفرد محصوراً بين فئات أربع: عزب؛ متزوج؛ مطلق؛ أرمل، لكن أضيفت فئة خامسة غربية المنشأ والمعنى؛ وهي «منفصل» Separated، وهو مصطلح اجتماعي قانوني يتسق مع طبيعة

مـؤسـسـة الزواج في المجـتـمـعـات الغـربيـة التي تطبق الزواج المدني، ولكنه غـريب على الممارسات الاجتماعية المستقرة في المجتمعات الإسـلامية، ولكنه في النهاية أحد واردات أو تطبيقات العولمة النابعة من الحضـارة الغربية. كذلك بدأت مفاهيم الصداقة بين الجنسين التي نشـأت أسـاسـاً في المجتـمـعـات الغربيـة تأخذ اعـترافـاً ضـمنياً وتطبـيـقـاً فـعليـاً في المجتمعات غير الغربية، بل تم تطويع الفتاوى الدينية في المجتـمـعات الإسـلامية (زواج الفريند) للتعامل الفقهي مع هذه الظاهرة التي بدأ الشباب المسلم في الانخراط فيها. كذلك بدأت الممارسـات الاجتماعية الغربية تجد صدى لها في المجتمعات الإسـلامية والمجتمعات الآسيوية أيضـاً مثل الكشف الطبي المسبق قبل الزواج، وترتيبات الزفاف (صـار شائعا في الأفراح فـي مصر الآن أن تحمل العروس باقة ورد تلقيها وتتسابق الفتيات إلى الفوز بـها على غرار ما نشاهده في الأفلام الأمريكية).

● انتشـار المصطلحـات الخاصـة بالمجتمع الأمريكي في بقية الدول داخل الحضـارة الغربية وداخلها، فتحول المجمع التجاري إلى «المول» Mall، وصارت الصلصة «كتشب»، وظهرت مسميات «التوين هاوس» و«التاون هاوس» في المعمار، وحل «الكومباوند» محل المجمع السكني، وأصبحت الخادمة «ناني» Nanny. بل إن اللغة الإنجليزية الآن صارت عاملاً مساعداً على امتداد وتوسع قواميس كثيرٍ من اللغات في العالم، فبدلاً من ترجمة المصطلح الإنجليزي أصبح يُنطق كما هو مع تعديل حروف الهجاء بما يناسب اللغة التي دخل إليها المصطلح فيما يعرف بالترجمة الحرفية Transliteration، مثل Battery التي تحـولت إلى «بطارية « فـي اللغـة العـربيـة، ومـثل كلمـتي Business وKnow how اللتين أصبحتا Biznis و Nou hau في اللغة الصـربية، ودخـل اختصار IMHO الإنجليزي (In My Humble Opinion) اللغـة الروسـيـة ليـصـبح (IMXO 2006 Med Magazine) وساعدت تكنولوجيا الاتصال الحديثة على جعل اللغة الإنجليزية لغة عالمية تستخدم في اللغـات الأخـرى كـمـا هي، مـثل كلمـات Web و Blog و Internet التي صـارت عـالميـة الاستخدام. ويرصد تقرير «ميد ماجازين» أن اللغة البولندية قاومت تأثير الإنجليزية أثناء الحقبة الشيوعية، ولكن مع الصعود الحضاري للغرب وانتهاء الحرب الباردة وثورة الاتصال انهارت تلك المقاومة وسكنت الكلمات الإنجليزية داخل اللغة البولندية، فصارت –

مثلاً – كلمتا Bite و Scanner تستخدمان بنفس النطق في البولندية بهجاء مشابه (Bajt وskaner).

● انتشار تدريس اللغة الإنجليزية والتدريس باللغة الإنجليزية في العالم؛حيث يقدر عدد الذين يتعلمون الإنجليزية في العالم الآن بمليار شخص (About com: 2008) ، ويشير تقرير لشبكة «بي بي سي « إلى أن واحدا من كل ثلاثة أشخاص في الكرة الأرضية سيتعلم الإنجليزية خلال العقد القادم (BBC News 2004) الأكثر إثارة للانتباه الآن هو ما يحدث من تعديل برامج التعليم الأساسي والجامعي في كثيرٍ من مناطق العالم خاصة في الشرق العربي لتصبح باللغة الإنجليزية، فظهرت برامج في الجامعات الحكومية بمصر تقدم المناهج باللغة الإنجليزية بشكل موازٍ للبرامج الأصلية المقدمة باللغات العربية، وبالرغم من أنها تقدم بمصروفات مرتفعة على عكس نظيرتها المقدمة باللغة العربية، فإن الإقبال على تلك الأقسام «الإفرنجية» على أشده، كما اتجهت أغلب الجامعات الخاصة التي أنشئت في كثيرٍ من الدول العربية نحو استخدام اللغة الإنجليزية بشكل أساسي في التدريس، فتجد أن المعلم عربي والمتعلمين عرب والموقع عربي ورأس المال عربي، إلا أنهم يتخاطبون داخل قاعة الدرس باللغة الإنجليزية، ويستخدمون كتباً مستوردة من الولايات المتحدة أو بريطانيا. كما رأينا كثيراً من الجامعات الأمريكية تفتح فروعاً لها في دول الخليج، أو تعطي تصريحاً لجامعات خاصة محلية بأن تصبح امتداداً لها بالمنطقة. من ناحية أخرى أصبحت الولايات المتحدة هي مقصد البعثات الدراسية الحكومية في معظم الدول العربية، وهو ما يعبر عن تيار ثقافي سائد في معظم دول العالم، كما يعبر عن حجم نفوذ وتأثير الثقافة الأمريكية داخل الحضارة الغربية، ففي التجربة المصرية نجد أن أول بعثة دراسية في مصر الحديثة أرسلها محمد على باشا إلى فرنسا، ومن بعده توالت البعثات إليها تعبيراً عن الريادة الثقافية لفرنسا في تلك الحقبة ومحاولة التقارب الحضاري والسياسي معها آنذاك، بل إن اللغة الفرنسية كانت هي لغة التخاطب داخل بيوت صفوة المجتمع المصري أو ما كان يعرف آنذاك بالطبقة الأرستقراطية المخملية، وبعد ثورة يوليو استمرت البعثات الحكومية تقصد أوروبا من أكثر من باب، فاتجهت البعثات إلى فرنسا وبريطانيا والاتحاد السوفييتي، ثم بدأ تيار البعثات يتحول صوب الولايات

المتحدة في نهاية الحقبة الناصرية وبداية الانفتاح على الغرب في عهد الرئيس السادات، ومع نهاية القرن العشرين صارت الولايات المتحدة هي المقصد والطموح في البعثات الدراسية، ولا يقتصر هذا الأمر على الدول العربية وحدها بل يتعداها ليشمل دول جنوب شرق آسيا ودول أوروبا الشرقية.

● شيوع النمط الأمريكي القائم على الساعات المعتمدة في التعليم الجامعي وتبنيه في كثيرٍ من دول العالم، فنجد جامعات عتيدة ظلت تنتهج نمط السنة الدراسية الأوروبي لعقود طويلة تتحول الآن بمنتهي الحماس نحو نظام الساعات المعتمدة، وجاء التحول أحياناً شكلياً وغير نابع من تطوير مماثل في محتوى المناهج والإمكانات التدريسية، كأن التحول إلى نظام الساعات المعتمدة يعد تطوراً في حد ذاته، وهو ما يتسق مع النزوع الفطري نحو الاحتذاء بالأقوى لأن في هذا ضماناً لأن نبلغ مبلغه أو أنه يطمئننا أننا على الطريق الصحيح، وأصبح التبرير الجاهز لأي تحول جذري مفاجئ في نهج التعليم الجامعي هو أن «العالم كله يفعل ذلك الآن» ، كأن النموذج الأمريكي هو العالم كله، أو أن العالم كله اختزل في النموذج الأمريكي. وارتبط بهذا الأمر ما شاع من مفاهيم نبعت في الولايات المتحدة حول جودة التعليم والاعتماد الأكاديمي، فانتقلت هذه المفاهيم بغض النظر عن فاعليتها والعائد منها- إلى كثيرٍ من دول العالم النامي والمتقدم على حدٍ سواء، بل أصبحت مؤسسات الاعتماد الأكاديمي هي المرجع في منح الاعتماد لبرامج تعليمية خارج الولايات المتحدة، فعلى سبيل المثال نجد الهيئة الأمريكية لاعتماد برامج تدريس الصحافة والاتصال الجماهيري ACEJMC مدعوة في كثيرٍ من دول العالم لتقييم برامجها الجامعية في نفس التخصص واعتماده، وذلك بالرغم من التكلفة المرتفعة لهذا الإجراء، وتسعى جامعات عربية الآن في قطر والإمارات والكويت وألمانيا والمجر للحصول على الاعتماد من هذه الهيئة، وكان أول برنامج لتدريس الإعلام تعتمده الهيئة خارج الولايات المتحدة في دولة شيلي، وصار الحصول على الاعتماد الأكاديمي العالمي (الأمريكي في الأساس) شغلاً شاغلاً للقائمين على التعليم الجامعي في أنحاءٍ كثيرة من العالم، وهذا هو شأن الحضارة الغالبة دائمة، فالمنتصر لايكتب التاريخ فحسب، بل يصنعه أيضاً.

● انتشار الأفكار الليبرالية التي بشرت بها الحضارة الغربية واهتمت بها الثقافة والسياسة الأمريكية، فأصبحت تعبيرات محددة مثل: «حقوق الإنسان»، و«حقوق الأقليات»،

و«المجتمع المدني»، و«الشفافية» و«حرية التعبير» شائعة الاستخدام في وسائل الإعلام شرقاً وغرباً، بل ظهرت تيارات متحررة في مجتمعات شرقية متحفظة تنادي بحقوق «المثليين» (وهو لفظ مترجم عن كلمة Homosexuals) بدلاً من لفظ «الشواذ» الذي كان أكثر شيوعاً من قبل، وتجسدت هذه الظاهرة في أحداث كثيرة أهمها قضية الشباب الذي ضبط على باخرة نيلية في مصر يمارس اللواط (أو المثلية بتعبير ثقافة العصر)، وتم حبس هؤلاء الشباب، ولكن ساعدت ثقافة العصر السائدة على إتاحة المجال أمام أقلام تدافع عنهم، بل تحدث الرئيس الفرنسي السابق جاك شيراك مع الرئيس المصري حسني مبارك بشأن هؤلاء الشباب، وأثرت هذه القضية على صورة مصر باعتبارها دولة «لا تحترم حقوق الإنسان».

● تقارب المسافات وتآكل تأثير الحيز المكاني أو الجغرافي على النشاط البشري الاقتصادي، فأصبح مألوفاً في ثقافة العالم اليوم أن يمتلك الشخص عقارات ويزاول أعمالاً عبر الدول، وهو ما تعبر عنه قصة سيدة أعمال أسترالية تملك ثلاثة منازل في أستراليا وأوروبا والولايات المتحدة، ولما سئلت: أيهم بيتك الذي تسكنين إليه؟ قالت: «بيتي يوجد حيث تعيش قططي»، وهو ما يذكرنا بقصة «جحا» في التراث الشعبي الذي لم يحدد بلده بناء على المولد والانتماء بل حدده بناء على المصلحة الحياتية (بلدي هي التي توجد بها امرأتي)، والشاهد أن فكرة الوطن أو الدولة القومية بدأت تتراجع في المشهد الثقافي الحالي، وتطغى عليها ثقافة الاندماج وذوبان الحدود، وهي ثقافة تتماهى مع التحولات الاقتصادية والسياسية والإعلامية التي طرأت على العالم منذ ثمانينيات القرن العشرين؛ إذ بدأت الشركات المتعددة الجنسية والعابرة للقارات تتبلور منذ تلك الفترة، ليخرج رأس المال من وطنه ساعياً إلى العمالة الرخيصة والضرائب الأقل، لتنتقل المصانع من أوروبا الغربية واليابان إلى الصين والهند وباكستان وغيرها، وبدأت ظاهرة الاندماج بين الشركات لتظهر الشركات العملاقة متعددة الجنسية، فشركة جلاكسو البريطانية للأدوية تغير اسمها ليصبح جلاكسو سميث بعد الاندماج مع شركة أخرى، ثم أصبح اسمها «جلاكسو سميث كلاين» بعد اندماج ثالث، ومن ثم ذابت الهوية الأصلية وأصبحت الهوية الرئيسة هى المصلحة وتعظيم الفائدة والبقاء في وجه المنافسة. كذلك ألقت التحولات السياسية بظلالها على الاتجاه الثقافي العالمي بدلاً من القومي، فقد ظل القانون الدولي يعرف بأنه قواعد بلا شرطة لضبط المخالفين وتنفيذ الأحكام، إلا أن التطورات السياسية

منذ ثمانينيات القرن العشرين عدلت من هذه الصفة، فقد استطاعت الولايات المتحدة أن تحشد تأييداً دولياً لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة لتحرير الكويت بالقوة من الاحتلال العراقي، ومنذئذ بدأت المؤسسات السياسية الدولية تأخذ نفوذاً متعاظماً على حساب الدول القومية، واتجهت كثيرٌ من حركات المقاومة والأقليات الإثنية والدينية إلى الخارج التماساً لحل قضاياها وتصعيد الضغط على حكوماتها. بعبارة أخرى فقد تمدد نفوذ «الخارج» وانكمش نفوذ «الداخل» خاصة بالنسبة للكيانات السياسية التي تعاني من الهشاشة والافتقار إلى الشرعية. إلى جانب ذلك فقد أدت التحولات الإعلامية إلى تكريس ارتباط الفرد بثقافات أخرى، فجاء انتشار استخدام الإنترنت عاملاً حاسماً في انفتاح المستخدمين على العالم، ليصبح تجاوز الفرد لحدوده الجغرافية أمراً أيسر عليه من إجراء مكالمة هاتفية مع أحد جيرانه، أضف إلى هذا إتاحة أطباق التقاط الإشارة من أقمار البث المباشر، فزاد التحام المشاهد بالعالم على حساب ارتباطه بالمحطات الرسمية التي كانت تسيطر عليه في ظل غياب بدائل أخرى قبل عصر الفضائيات. كل هذه العوامل تضافرت على تدعيم التوجه العالمي الذي يتجاوز فكرة الدولة القومية ويجعلها غير عصرية في المشهد الثقافي المعاصر.

الثقافة العربية في المواجهة

لا يختلف الكثيرون على أن الثقافة العربية الآن صارت أقل قدرة على التأثير وأكثر قابلية للتأثر، وذلك راجعٌ ببساطة إلى انحسار القدر الذي تساهم به الثقافة العربية في حركة العالم، فإنتاج العرب السنوي من الكتب لايتجاوز ١٪ من إجمالى الإنتاج العالمي، ونصيب العرب من جوائز نوبل ذات المكانة المرموقة يعادل عدد أصابع اليد الواحدة، وثلاث من هذه الجوائز مُنحت في مجال السلام، ولم يفز أي عربي بجوائز نوبل الاقتصادية والطبية. أما في مجال الرياضة فالحال يتسق مع القدر المتواضع للمساهمة العالمية للعرب، بل إن مجموع الميداليات التي حصل عليها العرب في الدورات الأولمبية منذ بدايتها عام ١٨٩٦ لا يعادل حجم الميداليات التي حصلت عليها الولايات المتحدة في دورة بكين هذا العام، ولم يحدث أن فاز أي فريق عربي في أي رياضة جماعية ببطولة عالمية. وفي مجال الإنجاز العلمي فمن الصعوبة بمكان أن تحدد إنجازا علمياً عربياً تبلور في اختراع يحتاجه العالم، فالحضارة العربية مصدر أساسي للمواد الخام ومستورد رئيسي للتكنولوجيا.

وليس ببعيد صدور تصنيف الجامعات الذي أعدته جامعة شنغهاي بالصين، وجاءت المراكز من الأول إلى الخمسمائة خلواً من أي جامعة عربية عام ٢٠٠٦، ثم دخلت جامعة القاهرة في المراكز من أربعمائة إلى خمسمائة في العام التالي، ولكن ذلك لم يحدث نتيجة طفرة في القدرات التعليمية بالجامعة، بل نتيجة فوز الدكتور محمد البرادعي بجائزة نوبل في السلام، وهو أحد خريجي جامعة القاهرة، ما رفع من رصيد الجامعة عند حساب الدرجات ووضع التصنيف. هذا الغياب الحضاري للعرب تبلور في مشاهد عدة، فبعد أن شاهد الرئيس الأمريكي جورج بوش فيلما يصور العالم قد دُمر وانطلقت منه سفينة فضاء تحمل الباقين وتنطلق إلى المستقبل علّق أحد المصاحبين للرئيس بأن السفينة تخلو من العرب، فرد الرئيس مازحاً بأن هذا هو المستقبل! وفي الموسوعة التي أصدرها «مارتين جانون « Gannon Martin بعنوان «فهم الثقافات العالمية « تم رصد ٣٢ ثقافة في العالم ، ولم تذكر الموسوعة سوى «البادية في المملكة السعودية» عند الحديث عن الثقافة العربية.

هذا الانحسار الحضاري للعرب أتى نتيجة لعوامل كثيرة أهمها الحقبة الاستعمارية التي مرت بها الدول العربية منذ القرن التاسع عشر، وذلك بعد سلسلة من المواجهات مع الغرب استهلت مع الحروب الصليبية بداية من القرن الحادي عشر، ولكن خرج العرب –أو بالأحرى المسلمون – بقدر كبير من التماسك والقدرة على تحقيق مكاسب سياسية، واستمرت الحضارة الإسلامية في صعود خاصة في بدايات حكم الدولة العثمانية، ففتح المسلمون القسطنطينية واستطاعوا الوصول إلى أسوار فيينا وحصارها مرتين، في الوقت الذي دخلت فيه أوربا في ظلمات العصور الوسطى، ثم أتت الحقبة الفاصلة في القرن السابع عشر، ليبدأ انحسار المسلمين وظهور أوربا كقوة عالمية جديدة، وتبلورت هذه القوة في القرن الثامن عشر مع الثورة الصناعية ونجاح الثورة الفرنسية وانتشار أفكار فلاسفة التنوير والتحرر الفكري، لتبدأ أوروبا في البحث بنهم عن المواد الخام لتغذية صناعاتها، والأسواق لتصريف منتجاتها، ووجدت ضالتها في الشرق العربي فبدأت في محاولة السيطرة عليه منذ بداية القرن التاسع عشر، و لم ينته هذا القرن إلا ومعظم الوطن العربي تحت نير الاستعمار.

وانتقل الوطن العربي من السيطرة العسكرية والاقتصادية لإنجلترا وفرنسا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، إلى التبعية

السياسية لكلٍّ من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي في النصف الثاني من القرن العشرين، حتى إذا انتهى هذا القرن وجد الوطن العربي نفسه يدور في فلك حضارة وحيدة مهيمنة هي الحضارة الغربية، بل عادت هذه الحضارة لتمارس سلطتها العسكرية المباشرة باحتلال واحدة من أكبر القوى العسكرية في الوطن العربي: العراق. ومن ثم استمر الانحسار العربي بامتياز تمخض عنه هزائم عسكرية في معظم المواجهات مع إسرائيل، وتراجع في الثقل السياسي العالمي، وتهميش في الدور الثقافي الذي يمارسه في مواجهة حضارات أخرى أكثر توثباً للانتقال إلى المستقبل.

وبالرغم من كل الهزائم الحضارية التي واجهها العرب سياسيا أمام الجنسيات الأخرى بدءاً من القرن العاشر، وانتهاء بالاحتلال ثم التبعية، إلا أن الإنجاز الحضاري الأساسي للعرب يبقى دائماً هو الضامن لاستمرارية هذه الثقافة بلغتها العربية: الإسلام؛ فقد حمل العرب رسالة الإسلام إلى كل شعوب الأرض، وأفرز ذلك بعداً «عولمياً» خاصًا بالإسلام في تجاوزه للحدود وانتصاره للعقيدة على حسابات الانتماءات القبلية ثم القومية في ما بعد، لأنه حضارة قامت في الأساس على بعد روحي إنساني (Altwaijri 2004) أكثر من اعتماده على الإنتاج الحضاري المادي، ولم تكن لجنسية الحاكم أية أهمية في عصور ما قبل الدولة القومية، بل كان الدين هو المعيار وهو الأساس، ولذا لم يجد المصريون – مثلاً – أي غضاضة في أن يتولى عسكري ألباني حكمهم بعد فشل حملة «فريزر» على مصر.

وبالرغم من ضعف الإسهام الحضاري للعرب خلال القرنين الماضيين، إلا أن تصنيفاً للحضارات الرئيسة في العالم لا يخلو من الحضارة الإسلامية، ولعل أشهر تصنيف هو ما قدمه «هنتنجتون « الأستاذ بجامعة هارفارد، حيث صنف حضارات سبعاً عالمية؛ هي: الغربية، والكونفوشيوسية، واليابانية، والهندوسية، والإسلامية، والأفريقية، واللاتينية. والملاحظ على هذا التصنيف أنه اعتمد على معيارين في تقسيم حضارات العالم المعاصر: الدين والجغرافيا، إلا أن العامل المشترك المستخدم في التصنيف هو الثقافة بعنصريها الجوهريين: الدين واللغة. وبالرغم من الهزائم السياسية والحضارية التي مني بها العرب خلال القرون الماضية، إلا أن هذين العنصرين اللذين يشكلان ثقافته ظلا مقاومين للانجراف أمام تيار التغيير ومحاكاة الأقوى، وفي ظل أقسى ظروف التغريب

والتعرية الثقافية وهنت اللغة (في التجربة الجزائرية) ولكن ظل الدين مستعصياً على الانجراف والذوبان، وهي السمة التي وسمت الحضارة الإسلامية منذ البداية: الانتشار ثم الاستعصاء على الانحسار، ولذا فإن المسلمين من غير العرب الآن هم الأغلبية الغالبة بين مسلمي العالم.

هذا التصنيف الحضاري للعرب ضمن الحضارة الإسلامية وضع العرب في بؤرة المواجهة مع الحضارات الأخرى وخاصة العالم الغربي، خاصة أن النظرية الشهيرة لهنتنجتون توقعت صداماً بين الغرب والإسلام قائمًا على اختلاف الثقافة وإعادة بعث التعصب الديني الذي أخذ مظاهر كثيرة في العالم. ومن ثم وجد العرب أنفسهم في مواجهة الاتهام ومظنة الاصطدام، وصاروا كأنهم مدفوعون لنزال لم يدعوا هم إليه، ولن يستفيدوا منه، فجاء رد الفعل العربي مبالغاً في الدعوة إلى الحوار والانفتاح و «التعايش» وقبول الآخر، دفعاً لاتهام يصدقه الكثير ولا يملك أحدٌ دليلاً عليه. وهو تنظير صراعي للسياسة الدولية من وجهة نظر الفكر الغربي الذي يرى بحسب الجابري – أن («الأنا» لا تتعرف على نفسها إلا عبر آخر تضع نفسها قابلاً له كذات تدخل معه في صراع) (محمد الجابري، بدون تاريخ)، كما حدد التويجري (٢٠٠٤) الصراع سمةً مميزةً للحضارة الغربية، سواء كان الصراع بين الإنسان ونفسه، أو بينه وبين الآخرين (ص٢٢).

ومن ثم يجد العرب أنفسهم الآن في وضع ضاغط من الجهتين: انحسار وضعف في الإنتاج والتأثير الحضاريين؛ وتوجس من الآخر وتحفز لمواجهة قررها الغرب وطبقها، فما السبيل إذًا للتعامل حضارياً مع هذا الآخر في سعينا للانضمام إلى المستقبل في سفينة الفضاء التي قرر مبتكروها – بوعي أو بدونه – أن تخلو من العرب؟ الحقيقة أن العرب أمام خيارات إجبارية – إن صح التعبير – من أجل التفاعل مع الموقف الضاغط المضغوط، والانتقال إلى المستقبل بأفضل مما هو عليه في الحاضر.

في الواقع أن الصراع النابع من الاختلافات الثقافية طفا على سطح العلاقات الدولية والصراعات الداخلية خلال الفترة التي أعقبت الحرب الباردة، مثلما حدث في رواندا والبوسنة وكوسوفو والصومال والشيشان والتبت، ومن ثم فإن طرح «هنتنجتون» حول الصدام الحضاري له وجاهته ورجاحته، إلا أن ذلك لا ينفي حدوث «صدام المصالح» وتأثيره على العلاقات الدولية، وبالتالي فإن العرب يحتاجون إلى أن يتحلوا بالواقعية

السياسية في الاستعداد للمستقبل، هذه الواقعية تفرض علينا أن يكون لنا مشروعنا الاستراتيجي في التعامل مع الآخر، ففي الوقت الذي انتهت فيه الحرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفييتي بدأ الغرب في التفكير جدياً من أجل تحديد عدوه التالي، وعند التفكير في مشروع النفق الذي يربط بين بريطانيا وفرنسا كان من أهم مصادر القلق بشأنه هو حساسية الموقع في حالة قيام حرب ما، ومن ثم فإن تحديد العدو ومصادر التهديد يعد المبدأ الأول في الأمن القومي لأي كيان سياسي، ولا شك في أن طرح هذا السؤال على الشارع العربي (من العدو؟) سوف يجد تباينات واختلافات واسعة تعكس غياباً واضحاً لمشروع عربي استراتيجي، فجهود التنمية ومحاولات تنويع مصادر الثروة والنهوض بالشعوب كلها أمور حميدة، ولكنها تصب في جانب الإجراءات الإدارية والاقتصادية ولا تعبر عن فكر ومشروع واضحين، حتى وإن اتفقت الآراء على أنه لا يوجد عدو محدد، فإن مجرد التفكير على هذا النحو يعني أن لدينا وعياً استراتيجياً، وقد نتفق على أن العدو الحقيقي هو التخلف العلمي والإداري، أو الحكم الاستبدادي، أو الفساد السياسي. المهم أن نعرف أين نقف الآن وإلى أين نتجه.

ولا شك أن الواقع السياسي للعالم العربي قد ترك أثراً عميقاً على إسهامه الحضاري، فالعالم العربي موصوم دائماً بضعف الممارسات الديمقراطية وانتهاك حقوق الإنسان، وذلك في عالم يقيِّم الدول بناء على حيويتها السياسية، ولذا نجحت إسرائيل في تقديم نفسها للغرب على أنها واحة الديموقراطية وسط بيداء من الاستبداد العربي، ومن ثم فإن الثقافة العربية تحتاج أن تعزف اللحن الذي يفهمه الغرب ويحترمه، وهو الديموقراطية، واحترام حقوق الإنسان، والتغيير النابع من الصندوق الانتخابي غير القابل للعبث والتغيير. ولذا وجدنا كثيراً من الباحثين الذين تحدثوا عن التحول الاجتماعي في الدول النامية (أمثال دانييل ليرنر) قد ربطوا بين التحول الديمقراطي والتطور، وقد لا نتفق مع هذا الطرح (خذ مثالاً عكسياً من الصين) إلا أنه يعكس القيمة التي توليها الثقافة الغربية للديموقراطية، ومن ثم فإن الثقافة العربية تحتاج إلى فكر سياسي يدعمها في مواجهة الثقافات الأخرى بدلاً من ممارسات سياسية تضع الثقافة العربية محل الاستهجان أحياناً، والتندر أحياناً أخرى.

والأمر لا يتعلق فقط بالصندوق الانتخابي والتصويت، ولكن الترويج والاحتفاء بالممارسات الديموقراطية يجب أن يكون حاضراً في الثقافة العربية، بدءاً من تسهيل عمل

المراسلين الأجانب وعدم إعاقتهم لأسباب تتعلق بمحاولة إخفاء العوار، وانتهاء باحترام القانون وتفعيله في المجتمع ككل، فالنظام الذي يشيّد أعظم الطرق ويترك سائق السيارة الأجرة يحدد أجرته بناءً على «نظرته في الزبون» هو نظام موصومة ثقافته بالتخلف، والثقافة التي تعتبر مخالفة القانون أمراً يعبر عن الذكاء، أو القوة، أو «الشطارة» لهي ثقافة جالبة للنقد والاستهانة، ومبدأ احترام القانون يعد في حد ذاته مشروعاً حضارياً جديراً بالاعتبار، ويحتاج إلى مراجعات في أساليب التربية والمناهج التعليمية والرسائل الإعلامية. من ناحية أخرى فإن القانون يجب أن يكون «محترماً» حتى يكون محل الاحترام، فالأصل في القانون هو ضبط حياة الناس، وليس «ضغط» حياة الناس من أجل «بعض « الناس. بعبارة أخرى فإن الثقافة العربية تحتاج ثوباً حضارياً من الديموقراطية واحترام القانون والعدالة حتى تقف بين الحضارات الأخرى من موقع المضاهاة، وليس الموالاة، وهو ليس ثوباً أجنبياً نحتاج إلى استيراده وتعديله، بل ثوبًا محليًا نابع من ذاتية وقيم الحضارة الإسلامية.

والثقافة التي يجهلها أبناؤها لهي ثقافة تحيا في أزمة حقيقية، وبالتالي فإن تراجع الاهتمام باللغة العربية يعبر عن أزمة حقيقية تغشى الثقافة العربية، خاصة في ظل التغريب الذي طغى على مناهج وبرامج التعليم في الوطن العربي، والنظرة الدونية التي توجد في اللاشعور لدينا تجاه المدارس والجامعات التي تستخدم العربية في التدريس، فتجد طلاب البرامج الإنجليزية حريصين على التعريف الكامل لتخصصاتهم: تجارة «إنجلش»، أو إعلام «إنجلش «، أو زراعة «إنجلش»، وكأن مصر التي زرعت لمدة خمسة آلاف سنة كانت قاصرة لأن الزراعة بها لم تكن «بالإنجلش».

وقريب من الاهتمام باللغة الاهتمام بالتاريخ، ومن ثم فإن دراسة تاريخ الحضارة العربية والإسلامية يجب أن لا يكون أمراً اختيارياً وإلا أصبح الانتماء والإحساس بالهوية أمراً استثنائياً، والثقافة التي لا ينتمي إليها أبناؤها لن يحترمها أو يحفل بها أبناءُ غيرها. لقد شاعت لدى بريطانيا أيام كانت إمبراطورية متناهية الأطراف مقولة: «إنه لو خيرت بريطانيا العظمى بين كل مستعمراتها التي لا تغيب عنها الشمس وبين شكسبير لاختارت شكسبير». وهي مقولة تعبر عن فهم عميق لأهمية الخصوصية الثقافية وتغليبها على المصالح الآنية.

وفي المحصلة فإن قوة الثقافة وإبهار إفرازها الحضاري هو السبيل إلى غلبة هذه الثقافة واحترام الآخرين لها، ومن ثم فإن الانشغال بتحسين صورتنا لدى الغرب، وإقامة الحوار الحضاري، وتنفيذ حملات للعلاقات العامة في الغرب لتحسين الصورة وتقديم الوجه الآخر الذي يجهله الغرب عنا، ومخاطبة «المجتمعات الغربية بلغتها وتقديم المنطقة العربية بوجهها الحضاري الذي يقوم على نبذ العنف والرعب والتدمير « (المصمودي، ٢٠٠٢) كلها مساع حميدة ولكن تأثيرها لم يظهر بشكل مقنع حتى الآن، في حين أن التقدم والتميز الحضاريين هما الأساس في مواجهة الآخر والتأثير عليه، فانتصار أي أمة أو انهزامها «يرجع في الأساس إلى العوامل والأسباب الداخلية، وما العوامل الخارجية إلا متممة ومكملة للداخلية، أو ما كان يطلق عليه مالك بن نبي «القابلية للاستعمار»، ويرى أنه العامل الأكبر في هزيمة المسلمين في العصر الحديث « (هيشور، ٢٠٠٧)، فلو أن العالم يبحث عن الوطن العربي لأن به طباً متميزاً، أو تعليماً راقياً، أو تكنولوجيا فذة، أو حلولاً فريدة لمشاكل الإسكان أو الغذاء أو التقاضي، لكانت الثقافة العربية محل اعتناء الآخر وتقديره. يجب أن يكون لديك شيء حقيقي يهمنا حتي نفكر فيك ونتحدث عنك أو حتى ننبهر بك، وبغير ذلك يتحول الإعلام إلى آلة جوفاء أو أحياناً – بلهاء!.

المراجـــع

باللغة العربية

– محمد عابد الجابري. بدلاً من صراع الحضارات: توازن مصالح. (بدون تاريخ)، تم استرجاعه من الإنترنت بتاريخ ١٣ أغسطس ٢٠٠٨ من:

http://www.aljabriabed.net/equilibreinteret.htm

– محمد هيشور. سنن القرآن في سقوط الحضارات. (٢٠٠٧). تم استرجاعه من الإنترنت بتاريخ ١ سبتمبر ٢٠٠٨ من:

http//www.balagh.com/mosao/quran/0700xp7v.htm

– مصطفى المصمودي. (٢٠٠٢). العرب وحوار الحضارات في مجتمع المعلومات. تم استرجاعه من الإنترنت بتاريخ ٢٩ أغسطس ٢٠٠٨ من:

http://www.afkaronline.org/arabic/archives/oct-nov2002/masmoudi.html

باللغة الإنجليزية

Altwaijri A .O 2002 .(The characteristics of the Islamic civilization and its future prospects.
Publications of the Islamic Educational Scientific and Cultural Organization (ISESCO).
Commager H .S.(1950 .(The American mind: An interpretation of American thought and character since the 1880s .New Haven: Yale University Press.

Croly H .(1965 . .(The promise of American life .Cambridge: Belknap.

Gannon M .J .(2004 .(Understanding global cultures: Metaphorical journeys through 28 nations clusters of nations and continents .CA Sage.

Med Magazine (2006 New word of the month .Retrieved on September 4 2008 from
http://www.macmillandictionary.com
MED-Magazine/March2006/36-New-Word-Neogolisms

Robertson R .1922 .Globalization: Social theory and global culture .London Sage .

✱✱✱✱

المشهد الثقافي العالمي المعاصر: قراءة نقدية ورؤية مستقبلية

د. هشام مصباح

ملخص البحث

تسعى هذه الورقة إلى رسم المشهد الثقافي حالياً في العالم، ووضع تصور لعلاقة الثقافة العربية بهذا المشهد، والمسار الذي تحتاج الثقافة العربية إلى الولوج فيه مستقبلاً للتفاعل مع الآخر من موقع الندية وليس التبعية.

ويرصد الجزء الخاص بالمشهد الثقافي العالمي المعاصر تطور ظهور الحضارة الغربية كقوة عالمية غالبة بدءاً من القرن السابع عشر، وطبيعة الصراع الذي نشأ بين القوى الكبرى داخل هذه الحضارة، والذي انتقل من صراع اقتصادي تجاري في الأساس إلى إيديولوجي مع نجاح الثورة الشيوعية البلشفية عام ١٩١٧ وبداية ظهور الأنظمة الإيديولوجية في أوروبا، ليبدأ الصراع الدولي في الاصطباغ بصبغة إيديولوجية جرى على إثرها تقسيم العالم إلى كتلتين مع نهاية الحرب العالمية الثانية، ثم سقطت الشيوعية وبدأت الاندماجات الاقتصادية الكبرى مؤذنة بالعولمة، لتصبح الحضارة الغربية هي الرافد الرئيسي للعولمة من خلال الهيمنة على قدرات اقتصادية وإعلامية ضخمة، خاصة الولايات المتحدة التي يمثل اقتصادها ثلث الاقتصاد العالمي، ليمتد التأثير إلى بقية العالم، وتصبح الدول التي تحتل المراتب الأولى في انتشار مظاهر العولمة بها دولاً من خارج الحضارة الغربية.

وتلخص الدراسة أهم ملامح المشهد الثقافي المعاصر في سبعة مظاهر: امتداد النموذج الأمريكي القائم على خدمة العملاء لأنفسهم إلى باقي أنحاء العالم، وشيوع مفاهيم اجتماعية غربية في الثقافات العالمية الأخرى، وامتداد المصطلحات الأمريكية النابعة

من طبيعة تنسيق المعمار إلى الثقافات التابعة بشكل جعل اللغة الإنجليزية لغة عالمية تضيف إلى اللغات الأخرى مصطلحات وتركيبات جديدة، وانتشار دراسة اللغة الإنجليزية والتدريس بها في العالم، وتبني النمط التعليمي الأمريكي القائم على الساعات المعتمدة في الكثير من الدول التي ظلت تتبنى النمط الأوروبي لفترات طويلة، وانتشار الأفكار الليبرالية التي تحتفي بها الثقافة الغربية، وانتقال إدارة الأعمال لتمارس بشكل عالمي يتجاوز الحدود القومية.

وتشير الدراسة إلى أن الثقافة العربية قد أصابها وهن كبير في إنتاجها الحضاري، وذلك على مستوى التعليم والرياضة والإبداع العلمي والفني، إلا أن الإنجاز الحضاري الأساسي للعرب يبقى دائماً هو استمرارية هذه الثقافة بلغتها العربية ودينها الإسلامي، ومن ثم فإن تصنيفاً للحضارات الرئيسة في العالم لا يخلو من الحضارة الإسلامية، وتشير الدراسة إلى ضرورة أن تتبنى الثقافة العربية مشروعاً حضارياً يحدد أين نقف وإلى أين نتجه، ويطرح الباحث أن الديموقراطية، والقانون، وتدعيم الهوية بحفظ اللغة والتاريخ، وتدعيم الذات تقنيًا أحرى من الانشغال بمسألة الحوار مع الآخر ومحاولة تحسين الصورة أمامه.

✱✱✱✱

Critical reading and a preview of
The international cultural scene

Dr. Hesham Musbah

Abstract

The research aims to describe the current world cultural scene, highlighting its relationship with Arab culture and the future path that Arab culture should pursue in order to interact with other cultures as an equal rather than a subordinate.

This research contains a section that discusses the current, world cultural scene and the development of Western civilization as a dominant world power since the Seventeenth Century. It also addresses the nature of the conflict between the major world powers within this civilization, which changed from being a commercially economic conflict to an ideological one with the success of the Communist Bolshevik Revolution in 1917 and the rise of ideological systems in Europe. This lead the international conflict to be ideological in nature and so, the world was divided into two blocs by the end of World War II. This was followed with the fall of Communism and the beginning of major economic alliances, which lead to globalization. Hence, Western civilization became the tributary of globalization through economic and media hegemony, especially in the United States, where the economy constitutes a third of the overall world economy. However, the impact of globalization spread worldwide, especially in countries outside the West.

The research summarizes the most important features of the current cultural scene in seven aspects: 1.) the spread of the American model based on agents serving themselves to the rest of the world; 2.) the prevalence of Western social concepts in other international cultures; 3.) the spread of American terminology, making English an universal language; 4.) the international spread of teaching and learning the English language; 5.) the adoption of the American educational system, based on the credit-hour scheme, in many other countries that had initially adopted the European

system for many years; 6.) the spread of liberal ideas that commemorate Western culture and; 7.) the transfer of business administration to become a world activity that surpasses national limits.

The research indicates that Arab culture has significantly weakened in terms of cultural production in the fields of education, sports, science and art. However, the basic cultural achievement of Arab civilization lies in its durability of the Arabic language and the Islamic religion. Therefore, when classifying the world's main civilizations, the Islamic one is never and will never be overlooked. The study also identifies the necessity for the Arab civilization to adopt a cultural project which specifies where the Arab world stands and in which direction it is headed.

However, the research argues that democracy, law and the consolidation of identity will help protect and strengthen the language, history and unique identity, rather than worrying about the more technical issues of dialogue with the others and improving the Arab image in the eyes of the world.

رئيس الجلسة

نشكر الدكتور هشام مصباح على هذا البحث، وننتقل مباشرة إلى الدكتور جوزيف مايلا وسوف يحدثنا أيضًا في هذا الإطار حول الرؤية النقدية للمشهد الثقافي العالمي فليتفضل..

د. جوزيف مايلا

شكرًا جزيلاً السيد الرئيس. سيداتي وسادتي، أيها الحفل الكريم، بداية أتوجه بشكري إلى مؤسسة البابطين التي أخذت على عاتقها الدعوة إلى هذا الحوار بين الثقافات، وتحديدًا إلى صاحب المؤسسة السيد عبدالعزيز سعود البابطين.

سيداتي وسادتي في الوقت الوجيز المتاح لنا في هذه الندوة أود أن أجيب على ثلاثة أسئلة، السؤال الأول: ما الثقافة؟ وماذا نعرف عنها؟ وما معالم الثقافة في عالم اليوم في عالمنا المعولم؟ وما مميزات الثقافة ودورها في الحياة الاجتماعية في عالم العلاقات الدولية؟

السؤال الثاني: ما المشهد الثقافي العالمي اليوم، وكيف يمكن أن نلخصه، وما ميزاته الأساسية؟

أما السؤال الثالث: فسوف يتمحور على سؤال وهو ما العمل، كيف يمكن أن نواجه اليوم التحديات الكبرى التي تفرضها علينا العولمة؟ وكيف يمكن بشكل حضاري أن نجيب على هذه التحديات وعلى المخاوف التي تحدق بنا؟

كل هذا تجيب عنه ورقة البحث.

****

DIALOGUE DES CULTURES ET MONDIALISATION

JOSEPH MAILA

La question fin du dialogue des cultures est devenue aujourd'hui une thématique dominante, à la fois des sciences sociales et politiques que de la vie internationale. Il ne se passe pas de jours sans que journaux, colloques universitaires ou rencontres politiques au sommet n'évoquent la nécessité ou l'urgence de travailler au rapprochement des cultures. Qu'est-ce qui justifie de parler du dialogue de cultures au sein d'un environnement qui, lui, est travaillé par d'autres soucis plus graves comme les menaces que fait peser sur la planète le réchauffement climatique, la crise alimentaire, les grandes pandémies, le sida ou d'autres maladies transmissibles ?

On pourrait dès lors se poser la question de savoir pourquoi une telle thématique est devenue en quelques années une mode intellectuelle obligée ainsi que, semble-t-il, une manifestation du « politiquement correct». Une telle question, pour un chercheur, ne va pas non plus sans poser une autre : de quelle réalité cachée le dialogue des cultures est-il le nom ? En d'autres termes : quelle fonction ce dialogue assure-t-il ? Quel rôle remplit-il que d'autres institutions n'assume pas ou devraient assumer amis n'assument pas ? Peut-on, doit-on, évoquer la possibilité d'institutionnaliser le dialogue des cultures, de lui donner un statut en quelque sorte, de lui assigner un lieu « officiel » où il se déroulerait avec ses rites, ses saisons, son administration et ses conclusions. Dans cette présentation nous nous efforcerons de répondre à trois questions :

a) La première est de savoir à quoi correspond la notion de dialogue des cultures et si cette définition notionnelle est à prendre au pied de la lettre ou si elle est à interpréter de manière emblématique et métaphorique. Dans ce cas, il faudra comprendre comment les cultures « dialoguent » entre elles.

b) La seconde sera de savoir ce que cache le dialogue des cultures comme réalité et de comprendre de « quoi», si l'on peut dire, les cultures s'entretiennent lorsqu'elles dialoguent entre elles. Quelles sont donc les thématiques que recouvre le dialogue des cultures ? Toutes les thématiques peuvent-elles être abordées dans le cadre du « dialogue de, cultures » ou bien y a-t-il des thèmes spécifiques qui méritent d'être catalogués ou rubriqués sous ce label ? En d'autres termes y a-t-il des thèmes culturels par vocation, des thèmes qui « naturellement », par destination, sont susceptibles de figurer parmi les sujets objectivement considérés comme « culturels » ? Ou alors, autre hypothèse de travail, serait-ce qu'est décrété «

culturel » ce qui fait l'objet d'un choix, d'une décision ou d'un accord l'inscrivant alors à l'ordre du jour des relations internationales ?

c) Enfin, la dernière question concerne l'avenir du dialogue des cultures. Faut-il l'organiser ? Doit-on en faire une structure permanente de la vie internationale ? Et dans ce cas : qui dirigera les débats ? Qui déterminera l'agenda ? Ou, simplement, faudrait-il faire en sorte que les Organisations internationales, dans le système multilatéral qui est celui du monde, assurent le rôle qui leur revient ?

Cultures et « dialogue »

Afin d'envisager le dialogue culturel et d'en saisir le sens et toutes les nuances, encore faut-il précsier la notion de culture.

L'approche la plus convenue de la culture souligne qu'elle constitue le signe distinctif de la vie d'un peuple. La culture serait ce que l'homme apporte par son travail matériel et intellectuel à sa condition naturelle. L'homme par son action transforme objectivement, physiquement, la nature et par ses créations intellectuelles et artistiques se dote d'un univers symbolique et esthétique qui lui est propre. C'est pourquoi les anthropologues ont toujours distingué entre la culture matérielle et la culture intellectuelle. La première représenterait la part des techniques et de l'aménagement matériel, quotidien, de la vie de hommes; la seconde, tout ce qui relève de la création artistique, littéraire, scientifique et philosophique. Une distinction, qui eut longtemps une signification forte, faisait même la séparation entre la notion de « civilisation » qui englobe et souligne les caractéristiques matérielles et technologiques d'une société et celle de culture plus attachée aux œuvres de l'esprit. Les distinctions relatives à ces notions ont été poussées plus loin par la philosophie allemande qui opposait la « kultur » comme environnement technologique et social d'un peuple et le chemin d'acquisition du savoir et de formation de soi qui caractérise un individu et qui relève, lui, de la « bildung ».

Les acceptions de la notion de culture sont, de fait, multiples. Nous ne retiendrons pour les besoin de ce travail que la définition objective de la culture, c'est-à-dire, celle qui la saisit comme l'ensemble des valeurs, des coutumes et des traditions qui contribuent à la formation de l'identité d'un peuple. Cette définition est celle des anthropologues et des sociologues. L'anthropologue britannique E .B. Tylor la définissait, au XIXème siècle, comme « un tout complexe qui comprend à la foi le savoir, les croyances, les arts, les lois, les coutumes ou toute autre faculté ou habitude acquises par

l'être humain en tant que membre d'une société ». Dans la foulée théorique d'un Durkheim elle privilégie la force de modèles de comportement et de pensée qui s'impose aux individus qui appartiennent à un groupe (Durkheim, 1913). Elle met en avant l'idée d'une « pression collective » qui impose un confortement homogène et uniforme aux membres d'une même société. Elle s'inspire aussi de la sociologie de Max Weber pour qui toute culture est un « langage » que seuls peuvent comprendre ceux qui maîtrisent la grammaire et le vocabulaire propres à tort langage (Weber, 1971). Dans les deux sociologies, sens et identité résultent donc de la culture. C'est elle qui dote l'inviter du bagage qui lui assignera son appartenance et lui donnera ses attaches identitaires et ses références émotionnelles et de valeurs.

Au sein des ensembles cultuels, la religion occupe une place importante. Dans sa conception du choc des civilisations, Samuel Huntington, on le sait, accorde une importance assez grande au facteur religieux (Huntington, 1996). L'islam, le bouddhisme, le confucianisme ou le christianisme jouent pour lui un rôle de marqueur des identités et des frontières. Cette idée n'est pas neuve. La cristallisation de l'identité des empires puis des nations, et parfois des Etats-Nation s'est constituée autour du religieux. La croyance commune, partagée et défendue, a construit des solidarités nationales, souvent pré–nationales. La religion, comme facteur culturel, fut longtemps considérée, notamment au XIX siècle, comme le résumé le plus parlant et le plus expressif de la vie d'un peuple (volkgeist) (en particulier par le romantisme allemand : Herder, Fichte, Hegel Burckhardt), en est venue dans la modernité européenne et occidentale, à symboliser un ordre de valeurs dont il s'agissait de savoir s'il relevait de la transcendance ou s'il exprimait la volonté humaine d'autonomie dans l'expression de soi et la manifestation de la liberté et de l'indépendance humaines. (Kojève 2000). On sait combien la querelle déclenchée par les Lumières portera sur cette prise de distance avec ce qui, dans la culture, représentait la part échappant à l'homme. Qu'on la nomme tradition et qu'on y voie le poids de la coutume et de sa force sur les institutions, ou, inversement que l'on considère, à l'instar, de l'occident, que la raison et la sécularisation doivent devenir le seul fondement accepté de la vie politique dessinent les contours et les frontières de deux systèmes de pensée et d'action sociale. La philosophie que manifestent les principes et le fonctionnement des droits de l'Homme apparaît de ce point de vue comme le terme d'une évolution caractéristique de la trajectoire occidentale de culture. Au contraire, la permanence acceptée et parfois théorisée de la culture traditionnelle comme signe et gage d'authenticité dans certains

régimes des pays en développement est vue et voulue comme une marque témoignant d'un retour à l'authenticité et aux valeurs originales de sociétés ayant été soumises à des processus de déculturation et, le plus souvent, ayant connu des phases de colonisation et d'hégémonie. Loin de nous, toutefois, l'idée simpliste que la religion serait un facteur culturel de distinction et de classement des sociétés les unes par rapport aux autres. Il faut aller, au contraire, à contre-courant de l'idée dominante selon laquelle la religion serait une totalité homogène qui s'appliquerait indépendamment de toute interprétation, du contexte social ou économique et de la conscience des croyants. Outre le fait, en effet, que les religions, qui ont chacune leurs codes de compréhension et d'explication des textes sacrés s'interprètent et se pratiquent de manière différenciée et adaptée, leur impact, leur rôle, la place qu'elles occupent dans les sociétés diffèrent grandement selon les cultures et les lieux. On ne peut ainsi parler du christianisme ou de l'islam dans leurs rapports à la société ou à la politique- sauf de manière très théorique, philosophique, ou dogmatique - sans spécifier de quelle société il s'agit. Le facteur «religion» n'est donc pas, sur le plan sociologique, explicatif en soi. Parfois, comme dans les conflits dits « identitaires », l'illusion se crée que la religion est la cause ou l'enjeu du conflit. Dans ce dernier cas, on voit la religion instrumentalisée, utilisée, pour servir de vecteur de mobilisation populaire et sociale. Dans nombre de cas, comme au Liban, en Bosnie ou en Irlande, tout se passe comme si lorsque la citoyenneté vacille, que l'Etat s'écroule ou que les groupes se déchirent, la religion « monte » à la vie politique et se substitue à une identité nationale et citoyenne, défaillante et la remplace.

Cependant, si la culture se définit par rapport un groupe une collectivité ou une nation et qu'elle détermine leur identité et les liens qui unissent les membres qui les constituent, elle ne saurait en aucun cas constituer une totalité ni homogène ni statique. Aucune culture n'est un ensemble lisse et indifférencié. Des différences, des sous-cultures, des spécificités locales ou régionales existent même dans les cultures les plus réputées pour l'unité ou pour l'homogénéité de leur peuplement et l'identité ethnique ou culturelle compacte de leur population. De même les cultures existent dans le temps cela veut dire d'une part qu'elles changent et évoluent au grès du développement des sociétés et des peuples et de leur histoire et que, d'autre part, elles sont ouvertes les unes aux autres, les unes sur les autres, de telle sorte que la caractéristique majeure des cultures contemporaines est leur propension à s'observer, s'inspirer les unes des autres et à emprunter

mutuellement des traits et coutumes propres à chacune d'entre elles. L'anthropologie culturelle connaît ces processus d'emprunts sous le vocable d'acculturation. Des exemples parlants de ces emprunts ont trait à la cuisine qui s'internationalise, à la mode qui se transmet par-delà les cultures et les frontières, à la musique « mondialisée », à la diffusion des méthodes de gouvernance économique ou simplement de gestion des entreprises. L'acculturation, c'est là son signe distinctif, ne se fait plus entre une culture et une autre mais entre toutes les cultures. C'est pourquoi on peut parler aujourd'hui d'acculturation à l'échelle mondiale.

Cette donnée nouvelle n'est pas sans conséquences pour notre sujet. Elle nous permet en effet de mieux comprendre ce que signifie l'expression, controversée, de « dialogue des cultures ». Expression controversée dans la mesure où, à proprement parler, les cultures ne « parlent pas ». Comment pourraient-elles dès lors se parler ? Régis Debray dans un essai récent a sévèrement critiqué cette notion, tant au plan de sa dénomination que sur le plan de sa fonction dans l'ordre international (Debray, 2007). Sur le premier point, l'expression «dialogue culturel» serait devenue un « poncif », une expression vide de sens répétée ad nauseam de manière mimétique; sur le second point, cette expression servirait essentiellement à couvrir de grandes manifestations internationales, politiques et médiatiques qui donneraient bonne conscience à des dirigeants en mal de solution vis-à-vis des problèmes du monde. Il est vrai qu'il existe un usage « conformiste », convenu et presque obligé de l'expression « dialogue des cultures ». On peut y voir un effet de mode. Plus profondément, on peut penser qu'il y a là comme une volonté d'écarter une obsession, d'affirmer une volonté de paix face à l'exacerbation des passions nationalistes, sectaires ou religieuses. On pourrait croire que l'on se trouve face à un discours incantatoire qui aurait pour fonction de balayer un phantasme en agitant, face à lui, un autre phantasme. D'autres critiques comme Edward Saïd ont pu mettre en avant la thèse d'un discours totalement fallacieux que celui tenu sur le « dialogue des cultures ». Il s'agirait pour le penseur américano-palestinien d'une véritable imposture, puisque loin de correspondre à une réalité de confrontation de deux perceptions ou de deux visions du monde ce sont, dans l'état actuel des choses, deux ignorances qui s'opposent (Saïd, 1980). C'est plutôt de méconnaissance que de dialogue dont if faudrait ainsi parler, tant les préjugés, les clichés et les images altérées de l'Autre l'emportent sur une variable connaissance de civilisations, de religions ou de cultures différentes.

Certes, les critiques paraissent ici justifiées tant sur le plan notionnel

(l'idée d'un « dialogue »), que sur le plan, ou plutôt l'arrière-plan, de l'échange culturel. Toutefois, et contrairement à une apparence trompeuse où la sémantique et le sens apparent des mots cacheraient la réalité de la fonction d'échange entre les cultures, fonction, elle, bien réelle, il existe vraiment un dialogue entre les cultures. Ce dialogue est à comprendre comme un échange dans lequel les productions et les manifestations culturelles qui se déroulent dans le monde ouvrent un espace où se font des comparaisons, où se prononcent des jugements, des évaluations, ou s'initient des imitations. Mais aussi où se font des rejets et des critiques. On voit ainsi des émissions de radio et de télévision être reprises et imitées par d'autres stations ou d'autres chaînes. Ou au contraire, par moment, comme dans des affaires récentes, on constate que des livres ou des caricatures suscitent des réactions violentes, qu'elles sont fustigés et rejetés par des membres d'une autre culture qui s'estiment, parfois à juste titre, bafoués et insultés. Alors, il est vrai : les cultures ne « dialoguent » pas. Mais elles réagissent, preuve qu'elles ne sont pas indifférentes les unes aux autres. Il est vrai qu'il ne faut pas entendre ici l'expression « dialogue des cultures » au sens anthropomorphique du terme. Les cultures ne sont pas des hommes. Elles sont le produit de l'Homme. Quand elles « dialoguent » elles ne « parlent » pas d'une parole articulée. Mais elles possèdent, pourrait-on dire, un langage. Elles se « connaissent », « s'observent», se « regardent », se « jugent ». Leur échange est muet, mais il est réel. Leur « dialogue » n'est donc pas un dialogue au sens premier du terme. Néanmoins, il permet de comprendre comment un «vrai » dialogue, par exemple entre intellectuels, hommes politiques ou universitaires peut se nouer sur la base de ce qui advient comme échange et interactions entre les cultures. Il faudrait souligner, encore une fois, combien la mondialisation accroît et accélère ce que nous avons nommé, plus haut, acculturation. Il est ainsi illusoire de croire que les cultures peuvent demeurer isolées Il faut au contraire accepter que, contrairement aux temps de jadis, où la culture et les créations culturelles circulaient lentement d'une société à une autre, toutes les cultures sont immédiatement et en même temps rendues visibles et présentes par les médias, Internet, les expositions ambulantes, les journaux et la télévision. Il est vrai que cette interaction n'est pas toujours à l'honneur de la culture puisque la sanction de cette circulation de la culture est en partie sa « marchandisation ». Ainsi, et en définitive, l'aspect formel, raisonné et réfléchi du dialogue interculturel vient se greffer sur un échange largement inconscient, presque mécanique qui se passe largement en amont, bien avant que des autorités constituées ou des personnalités du monde de l'art, de la

littérature ou de la philosophie s'emparent de l'évolution culturelle pour la théoriser, la « maîtriser », lui imprimer une orientation et la canaliser en vue de finalités proclamées de rapprochement entre les peuples et de coopération internationale.

Les thèmes du dialogue

Mais que recouvre le terme de « dialogue des cultures » ? Si nous passons de la forme du dialogue à son contenu, la question se pose de savoir de quoi on parle lorsque l'on « dialogue culturellement » ? Nous faisons ici une allusion explicite aux manifestations et rencontres diverses qui s'organisent comme, par exemple, dans le cadre de ce colloque, pour débattre du contact entre les cultures dans le monde. La question du contenu de ce qui est en discussion dans un dialogue dit « culturel » est intéressante à un double titre. D'abord parce qu'elle permet de définir un agenda, un contenu à des réunions ou à des réflexions collectives qui s'organisent autour de ce thème; et, d'autre part, parce qu'elle nous incite à réfléchir sur le fait de savoir s'il existe des thèmes culturels par nature qui feraient donc « naturellement » l'objet de débats, ou si, au contraire, les thèmes du dialogue culturel ne sont pas variables et soumis à discussion de manière volontaire, consensuelle, et par accord. Pour le dire d'une manière différente : y a t-il des thèmes culturels par vocation ou seulement par convention ?

Le thème du dialogue des cultures et sa vogue n'ont pas pris leur envol au lendemain des attentats du 11 septembre mais au lendemain de la chute du Mur de Berlin. Le débat ouvert sur la place des cultures dans le monde d'aujourd'hui n'était donc pas une réponse au défi du terrorisme et n'était pas, à l'origine, spécialement suspicieux à l'égard d'une culture en particulier, comme l'accusation en avait été faite à l'auteur du « Choc des Civilisations ». L'idée au contraire était de constater la disparition des idéologies et de pronostiquer que le vide laissé serait comblé par une « idéologisation » de la culture qui reprendrait la place désormais vacante du marxisme pour relancer une confrontation à l'échelle planétaire. La tournure du « choc civilisationnel » avec l'islam devient plus marquée après le 11 septembre. Désormais tout se passe comme si une seule culture prenait la figure de l'adversaire et endossait l'habit de la civilisation menaçante. Du coup aussi, notons le, l'affirmation qu'il existe un vrai choc entre les cultures commence, pour beaucoup, à avoir une certaine consistance. Les réunions, colloques, rencontres vont commencer à se multiplier autour du danger représenté par le terrorisme islamiste avec des amalgames regrettables avec l'islam. Les remous créés autour de la guerre menée en Afghanistan et la

guerre conduite en Irak, vont alimenter la radicalisation des oppositions entre ce qui est perçu comme une guerre pour la « démocratie » et la paix par les uns et une guerre « d'hégémonie » par les autres. Dès lors, le thème de la culture dans la mondialisation acquiert non seulement une notoriété certaine mais devient aussi d'une actualité urgente. Au-delà de l'événement contingent ce qui frappe est la découverte que la culture peut devenir une arme de la puissance ou en tout cas une arme du ressentiment et du combat. C'est là un véritable changement dans la manière avec laquelle la culture était envisagée. En réalité deux événements ont contribué à faire de la culture une thématique prioritaire dans la perception et la représentation que l'on se fait de mondialisation.

Le premier est la conscience, presque la « découverte», qu'une compétition sournoise avait succédé à la rivalité idéologique. Une compétition, toutefois, moins marquée par la course à la suprématie politique qu'à l'imposition des normes techniques et de gestion de notre monde et à l'extension de l'influence globale de l'occident. Cette influence ne vise pas à imposer un système social particulier (l'économie de marché étant devenue un modèle peu contesté) ni même à satelliser des pays qui tomberaient dans des sphères d'influence comme, par exemple, l'Europe de l'Est à l'époque du « glacis » européen établi par l'Union soviétique. La compétition s'est, en réalité, déplacée au niveau économique, à la libéralisation des marchés, mais aussi au contrôle des images, de la communication, de l'Internet, des grands groupes de « l'industries culturelle » et surtout à la meilleure maîtrise des technologies qui, en s'imposant demain, donneront un avantage à ceux qui impulsent la recherche scientifique et la dominent. On voit l'étendue du déplacement des enjeux du pouvoir au plan mondial. Il est assez neuf dans l'histoire de l'humanité. Les enjeux classiques (puissance militaire, domination économique, contrôle des espaces…) ne sont certes pas oubliés. Ils ne disparaissent pas et les Etats les plus puissants continuent bien évidemment à s'armer. Rappelons ainsi pour mémoire que la doctrine militaire des Etats-Unis, rendue publique en janvier 2001, huit mois avant le 11 septembre, pointait, implicitement, le danger majeur de l'armement, notamment balistique, de la Chine. Ces buts de la politique militaire sont donc maintenus, en l'absence de confits majeurs ou de risques de conflits globaux en tant qu'objectifs stratégiques mais ils cèdent le pas à la compétition économique et au renforcement de l'influence (soft power) dans la politique à court et à moyen termes des Puissances (Nye, 1990).

Le second tournant est celui qui s'est noué autour du débat sur la diversité

culturelle et qui s'est conclu par la Charte de l'UNESCO en 2005 sur la protection de la diversité des cultures. Au-delà de la question du dialogue, l'angoissante question posée par la mondialisation est non seulement, qu'elle risque d'introduire à une civilisation de l'homogène, par une sorte de nivellement culturel qui impose des standards culturels à tous, mais de la disparition de cultures qui n'ont pas la possibilité de subsister et de se développer. Loin d'être une chance pour les sociétés les plus faibles, la mondialisation s'avère une menace pour leur culture, marginalisée par une langue supplantée et rendue invisible par des productions qui n'ont pas les moyens de se transmettre et d'être diffusées. Dans cette perspective le dialogue des cultures peut même changer de nature puisqu'il s'agit désormais de favoriser non pas les meilleures conditions du dialogue mais de se préoccuper des cultures les plus exposées et favoriser les chances de leur survie.

Quoi qu'il en soit, reste posée la question de savoir ce qui peut constituer l'essentiel du dialogue des cultures. Des sujets nombreux peuvent ici être énumérés. Notre but n'est pas de les énumérer. Force est toutefois de constater que le débat actuel, en la matière, reste dominé par des questions qui s'imposent d'elles mêmes en quelque sorte, vu l'esprit du temps. Trois thématiques de débat se sont imposées de manière récurrente.

La première question tient à l'esprit du religieux. Le dialogue interculturel est, en effet, de plus en plus monopolisé par le dialogue interreligieux et de tout ce qui prétend se rapprocher de lui. Plus que du dialogue interreligieux, bien que ce dernier se déroule entre des autorités religieuses, c'est de l'esprit de la religion et de ce que devraient être ses enseignements qu'il est plutôt question. Le débat n'est donc pas théologique. Nul ne songe, en effet, à échanger des arguments sur la vérité de telle ou telle croyance religieuse. Les rencontres interreligieuses se préoccupent de la présentation de la religion sous l'aspect de ses commandements et de ses enseignements de tolérance, de paix et de justice. (cf. en cela la réunion organisée récemment par le roi Abdallah d'Arabie Saoudite et la réunion qu'organisera le Vatican en novembre prochain avec les responsables religieux et les intellectuels musulmans signataires d'une lettre au Pape Benoît XVI après son discours de Ratisbonne).

La seconde thématique propre au dialogue culturel tient à la paix et aux conditions d'une culture de paix. Développer les valeurs essentielles au maintien des relations pacifiques entre les nations, à la réconciliation dans les sorties de crise, à la reconstruction des Etats et des sociétés qui ont connu

des conflits, à l'écriture de l'histoire, au pardon et à la réconciliation, appartient à cette culture de la paix. On sait que l'UNESCO a consacré une décennie à la paix et à sa culture. De fait, c'est ici d'éducation qu'il s'agit essentiellement. On peut regretter que ce programme lancé par l'UNESCO n'ait pas eu plus de résonance dans les milieux de l'éducation nationale au niveau des Etats. Mais la grande idée qui traverse ces efforts pour la diffusion des valeurs de paix reste la possibilité de travailler à la prévention des crises par l'extension des

Le troisième domaine est celui dont la naissance récente pousse nombre d'Etats et d'organisations internationales de programmer des recherches sur le rapprochement des cultures ou même de créer des coalitions vertueuses comme celle par exemple dite de «l'Alliance des civilisations», ou encore d'autres programmes onusiens visant la perspective du dialogue.

Il est difficile d'évaluer la part du politique et du culturel dans le domaine du dialogue de cultures. Certes, le dialogue porte sur des valeurs, des intentions, des croyances, des idées et une éthique des rapports humains. La thématique est culturelle, sans conteste. Toutefois, par sa portée, sa visibilité et ses finalités le dialogue culturel est éminemment politique. La culture y apparaît comme un médium, comme un vecteur porteur d'une meilleure compréhension et connaissance des interlocuteurs et des acteurs de la politique internationale. Contrairement à un dialogue, d'intellectuels, d'artistes ou d'universitaires, la culture ou la science ou l'art ne sont pas visés pour eux-mêmes mais pour des fins d'assainissement du climat mondial et pour l'amélioration des rapports internationaux. C'est pourquoi, à la question que nous posions de savoir s'il y avait des thèmes par vocation, éligibles au registre du dialogue des cultures, la réponse est plutôt négative. Il n'y a pas de thèmes aptes a priori à figurer sur le catalogue du dialogue des cultures, car le rapprochement voulu entre les peuples, l'entente entre les nations, la dissipation des malentendus, la rectification des images, la meilleure connaissance de l'Autre ne sont pas seulement des objectifs culturels : ils sont le truchement ou les passerelles culturels de stratégies politiques.

L'avenir du dialogue des cultures

Si le dialogue des cultures, comme nous avons tenté de l'expliquer, est essentiellement finalisé à des aspects politiques, au sens large du mot politique, cela ne signifie pas que toute problématique culturelle est nécessairement instrumentalisée, utilisée par des Puissances pour poursuivre

des fins de pouvoir de manière déguisée. Le dialogue culturel vaut pour lui-même quels que soient l'époque ou le temps et rien ne remplacera le face-à-face des hommes, la discussion, la communication et son éthique. Ce qui peut-être questionné pour élucider notre notion de dialogue de cultures c'est de comprendre que son surgissement dans l'ordre international a correspondu et continue de correspondre à des besoins qui se sont fait jour dans les relations entre les nations suite aux transformations du monde. Quand l'ordre international a été bouleversé sous le triple coup de la modification des rapports géopolitiques, de la révolution des technologies de la communication et de la crise des grandes idéologies d'explication et de vision du monde, les repères classiques des rapports entre Etats ont été effacés. L'absence de règles communes de gouvernance mondiale a été ressentie, alors, avec la disparition du rapport de forces qui dictait des normes de conduite et dessinait des frontières matérielles et symboliques à ne pas dépasser. Dans le vide laissé par cette transformation du monde, la montée des identités, des hégémonies, des égoïsmes nationaux, l'imposition de la démocratie comme une idée allant de soi a pris des allures menaçantes pour des peuples qui subissaient l'histoire plus qu'ils ne la faisaient. Le refus d'une situation qui faisait apparaître le monde comme un terrain conquis, sans résistance et sans opposition et le nouvel ordre international comme une occidentalisation accrue aura attisé des réactions culturelles de défense et de revendication identitaire. Ces crispations vont favoriser et imprégner les diverses formes de rejet du nouvel état des choses. Si la protestation sera culturelle, au sens large du terme, le bouleversement qui l'a provoquée est, lui, structurel car il tient aux grandes mutations de notre temps. C'est pourquoi le thème du dialogue des cultures joue un rôle de révélateur : il pointe et indique les divergences de vue qui dictent notre perception du monde et les normes que les uns et les autres veulent voir s'appliquer, notamment en ce qui concerne la conception des droits de l'homme, le respect et la protection de la diversité culturelle, la régulation des migrations internationales et l'accueil des migrants, les principes de la gouvernance mondiale y compris au Conseil de sécurité de l'ONU, ainsi que la place du droit international et son application sans que le sentiment du « deux poids, deux mesures » ne domine. Mais

comment impulser le changement sur toutes ces questions? Qui décidera ? Qui prendra l'initiative de procéder aux évolutions requises dans l'ordre international ? Qui sera le maître de l'agenda international et en déterminera l'ordre des priorités ? Qui y sera associé ?

La question du dialogue a vocation à se résorber au sien des organisations multilatérales à condition de pratiquer un multilatéralisme ouvert qui permette à tous de participer à la discussion et à la prise décision. Sinon le sentiment de marginalisation et d'impuissance viendra renforcer la perception d'un ordre mondial injuste. Et le dialogue culturel sera convoqué pour cacher l'absence d'une vraie démocratisation des rapports internationaux ou pour en atténuer les effets.

Joseph Maïla

Ancien Recteur d'université

Directeur du Centre de recherche sur la Paix à Paris

Bibliographie

- Debray Régis (2007), Un mythe contemporain : le dialogue des civilisations, ed. CNRS, Paris

- Durkheim Emile et Mauss Marcel (1913), « Note sur la notion de civilisation », Année sociologique, n°2

- Huntington Samuel (1996), The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order, New York; Simon & Schuster

- Kojève Alexandre (2000), Introduction à la lecture de Hegel, Paris, Gallimard

- Nye Joseph (1990), Bound to Lead : The Changing Nature of American Power, New York, Basic Books

- Saïd Edward (1985), L'Orientalisme, Paris, Seuil

- Weber Max (1971), Economie et société, Paris, Plon

Abstract

Bien qu'elle occupe une place médiatique importante et donne lieu à des rencontres internationales multiples, la notion de dialogue des cultures n'est jamais vraiment interrogée et analysée dans son contenu même. Avec la mondialisation, non seulement les cultures ont été ouvertes les unes sur les autres mais, de plus, des cultures dominantes risquent de s'imposer à d'autres créant des frustrations et du ressentiment. Cependant, qu'entend-t-on par dialogue des cultures ? Quelles sont les thématiques que recouvre cette notion ? Comment a-t-elle surgi au plan international et quel rôle joue-t-elle dans les rapports entre les nations ? C'est à ces questions que cette présentation tente de répondre en essayant de préciser à la fois les problématiques liées à la notion de dialogue et en se posant la question de savoir si ce concept ne vient pas masquer des manques et des déficits

قراءة نقدية ورؤية مستقبلية للمشهد الثقافي العالمي

البروفسور جوزيف مايلا

ملخص البحث

إن مسألة حوار الحضارات أصبحت اليوم مسألة تفرض نفسها في آنٍ معًا على العلوم الاجتماعية والسياسية والحياة الدولية بدرجة أنه لا يمرّ يوم واحد دون ذكر أهمية أو ضرورة العمل على تقريب الثقافات في جريدة ما أو في مؤتمرٍ من المؤتمرات الجامعية أو في لقاء من اللقاءات السياسية.

هناك عدة مبررات تجعلنا نفكر في هذه المسألة دون غيرها من المسائل التي تشغل العالم اليوم، مثل مسألة ارتفاع درجة حرارة الكرة الأرضية، وأزمة الغذاء العالمي، وأمراض العصر من الإيدز إلى الأوبئة الأخرى.

هذا البحث إذن مَعْنِيٌّ بالتعرّف على هذه المبررات التي جعلت من مسألة حوار الثقافات الشغل الشاغل لدى المثقفين في عصرنا الحاضر وذلك في الرد على أسئلة كالمذكورة أدناه:

– هل أصبحت مسألة حوار الثقافات مظهرًا من مظاهر «السياسة المقبولة»؟

– ما هي الحقيقة التي تكمن وراء حوار الثقافات؟ بمعنى ما هي وظيفة حوار الثقافات؟ ما هو الدور الذي ينفرد حوار الحضارات في القيام به دون غيره من المؤسسات؟ إلى أي مدى يصلح لنا أو يجب علينا إقامة مؤسسة لحوار الثقافات في كتابة دستور معين له وتحديد مقرّ لإقامة وإدارة نشاطاته ومواسمه وكتابة توصياته؟

هذا فعلى الرغم من المكانة الإعلامية المهمة التي يمثلها والملتقيات الدولية المتعددة التي عقدت بشأنه، إلا أن مفهوم حوار الثقافات لم يخضع حقيقة للفحص والتحليل في جوهر فحواه.

مع العولمة، لم يحدث فقط أن الثقافات انفتحت بعضها على بعض، بل إن ثقافات مهيمنة تهدد بفرض نفسها على باقي الثقافات مخلّفة حرمانًا وإحباطًا.

ومع ذلك: ما الذي نفهمه من حوار الثقافات؟ وما هي الموضوعات التي تغطي هذا المفهوم؟ وكيف يؤثر هذا الحوار على الصعيد الدولي وما الدور الذي يلعبه في العلاقات بين الأمم؟

هذه هي الأسئلة التي تحاول هذه الورقة الإجابة عليها مع السعي في آن واحد إلى تحديد الإشكاليات المتعلقة بمفهوم الحوار مع طرح سؤال معرفة ما إذا كان هذا المفهوم لا يأتي ليخفي النواقص والإخفاقات الكبرى في إدارة العلاقات الدولية والمتعددة الأطراف.

✱✱✱✱

Critical reading and a preview of
The international cultural scene

Dr. Joseph Maila

Abstract

The issue of dialogue among different civilizations now has an even stronger presence in our social, political and international lives. It is so much to this extent that not one day goes by without there being a need or importance to bridge the cultural gap in newspapers, university conferences and political meetings.

There are several reasons to why we consider this issue more than any of the other issues that concern the world today, such as global warming, the world food crisis or current diseases, from AIDS to other epidemics.

This research aims at identifying the reasons behind why the issue of cultural dialogue has become a main concern to most intellectuals and scholars of this time, by answering the following questions:

1. Has the issue of cultural dialogue become an aspect of "acceptable policy"?

2. What is the underlying truth behind cultural dialogue? In other words, what is the function of cultural dialogue? What is the distinctive role of dialogue among civilizations that distinguishes it from other institutions? And, to what extent are we required to establish an institution of cultural dialogue, which will include writing its specific constitution, determining its proposed location, managing its seasonal activities and writing its recommendations?

Despite its public importance and its presentation in various international meetings and forums, organized for it, the concept of cultural dialogue has not been thoroughly or genuinely examined and analyzed.

As a result of globalization, it is not just that different cultures are opening up to one another, but also, dominant cultures threaten to impose themselves on other cultures, causing deprivation and frustration.

However: What do we understand from cultural dialogue? What are the main issues concerning this concept? How does this dialogue affect the international scene? And finally, what role does it assume regarding relations between nations?

These are the questions that this paper will attempt to address, while simultaneously trying to identify the problems related to the concept of dialogue. In addition, this paper raises the question of whether this concept will hide the shortcomings and failures of managing key international and multilateral relations.

✲✲✲✲✲

رئيس الجلسة

شكرًا جزيلاً للدكتور جوزيف مايلا على هذه الورقة.. سيداتي سادتي، الآن سنبدأ بالنقاش على أن ننهي هذه الجلسة في الساعة ١١,٣٠ . ولدي فقط إعلان من المنظمين بأن هناك حلقة نقاشية بعد الجلسة الثانية حول ثورة في القنوات العربية الفضائية سيتحدث فيها الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين والأستاذ نخلة الحاج مدير الأخبار في قنوات العربية، والأستاذ إبراهيم هلال نائب مدير تحرير في قناة الجزيرة الإنكليزية والأستاذ حسام السكري رئيس القسم العربي في الإذاعة البريطانية.

الآن سوف أفتح باب النقاش للمداخلات لما دار في هذه الجلسة.

✷✷✷✷

المداخـــــلات

رئيس الجلسة: د. محمد الرميحي

الآن نبدأ باب النقاش والمداخلات.. استمعنا إلى وجهات نظر، بعضها متطابق وبعضها متعارض وأريد من حضراتكم الإيجاز في المداخلة أو السؤال، وسوف نترك حوالي عشرين دقيقة لهذا الأمر، ثم نترك الزملاء يتحدثون في دقائق معدودة وباختصار، وسوف نرفع الجلسة في الحادية عشرة والنصف تمامًا.

تفضل أستاذ..

د. أحمد شرّاك (المغرب)

في الحقيقة، مجمل العروض كانت جيدة وغنية، وهذا الغنى هو الذي يفتح شهية السؤال بل وشهية الملاحظة.

فبالنسبة للعرض الأول الذي قدّمته أ. هدى صالح، هو عرض أنتج مجموعة من المفاهيم كمفهوم الثقافة الاستهلاكية ومفهوم ثقافة العولمة، بالإضافة إلى مفهوم مدرسة التعدد الثقافي كمدرسة قائمة أساسًا في أمريكا، وأعطت مجموعة من الإبداعات كالموسيقى والتشكيل، إلا أن سؤالي هو، هل يمكن مثلا في العالم العربي أن نتحدث عن اقتصاد وثقافة حتى يمكن الحديث عن خيراتها في ثقافة استهلاك كمفهوم اقتصادي؟ وإن كانت الأستاذة هدى الدخيل استبعدت المطارحة الاقتصادية لكنها ظلت في مناخ هذه المطارحة الاقتصادية.

فلا يمكن لأحد الحديث عن الاقتصاد ثقافة في الشعر ما دمنا نحن مجتمعين هنا حول الشعر. إلى أي حد استطاعت هذه الثقافة العربية أن تنخرط في اقتصادات محلية حتى يمكن الحديث عن اقتصاد كوني أو عولمة ثقافية.

رئيس الجلسة

شكرًا، تفضل أستاذ.

د. عبدالحميد الفهري (تونس):

سأحاور بشكل سريع في شكل سؤال، للأستاذ جوزيف الذي في نهاية عرضه تحدث في قوله ما العمل؟ عن وجوب تغيير المشهد الثقافي المتعلق بالعولمة، لكن السؤال هل هناك حاليًا توجه نحو رسم آليات عمل للتغيير؟ هل رسمنا نحن في المقابل ما يجعلنا نسير نحو إعادة التوازنات المختلة والتي لا يمكن أن تكون بالآراء، إنما يجب أن نتحول إلى حقل العمل.. وشكرًا.

أ. إسماعيل الفخراني (مصر/ كاتب صحافي في جريدة الأهرام):

الأستاذة هدى آثرت ألا تدخل في مجاهل السياسة والاقتصاد، إلا أنها وقعت رضيت أم أبت في مجاهل أكثر شراسة، حيث قالت في بحثها الذي عكفت على قراءته، قالت إن الثقافة المشتركة التي تريدها وتطالب بها يجب أن تبتعد عن الرموز الدينية والأخلاقية والنزوع إلى ثقافة ترتكز على كل ماهو مسلٍ وممتع. هذه جزئية، رد عليها الأساتذة كلهم وقالوا إن الدين مؤثر قوي في الثقافة وفي ثقافات الشعوب.

هذا النص نقلته من بحثها في الكتاب، لكنها لم تقل هذا في بحثها الآن (يرد بذلك على مقاطعة رئيس الجلسة حين قال له أخشى أن تكون كمن قرأ «ويل للمصلين» دون أن يكمل الآية..).

رئيس الجلسة:

((خلاص ما دامت لم تقله الآن فهي غير مسؤولة عنه)).

الفخراني: لا. أنا لي ما هو مكتوب. قالت ليس هناك مكان للحقائق المطلقة أو القيم الأخلاقية الثابتة، في حين أيضًا أن هناك من المتحدثين من أكدوا أن هناك قيمًا ثابتة كثيرة مشتركة بين الأديان كقيمة الحب مثلاً قيمة مشتركة بين الديانات الثلاث.

الواقع هناك نقاط كثيرة.

الأستاذة هدى الدخيل مقاطعة: أستاذ، لو تسمح وحتى لانطيل في الموضوع، شكرًا لاهتمامك وقراءتك للبحث. كنت أتمنى لو أنك كنت قرأته بدقة أكثر، لأن ما تفضلت به هو بلسان الليبرالية الجديدة وليس بلساني أنا. هذه مطالب الليبرالية الجديدة والتي نعرضها بموضوعية في البحث.

كيف نناقش فكرًا إن لم نعرضه بموضوعية فيبدو أن القراءة لم تكن دقيقة، أتمنى أن تعيد قراءة البحث مرة أخرى. شكرًا.

رئيس الجلسة: د. رميحي

(يعني فيه لبس. مشكورة أستاذة).

د. سهام ترجمان (سورية):

أشكر السادة المحاضرين على ما تفضلوا به، ومؤسسة البابطين على دعوتنا جميعًا وإتاحة الفرصة للاستماع لهذا الجهد الفكري العالي.

لي كلمة واحدة حول ما سمعت. لم أسمع من المحاضرين دعوة للوطن العربي تحديدًا أن يتجه باتجاه العلوم، نحن شعب نستهلك العلوم الآتية من الغرب. ولا نبدع بدليل أن أحدهم قال ليس لدينا من حصل على جائزة نوبل في الطب أو العلوم عدا اثنين هما الدكتور أحمد زويل ونجيب محفوظ من مصر.

والنقطة الأخرى التي أود أن أثيرها هي مسألة الهوية، أنا أكتب في التراث العربي لمؤلفات عن التراث الشعبي الشامي وأعتقد أن هذه الهجمة مني على جمع التراث الشعبي هي للحفاظ على الهوية العربية، ولا أعتبر عملي أو عمل غيري في البحث عن التراث سجنًا، بل هو حرية وطائر يطير إلى المستقبل. وشكرًا.

رئيس الجلسة:

شكرًا. تفضل د. أمين مشاقبة.

د. أمين مشاقبة (الأردن):

بداية أتقدم بالشكر الجزيل للأخت والإخوة والحاضرين على هذه الموضوعات والأفكار القيمة، لكني أريد أن أقول نقطة صغيرة عن موضوع التعددية الثقافية وتلاقي أو تلاقح الحضارات والبعد المتعلق برفض الهيمنة الثقافية من جانب.

نحن لاحظنا في السنوات العشر الأخيرة هناك بروز لحالة سيطرة السوق، وأثبت الإعصار المالي الذي عصف بالعالم في الآونة الأخيرة على أن انفلات السوق يجب أن يُكبح جماحه من قبل الدولة، وهذا متغير أو مؤشر على أنه لاتجوز الهيمنة الاقتصادية أو المالية، وهناك مطالبات عالمية بالتوجه نحو التعددية في هذا المجال، في المستقبل وبعد سنوات لا أدري هل نقيس على هذا التراجع في انفلات السوق وسيطرة السوق على الدولة والبحث عن بعد تعددي سينعكس على البعد الثقافي؟. وشكرًا.

رئيس الجلسة:

شكرًا جزيلاً الدكتور أحمد عبدالملك.. تفضل.

د. أحمد عبدالملك (قطر)

شكرًا سيدي الرئيس، أود أن أرحب بالأساتذة وكل أوراقهم كانت ثرية. ولدي فقط تعليق على ورقة الدكتور هشام مصباح.. لماذا لم تنجح دول العالم الثالث في استيعاب العولمة؟ نحن ندرك والإخوان في الإعلام بأن دول العالم الثالث طالبت بعدالة في تدفق المعلومات عبر اليونيسكو منذ عام ١٩٧٤ وها نحن الآن نطالب بالعدالة في توزيع العولمة. واعتقد بأن دول العالم الثالث تمارس نوعًا من النفاق العولمي، فشيوخ الدين يلعنون أميركا ويركبون السيارات الأميركية، وقادة الدول العربية يعاندون أميركا وقادة دول إسلامية ضد أميركا ودول الغرب، لكنهم يلبسون الساعات السويسرية الجميلة.

فبالتالي يوجد هناك نفاق. وأتفق مع الباحث عندما قال في النهاية ماذا لدينا لنقدمه لنشارك في العولمة؟ وشكرًا.

رئيس الجلسة:

شكرًا... الكلمة للدكتورة حسينة حاميد... تفضلي

د. حسينة حاميد (الجزائر):

أشكر المشاركين في هذه المداخلات القيمة، وكلها كانت تصب في تشخيص المرض الذي نعاني منه، كذلك نحن في إطار عالم فطر على الصراع، نقابله بنظرية الحوار. نتكلم نحن العرب بصفة خاصة والمسلمين بصفة عامة عن الحوار، لكن دائمًا هم ينظرون للصراع. مثلاً منظمة اليونيسكو أعلنت أن اللغة العربية رُشّحت لكي تكون لغة ميتة السنة القادمة.

أمس، كان يتكلم الأستاذ عبدالعزيز البابطين أن اللغة العربية رشحت لتكون لغة رسمية في إسبانيا. إذًا ما العمل؟ هل هذا يعني أننا سنكون في المؤخرة، يعني كما قال المتدخل أن المثقف ينقد الثقافة، فعلاً المثقف ينقد ليس من أجل النقد ولكن من أجل تقديم البديل.. أين هو البديل؟ يجب أن نعرف أنهم في الغرب وصلوا عن طريق التدرج.. عن طريق رؤى بعيدة.. عن طريق مراحل.. ثورات. منذ الثورة الفرنسية تلتها ثورة ١٨٣٠م، ١٨٤٨م إلى غاية الوصول إلى المواطنة، التي يمارسها فقط المواطن العادي.

نحن أكاديميون ونتكلم لغة الحوار، حوار النخبة.. أين هو حوار الشعب؟ المنظمات غير الحكومية مثل مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين، أن نخرج إلى الشارع لمعايشة قضايا الشعب وتنويره ومساعدته للإبداع في هذه الحياة. وشكرًا.

رئيس الجلسة:

شكرًا.. تفضل أستاذ بولس عقل.

الخوري بولس عقل (لبنان):

كنت أتمنى أن يدور بعض الكلام حول المعاجم والشعر بما أننا بمعرض إطلاق معجم البابطين للشعر العربي، وأن تخصص فسحة للعلماء المميزين في العالم العربي، أعطي مثلاً عن ثلاثة لبنانيين، حسن كامل الصبّاح في مجال الاختراعات، ورمال رمال والأستاذ عَشّي الموجود في مركز ناسا في أمريكا، والشعر هو أداة من أدوات الحضارة والثقافة، وهذا يذكرني بقول أحد المفكرين اللبنانيين المميزين في مطلع القرن العشرين حين تساءل قائلاً:

الشعراء، هل هم من هذه الدنيا؟

فالدنيا صحراء مجدبة

وأما قلبهم فخصبٌ وطري.

وأن تكون هناك فسحة للتراجم.. شكرًا جزيلاً.

رئيس الجلسة

تفضل أستاذ «منادياً على الأب مونس».

الأب مونس (أستاذ علم الأنثروبولوجيا والأديان/ لبنان):

سؤال بسيط وسريع جدًا، نتكلم عن الثقافة وكأن المشهد الثقافي هو كلام، بعدنا نثرثر! هل نريد أن نظل نثرثر أم نريد أن نخرج لعالم ثان؟ هذا هو سؤالي الأول؟ سؤالي الثاني في هذا الإطار ذاته، أحد العلماء الكبار يحكي عن الثقافة ويقول عن أدوات المطبخ ثقافة، جرن الكبة ثقافة، الرقص ثقافة، لا أحصر الثقافة بالنخبوية، يعني أنا مثقف بما علمتني أمي وليس بما تعلمته من الجامعة... وشكرًا.

الدكتور عبدالرحمن طنكول (من جامعة سيدي بن عبدالله في فاس/ المغرب):

لدي ملاحظة تهم كل العروض، وهي عروض شيقة، لكن غُيِّبت، السؤال الاستشكالي - ما عدا عرض الدكتور جوزيف مايلا - قدمت لنا أوصافًا لحالة العالم

والمشهد الثقافي، لكن مع الأسف كان مسحة قاتمة في ما يخص الحضور العربي داخل هذا المشهد الواصف، ثانيًا داخل هذه البلاغة القتيمة والتي لم تعط حقها الجهود العربية في مجال صناعة القرار، أود فقط أن أدلي بملاحظة بسيطة وهي أن هناك عولمة عربية، فالعرب حاضرون في المجتمعات الثقافية العالمية وفي المعاهد، د. جوزيف مايلا أدار جامعة كبيرة في باريس، وهناك علماء عرب يديرون مراكز بحث في العالم في أمريكا الشمالية وفي أوروبا، وهم الآن أصبحوا يساهمون في صناعة القرار، وهناك وزيرة مغربية في الحكومة الفرنسية، هناك سوريون ومصريون أصبحوا يساهمون في صناعة القرار إلى جانب رأس المال العربي الحاضر في كثير من المراكز المالية العالمية، فهذه النظرة القاتمة التي تقزم الدور العربي لا أؤمن بها، فهي تدخص كل الجهود التي يبذلها العرب، فالعولمة ليست عولمة فقط بالنسبة للغرب والعالم، فالعرب أيضًا يساهمون فيها وهم حاضرون في سلعتها. وشكرًا جزيلاً.

رئيس الجلسة

شكرًا جزيلاً الأستاذ خالد لزعر.. تفضل.

أ. خالد لزعر (من جامعة فاس/ المغرب):

عندي سؤال للدكتور هشام مصباح، لما تحدث عن وجوب البحث عمن هو العدو. أنا أود أن أقول، لماذا لا نقول يجب أن نبحث عن الصديق.

والتدخل الثاني يجب أن نعطي شيئًا للعالم إذا أردنا أن يعترف بنا العالم، من هو العالم في نظركم؟ هذا حكم قيمة، لأن هنا نوع من الاعتراف الضمني لجهة ما، كحَكَم تقيِّمنا وهذا هو المشكل الكبير، إننا لانثق في أنفسنا، ولا في قدراتنا فاستصغار النفس واحتقار قدراتها يكرس مركبات نقص قد تعوق السير، لهذا يجب أن نثق بمقوماتنا تقنياتنا وليس من اللازم أن نصنع ما يصنعه الغرب، وشكرًا.

رئيس الجلسة:

تفضل أستاذ عبد محمد بركو.

أ. عبد محمد بركو (عضو اتحاد الصحفيين السوريين/ سورية):

أشكر المحاضرين الأربعة، السؤال الأول للأستاذ جوزيف، ماذا تبقى من نظرية نهاية التاريخ لفوكوياما وهو الذي راهن على الرأسمالية بعد الهزة العنيفة التي تتعرض لها اقتصادات العالم وخاصة العالم الرأسمالي؟.

السؤال الثاني للدكتور هشام مصباح، ما الاستراتيجية الإسلامية لحوار الحضارات، نحن كعرب نتوجه لحوار الحضارات بلا استراتيجية إسلامية شاملة، وضح لنا هذا الأمر؟ وشكرًا.

رئيس الجلسة:

سؤال للزميلة هنا، تفضلي، لو سمحتي الاسم.

منى كريم (الكويت):(*)

أود طرح سؤال واحد فقط: لقد لاحظت أن المتحدثين الأربعة تحدثوا عن العولمة بشكل سلبي جدًا، تحدثوا بطريقة واضحة بأننا نستخدم هويتنا من أجل صد العولمة، لكن إذا عدنا إلى بنديكت أندرسن (المجتمعات المتحدة) يمكن القول أنه بشكل أتوماتيكي نذهب بهذا الاتجاه ونستخدم هويتنا بشكل قوي جدًا. هناك توجه تجاه الهويات، لنقل أن الأقليات هي التي تتجه نحو العولمة، فلا أجد أي تخوف أو تهديد حقيقي كما ذكروا.

أ. كاملة العياد (الكويت):

أريد أن أنطلق من حديث الدكتور أنتونيو عن ثقافة الحضارات والتعددية وكلام الأستاذة هدى الدخيل كيف نخلق الثقافة؟ وما الثقافة التي يريدها السوق، الدكتور هشام يقول ما المبهر والمدهش الذي نعطيه لغيرنا، وذكر في هذا المجال أن الإسلام حضارة وقيم أعطيت لنا، الدكتور جوزيف قال إذا ضاعت الثقافة ضاعت الهوية،

(*) تحدثت بالإنجليزية، ترجمها إلى العربية أ. محمد زقريط.

والثقافة تقوم على قيم ومبادئ والعبرة بالإنسان، أريد أن انطلق من كلام الدكتور جوزيف على أن العبرة بالإسلام، ما دورنا كمسلمين في فتح الباب لرؤيةٍ للإسلام المشرق، الإسلام المتقبل للآخر، الإسلام الذي يعطي صورة شاملة كاملة لهذا النظام الإسلامي في التعامل مع الإسلام ضمن الثقافة الإسلامية. بعد أحداث ١١ سبتمبر تغيرت الصورة وأصبحت الصورة غير حقيقية. بالنسبة للمسلمين، مادورنا كمثقفين في إعطاء الصورة الحقيقية عن الإسلام بانفتاحه، بتعاطفه بمحبته لكل الأكوان، وشكرًا.

رئيس الجلسة

الدكتور علي عقلة عرسان تفضل.

د. علي عقلة عرسان (سورية):

شكرًا للباحثين، اتفق اتفاقًا كبيرًا مع ما جاء في مداخلة الدكتور جوزيف مايلا، وأريد أن أشير إلى نقاط بسرعة جدًا. هناك في مجال العولمة سعة وسرعة تواصل، تفاعل مؤثر، ولكن العولمة في مجال الاقتصاد وزحفها على الثقافة أثّرت تأثيرًا مباشرًا على سيادات الدول، وأثّرت على هويات الشعوب، ومن ثمة كادت تخرج لغات من نطاق أوطانها، نحن هنا أمام ظاهرة ستؤدي بالنتيجة، أو أدت في تباشيرها إلى أن تدافع الشعوب عن ثقافاتها، وهوياتها، وعقائدها في وجه رأسمالية متوحشة وقوة مسيطرة وهيمنه غير منطقية فيها حماقة كثيرة كما رأينا، لكن هذا الحوار الثقافي يجب ألا يلغي نصف العالم، هناك نتكلم عن الإسلام والمسيحية واليهودية هناك الصين والهند وجهات أخرى تعد ثلاثة مليارات من البشر، غائبة عن هذا الحوار الثقافي، نحن في عالم يكتسحنا بشكل عام، نحن نسبح في العولمة وليس خارجها والدليل، ما خسرته الدول العربية من أموال في الأزمة الأخيرة، نحن تكتسحنا العولمة ثقافيّاً واقتصاديّاً ونستسلم لها من حيث القوة، ثم نقول إننا خارجها، لا، نحن داخلها لكننا مغموسون في الماء، شكرًا.

بروفيسور من فنلندا (لم يذكر اسمه):[1]

شكرًا السيد رئيس الجلسة، نحن نتفق على الثقافة بالمجمل، ولكن ما نوع الثقافة؟ البشر هم الأكثر أهمية، وقت الجشع انتهى، وقت المال انتهى، نحن بحاجة الآن إلى البشر والقوة البشرية، أتيت من فنلندا والشعر والديموقراطية وحقوق الإنسان مهمة جدًا هناك.

رئيس الجلسة:

اسمحوا بأن نستمع إلى التعليقات من الزملاء المحاضرين.

د. أنتونيو فريندو[2]

في البداية أود أن أوضح بأن كلمة syrian التي وردت في عرضي التقديمي تعني آشوري وليس سوري، وهناك سؤال وجه إليّ عن حوار الثقافات، أعتقد أن حوار الثقافات يعتمد على شيئين رئيسين، وعلى كل إنسان أن يبذل جهدًا لكي يمارسهما؛ الأول هو الاحترام المتبادل، والثاني العقلانية ومزجها بالقيم كما قال السيد السنيورة البارحة، ومن دون هذين الشيئين لايوجد حوار.

رئيس الجلسة

هدى الدخيل، تفضلي.

أ. هدى الدخيل:

بالنسبة لسؤال الأستاذ، التغير الاقتصادي سيؤثر بكل أشكاله على كل أنشطة وعمليات أي مجتمع بشري، ومن الطبيعي سوف يترك أثره على الثقافة، لكننا دائمًا نتجاهل أن لكل مجال من مجالات المجتمع البشري آلياته الخاصة التي تتأثر

(١، ٢) تحدث بالإنجليزية، ترجمها إلى العربية أ. محمد زقريط.

بالاقتصاد، لكنها تظل مستمرة في شأنها الخاص، دخول أساليب وأنماط إنتاج جديدة، لايعني إلغاء أساليب وأنماط الإنتاج القديمة ولكنها تسير مع بعضها في مسار واحد، ما شكل الأنماط والأساليب الجديدة، حقيقة لا أقدر على استقرائها حاليًا، لأني لا أدري ما طبيعة التغيرات التي سيترتب عليها نتائج الوضع الاقتصادي الحالي. بالنسبة لسؤال الأستاذ عن انخراط الثقافة العربية في الاقتصاد الثقافي، أعتقد أن الغرض من بحثي هو الدفاع عن العولمة، وأشرت إلى السلبيات كثيرًا في البحث.

الغرض من البحث كان الإشارة إلى الإمكانات الإيجابية التي تتيحها السوق المفتوحة الموجودة حاليًا على الرغم من كل سلبياتها، هناك إيجابيات مهمة جدًا، يجب استثمارها وقد استثمرت من قبل مجتمعات أخرى مثل الصين والهند واليابان واستطاعت أن تحقق الكثير لمجتمعاتها، بناء على ذلك، مشكلتنا أننا نسيس كل شيء ونخاف من كل شيء ونتعامل بريبة مع كل ما هو جديد، لذلك نفشل كثيرًا في اغتنام الفرص التاريخية التي تتاح لنا ونعجز عن التقدم نتيجة لذلك، شكرًا.

رئيس الجلسة:

الدكتور هشام مصباح تفضل.

د. هشام مصباح:

سؤال، لماذا لم تنجح دول العالم الثالث في استيعاب العولمة؟ لأنها لم تطبق ما يجب أن تطبقه حتى تدخل إلى العولمة، معلوماتي عن المشاركة السياسية ونحن نعلم عن المشاركة السياسية في دول العالم الثالث، انتقال الأموال والاستثمارات، هناك مشاكل، استخدام التكنولوجيا، فمعدل استخدام الانترنت هو أقل المعدلات في العالم كله في المنطقة العربية، ومن ثمة نحن بعيدون عن العالم، نحن لسنا ضد العولمة، لكن يجب ألا تمارس العولمة علينا، ولكنها عملية تحدث إما أن ندخلها أو لا، لها معطيات ولكننا لسنا ضدها، نحن نؤكد على الحوار والآخر يؤكد على الصراع، بعد أحداث

سبتمبر أصبحنا في كل اتهام، ولأننا في محل الاتهام أصبحنا نؤكد ونُصرِ أننا أبرياء وأننا على استعداد لأن نبذل أي شيء من أجل الحوار، ولذلك نحن نؤكد على الحوار، ولكن هذا لا يعني أبدًا أننا يجب ألا نكون ملتفتين لما يدور حولنا. لماذا يجب البحث عن العدو، من الأفضل البحث عن الصديق. كنت أقول أن الأمن القومي هو أن تعرف من هو عدوك، هذا لايعني أبدًا أنك لاتفكر في الصديق، لماذا لا نثق في أنفسنا ولماذا لانستصغر الذات على الإطلاق، أن تعرف حجمك وأن تكون قادرًا على أن تنقد نفسك. هو أكبر دليل على أنك مثقف. هناك تعريف للمثقف، المثقف الحقيقي هو الذي لديه استعداد أن يفهم السخرية وأن يمارسها حتى على نفسه، لماذا نخاف من العولمة؟ نحن لانخاف من العولمة لكننا لانفهم حقيقة العولمة؟

رئيس الجلسة:

بروفسور جوزيف مايلا. تفضل.

بروفسور جوزيف مايلا:

شكرًا سيدي، جواب سريع على السؤال الذي تفضل به الأستاذ من تونس والأستاذان من المغرب، لا ثقافة، لا عولمة، لا إحياء لوجود العربي في العالم من دون ما يسمى اليوم بالصناعة الثقافية، يمكن أن يكون إحياء لعلومنا العربية ووجودنا العربي من دون هذه الثقافة. قناة الجزيرة كوسيلة تعبير، ليست كافية، بالعكس يجب أن يكون لنا وجود على هذا المستوى. جوابي الثاني موجه إلى الزميلة الفاضلة من سورية، لا يا سيدتي بالطبع التراث ليس سجنًا، لا لم أقل ذلك أبدًا، التراث بالعكس هو جذور وهوية وأصالة، وحسبي فقط من الانعزالية السياسية أن تكون هي الجواب، ولكن علينا أن ننطلق من التراث، أن نحافظ في وجه العولمة على التراث، ولكن أن ننتقل إلى فكر وذهنية جديدة، أي أن نحافظ على التراث وأن ننطلق منه إلى العالم الأكبر، بالعكس التراث هو فخرنا، وجذورنا هنا في التراث. بالنسبة للسؤال الأخير أود أن أقول أنا

متشائم جدًا بالنسبة إلى المشهد الثقافي العالمي، ولكن لم أقل أني محبط، بالعكس متشائم، بمعنى لا وجود لنا كمعشر العرب أو كعرب في هذا العالم ولكن علينا بعد التأمل والبحث والتحليل أن نعمل وهذه هي ساعة العمل. وشكرًا.

رئيس الجلسة:

شكرًا جزيلاً، إخواني وأخواتي على هذا الجلسة المتميزة، وأعتذر بالنيابة عن الجميع بأنني حاولت أن أضبط الوقت لأنه جزء من الثقافة الإيجابية أيضًا، والجلسة ستعود من جديد ثانيًا في الساعة الثانية عشرة تمامًا.

****

الجلسة الثانية

محور: صراع المصالح وتأثيره في المشهد الثقافي العالمي

رئيس الجلسة: د. سليمان العسكري:

بسم الله الرحمن الرحيم، أيها الإخوة والأخوات، صبحكم الله بالخير يسرنا أن نرحب بسعادة الدكتور حارث سيلاجيتش رئيس مجلس رئاسة دولة البوسنة، الكاتب والمفكر الأكاديمي، عاشق الأدب والثقافة والفكر بيننا في هذه الجلسة، أبدأ الجلسة مرحبًا بمحاضرينا، الدكتور الحسان بوقنطار من المغرب، والدكتورة أُنْس دباش من تونس والدكتور عبدالرزاق قسوم من الجزائر والدكتور جميل جريسات من الولايات المتحدة. وكل منهم سيقدم ملخصًا عن بحثه، وسنبدأ بالدكتور الحسان بوقنطار وسيتحدث عن بحثه وهو بعنوان «المصالح وتأثيرها في المشهد الثقافي العربي العالمي».

د. الحسان بوقنطار

شكرًا السيد الرئيس، أود في البداية أن أتقدم بجزيل الشكر لمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين التي وفرت لي هذه الفرصة للحديث أمام هذه النخبة من المفكرين والمثقفين.

****

المصالح وتأثيرها في المشهد الثقافي العالمي والعربي

الدكتور الحسان بوقنطار

حتى الستينيات لم تكن الثقافة تمثل هاجسًا كبيرًا بالنسبة للباحثين وصناع السياسات العمومية. فقد كانت الاهتمامات مركَّزةً على التناقضات الإجتماعية والاقتصادية، وخاصة الجوانب المؤسساتية والتنظيمية للسياسي.

غير أن الوضع بدأ يتغير مع نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات حيث بدأت الثقافة تحتل مكانةً أكثر أهميةً في التحليلات والانشغالات الدولية. ويُعزى ذلك إلى عدة عوامل منها:

١ - التحولات الجيواستراتيجية الكبرى التي شهدها العالم، والمتمثلة بالأساس في انهيار المعسكر الإشتراكي، ونظام القطبية الثنائية، مع استفراد الولايات المتحدة بالأحادية القطبية. وهو ما اعتبره البعض بنهاية الإيديولوجيات أو نهاية التاريخ، وبروز تفسيراتٍ ذات طبيعةٍ ثقافوية، سواءٌ من خلال التنبؤ بنهاية الصراع[١] أو من خلال الحديث عن نهاية نوعٍ من التاريخ وبداية صراعٍ جديد قِوامُهُ الاختلافات الثقافية، وهو ما يؤدي إلى صدام الحضارات[٢]، فمثل هذه التحليلات أدركت الثقافة في عالم ما بعد الحرب الباردة ليست كعنصر حوارٍ وتفاعل، بل كعنصر مواجهةٍ وتضاربٍ وتطاحنٍ بين الأمم والحضارات.

---

(١) حول أطروحة نهاية التاريخ راجع:

Francis Fukuyama : la fin de l_histoire et le dernier homme, Ed Flammarion, Paris 1992

(٢) يتعلق الأمر أساسا بأطروحة «صدام الحضارات» التي دافع عنها المحلل الأمريكي صامويل هانتغتون. ونالت حظًا وافرًا من النقاش، علما أنه ليس الأول الذي تحدث عن هذا البعد التصارعي بين الحضارات. فقد سبق للمفكر المغربي المهدي المنجرة أن تحدث عن الحرب الحضارية الأولى في تحليل الحرب ضد العراق بعد غزوه للكويت. للتوسع أكثر يمكن الرجوع إلى:

Samuel Huntington : le choc des civilisations , Ed Odile Jacob , Paris 1997

٢ – بروز الأهمية الإقتصادية للثقافة. فلم تعد هذه الأخيرة تقتصر فقط على قضايا من قبيل الفنون الجميلة أو الثقافات التقليدية أو الذاكرة، بل علاوةً على ذلك، أصبحت رهانًا اقتصاديًا مهمًا ينصبُّ بالأساس على الجانب الصناعي في الإنتاج الثقافي، حيث ينصرف خاصةً إلى الإبداعات الفنية والرمزية أو بصفةٍ عامةٍ إلى كل الأنشطة التي تُنتج وتروِّج خطاباتٍ وأصواتَ وصورَ وفنونَ وكلَّ مقدرةٍ أو عادةٍ اكتسبها الإنسان بوصفه عضوًا في المجتمع . وقد تجلّى ذلك بوضوح مع تنامي الصناعات السمعية البصرية والمعاهدة العامة المتعلقة بالتجارة والخدمات في سنة ١٩٩٣، والتي طرحت نقاشًا كبيرًا حول مستقبل السياسات الوطنية للقطاع السمعي البصري وحول طبيعة المنتجات الثقافية[١]، وقد تنامت أهمية الصناعات الثقافية بعدما باتت متأثرةً بما يسمى بالتكنولوجيا الجديدة للإعلام والاتصال، فقد شهدت ثورةً كبرى في ما يخص التداخل الكبير بين مستوياتٍ متنوعةٍ لهذه الصناعات. فقد حصل المزج بين الدعامات والمحتويات. وبالتالي أصبحت تواجه أكثر فأكثر ظواهر نابعةً من العولمة وخاصةً ما يعرف بالإقتصاد الافتراضي والثورة الرقمية[٢].

٣ – إن تنامي الوعي بالرهانات الإقتصادية والإستراتيجية للثقافة أفضى بالنسبة لبعض الدول إلى تطوير سياساتٍ ثقافيةٍ وطنيةٍ تدخل ضمن استراتيجيات السياسات العمومية. وهي التي تسعى بشكلٍ ملموسٍ إلى إعطاء المصلحة الثقافية معنًى ملموسًا من خلال إجراءات تُمكِّنها من التعبير عن نفسها.

هذه العناصر أبرزت الرهان الثقافي في عالم اليوم. وبينت في نفس الوقت أنه لا يمكن التفكير في الثقافة بمعزلٍ عن رهاناتها السياسية، وبالمقابل لا يمكن معالجة السياسة خارج محدداتها الثقافية. فلم تعد هناك حاجةٌ ملحَّةٌ إلى التذكير بتحليلات المفكر

---

(1) J .Tardif , J .Farchy : les enjeux de la mondialisation Ed HC Paris 2006 P 29

(2) لمزيد من التفاصيل حول هذه الجوانب انظر:

J .Pierre Warnier : la mondialisation de la culture Ed la découverte 3ème Ed Paris 2004 P 16

الإيطالي غرامشي Antonio Gramchi فيما يتعلق بتحديد دور المثقف بين مثقف تقليدي ومثقف عصري، لا فيما يخص تحديد دور الهيمنة السياسية، بل حتى مساهمات مدرسة فرانكفورت حول الصناعات الثقافية قد شهدت تطوراتٍ كبيرة[١].

فالثقافة اليوم لا تنفصل عن موازين القوى السياسية والاقتصادية، والتي تحاول استثمارها لتحقيق مصالحها. لذلك، فإن الحقل الثقافي الواسع بوصفه مكوِّنًا أساسيًا للرهان السياسي الدولي تخترقه توتراتٌ متولدةٌ عن وجود مشاريع متنوعة لتشكيل ما يعرف بالنظام / العالم[٢].

دون الخوض في الانعكاسات المختلفة، والتي قد تكون مدمرةً في بعض الأحيان للبُنى والتنوع الثقافي، لاسيما في ما يتعلق بالدول الضعيفة المغلوبة على أمرها، فإننا نتواجد اليوم أمام نموذجين ثقافيين فيما يتعلق بالموقف من الثقافة: يتمثل الأول في الإتجاه الذي تدافع عنه الولايات المتحدة، القوة العالمية الأولى، والذي يعتبر ضمن مشروعه الشمولي أن الثقافة ينبغي أن لا تخضع لأي ضبطٍ أو تقنين، بل من الأفضل أن تعامل كصناعةٍ تحدد ديناميّة تطورها قواعد السوق. وهذا التصور يدافع بالأساس عن الوضعية الهيمنية للمنتوج الثقافي الأمريكي في العالم. بكل ما يرتبه ذلك من انعكاسات على المشهد الثقافي العالمي. فبالنسبة لهذا الاتجاه، فإن العولمة ستخلق سوقًا ثقافيّاً عالميّاً لا حدود له.

في مواجهة هذا التصور، يتبنى اتجاهٌ ثانٍ، تقوده فرنسا إلى جانب دولٍ أوربية وكندا، في سياق الفرانكفونية، موقفًا يدافع عن نفس المصالح، ولكن هذه المرة بالدعوة إلى ما يسمى بالتنوع الثقافي. أي بمعنى إمكانية الدول ضبط هذا الحقل من خلال سياساتٍ ثقافية وطنية. فكيف يتبلور هذا الاتجاه؟ أخيرًا كيف يتموقع العالم العربي في خضم هذه الجدلية المتأرجحة بين الدفاع عن عولمةٍ ذات صبغةٍ متأمركة، وبين شكل من المقاومة الداعي إلى حماية التنوع والتعدد الثقافي.

---

(1) Serge Rigourd : la culture comme enjeu politique , Hermès N 40 P 28 انظر:

(2) Armand Mattelart : la diversité culturelle entre Histoire et géopolitique P 1

المبحث الأول: الهيمنة الأمريكية كمرادف للعولمة

ليست العولمةُ مجرَّدَ تدفقاتٍ اقتصاديةٍ وماليةٍ، بل أكثر من ذلك، فهي من خلال تكثيف التدفقات الثقافية عبر التنقلات والهجرات والوسائط، فإنها تعطي بُعدًا جديدًا للعلاقات بين المجتمعات وثقافاتها. فهي بذلك تغير تمثلات وإدراكات العالم، وإمكانياته وحدوده وفضائه وزمانه. أكثر من ذلك: بفعل العولمة هناك تخوفات من أن العولمة لن تؤدي سوى إلى تكريس الهيمنة الأمريكية بفعل موقعها الدولي، وإمكانيات التأثير التي تتوفر عليها.

وفي الواقع، فإن الولايات المتحدة توجد في وضعية متميزة حيث تستأثر بالكثير من المؤهلات والامتيازات التي تسمح لها بالتأثير في مسار العالم. فهناك البعد المرتبط بسوقها الداخلي. فاستهلاكها للمنتجات الخارجية يتجاوز قدرات أي دولة أخرى في العالم. في نفس الوقت فإن الاقتصاد الأمريكي هو الأكثر إبداعًا وتجديدًا وتنافسية.

ليست هناك دولة تنفق مقابل ما تفعله الولايات المتحدة على البحث والتنمية. فضلاً عن ذلك، فهي تملك أكبر حصةٍ من السوق العالمي للتكنولوجيات الرائدة. وتراقب الشركات الأمريكية المتعددة الجنسيات آلاف الملايير من الثروات الأجنبية.

على مستوى الحكامة، لا يمكن أن يتخذ أي قرار في المؤسسات المالية الكبرى كالبنك العالمي وصندوق النقد الدولي بدون موافقة الولايات المتحدة. فمن جهةٍ، جرى العرف أن يكون رئيس البنك أمريكيًا، ومن جهة أخرى، فإنها تملك اكبر حصةٍ من أسهم المؤسسة. وفي صندوق النقد الدولي لا يمكن أن تتخذ القرارات بدون موافقة أغلبية ٨٥ ٪ من الأسهم. هذا في الوقت الذي تملك الولايات المتحدة لوحدها ١١ ١٧ . ٪ من رأسمال الصندوق[١].

فرغبة الولايات المتحدة في الهيمنة ليست فقط عسكريةً أو اقتصاديةً، بل هي كذلك ثقافية. فهي ليست دفاعيةً، بل تنبني على إستراتيجيةٍ واضحةٍ للهيمنة، من مكوناتها الأساسية كما أشار إلى ذلك أحد الباحثين الأمريكيين: ترويج صور وقيم ورؤيا للعالم تجعل الولايات المتحدة القوة العالمية الوحيدة التي تملك قوةً عسكريةً واقتصاديةً وفكرية[٢].

---

(1) Zbiniew Brzezinski : Le vrai choix L_Amérique et le reste du monde Ed Odile Jacob paris 2004 P200

(2) enjeux de la mondialisation P 282

لقد بدأت معالم الهيمنة الثقافية الشاملة مع نهاية الحرب العالمية الثانية في سياق مواجهة النفوذ الشيوعي وملء الفراغ للحيلولة دون سقوط أوربا في أحضان النفوذ الشيوعي.

لقد حددت إحدى الباحثات الأمريكيات بوضوح الأدوات والوسائل التي استخدمتها المخابرات الأمريكية قائلةً: لقد قامت مؤسسة التجسس الأمريكية – دون أن يردعها أو يكتشفها أحد، لأكثر من عشرين عامًا – بإدارة واجهةٍ ثقافيةٍ متطورةٍ جيدة التمويل في الغرب، ومن أجل الغرب باسم حرية التعبير. بعد أن اعتبرت الحرب الباردة معركة حول العقول، جمعت المؤسسة ترسانةً ضخمةً من الأسلحة الثقافية: من الصحف والكتب والمؤتمرات وحلقات النقاش والمعارض الفنية والحفلات الموسيقية والجوائز[١].

هذه الإستراتيجية الأمريكية الشاملة لخَّصها بوضوحٍ في نهاية التسعينات من القرن الماضي المستشار السابق للرئيس الأمريكي زبنيو برزنسكي، الذي اقترح سياسةً تمكِّن الولايات المتحدة من المحافظة على مركزها كآخر قوة عظمى، وأن تعمل كل جهدها لمنع ظهور قوى منافسة.

وقد برزت أهمية العامل الثقافي بقوة في التحليلات التي حاولت تفسير عالم ما بعد الحرب الباردة. كما هو الشأن بالنسبة لصامويل هانتغتون، الذي اعتبر أن المصالح الوطنية تتحدد بالهوية التي تتطور مع الزمن[٢]، أو كذلك مع روبرت كاغان عندما تحدث عن دور الثقافة الإستراتيجية في التمييز بين القوة الأمريكية وبين قوة الأوربيين[٣]

لقد تلَّمس دافيد روثكوبف David Rothkopf بوضوحٍ هذه التحولات في عوامل النفوذ عندما كتب ما يلي: . . . إن السياسة الواقعية في عصر الإعلام تعني وضع معايير تكنولوجية ومعايير خاصة بأنظمة البرمجة، وإنتاج مواد الإعلام الأكثر شعبية. إن الزعامة في إنماء التجارة الشاملة للخدمات هي جوهرية بالنسبة لمن يريد أن يكون رائدًا في عالم

(١) هذا الكتاب مشار إليه عند عبد العزيز حمودة: المرايا المقعرة عالم المعرفة، عدد ٢٧٢، أغسطس ٢٠٠١، ص ٧٧

(٢) في كتاباته ما بعد صراع الحضارات، عاد هانتنغتون الى الحديث عن المخاطر التي تواجهها الولايات المتحدة الأمريكية، باعتبار أن المهاجرين الجدد للبلاد أصبحوا أكثر تشبثاً بهويتهم الأصلية.

(٣) لقد اعتبر روبرت كاغان أن الثقافة الإستراتيجية الأوربية المشبعة بالتدبير الجماعي للنظام الدولي، وعدم التدخل، إنما ترجع إلى فقدان أوربا للنفوذ. فهي تكتفي بغسل الصحون بعدما تقوم الولايات المتحدة، القوة العالمية الوحيدة بفعل الأساس أي إعداد الطعام.

اليوم. لا شيء مهم استراتيجيًا بالنسبة للولايات المتحدة، القوة الكبرى الوحيدة في مجال الإعلام أكثر من هيكلة تطور البنية التحتية للإعلام من أجل تحديد القواعد المتحكمة فيه، والأفكار الرائجة. إن العمل من أجل ثقافةٍ شاملةٍ موحدة ليست من المثاليات. إنها السياسة الواقعية في أقصى تجلياتها[1].

لكن ما هي مجالات الهيمنة الأمريكية؟

بشكلٍ مباشرٍ يمكن أن نرصدها في ثلاثة ميادين: يرتبط الأول بالهيمنة اللغوية، ويتعلق الثاني بالصناعات الثقافية، في حين يتمثل الثالث في ما يعرف بالثورة الرقمية.

١ - الهيمنة من خلال اللغة:

ليس هناك جدل في أن اللغة تعتبر من الروافد الأساسية للهيمنة والنفوذ. وتبين الممارسة التاريخية أنه كلما كانت الدولة مهيمنةً سياسيّاً واقتصاديّاً، كانت لغتها تحتل موقعًا متميزًا. وتُظهر الممارسة المعاصرة صحة هذا التوجه. فالانجليزية تستفيد من نفوذ الولايات المتحدة. فمنذ أن نجح الرئيس الأمريكي ودرو ولسون W Wilson في أن تحرر معاهدة فرساي التي أنهت الحرب العالمية الأولى بين ألمانيا والحلفاء باللغتين الفرنسية والإنجليزية، فإن مكانة هذه الأخيرة ما فتئت تتعاظم في المجال الدبلوماسي وفي العلاقات الاقتصادية والإعلامية العالمية. فهي لغة العمل في أهم المنتديات الدولية وفي عالم المال والأعمال وخاصة فيما يتعلق بالدعامات Supports .

لقد بين أحد الباحثين الفرنسيين وهو برنار كاسين وضعية اللغة الانجليزية كلغةٍ بالغة المركزية تدور حولها جميع اللغات الأخرى: إن القوة الإمبراطورية الأمريكية لا تستند فقط على عناصر مادية (القدرات العسكرية والعلمية، إنتاج الثروات والخدمات، مراقبة التدفقات الطاقوية والنقدية. .) بل إنها تدمج أيضًا وأساسًا، التحكم في العقول، أي في مرجعيات ودلالات ثقافية، وخاصة الإشارات اللغوية. تتموقع اللغة الإنجليزية في مركز نظام عالمي والذي تلعب فيه دورًا مطابقًا لدور الدولار في النظام النقدي. . وبالاستناد إلى

(١) جاء ذلك في مقالته: The Erosion of American national Interests , foreign Affairs Vol 76 n 5 Sept /Oct 1977
مذكور في Les enjeux culturels de la mondialisation P286

القاموس الفيزيائي Astrophysique، فإن هذا النظام يتقعَّد حول وجود نجمٍ سامٍ (الانجليزية لغة بالغة المركزية Hypercentrale) والتي تدور حولها عشرات اللغات القارية، بدورها محاطةً بمائتي لغةٍ قمرية في المجرة الذي تدور فيها أكثر من ستة آلاف لغة. . كما أن الدولار يسمح للولايات المتحدة بأن تعيش على حساب الدول الأخرى، فإن امتلاك اللغة الإنجليزية يمنحها امتياز هذه الوضعية(١).

من الواضح أن العولمة المتزايدة قد تساوقت مع (أنجلزة) المبادلات اللغوية . أكثر فأكثر يلتجئ الملايين من الأشخاص للتواصل بهذه اللغة بدلاً من لغتهم الأصلية. وإذا كان البعض يعتبر أن هذا الأمر لا يخلو من إيجابية لكونه يسمح بالولوج إلى آفاق أكثر رحابةً، فإن البعض الآخر يرى أن اللغة الأكثر شيوعًا لا يمكن إلا أن تقضي على اللغات الأخرى. ومن ثم فإن، الإمبريالية اللغوية أكثر نعومةً من الامبريالية الاقتصادية والسياسية. فهي لا تعبِّر عن حربٍ معلنة، ولكنها ترتب آثارًا مدمرةً يصعب تحديد مداها(٢).

ليس هذا الوضع عفويّاً أو تلقائيّاً. فهناك سياسة موجهة ومدعومة من طرف الحكومة الأمريكية وأجهزتها المتخصصة. فهي تقوم بتمويل مجموعة من المشاريع الإعلامية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية تتوخى تحقيق هدفين أساسيين وهما: تمرير خطابٍ حول ما يسمى بالنموذج الأمريكي في الحياة ومحاولة إفراز التربة الملائمة التي من خلالها يتم تكوين وقولبة تفكير المواطن عبر العالم في نفس السياق، الدفاع عن المصالح الأمريكية، وأساسًا ضمان استمرار النفوذ الأمريكي(٣).

وهذا المجهود لا يقتصر على الدوائر الرسمية، بل يساهم فيه بشكلٍ وافرٍ أيضًا القطاع الخاص. وقد قدم روبيرت فيلبسون في كتابه (الإمبريالية اللغوية)

---

(١) مذكور في

La superpuissance et l_expansion de l_Anglais WWW tifq .Ulaval .caIaxIamnordIusa

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر على سبيل المثال

Roland JL breto ; géographie des langues PUF 1995

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر:

Michael Schudson le pouvoir des médias Nouveaux horizons 1999 P 22 et suivantes

Oxford University Press 1992, linguistic imperialism عدة شواهد عن الأساليب التي استعملت، والإمكانيات التي سخرت من أجل إشعاع الانجليزية عبر العالم، وخاصة من خلال المراكز الثقافية كما هو الشأن بالنسبة للمجلس الثقافي البريطاني أو المركز الأمريكي.

لذلك فإن هيمنة اللغة الإنجليزية لا تعود فقط إلى خصائص ثاوية في هذه اللغة، وإنما أيضًا وبدرجةٍ كبيرةٍ إلى عوامل خارجةٍ عن اللغة نفسها. في هذا الإطار يقول المفكر الإيطالي المعروف امبرتو ايكو Umberto ECO إن النجاح الحالي للغة الانجليزية هو نتاج للتوسع الاستعماري التجاري للإمبراطورية البريطانية وللهيمنة التكنولوجية الحالية للولايات المتحدة. ولو أن هتلر انتصر في الحرب ألم يكن من الممكن أن نفترض أن الإنسانية برمتها كانت ستتكلم بطلاقةٍ الألمانية؟.

و هو نفس الموقف الذي يتبناه دافيد كريستال david Crystal في كتابه (الانجليزية كلغة شمولية English as a global language الصادر في سنة ١٩٩٧ . فهو يقول: تستحق لغةٌ ما درجة لغةٍ عالمية لسبب رئيسي، هو القوة السياسية لأولئك الذين يتحدثون بها. لماذا قبل ألفي سنةٍ كانت اليونانية هي لغة التواصل في الشرق الأوسط؟ أكيد، ليس بسبب ثقافة أفلاطون وأرسطو، ولكن بفضل جيوش الاسكندر. ولماذا انتشرت اللاتينية في وقتٍ ما في أوروبا؟ اسألوا طوابير الإمبراطورية الرومانية. . إن تاريخ اللغة الدولية يُقرأ على ضوء انتصارات جنودها أو مكتشفيها. واللغة الانجليزية لا تمثل استثناءً لهذه القاعدة [١].

لذلك، فإن الهيمنة اللغوية للإنجليزية ليست إلا نتاجًا لعوامل النفوذ التي راكمتها الولايات المتحدة في المجال العسكري حيث يبدو بوضوحٍ الانتشار الواسع للقوات الأمريكية عبر العالم، والتي تتواجد في قرابة ١١٠ دول بأشكالٍ وصيغ مختلفة. ويوجد خارج الولايات المتحدة أكثر من ٢٥٠ ألف جندي أمريكي. كما أن الولايات المتحدة قد أنفقت في ٢٠٠٤ أكثر من ٤٥٠ مليار دولار على مجهودها الدفاعي . وتوجد علاقة وطيدة بين وجود القوات الأمريكية وانتشار اللغة الانجليزية، حيث يفرض على الموردين المحليين التعامل بها.

(١) مذكور في المرجع السابق La superpuissance

و في المجال الإقتصادي تتراكم المعطيات التي تساعد اللغة الانجليزية على الإنتشار. فالإقتصاد الأمريكي هو المحرك والقاطرة بالنسبة للدينامية الإقتصادية العالمية. وفي كل المنتديات الإقتصادية، والتقارير المتعلقة بأنشطة الشركات الأمريكية المتواجدة عبر العالم فإن اللغة الانجليزية هي السائدة.

إضافة إلى هذا المجال، فإن مكانة اللغة الانجليزية مرتبطة بالدور المتميز للولايات المتحدة فيما يتعلق بالإنتاج والإبداع التيكنولوجي. ففي سنة ٢٠٠٠ كان هناك ٤٦ مركز كبير رائد في هذا المجال، ١٣ منها توجد في الولايات المتحدة. والجزء الآخر يوجد في دول ناطقة باللغة الإنجليزية.

علاوة على ذلك، فإن هيمنة هذه اللغة بارزة في مجال الإنتاجات العلمية. وهكذا يلاحظ أنه في سنة ٢٠٠٠ فإن نصف المنشورات العلمية التي ناهزت ١٠٠ ألف، كانت باللغة الإنجليزية. كذلك فإن أكثر من ٨٠ ٪ من أحسن المنشورات العلمية توجد بيد ناشرين من الولايات المتحدة وإنجلترا[١].

من هذه المعطيات، يتبدى واضحًا أن هذه اللغة هي التي تستفيد بالشروط المتميزة للتنافسية العالمية في المجال اللغوي وما يرتبط به من تواصل. وحتى بالنسبة للدول المتقدمة غير الناطقة باللغة الإنجليزية، فإن بعض مسؤوليها الثقافيين لا يترددون في التنبيه إلى مخاطر هذه الوضعية الهيمنية على لغتها وتراثها وخصوصًا هويتها الثقافية.

وقد نبه موريس دريون Maurice Druon السكرتير الدائم للأكاديمية الفرنسية في كلمةٍ أمام لجنة العلاقات الخارجية للجمعية الوطنية الفرنسية الى خطورة هذه الوضعية على اللغة الفرنسية. فقد لاحظ أن اللغة الإنجليزية باتت لغةً مهيمنةً في المجالات العلمية والتقنية والمالية والتجارية، وأنها مفضلة من طرف الطلبة عبر العالم بفعل القوة الإقتصادية والتكنولوجية للولايات المتحدة. واعتبر في نفس السياق أن قوة اللغة الإنجليزية لا يمكن فصلها عن ضعف فرنسا والدول الأخرى [٢].

---

(١) المعطيات السابقة مستقاة من المرجع السابق la superpuissance

(٢) انظر نص التدخل والمناقشات التي تلته ضمن تقارير لجنة العلاقات الخارجية في موقع انترنت للجمعية الوطنية الفرنسية.

هل تعني هذه المعاينة أن العالم يسير نحو هيمنةٍ لغويةٍ أحادية؟. يتحفظ البعض على هذا الإتجاه مستندًا إلى بعض المعطيات منها: [1]

١ – إن اللغة الإنجليزية لا تملك القدرة اللغوية الكافية للإجابة على هواجس المثقفين عبر العالم. فهي محدودة من حيث محتواها ولا يمكن أن تحل محل جميع لغات العالم التي تتسم بالغنى والتنوع.

٢ – حتى في الولايات المتحدة نفسها، فإن اللغة الإنجليزية تواجه منافسةً من لغات أخرى بسبب تنامي أهمية الإثنيات الأخرى، ولاسيما تلك الآتية من أمريكا اللاتينية التي باتت تساهم بنصيب وافر في الإنتاج الثقافي، كما يتجلى ذلك بوضوح في قطاع الأغنية والسينما والتمثيل. فالأسبانية أصبحت منافسًا للإنجليزية إلى حد أن مرشحي الرئاسة اضطروا لكسب ود الناخبين في الولايات ذات الكثافة اللاتينية، إلى استعمال اللغة الأسبانية لتبليغ الخطاب الانتخابي.

٣ – إن اللغات الأخرى لا تعطي الانطباع بالانقراض في مقابل الهجمة الإنجليزية، بل إنها تحاول المقاومة والانتشار لأنها تعبير عن أشياء غير مادية وغير قابلة للتكميم. فضلاً عن ذلك، فإن تزايد المبادلات الثقافية التي شجعتها العولمة تسمح للغات بأن تعبر أكثر عن وجودها. وقد بينت بعض المعطيات مثلاً أنه بفضل السياسات القائمة على الدعم، فإن اللغة الفرنسية تمكنت من أن تكتسح بعض المواقع في دول أوربا الوسطى والشرقية من خلال برامج التبادل الثقافي بين مؤسساتٍ أكاديميةٍ ومهنيةٍ إلى جانب الإنجليزية تبقى بعض اللغات لا تتعدى الخمسة ذات حيوية ملحوظة، ومن بينها اللغة العربية التي تعتبر من اللغات الرسمية في منظمة الأمم المتحدة.

٢ – الهيمنة من خلال الصناعات الثقافية

يعتبر مفهوم الصناعة الثقافية من المفاهيم الأولى التي برزت في النظرية النقدية لما يسمى بثقافة الجماهير. وقد صاغها في سنة ١٩٤٤ مفكران من مدرسة فرانكفورت وهما

---

(١) انظر على سبيل المثال Gabriel de Broglie : les chances du Français , Le débat N 136 Sep /Oct 2005

تيودور أدورنو T Adorno وماكس هوركهايمر M Horkheimer . ففي الولايات المتحدة التي نزحا إليها هربًا من النازية بدأا يفكران في بعض التطورات الثقافية الحاصلة آنذاك في ذلك البلد: قوة الراديو والتلفزة والإشهار، والتي كانت تعبر عن تحول تدريجي للثقافة كسلعة. وقد عمقا فيما بعد هذه الرؤيا، حيث اعتبرا الصناعة الثقافية بمثابة تعبير عن حركة عامة لإنتاج الثقافة، تتداخل فيها التكنولوجيا والسلطة والاقتصاد. وبالتالي فقد اهتمّا بالآثار التي تنتجها الصناعة الثقافية على المواد الثقافية برمتها(١).

وفي الواقع، ما فتئت الأهمية الاقتصادية لما يسمى بالصناعات الثقافية تتزايد وتتعاظم في العالم. وهي الصناعات التي ترتكز على الملكية الثقافية (الصحافة، الكتاب، المجلات، السينما، الأشرطة الغنائية، وسائل الاتصال السمعي البصري، الإشهار) فهي تشكل إحدى المصادر الأساسية للدخل القومي في الولايات المتحدة. ويلاحظ أحد التقارير الذي وضع لحساب الوكالة الدولية للفرانكفونية، أن الصناعات الثقافية قد تنامت مابين ١٩٧٧ و٢٠٠١ بوتيرة تضاعف مرتين الوتيرة التي تزايدت بها باقي القطاعات. (٧ مقابل ٣) فهي تساهم بنسبة ٢,٥ في الناتج القومي الأمريكي. وتشير الإحصائيات أن حضورها في التجارة الخارجية الأمريكية تجاوز بعض القطاعات الحيوية كالكيمياء أو السيارات(٢). وقد مكنت بذلك من خلق آلاف مناصب الشغل سنويا. لكن انعكاساتها لا تتم بشكل متكافئ على كل بلدان وشعوب العالم. فظاهرتا (التركيز) و(الرأسملة) اللتان عرفتها هذه الصناعات أفضت إلى نوع من الاحتكار.

في كل القطاعات التي تنخرط ضمن هذا الحقل، يسجل الاتجاه الواسع نحو التركيز الكبير المائل نحو الاحتكار، والذي تقوده الشركات الأمريكية. فمثلاً يلاحظ في مجال السينما أن هوليود تحتكر أكثر من (٨٥) من مردود السينما العالمية، مع بعض الاستثناءات يلاحظ مثلاً أن الأفلام الأمريكية تمثل أكثر من ٨٠ ٪ من المداخيل في أوربا. في حين أن الأفلام الأوربية لا تمثل إلا ٥٪ من مداخيل السينما في الولايات المتحدة. ومن

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول ما يعرف بالهيمنة اللغوية راجع:

Mircea Vultur : la dynamique culturelle de la mondialisation

http//www .ins-ucs .uquebec .ca /pdf/inedit 2005 P 4

(2) Voir Armand Mattelart :Diversité culturelle et mondialisation, la découverte Paris 2005 P39

ثم، فإن سياسة الولايات المتحدة تتجه نحو المحافظة على هذه الوضعية المهيمنة في الأسواق العالمية، معتبرةً أن المنتجات الثقافية ينبغي أن تخضع لقوانين السوق التي تضعها المنظمة العالمية للتجارة. وهي تحاول ممارسة ضغوطٍ من خلال منع بعض الدول من وضع سياسات وطنية هادفة إلى حماية الصناعة الوطنية الثقافية في المجال السينمائي أو في مجال السمعي البصري. وهناك لوبيّات أمريكية تدفع في هذا الاتجاه باسم حرية التعبير ورفض كل حمايةٍ مقنَّعة[1].

فضلاً عن ذلك، فهي تريد تجاوز محاولات بناء سياسات وطنية من خلال تجاوز المحاولات الرامية إلى نوع من التعددية والتنوع، عن طريق إبرام اتفاقيات للتبادل الحر تتضمن في ثناياها التزامات متعلقة بالصناعة الثقافية. ملوِّحةً بتقديم تعويضات في قطاعات أخرى. ففي المغرب كان هذا الجانب محل احتجاجات من طرف التكتل من أجل الائتلاف الثقافي، وذلك في خضم مسلسل إبرام اتفاقية التبادل الحر بين الولايات المتحدة والمملكة المغربية في سنة ٢٠٠٣ .

٣ - الهيمنة من خلال التكنولوجيات الجديدة

لقد غيرت استراتيجية التكنولوجيات الجديدة محتوى الصناعات الثقافية. فقبل ذلك، كانت تلك الصناعات متخصصةً حسب القطاعات filières أو الدعامات Supports أو المحتوى contenu . وبصيغة أخرى، فإن كل شركة لم تكن متفرغة إلا لقطاع واحد.

هذا الوضع بدأ يتغير بشكلٍ واضحٍ مع الثورة الجديدة التي سمحت لهذه المؤسسات بمزج مجموعةٍ من الوسائط في إنتاج المحتويات والدعامات[2]. لقد سمح هذا البعد التكنولوجي الجديد بإدخال فاعلين جدد في الصناعات الثقافية. فالظاهرة المتميزة

---

(١) هذه المعطيات واردة في تقرير

Les industries culturelles des pays du Sud : Enjeux de l_adoption de la convention internationale sur la diversité culturelle

(٢) انظر

Marine Mutinelli Szymanski :Diversité culturelle ou protectionnisme

www .oragora .com

هي تسرب حاملي هذه التكنولوجيا نفسها إلى المجال الثقافي. . فهناك الفاعلون القادمون من الاتصالات، وأولئك الذين انبثقوا من قطاع المعلوميات كما هو الشأن بالنسبة لمايكرسوفت، أو المالكين للتجهيزات التكنولوجية كما هو الأمر بالنسبة لشركة (سوني). فهؤلاء لهم إمكانيات ضخمة من شأنها أن تؤثر على الفاعلين الكلاسيكيين، وتغير من اقتصاد الثقافة، حيث إن هذه الأخيرة لم تعد إلا جزءًا من اقتصاد شامل[١]. ومن ثم فإن ثقل الوظيفة التكنولوجية في التوازن الإقتصادي للصناعات الثقافية يعطي أهمية كبرى للشركات التي تراقب التكنولوجيات وبالتالي أنماط انتقال هذه المنتجات[٢].

تنامت الهيمنة الثقافية الأمريكية بفعل ما عرف بالثورة الرقمية التي تعتبر إحدى الخصوصيات المميزة للعالم المعاصر. وفي هذا السياق يقول (روتكوبف) الذي كان مساعدًا لوزير خارجية أمريكا الأسبق هنري كسنجر . . بالنسبة للولايات المتحدة فإن الهدف الأساسي لسياستها في زمن التواصل يبقى هو الانتصار في معركة تدفقات المعلومات، وذلك بالتحكم في مصادرها، أسوة ببريطانيا التي كانت في الماضي تتحكم في البحار. ويضيف قائلاً في كتابه: تمجيد الإمبريالية الثقافية Praise of cultural imperialism

إنه في مصلحة الولايات المتحدة تشجيع بروز عالم يتم فيه ردم الهوة بين الأمم من خلال المصالح المتقاسمة. إنه في المصلحة السياسية والاقتصادية للولايات المتحدة أن تسهر على أنه إذا كان العالم سيختار لغةً واحدةً ستكون هي الإنجليزية, إذا كان سيتوجه نحو معايير مشتركة في الاتصالات، والأمن والجودة، فإن هذه المعايير ستكون أمريكية. وإذا تم وضع قيمٍ مشتركة، ستكون هي تلك القيم التي يتعامل الأمريكيون بها[٣].

رغم أن آثار الثورة الرقمية ليست موحّدةً وليست مكمَّمةً حتى الساعة، لكونها تخضع لعدة معطيات من بينها ما يرتبط بالمكانة داخل الدولة والعالم، فهناك اتفاق على أن

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول هذا البعد انظر:

Pierre Jean BenGHoZI : dynamiques et enjeu économiques des industries culturelles

(٢) المرجع السالف ذكره.

(٣) انظر ملفات العولمة، الملف السادس Mondialisation et diversité culturelle Avril 2007 P 3

دول الشمال أكثر استفادةً من مزايا هذه الثورة، حيث إن المرتبطين بالشبكة لهم ولوج أكثر فأكثر مستمر وأقل كلفةً في الاستفادة بالمنتجات العالمية. أما بالنسبة لشعوب الجنوب، فإن الثورة الرقمية في غالب الأحيان لا تعني لها شيئا لأنها تظل مربوطةً بالثقافات التقليدية ولا تتلقى إلا إشاراتٍ ملتبسةً حول الثقافة العالمية(١).

لقد بدأ الاهتمام بهذا الواقع الجديد يتبلور تدريجيّاً في خضمِّ الإحساس المتزايد بالهوَّة التي تُميِّز المبادلات في المجال الثقافي. وهو الأمر الذي استدعى تنظيم ما سمي بقمة (مجتمع المعرفة والاتصال) عبر مرحلتين، الأولى تمت في جنيف في سنة ٢٠٠٣، والثانية في تونس في نوفمبر ٢٠٠٥، ويعني مجتمع الإعلام والمعرفة، كما عرفه أحد كبار علماء الاجتماع في مجال الوسائط وهو مانويل كاستالز M Castels ذلك الشكل المتميز للتنظيم الاجتماعي يكون فيه إنتاج وإبداع ونقل المعلومة بمثابة المصادر الأساسية والأولية للإنتاجية والسلطة . ويعني ذلك أن العولمة قد وسعت من وسائل الاتصال التي أصبحت تدار في شكل شبكات مندمجة: الهاتف والتلفزة والإنترنت والأقمار الاصطناعية، تعمقت أكثر مع الثورة الرقمية التي تتميز بعدة مواصفات من بينها الجودة فيما يتعلق بالصورة والفعالية والتفاعلية والكونية(٢).

إن الخلاصات الأساسية لمؤتمري جنيف وتونس كشفت عن بروز ما أصبح يعرف بالهوة الرقمية. وتعني هذه المعاينة أن التقدم الحاصل في التواصل ما زال غير كاف لتحقيق تقدم في الاتصال الإنساني والاجتماعي(٣).

في هذا السياق، تبدو الهيمنة الأمريكية واضحة. وتجسد ثورة الإنترنت الهيمنة التكنولوجية واللغوية والثقافية للولايات المتحدة. . وتساعد هذه الثورة على تسرب

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر: الحسان بوقنطار: تدفق المعلومات وتأثيرها على الحق في الإعلام، مداخلة قدمت إلى منتدى التنمية والديمقراطية والتجارة الحرة، الدوحة أبريل ٢٠٠٧ .

(٢) لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع الى

Patrick Yves Badillo et Serge Proulx Mondialisation de la communication , à la recherche du sens perdu Hermès n 44, 2006 P53

(٣) ذلك ما يشير إليه أحد المفكرين الاستراتيجيين الأمريكيين الكبار وهو زبنيو برزنسكي في كتابه الاختيار الحقيقي Le vrai choix L_Amérique et le reste du Monde Ed Odile Jacob P242

المؤسسات الأمريكية بقوة إلى مجال المعلوميات والإتصالات. وتستفيد من الرسملة الكبيرة لشركاتها، وكذلك من ميلها نحو التركيز في إطار توجه رأسمالي يُمجِّد مثل هذه السلوكات. ويعني هذا أن المؤسسات الأمريكية تؤثر كثيرًا في السوق الثقافية العالمية. وبالتالي لها قدرات أوسع لمحاولة إفراز نموذج ثقافي على المستوى العالمي.

بصفة عامة، فإن الولايات المتحدة باتت أكبر جاذب ثقافي. إنها تؤثر وتستوعب وتعيد صياغة سلوكات وأنماط جزء متنام من الإنسانية. فليست هناك قارة ولا دولة محصَّنة ضد اختراق هذه الظاهرة المعدية التي تغير بشكل متراكم الحياة اليومية للجميع(١).

لكن، هل نعيش عصر الهيمنة الأمريكية المطلق ؟ هل يعيش العالم ما يسمى بالنموذج الأمريكي في الحياة ؟ هل استطاعت الولايات المتحدة أن تفرض نموذجًا وحيدًا، أو ثقافة وحيدة ؟

إن الأمر ليس بهذه البساطة حيث إن القول بأن العولمة هي مجرد أمركة العالم فيه نوع من التبسيط لظواهر معقدة، وفيه بعض الاختزال من طرف بعض المفكرين لظواهر معقدة(٢). فهي تطرح رهانات متعددة. ومن خلال المخاوف التي تطرحها، فإنها تتطلب بعض التنسيب في المعطيات المرتبطة بها.

إن الرهانات الإقتصادية تبقى مهمة. وتشير إحدى الباحثات إلى ثلاث رهانات أساسية توجد في قلب التعدد الثقافي وهي:

- الاختلال الواضح للتدفقات السمعية البصرية التي يمكن أن يعمقها أكثر ما يعرف بالتجارة الإلكترونية.

---

(١) انظر على سبيل المثال كتاب: العرب والعولمة الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية بيروت الطبيعة الثانية دجنبر ١٩٩٨ وخاصة تحليلات محمد عابد الجابري: العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات، وعبد الإله بلقزيز: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة ؟

(٢) من أهم الكتب التي عملت على التصدي لهذه الرهانات بالكثير من التعمق يمكن الرجوع الى
Jean Tardiff ; Joelle Farchy : les enjeux de la mondialisation culturelle Ed hors commerce 2006
et les observations de Joelle Farchy sur Economie et culture in internet

- التمركز والاندماج الأفقي لشركات الاتصال التي تمثل فاعلاً نافذًا.

- الاستغلال instrumentalisation التجاري لحقوق التأليف، كل هذا في ظل تنامي تيكنولوجيات الإعلام و الاتصال.

إن عولمة المبادلات والانتاج في إطار المجموعات القوية كلها تؤجج المخاوف من احتمال تجانس Homogénéisation لحساب الثقافات المهيمنة(١).

المبحث الثاني: مصالح مناهضة: من أجل التنوع والتعدد الثقافي

في مواجهة التحديات الجديدة التي تطرحها العولمة وخطابات تبضيع الثقافة واعتبارها بمثابة سلعة كباقي السلع تخضع لقوانين السوق، وهو الخطاب الذي لاحظنا استماتة الإدارة الأمريكية في الترويج له والدفاع عنه، وخوفا من سيادة الثقافة الوحيدة بفعل الاكتساح الذي تمارسه المنتجات الثقافية الأمريكية، بل أكثر من ذلك دفاعًا عن المصالح الثقافية، فقد ارتفعت أصوات تدعو إلى ضرورة المحافظة على خصوصيات المنتوج الثقافي. وقد أفضت إلى تبني منظمة اليونيسكو UNESCO للمعاهدة الدولية حول تنوع التعبيرات الثقافية وذلك في شهر أكتوبر ٢٠٠٥ وهي التي أصبحت نافذة بعد أن تم التصديق عليها من طرف النِّصاب المطلوب من الدول. لذلك سنحاول أن نستعرض المسار الطويل الذي قطعه مطلب التنوع قبل الانكباب على المحتوى وانعكاساته المحتملة.

١ - مسار طويل ومعقد

لقد بدأ الصراع بين الولايات المتحدة التي كما لاحظنا تبنَّت خطابًا يعتمد على اعتبار الثقافة مجرد سلعة خاضعة لقواعد السوق، وخاصة رفض القيود التي يمكن أن، تتحكم في انتقالها، وبين أوربا (وأساسًا فرنسا) التي اعتمدت للدفاع عن مصالحها على خصوصية الثقافة بشكل مبكر تبلورت معالمه الأولى في الاتفاق الذي أبرم بين الولايات

---

(١) انظر

Armand Mattelart ; Mondialisation et culture : les apports de la convention internationale de L_UNESCO sur la diversité culturelle

بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي حول السياسات الثقافية بمدينة بلباو ١٤ و١٥ نونبر ٢٠٠٥ وهو ما يعني انه لا مكان للثقافات الخصوصية

المتحدة وفرنسا والمعروف باتفاقات بلوم بايرنس. لقد حاولت الولايات المتحدة ربط تقديم المساعدات في إطار مشروع مارشال بالتخفيف من - إن لم يكن حذف - سياسات الحصص في المجالات الثقافية وخاصة في السينما. لكن المقاومة التي أبداها العاملون في القطاع من خلال المظاهرات الإحتجاجية، دفعت الحكومة الفرنسية إلى الإبقاء على سياسة الحماية، بل أكثر من ذلك مساعدة العاملين في هذا القطاع من خلال سياسة الإعانات التي لولاها لا يمكن الإبقاء على سياسات ثقافية وطنية.

لقد بدأ التفكير جدياً حول التنوع الثقافي تحت راية منظمة اليونيسكو. وهي المنظمة التي أنشأتها الأمم المتحدة للاهتمام بقضايا التربية والعلوم والثقافة.

لقد تولد هذا التفكير في خضمِّ المراجعات المنتظمة لمسار التنمية في العالم. فقد كان الاعتقاد السائد في فلسفة التنمية ما بعد موجة الاستقلالات أن التحديث يتماهى مع التغريب. وأن الدول المستقلة حديثًا أو غير المتقدمة اقتصادياً لا مناص لها من المرور بنفس المراحل التي مرت بها الدول المتقدمة لترتقي الى هذا التقدم. . فالتحديث الاجتماعي لا يمكن أن يأتي إلا من المركز نحو المحيط[١].

بيد أن فشل الاستراتيجيات التي وضعت لتحقيق هذه الحداثة والتقدم، وكذلك الإختلال العميق في المبادلات المعلوماتية والثقافية ستؤدي في السبعينيات إلى تنامي مطالب تتعلق بإعادة بناء النظام العالمي للإعلام والاتصال. والملاحظ أن هذه المطالبة التي ستتم على مستوى اليونيسكو، ستتزامن على مستوى الأمم المتحدة بالمطالبة بإعادة بناء النظام الإقتصادي العالمي في حمأة التحولات التي بدا يعرفها العالم في سياق الصدمة البترولية والاختلالات الإقتصادية.

لقد وضعت اللجنة التي عينها المدير العام لليونسكو برئاسة الإيرلندي ماك بريد Mc Bride في تقريرها اليد على الاختلالات الهيكلية التي تعرفها تدفقات المعلومة والاتصال والتي تتمثل أساسًا في تركيزها بين قلة من المؤسسات وغياب الإنصاف في نقل التكنولوجيات المتعلقة بالإعلام والتواصل[٢].

---

(١) ماتيلار: المرجع السابق ص ٦ يسمي التقرير أصوات متعددة Voix multiples , un seul monde

(٢) مذكور في:

Vanessa Marson : Que devient l_exception culturelle?

لكن مسالة التنوع الثقافي، أو ما كان يعرف قبل ذلك من طرف بعض الدول بالاستثناء الثقافي Exception culturelle ستطفو على السطح خلال افتتاح المفاوضات التجارية المتعددة التي عرفت بدورة الأورغواي، وهي أطول دورة استمرت من سنة ١٩٨٦ إلى سنة ١٩٩٤ وهي المعروفة بـ (الغات). وكانت هذه الجولة تصبو إلى تطبيق مقتضيات التجارة العالمية على الخدمات ولا سيما ما يتعلق منها بالسمعية البصرية. بخلق ما يسمى بالكاتس أي الاتفاقية العامة للتعريفة والخدمات General Agreement on tariffs and Services.

إن محاولة توسيع قواعد التجارة لتشمل منتجات ذات طبيعة ثقافية أفرز نقاشًا حادًا بين الولايات المتحدة وأوربا التي تقودها فرنسا علاوة على كندا. وأثار تساؤلاً مركزيّاً حول مبررات قبول أوربا للضغوط الأمريكية الرامية إلى إخضاع إبداعات ذات خصوصية جمالية وروحية لمنطق السوق، أي لباقي المنتوجات التجارية. وكما قال الرئيس الفرنسي آنذاك فرانسوا ميتران إن إبداعات الروح لا يمكن أن تتحول إلى مجرد بضائع(١).

يعني هذا الموقف أن هذه المجالات المتعلقة بالثقافة ينبغي أن تبقى مستثناة، ولا تندرج ضمن المفاوضات المتعلقة بتحرير الخدمات. ويعني هذا الموقف أنه من حق الدول اتخاذ الإجراءات التي تسمح لها بحماية ما يتعلق بخصوصيتها الثقافية.

إن هذا الموقف كما لاحظنا، يضع تصورين في المواجهة: التصور الأمريكي الذي يدافع عن مصالح الصناعات الثقافية، وخاصة منها ما يتعلق بالسينما والترفيه. والموقف الأوربي، وخاصة الفرنسي الذي يعتبر أن هذه الصناعات ليست محايدة، بل إنها تمرر قيمًا وأفكارًا، وبالتالي لا يمكن أن تبقى فقط خاضعة لمنطق السوق. لكن أكثر من ذلك، وكما أشرنا إلى ذلك سابقًا، فإن هناك خوفًا من اكتساح المنتجات الثقافية الأمريكية

---

(١) مما لا شك فيه أن هذه السياسة التي ترتكز على مبادئ صلبة لا تخلو من صعوبات في ما يتعلق بوضعها موضع التطبيق. فهي بدورها تواجه معارضة مسؤولي الشركات الإعلامية الكبرى التي لا تتردد في تبني الطرح الأمريكي معتبرة أن كل تقنين من شأنه أن يضعف من القدرات الإبداعية للمبدع الأوربي حول تقييم السياسة الفرنسية التي تعتبر من أشد المتحمسين والمدافعين في المنتديات الدولية عن هذا الاختيار يمكن الرجوع إلى:

Françoise Benhamou : l_exception culturelle .exploration d_une impasse Esprit N 304 mai 2004 P 86 et suivantes

للأسواق الأوربية بكل ما ينتج عن ذلك من أضرار لمصالح المنتجين والمبدعين والوسائط الأوربية. ومن ثم، فإن هذا الموقف وجد صدًى واسعًا في أوساط المنتجين والسينمائيين الأوربيين، خاصة بعدما أقدمت اغلب الدول الأوربية على إدخال المجالات الثقافية ضمن السياسات العمومية للدولة. فسياسة الاستثناء والتي ستصبح فيما بعد سياسة التنوع الثقافي تعني من بين مكوناتها أن الثقافة بما لها من خصوصيات ترتبط بالهوية وبشخصية الدولة ينبغي أن تُحمى من قبضة السوق، وأن تدخل ضمن مجال ما يسمى بدولة الرعاية الثقافية. وهو ما يعني بشكل ملموس أن المجال الثقافي يتطلب تمويلاً عموميّاً وسياسةً ضبطيةً تحمي القطاع العمومي الذي تناط به القيام بمهام المرفق العمومي، وكذلك إقرار حصص للبرامج والإنتاجات الوطنية في مختلف المرافق السمعية البصرية[1].

إن الصراع بين أوربا والولايات المتحدة يتكرر باستمرار عبر المفاوضات الدورية الهادفة إلى تحرير المبادلات. كما هو الشأن بالنسبة للاتفاق المتعدد الأطراف حول الاستثمار في سنة ١٩٩٧ أو خلال الجولات التي تمت في سياتل أو الدوحة، أو في منتديات أخرى. ففي كل هذه المفاوضات يستجد النقاش حول كيفية الدفاع عن مصالح كل طرف. فالموقف من المنتوج الثقافي يخفي في العمق اختلافًا استراتيجيّاً في المصالح المادية لكل طرف. فكما أوضحنا، فإن الأبعاد الاقتصادية والسياسية للثقافة لم تعد محل نقاش.

من هذا المنطلق، فإن هذا النقاش حول التنوع الثقافي والخصوصية الثقافية لم يبق محصورًا في الخلافات الأمريكية الأوربية، بل أصبح من الهواجس الرئيسة لمنظمة اليونيسكو.

فعلاوة على تقرير لجنة (ماك بريد) المشار إليه آنفًا، والذي أكد على حيوية نظام عالمي جديد للإعلام والتواصل من شأنه أن يحقق دمقرطةً فعلية، فقد اهتمت منظمة اليونيسكو بالصناعات الثقافية، وخاصة الأسئلة الجوهرية التي تطرحها كما هو الشأن بالنسبة لظواهر التركيز الاقتصادي والمالي وكذلك العولمة المتزايدة لتلك الصناعات. فضلاً

(١) راجع ماتيلار Mondialisation et culture op cit P 10

على تحديد السبل القمينة بجعل المجموعات البشرية المختلفة قادرةً على التحكم ومراقبة الصناعات الثقافية لتحقيق تنميتها وتقدمها.

لقد أكد المؤتمر العالمي حول السياسات الثقافية الذي انعقد في سنة ١٩٨٢ بمكسيكو على الارتباط القائم بين الإقتصاد والثقافة وبين التنمية الإقتصادية والثقافية، كما وضع أساس سياسة ثقافية قائمة على الاعتراف بالتنوع(١).

لقد فتح هذا الإعلان الباب أمام الجهود التي ستسعى إلى إعطاء صبغة قانونية بعد عشرين سنة من ذلك.

و قد تكرس هذا المنحى بالإعلان العالمي حول التعددية الثقافية والذي تبنته اليونيسكو في نوفمبر ٢٠٠١ في خضم الاعتداءات الإرهابية التي عرفتها الولايات المتحدة في ١١ سبتمبر من نفس السنة. وهو الإعلان الذي اعتبر التنوع الثقافي بمثابة تراث مشترك للإنسانية. وابتغى مناهضة دعوات الانغلاق وفتح أفق أكثر انفتاحًا وإبداعًا وأكثر ديمقراطية(٢).

بيد أن هذا الإعلان يبقى مجرد إعلان للنوايا. ولم يكن يطرح التزامات واضحة بالنسبة للدول. ومن ثم لم يكن كافيًا لأن يرتقي إلى أداة قانونية لها من الإلزامية ما يجعلها تفرز قواعد عامة تلتزم بها الدول في تعاملاتها.

وفعلاً، فقد عملت فرنسا من خلال تعبئة الدول الفرانكفونية وكندا، بواسطة الشبكة العالمية حول الصناعات الثقافية دورًا أساسيّاً في بلورة هذه المعاهدة التي واجهت مقاومة شديدة من طرف الولايات المتحدة واستراليا واليابان التي اعتبرتها مجرد أداة جديدة لوضع عراقيل حمائية جديدة تتعارض والتبادل الحر الذي ينبغي أن يسم هذه المنتجات أسوة بالمنتجات الأخرى.

---

(١) انظر

Armand Mattelart : bataille à L_ UNESCO sur la diversité culturelle, Le Monde diplomatique oct .2005

(٢) انظر

Biserka Cvjeticanin : Enjeux et méthodes d_observation et d_évaluation de la diversité culturelle dans le monde P2

ما هي المقتضيات الأساسية التي تضمنتها هذه المعاهدة المعروفة باتفاقية حماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي؟

٢ - المحتوى

ينبغي الإشارة الى أن التنوع الثقافي ليس مسألة بسيطة. فحسب التعريف العادي، فإن التنوع يمثل التعدد والتساكن بين مجموعة من الثقافات في بلد ما. . فالتنوع الثقافي عالميا يتغذى ويقتات من التفاعلات والمبادلات بين مختلف الثقافات. وهو ما يضع في الواجهة الأشكال الجديدة عبر الوطنية وعبر الثقافية Transculturelle للتنوع. وهو ما يمثل تحديًا كبيرًا للسياسات الثقافية الوطنية(١).

تعتبر الاتفاقية في مادتها الأولى أن من بين أهدافها:

- حماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي
- تهيئة الظروف التي تكفل ازدهار الثقافات وتفاعلها تفاعلاً حرّاً تثري من خلاله بعضها بعضًا
- تشجيع الحوار بين الثقافات لضمان قيام مبادلات ثقافية أوسع نطاقًا وأكثر توازنًا في العالم دعمًا للاحترام بين الثقافات وإشاعةً لثقافة السلام
- تعزيز التواصل الثقافي بهدف تنمية التفاعل بين الثقافات بروح من الحرص على مد الجسور بين الشعوب.
- تشجيع واحترام تنوع أشكال التعبير الثقافي وزيادة الوعي بقيمته على المستوى المحلي والوطني والدولي،
- تجديد التأكيد على أهمية الصلة بين الثقافة والتنمية بالنسبة لجميع الدول، وبالأخص للبلدان النامية، ومساندة الأنشطة المضطلع بها على الصعيدين الوطني والدولي لضمان الاعتراف بالقيمة الحقيقية لهذه الصلة.

---

(١) لمزيد من التوسع:

J .Tardif , J .Farchy, les enjeux de la mondialisation opcit

- الاعتراف بالطبيعة المتميزة للأنشطة والسلع والخدمات الثقافية بوصفها حاملة للهويات والقيم والدلالات؛

- تجديد التأكيد على حق الدول السيادي في مواصلة واعتماد وتنفيذ السياسات والتدابير التي تراها ملائمة لحماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي على أراضيها؛

- توطيد التعاون والتضامن الدوليين بروح من الشراكة ولا سيما من أجل النهوض بقدرات البلدان النامية على حماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي.

ولتحقيق هذه الأهداف التي هيكلت الاتفاقية، فقد نصت على مجموعة من المبادئ التوجيهية التي لا يمكن أن يتبلور التنوع الثقافي بدونها وهي: مبدأ احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية ومبدأ التضامن والتعاون الدوليين ومبدأ تكامل الجوانب الإقتصادية والثقافية للتنمية، ومبدأ التنمية المستدامة ومبدأ الانتفاع المنصف ومبدأ الانفتاح والتوازن.

من خلال هذه المقتضيات، أكدت المعاهدة في مادتها الخامسة على حق الدول وفقًا لميثاق الأمم المتحدة وقواعد القانون الدولي وصكوك حقوق الإنسان المعترف بها عالميًا، على حقها السيادي في صياغة وتنفيذ سياساتها الثقافية واعتماد تدابير لحماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي وتوطيد التعاون الدولي لتحقيق أهداف الاتفاقية.

و لإعطاء هذه الإتفاقية نوعًا من الإلزامية فقد نصت المادة ٢٠ على أن تفي الأطراف بنية حسنة بالالتزامات التي تفرضها الاتفاقية وجميع المعاهدات الأخرى التي تكوِّن أطرافًا فيها، ودون اعتبار الإتفاقية تابعة إزاء المعاهدات الأخرى فإنها تشجع الدعم المتبادل بين هذه الاتفاقية والمعاهدات الأخرى التي تكوِّن أطرافًا فيها كما أنه عليها أن تضع الأحكام ذات الصلة بالاتفاقية في اعتبارها لدى تفسيرها وتطبيقها المعاهدات الأخرى التي تكوِّن أطرافًا فيها أو لدى ارتباطها بالتزامات دولية أخرى.

وواضح أن هذه المادة تحيل إلى المنتديات الأخرى التي يتم فيها معالجة الخدمات ذات الطبيعة الثقافية كما هو الأمر بالنسبة للمنظمة العالمية للتجارة من خلال الاتفاقية

العامة حول الخدمات، والتي تندرج ضمنها المفاوضات حول الخدمات السمعية والبصرية، وكذلك المنظمة العالمية للملكية الفكرية المعنية بقضايا حقوق التأليف والإبداع.

من الواضح أنه بالرغم من الأهمية القصوى لهذه الأداة القانونية في شرعنة التنوع الثقافي أي السماح لكل الثقافات بالحق في الوجود، وكذلك شرعنة السياسات الثقافية الوطنية، فإن حدود المعاهدة القانونية واضحة. فهي كجميع المعاهدات تأتي نتيجة تسويات وتوافقات بين مصالح مختلفة. وغالبًا ما يفقد التوافق المعاهدة صلابتها ومتانتها، بل قد يُكتفَى بإدراج قضايا عامة إن لم نقل غامضة.

في هذا السياق نلاحظ أن التنوع المقصود، رغم أهميته، فإنه لم يعط عناية كبيرة لتنوع وسائل الإعلام التي تعرف تركيزًا كبيرًا وتشهد تأثيرًا ملحوظًا على المواطن من خلال الإمكانيات الواسعة التي تتوفر عليها في نقل وتبليغ المعلومة.

فضلاً عن ذلك، ففي مواجهة مقاومة الولايات المتحدة والمساندين لها، فقد تضمنت المعاهدة بعض الصيغ العامة. فمن المعلوم أن الولايات المتحدة تساهم بخمس ميزانية اليونيسكو. وقد سبق لها أن انسحبت منها احتجاجًا على مطالب دول العالم الثالث القاضية بإعادة النظر في تدفقات المعلومات وبناء نظام إعلامي جديد وكذلك احتجاجًا على ما وصفته بتسييس المنظمة[1].

وأخيرًا فهناك ملاحظة تتعلق أساسًا بالقوة الإلزامية لمحتوى المعاهدة. فهي ضعيفة الإلزام إذا قورنت بالالتزامات المقررة مثلاً داخل المنظمة العالمية للتجارة والتي تتوفر على مقتضيات إكراهية في حالة تحرير قطاع ما. فضلاً عن ذلك فهي تتضمن مساطر وأجهزة لتسوية الخلافات تتوفر على سلطة فرض جزاءات مالية. فالقوة الإلزامية لهذه المعاهدة لا تنبع من آلياتها، وإنما من مدى صلابة الدول في التشبث بمقتضياتها وتنفيذها. ويعني هذا الأمر أن كل دولة ستسعى إلى مواءمتها مع مصالحها، وارتباطاتها مع الدول الأخرى، وخاصة تلك المهيمنة في النظام الدولي.

(١) حول هذه المنظمة ودور العالم العربي داخلها يمكن الرجوع الى حسن نافعة: العرب واليونيسكو، سلسلة عالم المعرفة، الكويت

وأخيرًا، فإن ما يحد أيضًا من هذه الاتفاقية، وحتى من السياسات الوطنية أنها ليست محل توافق. فالشركات الكبرى العاملة في المجال الثقافي، والتي استطاعت أن تكون لها مكانة عالمية، وقوة مالية مؤثرة كما هو الشأن، على سبيل المثال بالنسبة لفيفاندي انفرسال Vivendi Universal الفرنسية فهي لا تشاطر موقف حكومة بلادها الداعي إلى الدفاع عن التنوع.

لكن الحدود الذاتية والموضوعية لهذا التيار الدافع إلى التنوع الذي حقق خطوة متقدمة بتبني هذه المعاهدة لا تمنع من الاستنتاج إلى أن الثقافة تحولت إلى رهان متعدد الأبعاد، وبالتالي لا تنفصم على المصالح التي تدافع عنها كل دولة، فكيف يتفاعل العالم العربي مع هذه التيارات المتضاربة.

المبحث الثالث: العالم العربي بين العولمة والتنوع الثقافي

من الصعب على المتأمل للوضع الثقافي في العالم العربي الحديث عن تصور أحادي لهذه المنطقة في مواجهة التحديات الثقافية العالمية. فالعالم العربي في تدبيره لمصالحه الثقافية ليس موحدًا. فهناك (عوالم عربية) سواء في إدراكها للتحولات العالمية، أو في تفاعل الآخر معها. فصورة العالم العربي في الغرب ليست وحيدة، وخاصة في إعلام يتسم بالتنوع. فهناك مثلاً فرق كبير بين الرؤية الأمريكية والرؤية الأوروبية التي تبقى مشحونة أكثر بعوامل مرتبطة بالقرب الجغرافي والاحتكاك التاريخي الذي أفرز شبكة من التفاعلات الثقافية[1].

فعلينا تجنب بعض الأحكام المتسرعة في هذا السياق. ومن بينها القول بوجود تعارض بين العالم العربي والتعددية الثقافية. فهذه فكرةٌ يريد اتجاهٌ مغلفٌ بتطرفٍ ديني ترويجها مضمنها أن هناك إرادة في الغزو الثقافي للغرب وخاصة الأمريكي منه من منطلق الهيمنة. وبالتالي ينبغي محاربتها بالعنف وذلك لتطهير دار الإسلام. وهذا الموقف المتطرف يقابله في الطرف الآخر موقف صراع الحضارات، وهو الذي يشدد على الاختلافات والتعارضات بدل التركيز على المسالك المفضية إلى التحاور والتقارب بين مختلف الحضارات.

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول صورة العالم العربي في وسائل الاتصال الغربية يمكن الرجوع إلى:
Hervé BOURGES:
Rôle des médias dans la connaissance des autres : l_image du monde arabe dans les médias occidentaux, communication présentée à la conférence euro /arabe pour le dialogue des cultures, IMA Paris 15 L16 Juillet 2001 11 pages

لكن مقابل هذا الموقف السياسي المتطرف، فإن الأغلبية من المفكرين تتحدث عن أهمية التنوع. من منطلق أنه إذا كانت العولمة تؤدي إلى تحطيم الحواجز المكانية والزمانية بين الأمم والشعوب، فإنها لا يجوز أن تقضي على التعددية الدينية والحضارية، فهذه التعددية ضرورية، ومن شأنها أن تغني تيار العولمة. أما إذا اختفت التعددية، فإن ذلك يعني تهديدًا خطيرًا للسمات الحضارية التي تتميز بها كل أمة من الأمم وما يترتب على ضياع الهوية من مخاطر ليست بالتأكيد في صالح البشرية[1].

فالعولمة أصبحت واقعًا في العالم العربي، كما هو الأمر بالنسبة للمناطق الثقافية الأخرى. فهي موجودة في القيم وفي المعيش اليومي والمتخيل الجماعي.

المنطقة العربية تتفاعل مع العولمة من خلال تفكيك أنظمتها الحمائية في المجال الإقتصادي. فمجموعة من الدول العربية بقيت وفية للاختيارات الليبرالية، كما هو الأمر بالنسبة للدول الخليجية أو لبنان، في حين إن مجموعة أخرى اضطرت إلى الإنخراط في هذا المد الليبرالي الذي تدافع عنه المؤسسات المالية والنقدية العالمية التي أبرمت اتفاقيات التبادل الحر مع دول (الولايات المتحدة) أو مع تجمعات اقتصادية كبرى كما هو الأمر بالنسبة للدول المغاربية مع الاتحاد الأوروبي فيما يعرف بالشراكة الأورومتوسطية.

علاوةً على ذلك، فإن العالم العربي لم ينجُ من آثار العولمة الثقافية. فالعولمة الإعلامية الناتجة عن التطورات الهائلة في مجال الصناعات الثقافية لم تترك العالم العربي بمنأى عن ذلك. فمنذ حرب الخليج الأولى الناتجة عن غزو العراق للكويت، وما لاحظه العالم، ومنه العالم العربي من احتكار الولايات المتحدة للتغطية الإعلامية عبر شبكة CNN تم الانخراط في مجتمع الإعلام من خلال خلق مجموعة من الفضائيات التي كانت تبث من لندن وهي بالخصوص MBC وANN، قبل أن تقرر قطر في إطار إستراتيجية إعلامية خلق قناة الجزيرة، التي خلخلت الإعلام الرسمي العربي من خلال نوعية تعاطيها مع المادة الإعلامية، كما وضعت حدًا للهيمنة الإعلامية الأمريكية في تعاطيها مع القضايا التي تهم

(١) انظر محمود حمدي زقزوق: العالم الإسلامي وتحديات العولمة، الإسلام اليوم مجلة المنظمة الإسلامية للعلوم والثقافة والتربية عدد ٢٣، ٢٠٠٦ ص ٦٢

العالم العربي والإسلامي. كما تجلى ذلك من خلال الحرب ضد أفغانستان أو الحرب في العراق. ففي كل هذه التطورات يبدو واضحًا أننا أمام تنوع في مصادر الأخبار، وأن الفضاء الإعلامي العربي قد تم ربطه بالنظام الإعلامي العالمي[1].

نفس المعاينة نتلمسها فيما يتعلق بنفاذ العالم العربي إلى ما يسمى بالعالم الافتراضي. فالدول العربية ارتقت بدرجات متباينة إلى ما يسمى بطرق الإعلام، واستعمال الإنترنت والبريد الالكتروني. وإن كان هذا لا يعني عدم وجود مشكلات ذات طبيعة سياسية واقتصادية تقلص من نسبة التعاطي مع هذا العالم الافتراضي .

ومن هذا المنطلق فإن الثقافي في العالم العربي لا يمكن أن يُفصَل عن السياسي. فالمشكلات الكبرى التي يعاني منها العالم العربي وخاصة الناتجة عن قيام دولة إسرائيل بمساندة غربية، وكذلك تداعيات ١١ سبتمبر وردود الفعل التي خلفتها، ولاسيما السياسة الأمريكية القائمة على ما تسميه بالحرب على الإرهاب، والتي يوجد في قلبها دول عربية أو إسلامية، كلها عوامل جعلت عوامل الرفض للآخر تتوسع وتتخندق وراء إشكالية كبيرة اسمها الهوية.

لكن العالم العربي أسوة بباقي المناطق الثقافية لا يمكن أن يبقى بمنآى عن التغيرات التي مست الحقل الثقافي برمته خاصة على مستوى الوسائط وأساسا ما يتعلق بالإعلام الرقمي، وتنامي الأسطوانات المقعرة منذ التسعينات، متبوعة بالانترنت، علاوة على تنامي الفضائيات بكل أنواعها وخاصة تلك المتعلقة بالأخبار.

إن هذه التحولات التكنولوجية التي دخلت إلى العالم العربي تطرح التساؤل حول انعكاساتها. ويمكن أن نقول أن العالم العربي يظل بكثير من المؤشرات في وضعية لا تسمح له بأن يؤثر في التحولات الثقافية الكبرى.

لقد بين التقرير العربي حول التنمية البشرية لسنة ٢٠٠٣ العوائق الكبرى التي ما زالت تعتور المشهد الثقافي وتحول دون قيام تنمية ثقافية. وهي تتجلى في العوائق المتعلقة بضمان الحريات الأساسية كشرط للإبداع. فبالرغم من التقدم الحاصل في بعض

---

(١) لمزيد من التفاصيل راجع دراسة:

Khalifa CHATER :Globalisation et MondeArabe

http//perso .hexabyte .tn/chakerKhalifa/globalisation .htm P 9

الأقطار، فإن العالم العربي مازال يعاني من نقص في مؤشرات الديمقراطية، ويعتبر الكثيرون أن التحديات التي يواجهها العالم العربي لا تأتي من العولمة بقدر ما تأتي من عجز الدولة الوطنية على الانخراط في احترام وضمان متطلبات الديموقراطية، ومن بينها احترام تطبيق القوانين الجاري بها العمل والتعددية اللغوية والمساواة بين المرأة والرجل والسهر على إقرار تعددية إعلامية خاصة في وسائل الإعلام العمومية التي تظل في بعض الأقطار العربية وسائل رسمية فقط[1]، وقد لا حظنا التوصية الأخيرة المتعلقة بتبني ميثاق عربي لوزراء الإعلام العرب التي انتقدت باعتبارها تعمل على الحد من حرية الفضائيات فيما يتعلق بتعاملها مع النظام العربي.

يتجلى هذا الضعف في الموارد المخصصة للبحث العلمي. فالعالم العربي لا يملك إلا ٨ آلاف باحث بالمقارنة مع ٤٠٠ ألف في الولايات المتحدة. ولا يتجاوز معدل البحث العلمي في الدول العربية ٣،٠ في حين يصل إلى ٥،٣ في الدول المتقدمة.

يتجلى التأخر العربي الواضح فيما يتعلق بالاقتصاد الإلكتروني، حيث إن نسبة انسياب الإنترنت تبقى متواضعة في الدول العربية المهمة. وقد لا يعود الأمر إلى أسباب تقنية وإنما مرتبطة باختيارات سياسية.

و يكمن الثاني في غياب سياسة للنفوذ تسمح للعالم العربي كما لاحظنا سواء بالنسبة للولايات المتحدة أو بالنسبة لفرنسا في إطار الفرانكفونية من بلورة استراتيجية في هذا السياق. ويعتبر الكثيرون من المتتبعين للعالم العربي أن الدول العربية تبدو وكأنها لم تع المجالات الاستراتيجية الرائدة التي باتت تميز عالم اليوم في مواجهة المصادر التقليدية للنفوذ[2].

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول هذه الجوانب انظر:

Christian HARBULOT :

l_absence de stratégie de puissance des pays arabes

WWW .infoguerre .fr/fichiers P 13

(٢) لمزيد من التفاصيل حول العالم العربي والتنوع الثقافي يمكن الرجوع إلى:

leila Rezk : Monde arabe et diversité culturelle communication présentée au colloque le combat pour la diversité culturelle centre Jacques Cartier -2/7Déc 2005

خلاصة عامة

يسمح لنا العرض السابق من التأكيد على ما يلي:

إن الثقافة أصبحت أكثر من أي وقت مضى تمثل رهانًا سياسيّاً واقتصاديّاً واجتماعيّاً. فهي لم تعد ذلك الشيء الكمالي الذي نفرغ إليه بعد أن ننتهي من أعمالنا اليومية، بل هي محدد للسياسة الإقتصادية والتربوية وقواعد العمل السياسي وتأصيل الديمقراطية[1]. صحيح أنها لا تناقش كموضوع مستقل في المنتديات الكبرى الإقتصادية والمالية العالمية، لكنها حاضرة بقوة. فتبادل المنتوجات المادية يؤدي إلى التأثير على التصورات والأفكار، بل إنها تحدد السلوكات الاقتصادية خاصة في ظل تنامي استراتيجيات الإشهار والتواصل بصفة عامة. و ستزداد أهميتها بفعل الدور المتزايد لما يسمى بالإقتصاد غير الواقعي أو اللاّمادّي الذي يجسده مجتمع المعرفة والاتصال.

سواء تعلق الأمر بالنسبة للولايات المتحدة ذات الثقافة المهيمنة أو بالنسبة لثقافة المقاومة، فإننا أمام استراتيجيات تلعب فيها الدولة والمؤسسات التابعة للقطاع الخاص من شركات ومؤسسات ثقافية دورًا مركزيّاً.

إن العالم العربي لا يمكن أن يكون فاعلا في هذه الثورة إذا لم يستضمر مصادر النفوذ المعاصرة، ومن جهة أخرى إذا لم يقم بتأصيل أو بتوطين لنقل قيم الحداثة عبر الحوار وعبر التفاعل الجدلي والإيجابي بين ما هو عالمي وما هو مرتبط بخصوصيته. فالعالم العربي بتنوعه لا ينبغى أن يبقى في موقف دفاعي أو رافض للتدفقات الثقافية المختلفة، بل عليه أن ينخرط بشكل فاعل عبر سياسات ثقافية واضحة المعالم توفر الإمكانيات الضرورية للخلق والإبداع، في هذه الدينامية العالمية التي يتفاعل فيها الثقافي بأبعاد مادية أخرى.

****

(١) علي أومليل: سؤال الثقافة: الثقافة العربية في عالم متحول، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى ٢٠٠٥ ص ٨٤ و٨٥ .

المصالح وتأثيرها في المشهد الثقافي العالمي والعربي

الدكتور الحسان بوقنطار

ملخص البحث

إن الثقافة أصبحت أكثر من أي وقت مضى تمثل رهانًا سياسيّاً واقتصاديّاً واجتماعيّاً. فهي لم تعد ذلك الشيء الكمالي الذي نفرغ إليه بعد أن ننتهي من أعمالنا اليومية، بل هي محدد للسياسة الاقتصادية والتربوية وقواعد العمل السياسي وتأصيل الديمقراطية. صحيح أنها لا تناقش كموضوع مستقل في المنتديات الكبرى الاقتصادية والمالية العالمية، لكنها حاضرة بقوة. فتبادل المنتوجات المادية يؤدي إلى التأثير على التصورات والأفكار، بل إنها تحدد السلوكات الاقتصادية خاصة في ظل تنامي استراتيجيات الإشهار والتواصل بصفة عامة. و ستزداد أهميتها بفعل الدور المتزايد لما يسمى بالاقتصاد غير الواقعي أو اللاّماديّ الذي يجسده مجتمع المعرفة والاتصال.

سواء تعلق الأمر بالنسبة للولايات المتحدة ذات الثقافة المهيمنة أو بالنسبة لثقافة المقاومة، فإننا أمام استراتيجيات تلعب فيها الدولة والمؤسسات التابعة للقطاع الخاص من شركات ومؤسسات ثقافية دورًا مركزيّاً.

إن الوطن العربي لا يمكن أن يكون فاعلاً في هذه الثورة إذا لم يستضمر مصادر النفوذ المعاصرة، ومن جهة أخرى إذا لم يقم بتأصيل أو بتوطين لنقل قيم الحداثة عبر الحوار وعبر التفاعل الجدلي والإيجابي بين ما هو عالمي وما هو مرتبط بخصوصيته. فالوطن العربي بتنوعه لا ينبغي أن يبقى في موقف دفاعي أو رافض للتدفقات الثقافية المختلفة، بل عليه أن ينخرط بشكل فاعل عبر سياسات ثقافية واضحة المعالم توفر الإمكانيات الضرورية للخلق والإبداع، في هذه الدينامية العالمية التي يتفاعل فيها الثقافي بأبعاد مادية أخرى.

****

Interests and their impact
On the arab world and the cultural scene

Dr. Alhassan Bouqentar

Abstract

Culture has become, more than ever, a formative factor of our economy, politics and society. It has become a necessity in our everyday lives and not something that we can just read about in our spare time, as it determines economic policy, education, political work ethics and the root of democracy.

Although it is yet to be discussed or addressed as an independent issue in the key, global economic and political forums, but it posses a strong presence.

The exchanging of material products will have an influence on perceptions and ideas, as it defines economic behaviors, especially in light of the developing publicity and communication strategies. Its significance will foster as it plays an increasing role in our, so-called, idealistic economy, that is embodied in our definitive and communicative societies.

Whether we are referring to the United States, with its dominant culture, or to the culture of resistance, we are facing strategies whereby the state, private organizations and cultural institutions play a central role.

The Arab world cannot effectively be an active player in this revolution if it does not make use of the contemporary resources of influence or if it does not establish or adopt the values of modernity through dialogue and positive interaction, both on an international level as well as a national one.

In this dynamic world, where the culture interacts with other materialistic dimensions, then the ever diverse Arab world should not assume a defensive position or reject the various cultural influences. It should actively engage in clear-cut cultural policies that provide the necessities for generating creativity and innovation.

رئيس الجلسة

شكرًا الدكتور الحسان بوقنطار على هذا العرض وعلى التزامه بالوقت المتاح لنا، ونظرًا لالتزامات السيد الرئيس حارث سيلاجيتش (الرئيس البوسني) أرجو أن يتفضل بتقديم مداخلته، وشكرًا.

الرئيس حارث سيلاجيتش

السلام عليكم، شكرًا السيد الرئيس، أتيت من البوسنة والهرسك لأقدم جزيل الشكر مرة أخرى للكويت أميرًا وحكومةً وشعبًا لما قدمته الكويت من المعنويات والماديات أيام حرب البوسنة وما تقدمه الآن للبوسنة والهرسك من الصداقة والإخوة والاهتمام والعناية، وسمو الأمير الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح صديق البوسنة والهرسك، وصديق الإنسانية، وكنا دائمًا نتعلم منه التسامح والتواضع والحرفة الدبلوماسية، وكذلك مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين وعلى رأسها صديقنا العزيز عبدالعزيز البابطين، فهذه المؤسسة أخذت مكانًا لها ومكانة في عالم الثقافة اليوم، شكرًا يا صديقي عبدالعزيز أنك جمعتنا اليوم، فرأيت هذه الوجوه الطيبة لأصدقائي في الكويت، شكرًا لاهتمامك بالثقافة بشكل عام، وكما تفضل رئيس الجلسة فإن أهمية الثقافة تتصاعد، وبكل تأكيد الأزمات تؤثر، فالثقافة لابد أن تأخذ مكانها، لأن العولمة ليست عولمة الاقتصاد فقط، هناك المجتمعات والإنسان، لا أريد أن أطيل عليكم، سوف أركز على ثلاث نقاط بسيطة جدًا، أولاً: البوسنة والهرسك، دولة نشأت تقريبًا قبل ألف سنة، تقع على خط استراتيجي، خط متواصل بين الشرق والغرب. نحن دائمًا على هذا الخط نتمتع أو نعاني من هذا الموقع الجغرافي، ورغم كل شيء أقول نحن نتمتع بالتنوع الثقافي والتعددية بشكل كامل، بعضهم يقول إن التعددية والتنوع الثقافي والديني والعرقي مشكلة، حالة غير طبيعية، فأنا من أنصار التنوع، فإذا كانت البوسنة والهرسك مرت فيما بين ١٩٩٢ – ١٩٩٥ بما يسمى بالحرب، إنما هو اعتداء على البوسنة والهرسك وعلى التنوع والتعددية، وكلها باسم الفاشية، وللأسف الشديد، المجتمع العالمي لايهتم بإعادة التنوع والتعددية بما فيه الكفاية، لأن البوسنة والهرسك ليست بلدًا كبيرًا أو غنيّاً، بل هو رمز، دولة البوسنة والهرسك والمجتمع البوسنوي رمز، والرمز لايقاس بالملايين أو بالموقع الجغرافي، هو رمز الإنسانية، وغرفة الاختبار، والإنسانية ككل تخرج من البوسنة والهرسك بالفشل للأسف، إن المجتمع التعددي الذي عاش من القرن الحادي عشر إلى السابع عشر، فشل في القرن العشرين،

والواحد والعشرين، بمعنى أنه بمرور الزمن لاتتحسن الإنسانية، إلا إذا ربيناها على ثقافة احترام الغير، واحترام الآخر. أخيرًا العولمة، فهي احترام الآخر وثقافة احترام القوي نحو الضعيف والأزمة المالية هذه تؤثر على أهمية هذا الكلام، فالعولمة موجودة شئنا أم أبينا وهذه العولمة تحتاج إلى نماذج، والنموذج البوسنوي ناجح – مع الفشل في القرن العشرين والواحد والعشرين – هناك الديانة الإسلامية والمسيحية بطوائفها الأرثوذكسية والكاثوليكية، والديانة اليهودية، فبمرور الزمن والقرون، كان مجتمعًا ناجحًا، فإذًا العالم يحتاج إلى هذا النموذج، وبما أنه فشل في البوسنة والهرسك فكيف ينجح في أي مكان آخر؟ وكنت أتوقع أن نعمل ونجتهد، أقول بكل صراحة إن هذا التنوع والتعددية والحوار، هو قول وليس عملاً في البوسنة والهرسك، هناك عمل لايكفي بما نقوم به. النقطة الأخيرة التي سأتطرق إليها، وكنت تطرقت إليها في كوبنهاغن سنة ١٩٩٤، حينما سئلت أيام الحرب في البوسنة والهرسك عن الحرب وأسبابها، فقلت إذا أردتم أن لا يتكرر ما حدث بالبوسنة في أي مكان آخر، لا بد أن تأخذوا في الاعتبار أن سرعة التطور لاتتحملها طبيعة الإنسان، فإذًا علينا أن نسرع في إبطاء عجلة السرعة وإلا ستكون هناك أزمة كبيرة، وللأسف أعتقد أن الأزمة المالية هذه أزمة عادية، وأتوقع أكثر من ذلك لأن سرعة التحول الاجتماعي والاقتصادي فقدت المقومات الإنسانية، هذه هي المشكلة، نحن دائمًا نتكلم عن الحوار، حوار مع من؟ أولاً: الحوار مع النفس، أنا أحاور نفسي أولاً، ولكن ليس لدي وقت، وبعد ذلك أحاور الغير أو الآخر، وأحاول أن أفهم وأدرك هذه التغيرات والتحولات، فالإنسان الحديث، ليس لديه الوقت للحوار مع النفس أولاً، وثانيًا مع الآخر، فالسرعة هذه أصبحت هدفًا بذاتها، سرعة من أجل السرعة، إلى أين نسرع؟ الأخ الفاضل تكلم عن نهاية التاريخ، «فوكوياما». لماذا نسرع؟ هل وصلنا إلى نهاية التاريخ؟ إذا وصلنا إلى نهاية التاريخ فلماذا نسرع؟ إلى أين؟ أعتقد أن الطبيعة الإنسانية لاتتحمل هذه السرعة وخاصة في الدول الكبرى مثل الصين والهند، سوف نرى بعض التطورات الاجتماعية نتيجة لتقدم بعض فئات المجتمع السريع، فهذه السرعة للأسف لا تفيد الإنسانية ككل. أشكركم على الاستماع وأشكر السيد رئيس الجلسة وأخي عبدالعزيز البابطين.

رئيس الجلسة: د. سليمان العسكري

باسمكم جميعًا أقدم جزيل الشكر لسيادة الرئيس حارث سيلاجيتش على هذه المداخلة التي جاءت في صلب ندوتنا، كنا نتمنى أن يكون الوقت فيه متسع أكثر لنستفيد من تجربة الحوار، حوار الثقافات والأديان والعقائد في البوسنة، لكي نقدم نموذجًا حيّاً لشعوب العالم ولشعبنا العربي. المتحدث الثاني في ندوتنا هذه هي الدكتورة أُنس دباش من تونس، وسوف تتحدث في نفس الموضوع وهو المصالح وتأثيرها في المشهد الثقافي العربي العالمي.. فلتتفضل..

د. أُنْس دباش

السلام عليكم جميعًا، بادئ ذي بدء أريد أن أتقدم بالشكر إلى مؤسسة البابطين على دعوتها واستقبالها، ورقتي مكتوبة باللغة الفرنسية (تبدأ البحث بالفرنسية).

****

LES INTÉRÊTS ET LEURS CONSÉQUENCES SUR LA SCÈNE CULTURELLE MONDIALE

Dr. Ons Debbech

Le premier chapitre de cet exposé est consacré à la définition de deux termes : la culture et l'intérêt en se focalisant sur leurs caractéristiques principales.

Au chapitre II, nous exposons les intérêts qui représentent un danger pour la culture et ceci d'une façon assez large. Par souci de concision, nous avons réduit notre étude à trois acteurs de la société qui peuvent tirer profit de la culture : les grandes sociétés, l'État et enfin l'individu.

Le chapitre III concerne la Mondialisation de la culture, dans lequel nous évoquerons la gratuité de la culture via Internet. Dans quelle mesure cette gratuité représente-elle une épée à double tranchant ?

Une nouvelle vogue de presse gratuite voit le jour en Europe depuis 1995. Quelle menace représente-t-elle pour la presse écrite ?

Le quatrième chapitre intitulé l'Industrie Culturelle dans lequel nous focalisons nos recherches sur la publicité qui se présente comme un art, une culture, une machine à rêves, mais également un instrument de domination et de manipulation..

En guise de conclusion, nous évoquerons brièvement la culture des pays en développement.

Plan

I- Définition :

La culture

L'intérêt

II- Qui peut tirer profit de la culture ?

Les grandes sociétés, l'État et l'individu.

III- La Mondialisation de la culture :

Internet

La gratuité : Intérêts et conséquences

Exemples : la presse gratuite et la gratuité dans les musées

IV- L'Industrie Culturelle:

La Publicité

La marchandisation de la culture :

Exemples : le cinéma et la musique

Conclusion :

La culture des pays en développement :

Chapitre I : Définition de la culture et de l'intérêt:

La culture :

La culture est l'ensemble des acquis littéraires, artistiques, artisanaux, des mœurs, des coutumes, des traditions et des modes de pensée et de vie qui constituent le patrimoine collectif et la personnalité d'un pays, d'un peuple, d'un groupe de peuples, d'une nation. La Culture de masse permet l'accès de tous les citoyens à la culture.

Edward-Burnett Tylor , est un historien et ethnologue anglais. En 1871 il fait paraître Primitive culture dont lequel il définit ce qu'il entend par culture: « un ensemble complexe qui englobe des notions, des connaissances, des croyances, les arts, les lois, la morale, les coutumes, et toutes autres capacités et habitudes acquises par l'homme en tant que membre de la société. »

La « culture de l'esprit » peut être comprise « comme un art particulier qui enseigne à cultiver et à perfectionner toutes les parties de l'esprit humain » d'Après La Grande Encyclopédie de Diderot et d'Alembert .

Le mot « esprit » est jugé indispensable pour donner à la culture sa dimension intellectuelle. Il est clair aussi que l' « esprit », ainsi que la souligné Paul Hazard dans La crise de la conscience européenne (1935), perd alors une partie de son sens spiritualiste, politique et sociale.

En 1789, l'Anglais Isaac Watts précise qu'il existe cinq moyens de cultiver son esprit : l'observation, la lecture, l'instruction des maîtres, les conférences et la méditation.

L'intérêt:

On peut définir l'intérêt comme ce qui est utile, profitable à quelqu'un. Avoir des intérêts dans une affaires, y avoir placé de l'argent en vue d'en tirer des bénéfices.

Chapitre II : Qui peut tirer profit de la culture ?

Dans ce chapitre nous avons choisi trois exemples : les grandes sociétés, l'État, et l'individu.

Les grandes sociétés:

Pour vendre leurs nouvelles marchandises celles-ci s'appuient désormais sur des produits culturels que le succès a rendu familiers. L'idée est que la culture rajoute de la valeur aux marques vendues, puisque depuis l'époque romaine, la culture procure le sens du raffinement qui est réservé uniquement à une élite. Par exemple en peinture, Picasso, qui a figuré en image de synthèse dans des publicités, est devenu le nom d'une voiture de Citroën. Dans ce cas de figure, ces grandes sociétés reprennent les références devenues communes dans le monde culturel sans souci du sens des créations comme des droits d'auteur.

Les grandes sociétés ont même touché le domaine des livres qui représentent le véhicule de la pensée. Déjà les grands groupes éditoriaux publient, distribuent, vendent et font commenter favorablement les titres qu'ils produisent.

Le développement des espaces culturels Leclerc, Auchan…dans les villes moyenne provoque la fermeture des librairies indépendantes .

L'État :

Pour rentabiliser des biens culturels le plus vite possible, l'État a recours massivement à la publicité. En France par exemple, en 2007, le milieu de l'édition, a été autorisé à faire de la publicité à la télévision. Depuis cette date, des livres rentables à court terme font l'objet de promotions publicitaires télévisées, en particulier les ouvrages des personnalités médiatiques du moment. Sans compter que la publicité pour les livres à la télévision restera hors de portée de la bourse des petits éditeurs.

L'État a fait aussi le choix de la gratuité pour l'empreint des livres dans les bibliothèques municipales. Cette gratuité est une épée à double tranchant. Elle permet aux gens de faire des économies. En revanche, elle est responsable de la baisse des ventes des livres.

L'individu :

Prenant l'exemple des stars nationales ou internationales dans le domaine culturel comme le cinéma ou la presse et qui participent dans les publicités des grandes marques, ces vedettes travaillent aussi pour leurs intérêts avant

tout. Participer à un spot de publicité contribue à accroître leur réputation. Être vu, c'est être vendu.

Selon le sociologue français Pierre Bourdieu (1930-2002) , cette logique du profit à court terme est « la négation stricte de la culture qui suppose des investissements à fonds perdus, voués à des retours incertains ».

Chapitre III : la mondialisation de la culture:

Définition :

L'expression de « mondialisation de la culture» désigne cette circulation des produits culturels à l'échelle mondiale. Elle provoque des réactions contrastées. Les uns y déchiffrent les promesses d'une planète démocratique unifiée par une culture universelle- une planète réduite par les médias aux dimensions d'un "village globale", comme le disait Marshall McLuhan . D'autres y voient la cause d'une inéluctable perte d'identité qu'ils déplorent.

La rencontre de l'argent et des biens culturels sur le marché est au cœur de la polémique. La mondialisation de la culture est une des conséquences du développement industriel.

Les effets négatifs et positifs de la mondialisation :

La mondialisation a des effets négatifs et positifs pour les États, les entreprises et les particuliers en matières économique et politique. Mais n'oublions pas que la culture est également touchée par la mondialisation. Plusieurs éléments sont à mettre en évidence, notamment l'influence de la culture américaine dans le monde. Nous nous sommes donc posés plusieurs questions : comment la mondialisation influence-t-elle la culture ? Quelle réaction peut-on observer ? Comment préserver sa culture face à la modernisation ?

Dans un premier temps nous développerons le phénomène d'uniformisation de la culture et les réactions qu'elle suscite et après avoir expliquer les effets négatifs de la mondialisation sur la culture, nous démontrerons qu'il existe également des aspects positifs.

La culture n'est pas seulement l'ensemble des connaissances d'une personne, la culture est l'ensemble des façons de penser, de faire de se comporter d'un groupe ou d'une société. Elle semble s'imposer à l'individu qui l'acquiert par la socialisation. Elle se manifeste dans les arts, la religion, les structures politiques, l'éducation, l'organisation du travail, la politesse….bref dans tous les aspects de la vie sociale.

L'association de ces deux termes évoque les débats contemporains sur la mondialisation de la culture comme pensée unique, sur les destins des cultures minoritaires, sur l'avenir ou la mort de l'art. On peut donc s'interroger sur les effets de la mondialisation, uniformisation « de masse » sur la et les cultures.

Y a-t-il, du fait de la mondialisation, uniformisation vers une culture mondiale, c'est-à-dire vers une façon de penser et de faire qui serait partagée par tous les peuples ? Si oui, quels seraient alors les avantages et les limites de cette mondialisation culturelles?

La mondialisation implique des contacts directs et indirects entre cultures et pays différents. Ces contacts, qu'ils soient directs par les rencontres entre individus et groupes : l'assimilation, l'intégration ou alors le refus culturel. Dans le cas de l'assimilation et de l'intégration, la mondialisation culturelle est donc perçue comme étant un avantage pour les civilisations puisque celles-ci ont su adopter les nouvelles coutumes. C'est ce que nous expliquerons donc en première partie. Et dans une seconde partie nous verrons que cette mondialisation intègre tout de même certaines limites que nous étudierons à travers le refus culturel.

Les limites de la mondialisation:

Vers une culture mondiale ?

Par certains côtés on peut parler d'assimilation culturelle. Il y a une uniformisation culturelle, la culture américaine comme modèle, la langue, le cinéma, les films circulent partout dans le monde. Ce sont les nouveaux moyens de communications qui facilitent cette uniformisation.

Dans un article du journal français Libération du 28/11/1999, un observateur nommé M. R. Girard, explique : « On ne cherche même plus à nous convaincre que ce produit est bon, mais juste qu'il est consommé par telle ou telle célébrité….Ce mimétisme s'exerce surtout vis-à-vis de la société américaine….Les États-Unis sont une puissance mentale. Ils règnent par imitation » .

En fait, résistance et métissage accompagnent la mondialisation .

Des résistances:

Il y a des résistances dans certaines régions du Monde qui revendiquent l'exception culturelle. Le commerce de biens culturels comme par exemple le cinéma peut entraîner une uniformisation avec la disparition de produits nationaux et la prédominance de produits mondiaux.

Des métissages:

Des phénomènes de métissage sont possibles : les cultures s'enrichissent mutuellement comme par exemple pour la musique qui avec la technologie peut circuler dans le monde et se recomposer constamment grâce aux différents types de musique. On observe une complémentarité des cultures.

La mondialisation et Internet :

Cette mondialisation qui passe par Internet, et qui bouleverse le domaine culturel joue au faveur des intérêts de l'individu, car tout ce qui est présenté sur Internet est plus ou moins gratuit.

Internet et la gratuité des produits culturels:

La culture n'est pas un bien ni une marchandise. Depuis les bouleversements techniques suscités par Internet, nombre de produits culturels (son, images…) sont en train de devenir gratuits. C'est le cas aussi des manifestations culturelles offertes au public, qui ont pour objectif de bousculer la règle qui veut que l'art est rare et cher.

Cette gratuité de la culture livrée par Internet favorise dans les mentalités une culture de la gratuité, qui est déjà ancrée dans les jeunes générations européennes.

Cette démarche permet l'accès du plus grand nombre aux arts. La culture pour tous s'oppose à celle, payante, longtemps réservée à une élite.

Quelles conséquences peut avoir cette gratuité sur la culture ?

Cette gratuité de la culture obéissait à des règles qui ont disparu avec Internet. En se généralisant, le piratage menace l'industrie culturelle. Internet est un bon moyen de communication, mais comme pour toute chose il y a des aspects positifs et d'autres négatifs. Par exemple, la vente des CD est en chute libre car les jeunes téléchargent directement les musiques désirées sur le net. C'est pourquoi les maisons de disques réalisent aujourd'hui plus de bénéfices sur les morceaux vendus en ligne (60%) que sur les CD (46%).

En ce qui concerne le livre, Internet permet l'accès au livre que l'acheteur sait vouloir acquérir, mais ne permet pas de découvrir l'auteur ou le livre inconnu vu par hasard et tenu en mains propres chez le libraire.

La gratuité risque en effet de transformer le public en consommateurs

passifs : qui ne paie pas n'a pas de comptes à exiger et ceci peut menacer la qualité du produit culturel.

Quelles solutions peuvent être envisagées pour maîtriser ce phénomène ?

Beaucoup pensent que la culture nécessite un effort ou une motivation, même si le prix à payer est symbolique.

La culture a forcément un coût, supporté par la puissance publique ou le secteur privé. Le coût de la culture peut également être pris en charge par ces deux secteurs.

La marche vers la gratuité de la culture semble inévitable à cause d'Internet. Il faut alors en mesurer les risques. Elle permet sans doute la découverte pour les plus pauvres. Mais, couplée à la publicité, elle risque de favoriser une culture uniformisée. Entre cette menace et l'impossible retour à l'ordre ancien, il convient de concevoir un nouveau système dans lequel les artistes seraient rémunérés par ceux-là même qui consomment leurs oeuvres. Car ce qui est précieux a forcément un prix.

La gratuité dans le domaine culturel, la presse gratuite comme exemple:

Le concept des journaux gratuits distribués dans les transports en commun à vu le jour en Suède en 1995 sous le sigle « Metro international ». Quant à l'édition française, elle a été lancée à Paris et à Marseille en février 2002. Ces journaux gratuits se financent exclusivement par la publicité. La pratique de la gratuité ressemble à celui de la radio, où les auditeurs ne paient pas pour écouter une émission. Les journaux gratuits ne sont distribués que cinq jours par semaine, et seulement le matin entre 7h et 10h afin de toucher le plus grand nombre des personnes qui se déplacent chaque matin des lieux d'habitat aux lieu de travail.

Du point de vue des entreprises et organismes en tous genres, cette presse est particulièrement intéressante car elle représente un moyen de profit très important pour eux : sa distribution dans des grandes agglomérations leur permet de bénéficier de campagnes publicitaires à la fois au niveau national, comme pour les quotidiens nationaux, et au niveau local, comme les quotidiens régionaux. Les quotidiens gratuits parviennent à toucher les deux niveaux. En l'espace d'une courte période, la presse gratuite est parvenue à s'imposer aux côtés des quotidiens nationaux et régionaux et à trouver un public jeune, actif et urbain.

Cette presse gratuite représente-t-elle un danger pour la presse payante ?

Celle-ci va finir par détourner les lecteurs des titres payants, et cela peut nuire gravement à l'économie de cette presse quotidienne payante

La gratuité dans les musées :

En France la gratuité dans les musées est réapparue en 1996 à titre expérimental au Louvre le premier dimanche de chaque mois, puis en 2000 dans l'ensemble des musées nationaux. L'objectif de cette opération est attirer les visiteurs les plus défavorisés ou ceux pour lesquels le fait de payer représente une barrière. Les politiques publiques qui recourent à des mesures de gratuité, expriment là une volonté de partage de la culture avec un grand nombre de gens.

La gratuité modifie-t-elle le comportement des gens envers des musées et des monuments?

Les recherches montrent que la gratuité est secondaire dans le projet d'une visite, qu'elle est loin d'être la cause principale de la fréquentation des musées et des monuments. La gratuité n'est pas neutre, elle permet de faire penser aux musées et aux monuments, elle rend la visite plus simple, moins coûteuse.

La gratuité change le sens de la consommation. On s'éloigne des normes de consommation culturelle et des obligations de la rentabilité culturelle. La visite gratuite est une nouvelle expérience dans le sens où elle favorise un sentiment de liberté d'être, stimule le lien social et modifie l'appropriation de l'activité culturelle.

Finalement, le patrimoine culturel sous la forme de musée, de monuments, de sites historiques, de paysages doit pouvoir être accessible au grand public, mais c'est aussi une ressource touristique, parfois importante.

La transmission des traditions culturelles s'appuie sur le patrimoine hérité du passé. Afin de conserver leur identité, les groupes et les nations doivent entretenir, cultiver, renouveler leur patrimoine et cela a forcement un coût.

Chapitre IV : l'Industrie culturelle :

Définition:

Définissons donc comme industries culturelles les activités industrielles qui produisent et commercialisent des discours, sons, images, arts, « et toute autre capacité ou habitude acquise par l'homme en tant que membre de la société »

Les habitants des pays développés consacrent une part de plus en plus importante de leur temps de loisir à consommer les médias de masse : télévision, radio, journaux et magazines. L'industrie des médias influence manifestement la qualité de vie des consommateurs. La culture populaire d'aujourd'hui prend en partie racine dans l'offre médiatique et se façonne au contact des émissions de radio, de télévision ou encore des articles de presse. La culture politique n'est pas en reste : ce sont souvent les médias qui choisissent les thèmes et les débats dans les journaux d'opinion ou les programmes télévisés. La façon dont les événements qui rythment l'histoire des jours y sont présentés conduit en partie à façonner ou orienter l'opinion publique.

Une caractéristique majeure de l'industrie des médias est d'assurer, partiellement ou en totalité, le financement de ses activités par le recours à la publicité .

Médias et publicité:

Il est intéressant d'aborder la question de la publicité dans le domaine médiatique puisque ce dernier englobe : la télévision, la radio, la presse écrite, le cinéma et tout ce qui touche à la culture populaire. Nous essayons de révéler brièvement les enjeux et les conséquences de ce phénomène (la publicité) dans le choix culturel des consommateurs.

Nous commençons dans ce chapitre par définir le terme médias qui est un ensemble homogène de supports qui relèvent tous d'un même mode de communication. Il a pour objectif de faciliter la communication à partir d'une même source vers de nombreuses destinations . Par exemple un journal est considéré comme support du média « presse écrite », et une chaîne de télévision comme support du média « télévision ».

Le contenu médiatique est considéré dans de nombreux pays européens comme un instrument potentiel du développement culturel : culture politique quand celle-ci est véhiculée par les quotidiens, la radio ou la télévision; culture d'information générale quand il s'agit de magazine ou de documentaires ; ou culture de divertissement quand il s'agit de programmes de fiction, de sport ou de télé réalité. La nature et la diversité des produits médiatiques sont susceptibles d'exercer une influence non négligeable sur la formation des valeurs de la communauté qui est concernée par la consommation de ces produits. Les contenus médiatiques procurent aussi aux consommateurs de médias une représentation de la société dans laquelle ils vivent.

La demande des consommateurs pour les médias est souvent influencée de manière positive ou négative par la quantité de publicité qu'ils contiennent. En particulier dans les médias audiovisuels, la publicité est perçue comme une nuisance et le volume de diffusion publicitaire peut affecter les choix des consommateurs dans la section des chaînes et des radios.

Les études montrent que le comportement des consommateurs face à la publicité est en général hostile en Europe, à l'exception des Britanniques. Les Français par exemple éprouvent un fort sentiment de rejet à l'égard de la publicité.

La diversité de la presse politique reflète la diversité des opinions des lecteurs. Mais ces opinions à leur tour se forgent à la lecture des journaux.

Quelles sont les raisons de tels refus de la publicité?

Plusieurs raisons sont évoquées pour expliquer cet éloignement. D'abord, les consommateurs peuvent ressentir un sentiment de frustration face à des produits qu'ils ne peuvent acheter à cause de leur budget. Ensuite, en période de crise économique, le message publicitaire se réduit souvent à une information relative au prix ; et enfin, les coupures publicitaires à la télévision et les prospectus dans les boîtes aux lettres sont souvent perçus comme des nuisances.

La publicité est une variable culturelle, à laquelle les consommateurs réagissent différemment, selon leur pays d'origine d'une part, et selon le média qui sert de support au message, d'autre part.

Selon Alfred Marshall , la publicité est un gaspillage de ressources; selon Joan Robinson , la publicité est une source de pouvoir de monopole et de n'inefficacité sociale, ou encore, pour John Galbraith , la publicité conduit à une création de besoins artificiels. De ce fait, la publicité ne se fonde pas uniquement sur des éléments de nature objective, mais aussi sur un contenu subjectif visant à manipuler la demande pour les produits industriels.

La marchandisation de la culture :

Le cinéma:

Dans le domaine du cinéma, la stratégie marketing du cinéma américain opte pour la logique d'une culture rentable à court terme. Leurs films coûtent cher (plus de 90 millions de dollars en moyenne), en revanche, ils sont extrêmement rentables. Star Wars I, Spider-Man, Independence Day et

Jurassic Park ont tous rapporté plus de 800 millions de dollars de recettes, grâce à leur nombre d'entrées en salle et à leurs produits dérivés. Lorsqu'un film à gros budget est sur le point de sortir en salle, des campagnes publicitaires internationales sont lancées : les affiches du film envahissent les transports en commun, les panneaux des grandes salles de cinéma, tandis que les acteurs-vedettes ou les réalisateurs font le tour des émissions de télévisions .

Nous citons un exemple concret qui touche l'industrie culturelle dans le domaine du cinéma français, c'est le Festival de Cannes qui se déroule le mois de mai de chaque année en France. Avec près de 4400 accréditations distribuées cette année aux journalistes, le Festival de Cannes est l'événement le plus médiatisé du monde après les Jeux Olympiques et la coupe du monde de football. Pour Gilles Jacob, président du Festival depuis 2000: « Un film présenté en compétition s'assure une notoriété qu'il aurait difficilement acquise sans ce soutien. » Une sélection officielle à Cannes garanti à coup sûr la sortie française dans les salles. Prés de 150 millions d'euros de chiffre d'affaires sont générés pendant le Festival. Pour la ville comme pour les films présentés à Cannes, le Festival est une aubaine financière qui rassemble tous les professionnels du cinéma.

En Amérique, Hollywood et la production culturelle ne sont rien d'autre qu'un gigantesque complexe industriel à images au service non seulement des valeurs et du modèle américain, mais encore des intérêts géopolitiques des Etats-Unis. D'où la crainte, tout aussi ancienne et renouvelée, de l'uniformisation des mœurs et des pratiques : les termes d'américanisation et de mondialisation sont souvent interchangeables. Ils supposent un projet de colonisation culturelle à l'échelle de la planète.

Ne bénéficiant pas de la même promotion que les films à gros budget des grands studios, les films indépendants attirent bien moins l'attention.

Musique:

Les nouvelles stars à la mode, diffusés d'une façon excessive par les maisons de disques sous forme de spots, d'émissions, d'affiches, de passages radio….dominent commercialement la musique d'aujourd'hui. En termes de capacité de vente, c'est la visibilité de la star de la chanson dans les médias qui importe et non pas forcément son talent.

Conclusion :

De cette brève analyse nous pouvons déduire que la culture représente l'ensemble des traits distinctifs spirituels et matériels, intellectuels, et affectifs qui caractérisent une société . La culture, dans le sens anthropologique du terme, se trouve enracinée dans tout comportement humain, qu'il s'agisse des sociétés « modernes » ou « traditionnelles ».

Mais cette acceptation de la culture en tant que secteur d'activité est en réalité valable seulement pour les populations des nations développées. Il convient de remarquer qu'il y a des contacts qui ne sont pas nécessairement hégémoniques (suprématie d'un État sur l'autre). A Cordoue, par exemple, juifs, chrétiens et musulmans ont vécu ainsi ensemble sans que la domination d'un groupe écrase la culture des autres groupes.

Étant donné la situation de dépendance dans laquelle sont maintenus les pays en développement, ils ne peuvent faire autrement que de suivre le model des pays développés dans tous les domaines et en particulier dans certains aspects du champ culturels.

Les pays développés visent par la mondialisation de la culture à assurer la coopération en matière d'éducation et de culture avec les pays en développement. Ils visent également à promouvoir la prise de conscience des réalités sociales et économiques par le biais de la culture. Ils espèrent ainsi combler un vide et répondre aux besoins éducatifs et culturels des pays en développement. C'est pourquoi, ils se sont surtout efforcés, au Nord, à contribuer au changement des mentalités en favorisant les rencontres et le dialogue des cultures , et au Sud, à privilégier les projets à composantes éducatives et culturelles.

Un autre objectif est de modifier au Nord l'image déformée des pays en développement et, par conséquent, de favoriser un changement de mentalité du grand public en général et des jeunes en particulier, amenant ainsi à des relations plus équilibrées encourageant un vrai dialogue Nord/ Sud.

Pour lutter contre la montée de la violence, du racisme, de la marginalisation des minorités et des clivages entre riches et pauvres, il faut que les pays en développement s'efforcent de promouvoir des valeurs communes telles que l'égalité, la justice, la tolérance et la démocratie. Et c'est d'abord auprès des jeunes, partenaires actifs du changement, qu'il faut encourager ces valeurs en leur apprenant à comprendre et accepter la diversité comme un enrichissement et non une menace.

Le changement passe aussi par la lutte contre les stéréotypes et les préjugés : il est en effet largement reconnu que les préjugés ont un rôle capital dans la désintégration sociale et que ces stéréotypes négatifs appliqués à des populations d'autres cultures peuvent mener à l'indifférence vis-à-vis des personnes qui en sont l'objet et donc empêche la communication et la connaissance d'autres peuples.

En effet, les pays en développement sont trop souvent présentés dans les médias en termes catastrophiques, de corruption, d'impuissance, de pauvreté et ces images perpétuellement négatives sont considérées comme la seule réalité en négligeant leur originalité et leur richesse culturelle.

✱✱✱✱□

Edward-Burnett Taylor (1832- 1917), est l'un des fondateurs de l'histoire des religions.

Encyclopédie Diderot et d'Alembert, contient 72 000 articles écrits par plus de 140 auteurs, l'Encyclopédie a été une œuvre de référence pour les arts et la science, mais aussi une vraie « machine de guerre » au service des idées des lumières. A l'époque de sa parution , entre 1751 et 1782, l'Encyclopédie devient l'expression de l'un des plus importants développements intellectuels et sociaux de son temps.

Paul Hazard, né à Noordpeene le 30/04/1878 et mort à Paris le 12/04/1944, est un historien et essayiste français, membre de l'académie française.

Isaac Watts, (1674- 1748), est un poète, théologien et pédagogue anglais.

Le livre peut-il se passer des libraires? article écrit par Baptiste Marrey, le Monde, 9 mars 2007.

In Pierre Bourdieu, Contre-feu 2, Raisons d'agir, 2000, p. 79.

Herbert Marshall MacLuhan (1911- 1980), est un éducateur, un philosophe, un sociologue, un professeur de littérature anglaise. Il est l'un des fondateur des études contemporains sur les médias.

Article paru dans le journal français le Monde du 23/11/1999.

Article: Culture gratuite, gratuité de la culture (le Monde, vendredi 8/12/2006) analyse: Bruno Lesprit et Emmanuel De Roux

La presse gratuite: un modèle économique calqué sur celui de la radio (le livre l'industrie des médias)

Cette partie du commentaire est puisée d'une interview avec Anne Gombault, Professeur de management à Bordeaux (France) et Christine Petr, Maître de conférences en marketing à Rennes (France). Cette dernière étudie le comportement du consommateur sur le temps de loisir et notamment les pratiques touristiques et de découverte du patrimoine.

L'industrie des médias de Jean Gabszewicz et Nathalie Sonnac Collection Repères, Paris, 2006 (chapitre I).

L'industrie des médias, Jean Gabszewicz et Nathalie Sonnac, collection repères, Paris, 2006. P. 5

Alfred Marshall (1842-1924), économiste britannique, est l'un des pères fondateurs de l'école néoclassique, qui est l'un des courants de pensée dominant actuellement en économie, et l'un des économistes les plus influents de son temps.

Joan Robinson (1903-1983), est une économiste britannique. Elle est l'une des figures importantes de l'école de Cambridge.

John Galbraith (1908-2006), est un économiste canadien d'origine écossaise.

Cette partie du commentaire est puisée du livre intitulé: Le temps de l'antipub, l'emprise de la publicité et ceux qui la combattent, du journaliste français Sébastien Darsy. Actes Sud, 2005, Paris.

✷✷✷✷

المصالح وتأثيراتها في المشهد الثقافي العالمي والعربي

الدكتورة أُنْس دباش

ملخص البحث

يتناول هذا البحث الثقافة باعتبارها تمثل مجموعة من السمات الروحية والمادية والثقافية والفعالة والمميزة التي تشكل المجتمع كما يتناول معناها الأنثروبولوجي الذي يرى أن الثقافة موجودة بجذورها في كل سلوك إنسان يعيش في مجتمعات حديثة كانت أو تقليدية.

لكن هذا التعريف يبدو كأنه لا ينطبق إلا على سكان الدول المتقدمة وذلك لأن التبعية المفروضة على الدول النامية لا تترك لها مجالاً آخر سوى اتباع النموذج الغربي في عدة ميادين بما فيها خصائص الميادين الثقافية.

من هنا فالدول المتقدمة تنظر إلى عولمة الثقافة كضمان تعاون في مجالي التربية والثقافة مع الدول النامية. كما أنها تهدف إلى بلورة الوعي في الحقائق الاجتماعية والاقتصادية باسم الثقافة. إذ تتوقع ملء فراغ وتحقيق الحاجات التربوية والثقافية في الدول النامية. من أجل ذلك، كان التركيز بصفة خاصة في الشمال على الإسهام في تغيير العقول عن طريق تفضيل اللقاءات وحوار الثقافات؛ وفي الجنوب كان التركيز على تفضيل المشاريع التربوية والثقافية.

ضمن حوار الثقافات في الشمال هناك سعي لتغيير الصورة المشوهة للدول النامية وبالتالي تفضيل التغيير الذهني لأكبر عدد من الأفراد بصفة عامة وللشباب بصفة خاصة، وذلك في محاولة للتوصل إلى علاقات أكثر توازنًا وتشجيع حوار حقيقي بين الشمال والجنوب، يهدف إلى محاربة المشاكل المتصاعدة المتعلقة بالعنف، والعنصرية، وتهميش الأقليات، وردم الهوة بين الأغنياء والفقراء، وتغيير الصور الخاطئة، والأحكام المسبقة لدى بعض الشعوب ضد شعوب أخرى مما يشجع على عدم الرغبة في الاتصال وإنما يشجع على التنافر.

ويحتوي: البحث على أربعة محاور كبرى وهي:

المحور الأول: التعريف بمصطلح الثقافة والمصلحة وخاصياتهما العامة.

المحور الثاني: عرض فيه البحث إلى مضار هذه المصالح على المشهد الثقافي العالمي وركز على ثلاثة عناصر من المجتمع التي يمكن أن تجني مصلحة من الثقافة وهي: الفرد والدولة والشركات الكبرى.

المحور الثالث: أبرز فيه البحث مخاطر المصالح التي تهدد الثقافة العالمية وذلك بصفة موجزة مركزًا في ذلك على التأثير السلبي للمصلحة الشخصية أو العامة من خلال تصنيع الثقافة.

المحور الرابع والأخير: تطرق فيه البحث إلى موضوع عولمة الثقافة عبر شبكة الإنترنت وما سببته هذه العولمة من أضرار للثقافة العالمية من خلال الطابع المجاني لهذه الأخيرة.

وفي الخاتمة، أشارت الباحثة إلى تأثر العالم الثالث بهذه المصالح السلبية وعرض بعض المقترحات التي تمنع هذا الأخير من التبعية العمياء للدول الكبرى حتى لا تضر بالثقافة.

وتلفت الباحثة الانتباه إلى أن الأمثلة المتخذة في هذا البحث كلها مقتبسة من المجتمع الأوربي بصفة عامة والفرنسي بصفة خاصة.

✱✱✱✱

Interests and their impact on
The cultural scene and the arab world

Dr. Ons Debbech

Abstract

This research addresses culture as a distinguished set of spiritual, physical and cultural elements that form the society, using its anthropological definition, which states that culture exists and is embedded in the behavioral patterns of human beings in both conventional as well as modern societies.

However, this definition seems to only apply to those living in the developed countries because developing countries were left with no choice but to follow the Western model in several fields, including that of culture.

Therefore, the developed nations regarded cultural globalization as a way of ensuring educational and cultural cooperation with developing countries. The developed nations also aimed at raising social and economic awareness, under the pretext of cultural globalization, and they were expected to fill in the educational and cultural vacuums in the developing countries.

As a result, in the North, they were more focused on changing perceptions and mentalities through intercommunication and cultural dialogue. While in the South, they preferred to focus on cultural and educational projects instead.

Cultural dialogue in the North aimed at changing the negative or distorted image of developing countries, subsequently changing mentalities and intellectual preferences amongst the majority of individuals, in general, and the youth, in particular. Thus they hoped to achieve more balanced relations and encourage genuine dialogue between the North and South.

This is essential for combating the growing problems of violence, racism, marginalization of minorities, the gap between the rich and poor, false images or perceptions and prejudices that some nations will have of others, which leads to a lack of communication or even alienation.

This research will comprise of four main issues, which include:

First: Defining the terms "culture" and "interest" and explaining their general characteristics.

Second: Discussing the disadvantages or the negative impact of interests on the world cultural scene by focusing on three elements of society that reap the benefit of culture, which are; the individual, the state and large companies.

Third: Identifying and highlighting the negative interests that threaten world culture by focusing on the negative impact of private or public interest through the making of culture.

Fourth: Discussing globalization of culture via the Internet and the negative implications this globalization has on world culture, as a result of the Internet's free services.

In conclusion, this paper indicates the impact of the negative interests on the Third World. It also presents a few proposals which aim at preventing developing nations from blindly trailing developed nations, while still protecting culture.

رئيس الجلسة:

شكرًا للدكتورة أنس دباش على ورقتها. أمامنا الآن فقط ٢٥ دقيقة لكي ننهي الجلسة هذه، سوف تقام حلقة إضافية بعد هذه الجلسة مباشرة في هذا المكان وسوف تبث على القنوات الفضائية أظنها بشكل مباشر وعلى هامش موضوع مناقشة موضوع حوار الحضارات، يسرنا دعوتكم لحضور حلقة تلفزيونية خاصة تحت عنوان (ثورة في القنوات العربية الفضائية، جسر المعرفة بين العالم العربي والغرب) وسوف يتحدث في هذه الندوة أو في هذا اللقاء الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين مؤسس ورئيس مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري والأستاذ نخلة الحاج مدير الأخبار في قناة العربية، والأستاذ إبراهيم هلال نائب مدير التحرير في قناة الجزيرة الإنجليزية والأستاذ حسام السكري رئيس ومدير BBC العربية الإذاعة والتلفزيون، وسوف يدير الجلسة الأخ الدكتور شفيق الغبرا.. سوف يتحدث الآن الدكتور عبدالرزاق قسوم عن بحثه وهو بعنوان القضايا العربية بين حسن التقدير وسوء الفهم فليتفضل.

د. عبدالرزاق قسوم:

بسم الله الرحمن الرحيم، السيدات والسادة الأفاضل، أجدني مثقلاً بواجب إسداء الشكر إلى مؤسسة البابطين على هذه الدعوة وعلى حسن الاستقبال والضيافة في هذا البلد الشقيق والجميل المضياف، كما أود أن أنوب عن أخي وصديقي العزيز الذي حملني مسؤولية إبداء عذره في عدم حضوره هنا وهو معالي الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي لأسباب صحية خفيفة إن شاء الله.

القضايا العربية بين حسن التقدير وسوء الفهم

الدكتور عبدالرزاق قسوم

يقف الراصد المدقق، والمحلل المحقق في واقع الأمة العربية اليوم، خصوصًا في عصر، تطبعه الفوضى الايديولوجية، والإسلاموفوبيا الدينية، والقارونية الاقتصادية، والزئبقية السياسية يقف هذا الراصد مندهشًا، ومتعجبًا، للموقع المزري الذي حكم على أمتنا العربية بأن تقف فيه.

فبالرغم مما يحيط بأمتنا من خصوصيات العراقة الحضارية تاريخيّاً، ومقومات الوفرة المادية اقتصاديّاً واستراتيجيّاً، ومتطلبات الحياة العصرية بشريّاً، ومكانيّاً، فإن ما يميز حاضرنا، هو التفكك والتشرذم اللذان أضعفا موقفنا، ووضعانا في أسفل درجات سلم الترتيب العالمي سياسيّاً، وعلميّاً، وثقافيّاً في عالم هو قيد التشكل.

أين يكمن الخلل في بؤس واقعنا العربي الذي يملك بالقوة كل مقومات الوجود الحضاري المتميز، ولكنه يفتقر من حيث الفعالية إلى أبسط أسس انتصاب القامة، وارتفاع الهامة؟

كيف يمكن فك هذه المعادلة العقلية للتوفيق بين مقوماتنا وطموحاتنا، وبين قابليتنا، وفاعليتنا؟

ما الذي يشفع لنا في احتلال موقعنا المهتز على سلم مقياس التقدم العلمي، والفعالية الحضارية في الحقل الإنساني؟

إن موقف الثقافة العربية يؤهلها بكل موضوعية لأن تتسم بالندية الحضارية، ولكن ما هو كائن، يطبعها على العكس من ذلك بطابع التبعية والغثائية. فكيف نعلل هذه الهوة السحيقة بين ما هو كائن، وما يجب أن يكون؟

كيف نوفق بين عدل قضايانا العربية، وبؤس المحامين عنها، وتصاميم المتلقين لها؟

إنها أسئلة حائرة، تبحث كلها في فضائنا العربي، وفي الفضاء الإنساني عمومًا عن أجوبة مقنعة، شافية وكافية لما نحن فيه، وهي كلها تمثل المقوم الحقيقي لما أطلقنا عليه وصف «القضايا العربية، بين حسن التقدير وسوء الفهم».

في ظل المعطى السالب تتوق هذه الورقة إذن إلى القيام بعملية تحليل لمكونات القضايا العربية، من أجل فك إشكاليتها، والبحث عن كوامن الداء فيها وتركيب بلسم الدواء لها.

على أننا نسلم سلفًا، بأن الموضوع مثقل، في ثناياه بالكثير من الصعاب والعقبات التي يصنعها واقعنا العربي الملبدة سماؤه بالسحب والغيوم، وهو ما يشفع لنا، في خلخلة بعض المفاهيم، ومحاولة إيقاظ بعض الذين ناموا على وسادة العادات، والمجاملات، والحيلولة دون وضع الدواء على جرح متعفن، قبل تنظيفه وتعقيمه حتى ينفع فيه العلاج.

تلك هي المنهجية التي نعتمدها أداة وتحليلاً لننفذ من خلالها إلى صميم الواقع السلبي، فنخفف من وطأته، ونقلل من خسارته، ونضع في مقابل ذلك أسس بناء مضاد للزلازل، والزعازع حتى يكتب لبنائه السمو والعلو والسداد والامتداد.

وإن كنا لا ندعي الإحاطة بمكونات الموضوع تشخيصًا وعلاجًا، فإن أملنا، هو أن نتمكن من خلال ما قد يتبع موضوعنا من إضافات وإيضاحات، وما قد يصاحبه من نقد أو تصويب، من الرسو على ربوة صلبة صالحة للبناء، فيتحقق الهدف من معالجة مثل هذه القضايا المصيرية، في هذه الندوة العلمية العالمية الرائدة.

١ - معركة إثبات الوجود..

أ - إثبات الهوية

لا ينبغي أن يكون الباحث حاملاً لنظارات سوداء، أو ذا طبيعة تشاؤمية رعناء كي يسلم بحكم القائلين بأن القضايا العربية بدءًا بمعركة إثبات الوجود، وانتهاءً بمعركة صيانة الحدود، تعيش مرحلة جزر بعد مد، وفترة سلب بعد عطاء.

فما بين الجزر والسلب، تبرز هذه المعاناة المريرة التي تجتازها أمتنا، بالرغم من انقضاء عقود كثيرة على استعادة بلدانها لاستقلالها الوطني. ولعل أهم ما يميز معاناتنا قضية إثبات الهوية والوجود ومسألة تجسيد الحرية وصيانة الحدود.

فقد رحل عن أوطاننا الاستعمار التقليدي القديم، ممثلاً في احتلال الثكنات والبنوك والحقول، وحل محله اليوم، الاستعمار التجديدي الذي هو استعمار الألسنة، والدواوين والعقول.

لقد بتنا – نسلم جميعًا مرغمين – بأن خطابنا العربي، بمختلف أدبياته السياسية، والثقافية، قد غدا – في المشهد العالمي السائد اليوم – خطابًا ذا ثقافة، هي ثقافة المعاناة والاتباع، بدل ثقافة الإبداع والاختراع، ونتج عن هذا الخطاب الاتباعي شيوع آفات فكرية واجتماعية وسياسية أصابت هيكل أمتنا، فنتجت عنها اتكالية، وانهزامية، سلبت من إنساننا العربي روح إثبات الهوية والذات، وألبسته عقدة التقليد والمحاكاة.

في معزوفتنا الثقافية أصوات نشاز، وفق الكاتب المغربي عبدالسلام ياسين حين وصفها بأنها ما يشبه في فقه الجملة العربية «حروف العلة» وما حروف العلة عنده في ثقافتنا القومية إلا «أرحام تلد ذرية هي مخاض تفقس فراخ الكفر بالوطن، ومبيدات تبيد الفطرة في نسلها الفكري»[1].

من هنا جاءت هذه القطيعة – التي هي أخطر ما يعانيه الإنسان العربي اليوم – قطيعة الوصل مع الأصول، لأسباب تتعدد منابعها، ولكنها تعود في مجملها إلى الجهل والتجهيل، الناتج عن طغيان حكم مستبد، نُصِّب بحيل تزييف الإرادات، وقوة المراوغة والعناد، ولم ينتخب بإرادة الأمة، وشعبية العباد.

كيف يمكن – في ظل هذه المعاناة – إثبات الذات وتحقيق الوجود؟ وأنى يستطيع نظام حكم فاقد لشرعيته الشعبية، وخال من كل المقومات الديموقراطية، أن يقوى على صد أي هجوم على الحدود، أو صيانة ثقافة وقيم الآباء والجدود؟

---

(١) عبدالسلام ياسين، ص ١٠٥.

تلك هي بداية محنة قضايانا العربية، ممثلة في المقدمات الفاسدة، العدمية التي تتقي وجود الإنسان، وأبعاده الحضارية، فكيف يرجى منها الوصول إلى نتائج سليمة تؤهل للتصدي وللتحدي معًا؟

إن إثبات الوجود – عربيّاً – على الصعيد العالمي، يبدأ بإثبات وجود الذات العربية داخل صعيدها السياسي والثقافي، والاقتصادي والاجتماعي، وما لم تحصن الذات العربية، بوعيها بذاتها في مختلف أبعادها، الحضارية، لغويّاً، وعقديّاً، ووطنيّاً، فلا يمكن توقع نجاح أية محاولة للوجود عالميّاً، ذلك أن فاقد الشيء لا يعطيه، إن كل محاولة لبناء العلاقات الدولية، في أي مستوى كان يجب أن يبدأ بتحصين الذات داخليّاً وذلك ببث الوعي فيها، وتزويدها بقيم الإيمان بالله، وبالإنسان، وبالوطن... وإلا، فأنى يستقيم الظل والعود أعوج، كما يقول مثلنا العربي؟

من هنا نبدأ – إذن – في محاولة تشخيصنا لواقعنا السلبي، كي نعيد ترتيب البيت الداخلي ومن خلاله نستطيع أن نتوق إلى خوض معركة إثبات كياننا، ضمن الكيانات الكبرى التي لا مكان فيها اليوم للضعفاء والمستضعفين.

إن القضايا العربية تحتاج إلى إعادة ترتيب حسب الأولويات، التي تحددها مستويات الخطورة ومحاولة وضع خطط واستراتيجيات لكل قضية، بشرط العمل جماعيّاً لوضع الخطط والتقدم جماعيا للدفاع عنها، واستخدام أنجع الأسلحة لإثبات أحقية وعدل كل قضية، ولا يستثنى من ذلك أي سلاح، فضمن عملية إثبات الهوية والوجود، والاضطلاع بالذود عن الحدود، تبرز مجموعة من المشكلات تساهم كلها في بلورة المشروع النهضوي العربي، ويمكن التركيز على عينات منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ – التوفيق بين الانتماء الوطني، والانتماء القومي والانتماء الحضاري الإسلامي.

٢ – ضبط وتحديد وتجسيد العلاقة المبهمة بين الوطن الدولة والوطن العربي الكبير، ودائرة الأمة الإسلامية.

٣ - مشكلة إثبات «الأنا» العربي كهوية حضارية في مواجهة مشكلة «الآخر» الذي هو الغرب.

٤- توضيح مفهوم العلمانية كإديولوجية فلسفية سياسية، ومفهوم الدين كعقيدة دينية وسياسية.

هذه إذًا هي الدوائر الكبرى التي ينبغي العمل داخلها، في محاولة إثبات الوجود والهوية.

ب - الكوجيتو الإيماني

إذا كانت ثقافة الحداثة الغربية تقوم على فلسفة الشك العقلية في ما يعرف بالكوجيتو الديكارتي.. وإذا كان الكوجيتو يمثل معادلة عقلية تقوم على عملية الإخلاء ثم المَلءِ، بهدف الوصول إلى إثبات وجود الله، والكون، والإنسان، فإن الثقافة العربية الإسلامية، بالرغم مِن سَبقِها في هذا المجال، «بالقول بعملية التخلية» ثم التحلية تتجاوز هذا الشك إلى اليقين.

فالثقافة العربية الإسلامية، في مقولة متصوفتها بهذا الشك الذي هو «التخلية والتحلية» - تبقى - مع ذلك ثقافة تقوم على ما يمكن وصفه «الكوجيتو الإيماني» لا الكوجيتو الشكي.

فكل المقومات الأساسية لثقافتنا، وإن استخدمت أحيانا أسلوب الشك المنهجي إلا أنها تقوم في أساسها ومقاصدها على اليقين الإيماني المنفتح على كل ما هو إيجابي في ثقافة الآخر، إنها ثقافة تسلم بباقي الديانات على ما قد يكون بين الثقافتين من اختلاف، وتؤمن بكل الأنبياء وتجعل من إيمانها بهم قاعدة إيمانية، وتدعو إلى التعايش مع كل الطوائف المخالفة في كنف التسامح، واحترام حقوق الإنسان على قاعدة «لا تَظلمون ولا تُظلمون».

في كنف هذا «الكوجيتو الإيماني» الذي نضعه كقاعدة من قواعد بناء القضايا العربية في دفاعها عن حسن تقديرها، يمكن دون عناء وضع تصور لطبيعة الانفتاح والتسامح اللذين يطبعان خاصية الثقافة العربية الإسلامية.

فمن خصائص هذه الثقافة التأكيد على اللحمة القائمة بين العروبة والإسلام بوصفهما خطين متلازمين لميلاد ثقافتنا الحضارية في كل مراحلها. وقد تفطَّن دعاة

القومية العربية اليوم، وفقهاء الدعوة الإسلامية، إلى وجود استعادة هذه الطاقة الضائعة، في معركة الدفاع عن حسن تقدير القضايا العربية، في مواجهة سوء الفهم الذي يتخذ من التفكك، ومن التجزيئية مدخلاً لإضعاف الكيانين معًا، ومحاولة بث الفتنة بينهما، وافتعال ما أطلق عليه المواجهة بين العلمانية والتدين.

كما أن هذا الكوجيتو الإيماني الذي هو مقوم من مقومات قضايانا العربية هو الذي مكّن من تجاوز عقدة الآخر في الإسلاموفوبيا، والتفوق الحضاري، إلى مجال ما أصبح يعرف في واقعنا الثقافي بحوار الديانات، والثقافات، والحضارات وهذا بالرغم من العقبات التي تقام في وجهه باسم الإسلاموفوبيا، ونهاية التاريخ، وصدام الحضارات.

لكن ما ينبغي التنبيه إليه في هذا المستوى من التحليل، هو التأكيد على أن من متطلبات الدفع بحسن الفهم لقضايانا العربية نحو الآخر، وجوب التحلي بأقصى ما يمكن من التزود بحسن الفهم الذاتي لمكونات ثقافتنا ومنطقية قضايانا.

فما زلنا كمثقفين، لم نتقن – بعد – فنّ الحوار وأدبه، ولم نتعمق في أدبيات ثقافتنا بكل معطياتها، بما يتيح لنا الكشف عن الجوانب المضيئة فيها، بما يمكن من تبليغ رسالتنا، وإقناع غيرنا بعدالة قضايانا، بل إن العكس أحيانا هو الصحيح. فنحن نسيء صياغة قضايانا، ونفسد وجهها الناصع بسلوكنا العدواني، أو علاقاتنا المتشنجة، فنتحول إلى أسوأ محامين عن أعدل قضية، في محكمة جلّ قضاتها غير منصفين.

وبالإضافة إلى كل هذا، ففي عالم اليوم شعوب وأمم، هي أقرب إلى واقعنا منها إلى غيرنا، بحكم المعاناة المشتركة التي تجمعنا، وتشابه القضايا السياسية، والاقتصادية، والثقافية التي توحدنا ونعني بها شعوب آسيا، وأفريقيا.. فماذا فعلنا إزاء هذه المناطق الممتزجة بنا لجلبها إلى صعيدنا، وضمها إلى خندقنا، وإقناعها بعدالة ما ندافع عنه من قضايانا؟

نحن نعتقد بأن ما تتضمنه قضايانا السياسية والثقافية، والأيديولوجية من عدل، ومنطق، كفيل بأن يجلب إلينا كل النزهاء والمنصفين في العالم، لو تحولنا جميعًا بسياستنا، وسلوكنا، ومعاملتنا، إلى محامين أكفاء، نجادل بالتي هي أحسن، وندافع بالحكمة، والموعظة الحسنة.

فقد فرض الكوجيتو الشكي – على ما فيه من مغالطات عقلية – وجوده على العقل الإنساني، وأصبح نموذجًا يحتذى به في كل معادلة فلسفية، في حين فشل مقومنا العقدي، مع ما يملك من كوجيتو إيماني يقيني وعلى ما يتضمنه من كنوز، فشل لا في الكشف عن جوانب القوة فيه فحسب، بل وكان سببًا في جلب هذه الحملة من العداء، والكراهية ضدنا، لا لشيء، إلا لأننا لم نحسن تقديم ما نملك ولم نضع قضايانا محليّاً وعالميّاً في قالبها الصحيح، ذلك أن الكوجيتو الإيماني كمقوم من مقومات ثقافتنا العربية هو العقيدة في أنبل وأقدس معالمها، وأوضح معانيها، وليس كالعقيدة في مجتمع كمجتمعنا، يمثل حلقة الوصل المتينة بين أجزائه فهي «تربط المتفكك، وتشد المنحل، وتعرف الشعب من هو، بتوعيته بأن شعبًا لا عقيدة له، لا يثبت أمام الشدائد والمحن»[1].

ج – الوحدة... والتنوع

تطفو على سطح الواقع العربي اليوم فقاقيع، تنبئ عن غليان داخلي، يتجلى في نزاعات قبلية سخيفة، وتوتر لغوي مفتعل، ونزاعات سياسية دفع إليه اليأس، والظلم، والإحباط وهي كلها مظاهر سلبية كان من الممكن تسوية أسبابها في نطاق الوحدة المحلية الضيقة أو الوحدة الحضارية الواسعة.

فلا يكاد يخلو بلد عربي واحد من تفشي ظاهرة الخلافات والنزاعات المحلية المفتعلة.. فمن النزاع الطائفي أو المذهبي، إلى الخلاف اللغوي أو الجهوي، إضافة إلى النزاعات السياسية المسلحة مع ما تخلفه من تأزم، وتوتر، يصل إلى حد إحداث الضحايا، إن مثل هذه الخلافات والنزاعات، ما كان لها أن تحدث لو وجدت الوعي الوطني العميق، ولو قيظ لها الفهم السياسي الدقيق، فالوعي والفهم كفيلان بتذليل الصعاب، وفتح المغلق من الأبواب والوصول مع الجميع إلى جادة الصواب.

إن الوعي الوطني، يعلمنا أن الوحدة، سواء أكانت عائلية أو مجتمعية أو وطنية، إنما يصنعها التنوع، فلا بدّ من أب وأم وابن أو بنت لصنع الوحدة العائلية، ولا بدّ من أصناف مختلفة من فئات المجتمع علماء وأميين، أغنياء وفقراء، حكاماً ومحكومين لبناء الوحدة الوطنية.

---

(١) عبدالسلام ياسين حوار الماضي والمستقبل، دار لبنان للطباعة والنشر ٢٠٠٣، ص ٧٧.

كما أن الفهم يعلمنا أن التنوع عنصر قوة لا عامل ضعف. وكالمعزوفة الموسيقية، فلا بد أن تجتمع فيها عدة آلات، لإحداث اللحن الجميل المميز، إن تجاهل هذه الحقائق هو الذي يؤدي إلى التفكك، وبالتالي إلى الضعف، وما تعيشه الأمة العربية اليوم من فقدان للوعي بالذات، ومن فهم لواقع الأمة وواقع العالم، هو الذي أدى إلى ظهور الفقاقيع التي هي في اعتقادنا سبب كل الأزمات الخانقة التي تستبد بأمتنا.

إلى جانب هذه المعطيات السلبية التي هي سبب ما نعانيه من ضعف، وتفكك، يأتي انتهاك الحقوق الأساسية للإنسان، كحرمانه من حقه في الحياة، أو العمل، أو السكن، أو التعبير أو التدين.. إلى غير ذلك من الحقوق، إن هذا الحرمان هو غالبًا ما يؤدي إلى رد فعل معاكس، يتجسد في شكل عصيان مدني أو تمرد مسلح، أو تفشي آفات قاتلة، كالمخدرات، واللصوصية، والفساد الاجتماعي والسياسي، وكلها لا تجد حلولها إلا في الوحدة الوطنية أو القومية القائمة على الإيمان بها، والوعي بأهميتها، والفهم الصحيح لمكوناتها.

وما لجوء البعض إلى العمل المسلح، أو الاستيلاء على الحكم بالقوة، أو البقاء في الحكم بالقوة، إلا الدليل القاطع على انسداد قنوات الحوار، وتصلب جانب معين في مواقفه، مما يعكس قلة الوعي وسوء الفهم..

لذلك نعتقد «أن مواجهة مخاطر التفكيك تتطلب الحرص على العدل، وحقوق الإنسان، والشورى كي تبرز القيادة الصالحة، الواسعة الأفق ويقف المجتمع في وجه محاولات أعدائه النفاذ من خلال تناقضاته»[1].

ولتجسيد هذه الأهداف، لا بد من توفر مجموعة من العوامل، لعل في طليعتها العناية بالمنظومة التربوية كحاضنة للقيم، وكصانعة للفهم والوعي، والمنظومة السياسية كضامنة للعدل، ومجسدة لحقوق الإنسان، والمنظومة الثقافية، كقيمة على المجتمع في تعاون أجزائه، والحفاظ على وحدته، وتماسكه، وبالتالي قوته.

---

(١) أحمد صدقي الدجاني، زلزلة في العولمة وسعي نحو العالمية، ص ٢٩٥.

وما لم ينعم مجتمع ما بهذه الجوانب الضامنة لوحدته وقوته، فلا أمل في صياغة قضاياه وتقديمها للناس، للدفاع عنها واقناعهم بعدالتها.

٢ - الندية الحضارية.. والتبعية الغثائية

عندما يصاب إنسان ما، بعقد الإعاقة، والكساح والتقزم، والقصور، فتلك مسببات لعدم الإبداع، والعجز عن مواكبة تقدم الآخرين، وهو ما يعني في علم الصحة، الشلل، والإعاقة.. ويصبح الأمر أخطر بالنسبة للشعوب والأمم، عندما تصاب بهشاشة البنية، وكساح الإرادة، وتقزم القامة، فيكون ذلك عائقًا لها عن إثبات نديتها أمام الآخرين حضاريّاً، وتتحول نتيجة لذلك إلى فاقدة لكل وزن وثقل، وهو ما يعني في فقه الحضارة الإنسانية، غثائية، فاتباعية، فتخلف.

وتبدأ، هذه الغثائية أو الاتباعية أو التخلف بخواء الأمة، بعد إفراغها، من مكوناتها الصحيحة، كإثبات الذات، ووجود الهوية، وإبراز معالم الشخصية الثقافية، من لغة، وقيم، ومعتقد، وهذا ما ينطبق على واقع أمتنا العربية، التي هانت على نفسها فهانت على الناس، وكان ذلك منذرًا بفقدها لكل ندية حضارية في عالم حوار الحضارات والثقافات.

هي إذًا مقدمات فاسدة أدت إلى نتائج فاسدة تجلت في ما تعيشه القضايا العربية على اختلاف مستويات خطورتها فيما يمكن تفصيله في المستويات التالية:

أ - عدل القضايا العربية، وبؤس المحامين والقضاة

لقد فشل الخطاب العربي بجميع مستوياته السياسية، والاقتصادية، والثقافية، في التعبير عن حقائق القضايا العربية، بالرغم مما تملكه هذه القضايا، في مكوناتها، من حق، وعدل، كما فشل في لفت انتباه المنصفين، والنزهاء في العالم، إلى مدى الغبن المسلط على هذه القضايا ممثلاً في محاولة التعتيم عليها، وإلباس حقها بالباطل، وتقديمها للناس على أنها قضايا ظالمة، ومجحفة، ولا تملك أي مقوم من مقومات الحق فيها.

لماذا سقط خطابنا، ومعه قضايانا كلها إلى هذا الدرك الأسفل من السقوط؟ هل يعود السبب إلى قصور ذاتي في خطابنا؟ أم أن طغيان الخطاب السياسي، وانفصاله عن

الخطاب العقلي، هو الذي أدى إلى هذا الانقلاب في المفاهيم، وإلى هذه الضحالة في منهجية الإقناع؟ لطالما نادينا، وبحت أصواء العقلاء في أوطاننا، بأن أكبر خطر على الخطاب العربي، يكمن في تسييس الخطاب الثقافي، بدل تثقيف الخطاب السياسي، وها هي النتائج ماثلة للعيان، في هذا المنطق المعكوس.

لنأخذ على سبيل المثال قضية فلسطين وهي من أعدل القضايا التي عرفتها الإنسانية سواء من حيث طبيعتها في أنها قضية الاعتداء على الأرض وعلى العرض، أو من حيث خصوصيتها في أنها الشعب الذي احتل بلده بالقوة وأخرج من وطنه وجرد من ملكيته، واعتدي على مقدساته، وكل ذلك بحماية ورعاية الدول العظمى، وفيتو مجلس الأمن، وعدم تطبيق لوائح الأمم المتحدة.

كيف عجز خطابنا العربي، وهو الذي يملك هذا الحشد من القوانين العادلة التي تحميه، والكنوز الاقتصادية التي تغذيه، والمعاهدات المشتركة التي تؤازره وتقويه كيف عجز عن إثبات حقه في فلسطين، حتى في التقسيم الذي يسلم به الجميع؟

إن السبب في ذلك كله مرده من وجهة نظرنا إلى بؤس المحامين، وبؤس القضاة معًا. فأما بؤس المحامين فيتجلى في عدة أسباب لعل أهمها:

١ - ازدواجية الخطاب السياسي في الدفاع عن القضية، وعجزه في تقديمها، على الوجه الذي يكسبها المهابة، والمنطقية، وتعاطف المنصفين معها.

٢ - غياب أو تغييب المثقفين عن أداء دورهم في القضية، وتقديم السند المادي والمعنوي لهم، كي يضطلعوا برسالتهم الحضارية بأحسن ما يمكن.

٣ - القطيعة بين الخطاب السياسي وواقع الجماهير الشعبية، مما كشف ظهر السياسي وحرمه من الدفع الشعبي المنشود في مثل هذا الموقف، لتقوية المحامين.

٤ - استخدام لغة التهديد والوعيد في خطابنا، ضد أعداء القضية، دون الاعتماد - في ذلك - على قوة بأس شديدة، أو حجة إقناع سديدة لقد استغل خصومنا جوانب الضعف هذه في خطابنا، فحولوا حقنا إلى باطل، وعدلنا إلى ظلم.

وأما بؤس القضاة وتصاممهم عن قضايانا، فيتجلى في الأساليب الميكيافيلية التي اعتمدوها في التعامل مع قضايانا، ويمكن أن نسوق على سبيل المثال عينات منها:

١ - الكيل بمكيالين في معالجة موقفنا وموقف الصهاينة من القضية الفلسطينية. فللصهاينة السلاح، والدعم المادي والسياسي بجميع أنواعه، وللقضايا العربية كلمات معسولة لا تسمن ولا تغني من جوع.

٢ - حياكة المؤامرات، والمكائد داخل كل بلد عربي، وبين بلد وآخر، لتنصيب الموالين لهم، وإقصاء المقاومين لنفوذهم المعادي.

٣ - الدوس على سيادة بلداننا، واحتلال أراضيها بالقوة، وإسقاط أنظمتها، دون حساب للأعراف الدولية السائدة، ولا لمواثيق الأخلاق الذائدة عن صيانة الحدود، والحفاظ على الوجود.

٤ - وضع الأيدي على أموالنا، والتحكم في حقول إنتاجنا وإعطاء نفسها حق التدخل في توجيه منظومتنا الثقافية والتربوية، وبالتالي بسط النفوذ على مقومات سياستنا، واقتصادنا، وثقافتنا وهو ما أفقدنا كل معنى للندية الحضارية أو المساواة السيادية السياسية.

من هنا جاء هذا الخواء الحضاري، مجسدًا في فقدنا للوعي بقيمة حقنا، والعلم بعدالة قضيتنا والإيمان بقدرتنا على إمكانية استعادة حقوقنا.

إن الترابط واضح أيضًا بين بؤس المحامين وتصاميم القضاة، وتكاد تكون الأسباب متشابكة بين الفريقين، وهو ما يطرح قضية جوهرية هي حتمية استئصال الأسباب المؤدية إلى بؤس عقل المحامي، وتبلد ضمير القاضي، وهنا يبرز دور المثقف الواعي، الملتزم بقضايا وطنه وحضارة أمته.

ب - الإرهاب.. والمقاومة.. والمصطلحات المظلومة..

من المغالطات المسلطة على قضايانا العربية في محاولة لنزع حسن تقديرها، اللجوء إلى قلب الحقائق، وظلم كل شيء، حتى الكلمات.

فهذا الخلط بين المقاومة كحق مشروع مسلم به حتى للحيوان عندما يعتدى على عرينه، يسلب من الإنسان المعتدى عليه، وعلى عرضه وأرضه، فيغتال، أو يهدم منزله عليه وعلى ساكنيه ويصنف مع ذلك في خانة الإرهابي.

فمن هو الإرهابي؟ ومن هو المقاوم إذن؟ أي دين، وأي قانون، وأي عرف، يبيح احتلال الأوطان بالظلم والقوة، ويمنع مقاومة هذا الاحتلال والظلم على الشيخوخة والفتوة؟

يحدث هذا في أجزاء من عالمنا العربي والإسلامي، وعلى مرأى ومسمع من الأمم المتحدة، والقانون الدولي والخلق الديني.

وبالمقابل، تحشد الطاقات وتجند وسائل الإعلام والمخابرات، لمكافحة الإرهاب. فأي إرهاب يقصدون؟ وعن أي إرهابي يتحدثون؟ وعلى حد قول الشاعر العربي:

قَتْلُ امرئٍ في غابةٍ جريمةٌ لا تُغتَفرْ
وقتلُ شعبٍ كاملٍ مسألةٌ فيها نظر

نريد من فقهاء القانون الديني والوضعي معًا، أن يفكوا لنا هذا الإشكال الإديولوجي والمعرفي القائم، والذي لم نجد له حلاً.

نريدهم أن يبينوا لنا في بلدانهم، كيف كانوا سيستقبلون الغازي المحتل لأوطانهم؟ هل كانوا سيستقبلونه بالأحضان والورود، أم بالقنابل والبارود؟

فما لهم يعيبون علينا، ما لا يقبلونه لأوطانهم؟

أم أن في فقه القانون الدولي فقهين، فقه يصلح لهم ولا يجوز تطبيقه علينا، وفقه ينطبق علينا فقط، ولا يمكن تصوره في حياتهم؟

إنها معادلة يصعب حلها على عقول المستضعفين لقيامها على تناقضات يرفضها العلم، ويبطلها المنطق ويأباها الدين والخلق.

وما قيل عن قضية العرب الأولى وهي قضية فلسطين، ينسحب على أجزاء مثلها في الوطن العربي، فاقتطاع أجزاء من الوطن، وضمه لكيانات أخرى، بالقوة، وبالحرب، هو الخرق الصارخ للقانون، كما أن العدوان على عقول الأطفال المغتربين، الذين اضطرتهم ظروف آبائهم بحثًا عن لقمة العيش، بحرمانهم من تعلم لغتهم، أو ممارسة شعائرهم، أو التزيي بزيهم الحضاري، تحت غطاء محاربة الطائفية أو دفاعًا عن آدميتهم في المجتمع الجديد، كل ذلك نجده تحت شعار كلمات مظلومة تحتوي كل كلمة منها على دلالتين، إحداهما تصلح للشمال والأخرى للجنوب، وهو تطبيق لمبدأ لزوم مالا يلزم كما يقال في أدبياتنا العربية.

وليس العيب في كل هذا نحت مثل هذه المصطلحات المظلومة في مصانع خاصة، ومحاولة تطبيقها، للتجربة على قضايانا دون سواها، وإنما العيب في وجود القابلية لدينا لتقبل هذا المنهج المعكوس، والتمكين له في واقعنا السياسي، والثقافي والاقتصادي.

فلا عجب إذًا أن تتسم قضايانا العربية بسوء الفهم، والخضوع للمزيد من التعسف والظلم، وهي القضايا التي يشهد لها كل منصف بحسن الفهم، ووفرة العلم.

ج - فك أغلال المستضعفين..

إن ما آلت إليه قضايانا العربية، من مستوى مذل، من سوء المصير، بسبب سوء التقدير إنما تعاونت على وجوده، جملة من التراكمات السلبية التي أصابت الكيان العربي، فأفقدته الحصانة والمناعة وحشرته ضمن زمرة المصابين بالإيدز الايديولجي أو داء فقد المناعة السياسي، والحضاري، فحول نتيجة لذلك، بلداننا إلى مناطق مفتوحة الحدود، وشعوبنا إلى فاقدة لمعنى الصمود، واختزل أنظمة الحكم إلى ما يشبه الوجود.

لقد نقلت قضايانا العربية من موقعها الاستراتيجي في مواجهة المحتل ومن شايعه إلى قضايا همّها إما الاستئثار بالزعامة أو الحفاظ على الحكم ضد من خالفه. وما نشاهده على الساحة العربية من أعراض التفتيت، والتفكيك والانفجار من الداخل، لهو العلامة المميزة لهشاشة الواقع، وهزال القضايا.

فالصورة القاتمة المذبذبة، التي تقدمها فلسطين أو لبنان، أو العراق أو الصومال للعالم، تبطل كل جهد للدفاع عن عدل هذه القضايا.

ففي فلسطين توجد سلطة بلا دولة، ولكنها سلطة تطل على العالم بكيانين سياسيين متباينين وتخاطب الرأي العام بلسانين متضادين، وتتعامل مع القانون الداخلي والخارجي بمنطقين متناقضين وكل منهما يدعي الأحقية في التمثيل، ويتهم خصمه بالعمالة والتدجيل.. وعلى حد هذا قول الشاعر القديم:

وكلٌ يدعي وصْلاً بليلى
وليلى لا تُقِرُّ لهم بذاكَا
إذا اشتبكت دموعٌ في خدودٍ
تبيّنَ من بَكَى مِمَّن تباكى

وشبيه بهذا ما يحدث في العراق حكومتان، حكومة الظل وحكومة المحتل، وكل يهدف إلى القضاء على الآخر.

أما في لبنان والصومال فقد سقطت الدولة، وفقدت السلطة، والكل ينتظر رحمة الله لانقاذهم مما هم فيه. فكيف يتعامل العالم أو على الأقل المنصفون فيه مع قضايا مثل قضايانا هذه؟

إن هذه القنابل المتفجرة أو القابلة للانفجار في وطننا العربي، وما يصاحبها من مخاطر حرب أهلية، هي نتائج لصراعات فكرية، أو سياسية أو عسكرية، قد تحولت إلى أغلال معيقة عن الإبداع، وعن التصدي للتحدي، وحولت الشعب من جامع للمواطنين، البناة السعاة، إلى حاشد للمستضعفين الحفاة العراة، وكيف ينتظر التصدي، أو الإبداع من وطن تحول إلى غابة أدغال، يستبد فيها القوي بالضعيف، والحيوان المفترس بالحيوان اللطيف؟.

كيف يطلب من مستضعفين، وضعت الأغلال في أعناقهم، والقيود في أيديهم، والكمامة على أفواههم، والعصابة على أعينهم وعقولهم، كيف يطلب منهم الدفاع عن قضايا هم جزء منها؟

إن المشغول لا يشغل، ولكن الملاحظ أن الوطن العربي قد شغل بالداخل عن الخارج وعن فك قيوده المحلية، قبل السعي لفك قيوده الخارجية. فهناك جملة من التحديات الداخلية، تتطلب استجابة تبدأ بإسقاط الواقي الوهمي، وفك القيود المكبلة كوسيلة لإثبات الوجود، وتجاوز ذلك إلى فرض منطق المقاومة، على صعيد الحدود.

هناك إذًا التحدي السياسي، وهناك التحدي الأمني، وهناك التحدي الثقافي، وهناك التحدي الاقتصادي، وكلها قود وعقبات تقف حائلاً دون حرية السيادة والإرادة، وإطلاقية ملكة الأمل والعمل.

فما دام المواطن العربي ينتحب ولا ينتخب، ويُحكم ولا يَحكُم، فهو معاق سياسيّاً وأنى للمعاق أن تكون لديه ملكة الإبداع دفاعًا عن قضاياه المصيرية؟

وطالما أن المواطن يسير في وطنه خائفًا مترقبًا، لا يأمن على نفسه، وملكه، ودينه فأي مواطن هو، حتى يطلب منه الوعي بقضايا أمته، والعمل على حسن تقديمها للناس؟

وتصور معي إنسانًا جرد من هويته، وحيل بينه وبين ثقافته وشخصيته، إنه ولا شك إنسان فقد كل مقومات إنسانيته، فضلاً عن الدفاع عن الأبعاد الإنسانية لقضايا وطنه!

و«رابعة» الأثافي تتمثل في وجود بطن خاوٍ، وعقلٍ خالٍ، لانعدام اللقمة التي تغذيه، والمناخ الذي يقويه، فأني له أن يقف مستقيمًا، ويغدو في مجتمعه، فاعلاً حكيمًا؟

من هنا فإننا نعتقد أن كل مقدمة سليمة لعملية التكفل بالقضايا المصيرية لأمتنا، والقيام بالتعبئة لاستعادة حسن فهمها المفقود، إنما يبدأ بإزالة بؤر التوتر الداخلية، وفك الأغلال من أعناق المستضعفين، وبعث المواطنين في رحلة حقيقية نحو الحياة حيث الشمس، والماء، والهواء، والغذاء، وما دون ذلك، فإن كل عملنا يبقى مجرد سخافات وخرافات وضحك على عقول العباد، واستهانة بمقومات بناء البلاد، وذلك هو جوهر الاستبداد، وقمة الفساد والاستعباد.. مهما استخدمنا لتغليف ذلك من شعار وورق ومداد.

٣ - تحدي التكتلات العالمية

أ - سياسيّاً:

تصطدم قضايانا العربية - سياسيّاً - على الصعيد العالمي، بمجموعة من العقبات صنعت في شكل نظريات خاصة، وتم نحتها في مخابر متخصصة أعدت على مقاس ذهنيتنا وعقولنا العربية.. إنها نظريات أشبه ما تكون بنظرية الجزرة والعصا، فهي تجمع بين الترغيب والترهيب، فتحدث الفجوة بين الحكام والمحكومين، وتفكك وحدة النخبة من المثقفين، وتقسم الوطن الواحد إلى عملاء وملتزمين.

فبعد فشل نظريات موءودة كالهلال الخصيب، وحلف بغداد، وما شابههما، نحن اليوم أمام نظريتين مختلفتين منبعًا، متكاملتين مصبّاً.. لأن هدفهما معًا، هو التكفل بقضايانا العربية، ونزع كل فتيل مقاومة منها، وضمها إلى «الصف»..

النظرية الأولى وهي من تأليف أميركي وضعت في مصانع خاصة أبدعها متخصصون في العقل العربي، وأطلق على هذه النظرية، نظرية «الشرق أوسطية».. وهي كما يبدو من عنوانها تم وضعها للقضاء على فكرة الوطن العربي، والوحدة العربية التي كفلها الميثاق العربي المشترك، والتي أجهضت في مهدها، فلم يعد لها رواج في ثقافتنا، ولا في منظومتنا التربوية، بل لعلها أصبحت مدعاة للتفكه عند البعض منا.

و«الشرق أوسطية» هذه النظرية النشاز في معزوفتنا الإيديولوجية، تقوم حسب التصور الأميريكي - على دعامتين اثنتين، هما «النفط العربي»، و«الأمن الإسرائيلي».. وانطلاقًا من هاتين الدعامتين، تعمل الولايات المتحدة الأميركية على تثبيت وجودها، بعد أن أصحبت الطريق أمامها سالكة في ظل القضاء على النظام في العراق، وإضعاف نظام التحدي في إيران.. وبذلك تتمكن هذه النظرية من وضع الخليج وهو القوة الاقتصادية العظمى تحت سيطرتها، وعزل القوى السياسية الأخرى كالمصرية منها، أو السورية عن أي صراع معادٍ للصهيونية ولأمريكا.

ستتمكن السياسة الأميركية في ضوء الشرق أوسطية هذه من إقامة الحصون السياسية والاقتصادية لحماية الدولة الإسرائيلية، و«تأييد» بقائها بل وإدماجها في جسم عربي ظل لحصانة فيه يرفضها، ولا يقبل التعايش معها، ولا مانع - بعد ذلك - من إدماج تركيا في هذا النسيج الجديد، بعد أن يكون قد أفرغ من عروبته، وطعم بمصل حيوي خاص ينزع عنه كل معنى للوعي القومي، أو إحساس بالانتماء الحضاري.

وقد بدأت هذه النظرية تؤتي نتائجها بما أصبح يعرف بمبدأ «الإثبات بالتنازل» عن طريق كامب ديفيد، ومدريد ١٩٩١، وأوسلو وأنا بوليس ٢٠٠٧.. والبقية تأتي.

أما النظرية الثانية، وهي من إنتاج أوروبي، فقد تكفل منظروها بالجانب الغربي من الوطن العربي المقابل لحوض البحر الأبيض المتوسط، وأطلق عليه مبدعوه نظرية «المتوسطية» نسبة إلى حوض البحر الأبيض المتوسط.. إنها نظرية تلغي التاريخ وتفضل عليه الجغرافيا.. فهي تهدف إلى جمع كل الدول المحاذية للبحر الأبيض المتوسط.. في حلف مشترك تذوب فيه الخصوصيات الحضارية من هوية، ولغة، ومعتقد، واستبدال ذلك بتصور جديد لواقع المنطقة المغاربية، بإعادة تشكيلها وفق تصور أوروبي جديد بعيد المدى، هدفه دمج اللامتجانس، وتحقيق الذوبان الذي كان مستحيلاً بسبب المناعة الوطنية، والحصانة الثقافية، والقناعة الدينية..

إن من الواضح أن النظرية «المتوسطية» التي أبدعها الأوروبيون، إنما جاءت لتحقيق مجموعة من الأهداف وأهمها:

١ - إحداث التوازن القطبي في مواجهة القطبية الأحادية الأميركية بإثبات المجموعة الأوروبية لوجودها، واستئثارها لهذه المنطقة الخصيبة من الوطن العربي، للحد من النفوذ الأميركية فيها.

٢ - التصدي لما بات يعرف بخطر «الأصولية الإسلامية» التي لا تهدد المصالح الغربية وحدها، بل يمتد خطرها حتى إلى الأنظمة العربية المتهمة بالتواطؤ مع الغرب.

٣ - إعادة قلب المفاهيم، بخصوص ما ظل يعرف بوحدة المنطقة على أساس التاريخ، والجغرافيا، واللغة والمعتقد، والمصالح المشتركة، و«تخليص» الضمير العربي من

«عقدة» الانتماء هذه، في عالم ينشد إسقاط الحواجز الجمركية، وإلغاء القيود التجارية، وفتح الحدود الإنسانية، والقضاء على كل ما من شأنه الوقوف أمام تحقيق هذه الأهداف.

٤ - التمكين للكيان الإسرائيلي من الدخول من أوسع الأبواب إلى هذا الحلف، بتطبيع العلاقات، وتشجيع المبادلات، وتكثيف الزيارات، والمقابلات.

هكذا - إذًا - لا يجد الباحث عناء في استنباط الصلة الوثيقة - استراتيجيّاً - بين الشرق أوسطية في طبعته الأميركية، والمتوسطية في بصمتها الأوروبية والهدف المشترك الذي يلتقيان عليه، وهو الالتفاف على الوطن العربي - مشرقًا ومغربًا - والسيطرة على قدراته، بوضع اليد عليها، والاستيلاء على عقله، بالتخطيط بدله ووضع سياسة «التعايش» التي تجعل من دولة إسرائيل التي كانت تعامل كدولة مصطنعة ودخيلة، ومؤقتة، دولة ثابتة الوجود، رسمية الحدود، خفاقة البنود.. ووداعًا بعد ذلك للانتفاضة، وسلامًا على المقاومة، وعذرًا لمن استشهد من أبناء الانتفاضة، وبواسل المقاومة، لقد ذهب دمهم غدرًا، وديس على ذكراهم مكرًا، وكفراً.. إلى أن يحدث لهم جيل جديد، من عهدهم ذكرًا وأمرًا.

ولكي يرى الجيل الجديد النور في عالم هذه مواصفاته، لابد من بزوغ نظرية عربية مضادة، تنبثق من رحم الجماهير العربية المؤمنة، الواعية، الوفية للعهد.. فتعيد لقضايانا حسن التقدير المفقود وتصحح سوء الفهم الموجود.

ب - اقتصاديًا:

تبدو مشكلة التنمية والتخلف في الوطن العربي من أخطر القضايا العربية التي تطل - كالتنين - برأسها على واقع الوطن، وعلى العالم، كنذير شؤم على حاضره وعلى مستقبله.. فقد عجز خبراء الاقتصاد وفلاسفة الاجتماع، في إيجاد الصلة بين حقيقة الوطن العربي، المتربع على أعلى وأغلى الكنوز، وبين حال شعوبه البئيس المتردي، والمهزوز.

إن من حسن التقدير لقضايا الوطن العربي، امتلاك هذا الوطن، لاحتياطي كل ألوان الذهب، والطاقات وأفضل أنواع المناجم، إلى جانب مختلف ما أنجبت الأرض من حبوب،

وثمار، وفواكه.. كما أن من حسن تقدير القضايا العربية، توفر وطنها على أكبر الطاقات البشرية إنتاجًا ممثلة في الشباب. فإذا عرفنا أن نسبة تفوق ٢٥ في المئة من سكان الوطن العربي يمثلها الشباب، أدركنا أية قوة إنتاجية بمتلكها هذا الوطن العربي، مما يضفي على قضاياه حسن التقدير.

ولكن، بالمقابل، وبالقياس إلى حال الوطن، وموقعه على سلم الترتيب العالمي، فإنّ التخلف، وسوء التنمية هما ما يطبعان هذا الواقع، ويلقيان بظلاله الكئيبة على نمطية العيش، وإثبات الوجود.. ومن هنا تبدأ التقابلية القائمة بين حسن التقدير وسوء الفهم لقضايانا العربية.

والحقيقة، أنه لا يكفي اكتناز الذهب والطاقة، وامتلاك القوة البشرية العملاقة والخلاقة، كي ينعم مجتمع ما يحسن التقدير، وأدب اللياقة.. ذلك أنه بضدها تتميز الأشياء كما يقولون. فإذا وضعنا هذه الإمكانات العربية كلها في مقابل التحديات الاقتصادية العالمية، أمكننا تصور حجم التخلف الكارثي الذي وصل إليه مجتمعنا العربي، فالزحف المدمر للمنظومة الرأسمالية العالمية، والغزو الاقتصادي لرأس المال المتوحش، وانعدام النظرية الاقتصادية الواقية من كل أصناف الاكتساح الاقتصادي، هو الذي يمكن من وضع اليد على بواطن الداء في قضايانا العربية، وتحديد أسباب سوء الفهم لهذه القضايا والذي ولد لدينا، هذه التبعية المقيتة التي نعانيها ونحمل تبعاتها.

إن إخضاع الواقع العربي المعيش، لمعايير الاقتصاد العالمي، ليفضي إلى تدنٍ مشين في الأداء الاقتصادي، تطبعه بطالة مستفحلة، وسوء تغذية قاتلة، واضطراب أمني خطير وفاسد على جميع المستويات، مما يزيد من الغليان الاجتماعي، وينذر بانسداد الأفق وظلامية المستقبل.

ويكفي أن ندلل على ذلك بالإحصائيات، فالباحث الفلسطيني سمير الزين في دراسته القيمة حول «الشرق أوسطية، ومستقبل المنطقة العربية»[1] يقدم لنا، هذه الصورة الاقتصادية القاتمة عن واقع المنطقة العربية، فيقول: إن الأرقام العربية لا تبعث على التفاؤل فقد بلغ إجمالي عدد السكان في الوطن العربي ٢٥٢,٨ مليون نسمة أي ما يعادل

(١) أ. سمير الزين الشرق أوسطية، ومستقبل المنطقة العربية، مجلة عالم الفكر، العدد ١ المجلد ٣٠ يوليو – سبتمبر، الكويت ٢٠٠١.

تقريبًا عدد سكان الولايات المتحدة الأميركية، وبلغ عدد العمالة العربية ٧٦ مليون عامل، ويبلغ الناتج الإجمالي ٠٢٨,٧ مليار دولار، ومتوسط دخل الفرد ٢٠٩١,٤ دولارًا، ونسبة التجارة البينية إلى إجمالي التجارة الخارجية ٩,٢ في المئة، وقيمة دين الدول العربية يبلغ ١٥٥,٧ مليار دولار (عام ١٩٩٤) وقيمة خدمة الدين العام ١٢,٦ مليار دولارًا (١٩٩٤)، ونسبة الدين إلى الناتج ٣٧٩,٦ في المئة (١٩٩٤) ومعدلات النمو الطبيعي للسكان ٢٠٦ في المئة، وهي أعلى المعدلات في العالم، وبلغت كلفة واردات الدول من السلع الغذائية عام ١٩٩٤ حوالي ٩٥,٨ مليار دولار وبزيادة قدرها ٩,٩ في المئة من حيث الكميات وأقل من ١ في المئة من حيث القيمة بالمقارنة مع عام ١٩٩٣[١].

ويضيف الباحث في الدراسة نفسها قائلا: «فعلى الرغم من نمو متوسط الدخل الفردي، إلا أنه يوجد في العالم العربي ٧٣ مليون عربي يعيشون تحت خط الفقر، ويعاني أكثر من عشرة ملايين من نقص التغذية حسب أرقام تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٦. فهناك هوة في الدخول بين الدول، كما أن هناك هوة في الدخول داخل الدول تشير إلى استقطاب اجتماعي حاد»[٢]، على أن هذه الإحصائيات لا تلتزم الدقة الكاملة، وتسوي بين معدلات النمو في دول الخليج وغيرها، وتعتمد على ارتفاع أسعار النفط الذي هو حدث عارض واستثنائي ولا يمثل القاعدة العامة إلى جانب الحروب الأهلية الناشبة في أكثر من بلد عربي، وما تجنيه هذه الحروب على حياة المواطنين.

ما يمكن استخلاصه – إذن – من هذا التحدي الاقتصادي الرأسمالي الذي يواجهه المجتمع العربي هو زحف المنظومة الرأسمالية العالمية بكيفية مدمرة، مبشرة بنظرية خطيرة هي «أن رأس المال لا وطن له» وهي بهذا تحيلنا إلى نظرية العولمة الاقتصادية التي تنزع من الإنسان مقومات ثقافته، ومن رأس المال خصوصية وطنه، ومن كل القضايا العربية معالم حسن التقدير فيها.

ما هو السبيل الأقوم لمجابهة هذا الزحف؟ وما هي أنجع السبل لتحصين الذات العربية من مخاطر هذه العولمة الاقتصادية الكاسحة؟.

لقد بُحَّت أصوات المنادين، في أعماق الفضاء العربي الفسيح، وجفت محابر كتابه وباحثيه، من كثرة المطالبة بضرورة العودة إلى الذات، وتحصينها، ويبدأ تحصينها،

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق صفحة ٤٣، ٢٥٧.

اقتصادياً، بالاقتداء بالآخر أي بالسوق الأوروبية المشتركة، حيث أزيلت الحواجز المصطنعة أمام المنتوج المتنوع، وفتح المجال أمام التنافس النزيه، والعمل على تكامل المنتوجية، خدمة للإنسان، والاقتصاد معًا.

وقبل هذا وبعد، لا بد من فتح الحدود العربية أمام المواطن العربي، ومن خلال ذلك أمام الانتاج العربي بإحداث السوق العربية المشتركة، وتدعيم وتشجيع تنقل رؤوس الأموال من خلال إقامة المشاريع الاقتصادية، والاستثمارات بين أجزاء الوطن العربي، كواجهة لتحصين الاقتصاد العربي ضد زحف الاقتصاد العولمي.

إنه بالنظرية الاقتصادية العربية الواقية، وحدها يمكن إنقاذ وطننا اقتصادياً، مما يعانيه، والتقليل من مخاطر الزحف الاقتصادي المتوحش وكما قال الحكيم القديم إجابة عن سؤال: كيف يمكن التغلب على الأقوياء؟ قال: باتحاد الضعفاء..

ج - ثقافيّاً:

في عملية التحدي والاستجابة، وهي النظرية الحضارية التي أثبتت وجودها في كل زمان، ولدى كل إنسان، فتش عن «المثقف» الملتزم، الذي يعكس واقع المجتمع ويقود طليعة النخبة.

فكل بناء سياسي، أو اقتصادي، لا يمكن ضمان النجاح له، ما لم يضطلع بحمل بنائه المثقفون الواعون لقضايا تخلف المجتمع، وحتمية النهوض به. فإذا حلَّلنا واقع القضايا العربية في ضوء هذا المعطى أمكن استنباط مجموعة من السلبيات، تُخل كلها برسالة الدفاع عن هذه القضايا، والوعي بوجوب تخليصها مما ألصق بها من سوء الفهم. ولعل من هذه السلبيات المخلة، تبرز إلى السطح القضايا التالية:

١ - تلوث المناخ الوطني، والتضييق فيه على تنفس الكفاءات، والعقول المفكرة، وهو ما أدى إلى هجرة هذه العقول لأوطانها، بدل الإسهام في التقدم والبناء داخل الوطن.

٢ - عدم العناية بالتطور العلمي، في التخطيط الوطني، وعدم تخصيص الميزانية الكافية للعناية به، مما نتج عنه، إمعان في التخلف، وسقوط إلى أقل درجات التصنيف على سلم النظام العالمي.

٣ - إصابة المنظومة التربوية بالهشاشة، وفقد المناعة، نتيجة هجرة العقول، وقلة العناية بالتطور العلمي، فتحولت إلى «محاضن يفقس فراخ الكفر، ومبيدات تبيد الفطرة في نسلها» وذلك هو العقم الحضاري، والإعاقة الذاتية.

٤ - تخلي المنظومة التربوية - تحت ضغوط مختلفة - عن التربية، والاقتصار على التعليم، فنتج عن ذلك غياب الوعي بالذات، والإصابة بالانسلاب والتبعية، وفقد داء المناعة أمام كل زاحف من الأفكار والنظريات.

٥ - التضحية «بالكائن الحي» لصالح العالم الطبيعي، في حين أن الكائن الحي هو الباني الحقيقي للحضارة، والمقوم الأساسي للتقدم والتنمية.

٦ - الكف من الانبهار والاندهاش، أمام مظاهر الهيمنة المادية لدى المجتمعات الغربية، ومحاولة النفاذ إلى وعي حقيقة الخواء الذي تعانيه هذه المجتمعات، وهو ما أفقدها كينونتها الإنسانية وأكسبها مظاهر بهيمية، بتخليها عن أبسط القيم الاجتماعية، كبناء الأسرة، والعناية بالأبوة والبنوة، وشيوع المظاهر الشاذة كالشذوذ الجنسي، والزواج المثلي.. وما أشبه ذلك من الآفات الحضارية السائدة اليوم.

٧ - بروز ما أصبح يعرف بالغثائية، لدى بعض المتدينين مما صبغ تدينهم بالتدين المغشوش، أو المنقوص، وجعلهم واقيًا هشّاً يسهل معه اختراق الفكر، والثقافة، كوسيلة لسوء فهم معتقدنا، وقضايانا تحت غطاء ما يسمى بالإسلاموفوبيا.

من خلال هذا التشابك في الواقع الثقافي بين ما هو إيجابي وما هو سلبي، تبرز الحاجة إلى العناية بالمثقف كضامن لتوازن المجتمع في تنشئة أجياله تنشئة صحيحة، على أساس الأصالة التي هي البناء المضاد للزلازل والزعازع الفكرية والمعاصرة، التي لا تكون في شكل عاصفة تقضي على الأخضر واليابس، وتقتلعنا من أصولنا وجذورنا.

إن العناية بالمثقف، تبدأ بإيجاد المناخ الفكري الملائم لإبداعه، ونموه الطبيعي، حتى لا تحدثه نفسه بالهجرة خارج وطنه، كما يجب العمل من أجل إيجاد الحوافز المادية والمعنوية لاستعادة العقول المهاجرة كي تلتحم في عملية التشييد والبناء، والتقدم والرخاء.

إن المشروع النهضوي العربي الكفيل بتعميق حسن التقدير في قضايانا العربية، ومحو سوء الفهم العالق بها، إنما يكون بتلاحم المجتمع بجميع فئاته، بحيث يوحد بين علماء الأمة، وساستها ومفكريها من أجل وضع خطة التنمية المشتركة، التي تحصننا من الداخل، وتعدنا لمجابهة ألوان الغزو والإذابة من العواصف التي تهب من الخارج.. وبذلك فقط نستطيع التصدي لكل ألوان التحدي.

✱✱✱✱

القضايا العربية بين حسن التقدير وسوء الفهم

الدكتور عبدالرزاق قسوم

ملخص البحث

ماذا يمكن الانتهاء إليه كنتيجة شاملة لواقع القضايا العربية في ظل ما وسمناها به في تأرجحها بين حسن التقدير وسوء الفهم؟ لئن غضضنا الطرف عن شكل المعادلة المطروحة في عنوان البحث، وعدم محاولة التنقيب عن طرفي المعادلة منطقيّاً، فإن الموضوع في صورته هذه، مدعاة لتأملات عديدة، وباعث على استنتاج مجموعة من القضايا، هي التي تصلح بعد تركيبها، لصياغة القضايا العربية بالشكل الذي قدمت به، ولعل من أهم القضايا التي تستوقف الباحث ما يلي:

١ – هذا الهاجس الذي يستبد بالذهنية العربية، سواء في شكلها الشعبي أو النخبوي، هو هاجس اللحاق أو الالتحاق بالغرب. وبين اللحاق والالتحاق، تكمن معاني القوة والضعف، فالأخذ بثقافة الغرب، واستيعابها، واتخاذها أداة للتنمية والتقدم، داخل الذات يمثل قوة، بينما محاولة إذابة الذات، والتخلص من كل قيمها، واللحاق بالغرب، هو قوة للغرب، وضعف لطالب الاندماج فيه، وهنا نبدأ معركة الفصل بين حسن التقدير وسوء الفهم.

٢ – غياب الوعي بإثبات الوجود، وضياع كل معالم الحدود، هو الفاصل الهش بين الشعور بالقوة، ودبيب الإحساس بالضعف. فبين تناقض وجود الأنا ووجود الآخر الذي تحكمه مجموعة من العوامل العقدية، والثقافية، إلى جانب نمطية العيش، وفلسفة الحياة، وبين تناقص الحدود، التي تبدأ من حدود الله وتنتهي بحدود الوطن، إن التناقص في هذه الحدود، وعدم الحرص على صيانتها، هو أيضًا عامل ضعف في قضايانا، وعامل قوة في تعامل الآخر مع هذه القضايا.

ولقد أفضى هذا التناقض في الحدود، إلى ما وصفناه «بالإثبات عن طريق التنازل»، وهو ما كشف عن هزال المدافعين عن قضايانا العربية، وهشاشة أدلة دفاعهم.

٣ – إن هبوب رياح الفوضى الإديولوجية المستبدة بالغرب على سواحلنا، وهضابنا، وحتى مرتفعات جبالنا، قد أحدث انقلابًا في ذهنيتنا، وعقلنا، نتج عنه ما نعانيه من ولع بالتقليد، والاتباعية التي أطلقنا عليها مصطلح الغثائية.. والغثائية، وباء، إذا حلّ بقوم، قلما يرتحل. ومن هنا تبدأ رسالة المثقفين الملتزمين بقضايا الوطن والأمة، في العمل على تحصين الذات وشحن العقل بالعلم والوعي بمكونات المجتمع العربي سياسيّاً، وثقافيّاً، واجتماعيّاً، واقتصاديّاً، كي يصمد أمام هبوب العواصف، ويتمكن من تغيير وجهتها. ولن يتأتى ذلك إلا بإقامة البناء الحضاري على أسس مضادة للزلازل والزعازع بحيث تتحطم على صخرتها كل الموجات العاتية، الصاخبة المدمرة.

في ضوء هذه المعطيات التي هي بمثابة المقدمات الصحيحة للبناء، يمكن التوقان إلى تحقيق نتائج سليمة، تُمكّن من إعادة صياغة قضايانا وفق المعطى العالمي الجديد، وتجسيدًا لطموحاتنا العميقة، الدفينة والمكبوتة.

وللوصول إلى مثل هذه النتيجة، ولكي يقع التكفل بحسن تقدير قضايانا وتجنيبها سوء الفهم من المؤلف والمخالف، لابد أن نعود إلى بيتنا الداخلي كيف نعيد بناء أسسه، ونحرص على نقاوة روح وعقل ساكنه. إن عملية بناء البيت الداخلي تتطلب مجموعة من الإسعافات العاجلة، على أكثر من صعيد.

فعلى المستوى السياسي، مطلوب من قياداتنا أن تحسن الإصغاء لأصوات جماهيرها، كي تعكس بصدق آمالها وأمانيها.. وأنى يتحقق ذلك والهوة عميقة بين الحاكم والمحكوم والعزلة حائلة دون سماع أنين المستضعفين؟

مطلوب من السياسة عندنا، أن تثقف، إذًا فبتثقفها تمكين لإشاعة العلم والمعرفة، ومن ثم الوعي، لدى جماهير الأمة، كي تعيش معتدلة القامة، مفتوحة العقل، مضيئة البصيرة، فتكون بذلك أحسن محام عن أعدل قضية وذلك بالتحام القيادة بالقاعدة الشعبية في محكمة العالم، التي لا مكان فيها، للجهلة والمتخلفين وطنيّاً وعقليّاً.

إنه بالعلم يمكن تحقيق الندية مع أية أمة، وبالوعي بالحق، يمكن التصدي لأقوى أنواع التحدي كما أنه بالعلم والوعي يمكن القضاء على أسباب التوتر الداخلي، الذي

غالبًا ما يقود إلى الفرقة والانقسام، وبالتالي إلى إحداث الشرخ في البناء الوطني، الذي من خلاله يتم التسلل إلى صميم البنية، وبث داء الهشاشة والهزال، والضعف داخلها.

ولنا في مأساة فلسطين، ولبنان، والسودان والعراق، والصومال، وغيرها، أمثلة سيئة لواقع القضايا العربية اليوم.

إن الوطن المنسجم المتآخي، القائم على المحبة، والتعاون، يتسع للجميع مهما ضاقت حدوده، وإن الوطن الذي تمزقه الخلافات والنزاعات، وتسيل على جوانبه الدماء، وهو وطن يضيق بساكنيه، مهما اتسعت رقعته وأخصبت تربته لأنه بذلك تزول وحدته، وتضعف قوته.

إن تشخيص الداء هو نصف الدواء، كما يقول الفلاسفة، وليس العيب أن نسقط، ولكن كل العيب أن نبقى ساقطين.

✱✱✱✱

World today: cultures and interests
Arab issues: understanding and misunderstanding

Dr. Abdulrazzak Qasum

Abstract

The observer and the analyst in the current status of the Arab nation, especially in an era characterized by ideological chaos, religious Islamophobia, economic greed and mercuric politics, can only stand shocked and surprised as to the miserable position that our nation has been deemed to suffer.

The Arab nation has everything it may need with regards to traditional historical civilization, the necessities for economic and strategic material abundance, the requirements of modernity and geography. However, what currently distinguishes its present is division and conflict, which have weakened its position and placed it lowest rank in terms of political, scientific and cultural levels of hierarchy in a world that is still formed.

Where is the imbalance in the misery of the Arab reality, which forcibly has all the elements of outstanding civilized existence, but, in terms of effectiveness, it still lacks the most basic foundations for standing tall and proud as a nation?

What justifies our unstable presence on the scientific achievement ladder and our cultural effectiveness in the humanitarian field?

How can we reconcile between the fairness of our cause, the misery of its lawyers and the ignorance of those receiving our calls?

All these puzzling questions seem to be searching for convincing answers, in the Arab realm. They represent the true components for what has come to be known as "Arab issues: understanding and misunderstanding."

In light of the presented negativity, this research yearns to analyze the components of the Arab issues in order to decipher its problems and dive deeper to properly cure the main source of its illness.

It must be noted in advance that the subject is very complex as it harbors several obstacles and difficulties, which have been created by the vague Arab reality and which hinders its chances of reaching suitable solutions.

This is the methodology that is adopted as a tool and an analyst to dig deeper into the heart of the negative reality, in order to minimize the losses and slow it down. And in return, build an anti-earthquake foundation for it to lean upon and prosper.

Although the research does not claim all the components to diagnose and heal this issue, it hopes to reach a common solid hummock valid for construction, and hence begin to figure out solutions for these crucial issues - through additions and clarifications of the audiences – in this leading international scholarly seminar.

The research will deal with the issue through the following;

1-The Struggle of Establishing an Existence:

By highlighting:

*Proving identity and dilemmas relating to it.

*The 'Kojito' faith and how it is related to Arab reality.

*Unity and diversity and embodying that to the current negative situation.

2- Cultural Equality, Marginality and Dependence:

By highlighting;

*The rational of Arab cases and the misery of its lawyers and judges, by emphasizing examples from Arab reality with all its negative aspects.

*Oppressed terms and concepts and the common confusion between terrorism and resistance and its affects.

*Breaking the weak and vulnerable shackles, in light of the bleak picture reflected in Palestine, Lebanon, Iraq and Somalia.

3 – Challenging International Blocs

*Politically: Represented in the international blocs that articulate private theories like the “Mediterranean” and the “Middle Eastern” theories.

*Economically: Especially what characterizes the Arab economy, embodied in the treasures that the Arab nation possesses, oil being the most important.

*Culturally: Embodies the process of challenge and response, which is a theory that has prevailed throughout history, in every human being.

The ultimate desire, is to solve these issues and try to reach suitable results that would help redefine the issues based on the new world, in parallel to deep, buried and suppressed aspirations.

رئيس الجلسة

شكرًا، والآن مع الدكتور جميل جريسات ليتحدث أيضًا في نفس الإطار، القضايا العربية بين حسن التقدير وسوء الفهم، فليتفضل.

د. جميل جريسات

شكرًا، السلام عليكم.. المعذرة، كتبت ورقتي باللغة الإنجليزية.

****

ARAB ISSUES:
UNDERSTANDING AND MISUNDERSTANDING

Jamil Jreisat,
Professor of Public Administration and Political Science
Department of Government and International Affairs
University of South Florida
Tampa, FL, 33620-8100
USA

Submitted
To
A Panel on
Today's World: Cultures and Interests
Sponsored by
The Foundation of Abdulaziz Saud Al-Babtain,
Kuwait, 2008

ARAB ISSUES: UNDERSTANDING AND MISUNDERSTANDING

Jamil Jreisat
University of South Florida

I. Legacy of History

The Arab world is at a critical juncture in its contemporary history with choices and opportunities for a brighter future, or sliding into perilous paths with tragic consequences. Few regions of the world have the remarkable human and material resources, the strategic positions, the historical depth, and the cultural richness that the Arab world has. At the same time, few regions have underutilized or mismanaged their assets in facing political, economic, social, and military challenges as the Arab countries have done. A brief review of relevant history illuminates the past, but also may help in explaining the present and guiding the future. Thus, a brief note about the rise and the decline of the Arab state may be helpful:

The Rise of the Arab State: The early Arab state was shaped by the successful converging of various existing elements. In addition to adoption of Islam, the Arabs showed an amazing capacity at assimilation and harmonization of preceding cultures. The Arabs demonstrated the incredible influence of the desert on their early identity and customs. Life in the desert promoted a sense of liberty and collectivism. Mostly nomads, the early Arabs opted for freedom of the desert, despite the harsh environment and the economy of scarcity. Survival depended on the solidarity and self-protection of the tribe, and the system whereby the whole family, clan, or tribe were held responsible for the act of any one of them helped to create such security as there was (Mansfield 1976: 15).

Islam unified the tribal and communal units into a coherent political and military force and provided rules and principles that articulated the primary features of the initial governance system. These rules transcended, but did not destroy, tribal customs and traditions. Apart from fundamental beliefs, and required religious obligations, the early Arab state applied a

large body of ethical teachings and legal injunctions, prohibiting corruption and promulgating various rules of social behavior that condemn fraud, perjury, and slander. Together these rules and regulations formed the basis of the structure of Islamic law, the sharia (Mansfield 1976: 29, 30).

The political, economic and military powers in the Middle East at the time of the surge of the early Arab-Islamic state became major components of this new Arab-Islamic order. A large part of the world into which the Arabs came, as Hourani (1991:7) points out, was dominated for centuries by the Roman Empire. During the fourth century of the Christian era, the center of imperial power moved eastward, and Constantinople replaced Rome. The emperor remained the center of power but ruled through Greek speaking civil servants, the great cities east of the Mediterranean were centers of Greek culture (Hourani 1991:7). The self-governing institutions of the Greek cities, however, had disappeared with the expansion of the imperial bureaucracy (Hourani 1991:8). To the east, across the Euphrates river, was another great empire, that of the Sasanians, whose rule extended east of current Iran into central Asia. Throughout this Near Eastern world the Byzantine and Sasanian Empires were engaged in long wars, which lasted with intervals from 540 to 629 (Hourani 1991:11), and were mainly fought in Syria and Iraq.

The Arabs, who invaded the two empires, were an organized and disciplined force with superior skills, but also their rules were accepted by the population of the conquered territories. The confrontation between the new power of the Arab state and the old powers in existence was concluded with success of the new Arab-Muslim state and the defeat of the two Sasanian (Persian) and Byzantine (Hellenic and Roman) contending powers.

Administration of this new Arab state had to harmonize many of the inherited administrative structures and functions. The fusion of tribal-desert free living motivated and inspired by Islamic principles, strengthened by the unity of the Arab forces, and inheriting the flourishing Hellenic and Persian traditions, all produced a unique system with new practices and values that have been largely sustained over time. Welding these various traditions into a single dynamic state, with sensible social laws skillfully adapted to the needs and conditions of the time also raised

the ethical standards of the Arab society to an infinitely higher plane (Mansfield 1976:34).

Decline of the Arab State. The struggle for power among the dynasties and the problems of succession, in the end, divided the Arab world into competing, and on intervals, warring camps. The Damascus-based Umayyad dynasty (661-750 AD), under whose disciplined rule, the Arab State witnessed its widest and most remarkable expansion, competed with the Abbasids (750-1258AD) from Baghdad who brought the administration of the Arab realm to high efficiency and refinement (Mansfield: 1976: 39, 57). This competition for power shaped the struggle for the top leadership of the state, one ruling family succeeding another. The concentration of power reached its highest during the rule of the Abbasids in Iraq. They founded Baghdad as the new capital of the far-flung state during the second half of the 8th century. Baghdad quickly became a center of learning and culture in the known world at that time. However, the keen rivalry between the two dynasties and with other opposing groups, created in the Arab state severe tensions which, stoked by tribal differences and loyalties, threatened the very foundation of its government system and signaled the beginning of its demise (Hourani 1991:30).

Divisions, tribal loyalties, and end of political unity set off a decline of the Arab state that brought about dominance of foreign, non-Arab, powers such as the Turks. For almost four centuries the Arab world was submerged into a highly centralized Ottoman Empire (Mansfield: 1976: 77) and succumbed to a rule that prevented any meaningful political, social, and administrative development of occupied Arab territories. The new order ignored Arab public services and basic needs such as education, transportation and health care. Mainly, the Arabs did not resist the Ottoman rule, at least initially, because it was viewed as a Muslim rule. This quick look at Arab history conveys profound lessons:

First, the Arabs were outstanding assimilators of other cultures with their own. Such convergence promoted positive values of ethics, justice, and liberty in the governance of the new state. The UNDP study titled Arab Human Development Report 2003 states: Historically, Arab culture did not constitute a closed system, but rather displayed, at major historical junctures, a profound ability to open up, develop and transcend itself. It welcomed experiences of other nations and incorporated them in its

knowledge systems and way of life, regardless of the differences and variations that distinguished Arab societies from those nations and their experiences (AHDR 2003:8).

Second, when the Arabs lost unity and cohesiveness, they lost strength and effectiveness of governance. Consequently, they were overcome and occupied by others: Ottoman followed by European domination. The Europeans, mainly British and French, ruled most of the Arab lands until World War II. But when the Arab world finally achieved independence it emerged divided politically into several competing states with weak institutional foundations.

Third, with independence, Arab governments inherited the means of control, armies, police force and bureaucracies? (Hourani 1991:381). While this legacy allowed the central governments to extend their rule over the countryside, far more than the colonial system could reach, it also bolstered the centralization tendencies of the government. The habits of command and control continued as distinct features of the governance structures.

Fourth, the activities of governments in the post-independence time began to extend beyond the maintenance of law and order, collection of taxes, building roads and schools, and providing basic healthcare facilities and clinics. As in most developing countries, the Arab governments had to manage comprehensive development policies that include utilities, banks, railways, telephones, and water systems. In the end, the role of the state expanded and the cost of governing increased, considerably.

II. Post-Independence Achievements.

Modernization is an overall improvement of the society, including refinements in politics, administration, social services, economic standards, and human behavior. A modern state has the capacity to compete globally and to respond to any societal contingency with competence and integrity. A modern state also is governed by an institutional system of authority that gives citizens needs the highest priority, and enjoys citizens, support and trust.

Despite diverse obstacles and challenges, the Arab world understood the need for development and actually made significant progress in certain areas. Improvements have been made in life expectancy, children mortality

rates, women's literacy, infrastructure projects, health, and education (AHDR 2002: iii). Recently, some of the oil-producing Arab states have been experiencing a burst of developmental activities. They have been elevated to relatively high rankings on the UNDP- Human Development Index, 2007, that measures basic dimensions of human development worldwide on three variables: average length of healthy life, education and literacy, and economic standards of living. Ranked among 70 countries with High Human Development are Kuwait (33), Qatar (35), UAE (39), Bahrain (41), Libya (56), and Saudi Arabia (61). No Arab country is listed among the bottom 22 Low Human Development countries, of a total of 177 countries. The rest of the Arab countries are listed in the Medium Human Development such as Jordan (86), Lebanon (89), Tunisia (91), and Egypt (112).[1]

In education, since independence, the Arab countries extended education to millions of people for the first time. Mass popular education was one of the first tasks which the new governments set themselves, and to which they devoted a high proportion of their revenue (Hourani 1991:390). Most Arab governments understood and appreciated the value of education. For example, in Morocco only 12 percent of Muslim children were in school in 1954, one year before the French colonial rule ended. By 1963, the figure increased to 60 percent, and to almost 100 percent to children aged seven years. In Tunisia, the increase over the same period was 11 to 65 percent. Education opportunities are increasingly available to men and women. In Egypt by 1960, 65 percent of children of primary age were attending schools. At the university level, few universities existed until the 1960s and many of them were foreign-owned (Hourani, 1991:390).

Education is almost universal throughout the Arab world. Yet, it is a fact that many children remained out of school. At independence time, the proportion of women who were uneducated and illiterate was much higher than that of men. In Egypt, 83 percent of women were illiterate by 1960; and the figure was higher in most of the Arab world (Hourani 1991:390). The quantitative expansion of education in a short period of time often resulted in qualitative problems such as large class size, poorly trained teachers, and other problems and shortages. The overall impact, nevertheless, has been a significant reduction of illiteracy rates, improvement in the ability to disseminate knowledge, and to up-grade vocational skills.

---

1 . http://hdr.undp.org/en/statistics/

In technology, during the past few years, many Arab states have attempted to adapt to breakthroughs in information technology. Although progress has been uneven, public policies in most Arab states reflect understanding and approval of the role of technology in the global age. As Business Week (see Fishbein, 2008:21) reports, to diversify their economies, the Arab countries have been increasingly investing in technology more than anywhere else. Also, under the theme Fostering Innovation through Networked Readiness, World Economic Forum, in cooperation with other business establishments, published its annual Rankings of 127 countries in April 2008. This Report on global technology ranks several Arab states in relatively good positions, and indicates that important advancements were made during the last two years. The Report claims to be the world's most comprehensive and authoritative international assessment of the impact of information-communication technology (ICT) on the development process and the competitiveness of nations.[1] It covers a wide range of variables such as market factors, political and regulatory environment, technology infrastructure, Internet bandwidth, the cost of mobile calls, and the quality of higher education. Several Arab states ranked fairly high on this Report (2007/2008) of 127 countries: UAE (29), Qatar (32), Tunisia (35), Jordan (47), Saudi Arabia (48), and Egypt (63). Each of these countries advanced in ranking from the previous year. At the lower end is: Morocco, Algeria, Libya, and Syria _ all ranked between 74 and 110 among the 127 countries.[2]

Thus, considering the starting point, accomplishments of the Arab states are notable. Most Arab states have universal education for boys and girls, are providing healthcare to citizens, and have improved their infrastructures. Today, one finds in major Arab cities adequate roads and modern airports, good hospital facilities, and many schools and impressive university buildings. Also, provisions for social welfare services that support the underprivileged are growing, along with generous subsidies to food stuff, transportation, and other daily essentials.

But, education systems have not responded well to the most recent challenges in the 21st century. As pointed out above, a remarkable

1 . World Economic Forum. 2008. The Global Information Technology Report 2007-2008

2 . World Economic Forum. 2008. The Global Information Technology Report 2007-2008

expansion of education in the post independence of the Arab states increased the numbers of schools and universities, and achieved dramatic change in literacy rates across the region. But this quantitative change was not without drawbacks and limitations. Essential qualitative improvements that ensure substantive knowledge development in the society were slow to materialize. As a result, the education systems have not produced needed scientific research or developed the capabilities to achieve such objective.

Knowledge creation and dissemination, primarily, are linked to the education system of the country. Acquisition and effective utilization of knowledge, as the foundation of progress, has to develop first and foremost from within the society, and then through acquisition and links with the outside world. The only sure way to vitalize research in the Arab society is by adapting and improving the education system itself. The Arab Human Development Report (2003: 3) acknowledges the impressive gain in the quantitative expansion of education in Arab countries in the last half of the 20th century. But, the Report also points out that this gain is still modest in comparison with other developing countries or with the requirement of human development. The Report concludes that the most important challenge facing Arab education is its declining quality (AHDR 2003:3).

On the technology front, the explosion of new information and communication technologies allowed a rapid global diffusion of ideas and practices; it also enabled the Arab public to demand higher standards of reliability, transparency, and accountability in public decision making. The education systems, however, have not fostered creativity and innovation nor built the scientific and rational systems of values essential for the modernization processes. As instructors at Zayed University in UAE noted: The glitzy façade makes a radically different educational edifice. Much of primary and secondary schooling has been based on knuckle-thumping note memorization that does not develop higher-order thinking skills? (Walters, Kadragic, and Walters 2006:6). The Arab educational systems are successful when they educate a new generation of people qualified and trained to produce, manage, create, and innovate to meet society's needs.

Arab societies can boast a wealth of distinguished literary and artistic work that stands up to the highest standards of evaluation (AHDR 2003:4). But in science and technology, the situation is different. Science education

requires investment in research and development that most Arab countries have not committed so far. Investments in science, engineering and number of graduating engineers are far below global average (AHDR 2003:4). Another aspect of technology that should stand up as a warning is the vulnerabilities created by technology. As pointed out above, some Arab states ranked fairly high on the Networked Readiness, by the World Economic Forum (April 2008), ranking 127 countries. While advancement in the field of electronic technologies is a worthy effort, the risks and dangers also must be understood.

Without domestic advanced scientific and engineering capabilities, Arab states will be vulnerable to their adversaries who posses superior technical know how. Digital spies and thieves, who mask their identities and locations, often sponsored by certain countries, constitute a risk to Arab countries. Even in advanced industrial nations, a special report by the Business Week magazine (Grow, Epstein, and Tschang, 2008: 33-35) warns about computer networks uncovering startling security gaps. The report points out that security experts worry the Internet has become too unwieldy to be tamed. The security risks is adding to Washington's anxiety because current and former U.S. government officials say many of the new attackers are trained professionals backed by foreign governments. The Arab states and their education systems need to invest generously to develop the necessary scientific and engineering capabilities to command their own destiny in moving towards the next level of technological innovations. The potential of technology is constantly changing, and the Arab states have to understand the benefits as well as the risks involved.

Finally, women education has been uneven path throughout the Arab world. Women attend schools and universities, but still unable to resolve the conflict between home and work, reality and society expectations. Arab women face many challenges and problems in their search for equal rights. The Global Gender Gap Index for 2007 ranks the performance of most Arab countries below the global average. Among 128 countries, most Arab states rank over 100: Tunisia (102), Syria (103), Jordan (104), the United Arab Emirates (105), Algeria (108), Egypt (120), Saudi Arabia (124), and Yemen (128).[1] Clearly, these rankings are problematic and require examination, evaluation, and solution.

---

1 . . http://www.weforum.org/pdf/gendergap/rankings2007.xls

III. Post-Independence: The Challenge of Modernization

Current and future challenges facing the Arab countries, however, are grave. They threaten standards of living for millions of people as well as the security and stability of each country across the region. In Algeria, Egypt, Lebanon, Palestine, Iraq, Somalia, and others there are mounting problems and issues facing each country. The problems include political gridlocks, unpredictability, threats of outside interference, violence, volatility and daily distractions from work and living. The remarkable aspect of many of these problems is their inflexibility and defiance to reasonable solutions. Over the years, many issues and problems remain unresolved as they get more complex and resistant to fair solutions. The Iraq-Iran war continued for eight years and a state of normalcy was never attained. The Palestinian tragedy intensifies and increasingly grows deeper for over sixty years. The current predicament of Iraq seems with no end in sight. And the Lebanese gridlock politics, just like the divisiveness among the Arab rulers, seems perpetual. As if frozen in time, the important problems of the region have not diminished nor got resolved. Worse, resolutions often are controlled from outside the Arab world. Foreign intrusions have effectively exploited the political fragmentation of the Arab states and impaired their ability to act and to safeguard their collective interests.

Attempts to explain or define causes of the Arab world dilemmas often bring out many preconceived notions, dismissive judgments, or what has been labeled exceptions theories. The Arabs have been depicted as different people from any other, as if the Arabs are handicapped by their own genetic characteristics. Others heap criticism on religious extremism; Arab past history, Arab culture, or some other imagined peculiarity. What is so distinctive about the Arab case? Why is the region enduring such suffering, turmoil, and misunderstanding? Where the Arab world misunderstood or miscalculated? A constant search for answers inevitably leads in many directions. There is no single factor that may explain the stalemate or illuminate solutions. Regrettably, distortion of the Arabs and delegitimization of their grievances by their adversaries have been common. But, also, the Arabs themselves often misunderstand, misjudge, misdiagnose, and misinterpret their universe. Regardless, these are some key issues for analysis:

1. Governance and Institutional Development. Governance is the

exercise of public authority at all levels. The growing recognition of the profound effects of governance on contemporary societies has inspired a worldwide resurgence of interest in the theory and the practice of contemporary governance (Hysen 2002; Jreisat 2006, 2002). Reforming governance is among the most formidable challenges facing the Arab states. A UNDP study concludes that there is a near complete consensus that there is a serious failing in the Arab world, and that is located specifically in the political sphere? (AHDR 2004:19). The inadequacy of political development is largely responsible for the inability of public administration to effectively perform its crucial role of public service delivery, human development, and social and economic transformation. In any existing national polity, the civil service system operates in a context that is affected significantly by the character of the political regime (Heady,1996: 210). The concentration of power in the Arab systems of authority has the effect of impeding change and becoming a barrier to creating competent, professional, and performance-based civil service as well as enforcing the rule of law, equitably.

A kind of vicious circle seems to confine matters of Arab public affairs where ineffective governance sustained a low-performing, corrupt, and over-staffed bureaucracy that, in turn, hobbles good governance. The end result, a dilemma, or a vicious circle, perpetuates itself and maintains the overall ineffectiveness of the system of governance (Jreisat 2007). Recognizing the importance of governance, the Arab states sought help from the UNDP, which with the Regional Bureau for Arab States, launched the Program on Governance in the Arab Region (POGAR) in early 2000, at the request of Arab governments to address their national needs and concerns.[1] The Program activities, as described by these agencies, focus on three main concepts: participation , rule of law, and transparency and accountability (UNDP, POGAR, 2000).

No doubt, within the current globalizing world, the first line of self-protection for the Arab states is by improving the effectiveness of Arab governance systems. Transforming governance hinges on reform initiatives that advance two primary, mutually reinforcing objectives: restructuring the

1 . The Program is ?dedicated to the promotion and development of good governance practices and related reforms in the Arab states. It works in partnership with key governance institutions including legislatures, judiciaries, and civil society organizations.? Activities include rendering policy advice, engaging in institutional capacity building, and testing policy options through pilot projects.

political authority system to be more representative and more participatory, and developing professional, effective, performance-based public administration institutions.

Good governance matters for its own sake. It is central for human development. It is means and ends at the same time, concludes the Arab Human Development Report (UNDP 2002:1). Competent and ethical public administration is the cutting edge of good governance. This is why the administrative aspect of Arab governance, in recent years, has acquired an absorbing demand for improvement. The Arab administrative systems in general have not developed adequate or effective capacities to operate within a complex international environment that often evokes contradictory agendas, pressures, and standards - even some predatory practices.

Institutions are the building blocks of governance. Poor institutional performance seems to underline most societal problems in all type of public policies. Various evaluations and assessments have concluded that bureaucratic performance in several Arab countries (Egypt, Saudi Arabia, and Sudan) offers little hope that Middle Eastern bureaucracies will serve as positive forces of economic and social development in the region (Palmer et al. 1987:241). But such generalizations can be misleading. The diversity of Arab states in geography, size of population, politics, and level of socio-economic development has produced uneven results in terms of administrative capacity, organizational sophistication, and liberalization of national politics. Variation also exists in degrees of urbanization, literacy rates, per-capita income, and foreign debt.

Common practices for improving organizational capacities in the Arab states have mainly been tinkering on the margins. A sustainable, strategic change is concerned with developing institutional capacities, including focusing on developing organizational learning, appropriate leadership, effective utilization of human resources, strategic vision, and appropriate organizational culture that internalizes professional managerial norms and values. Facing global responsibility requires reliable predictable institutional processes beyond the technical instruments of administration, and more than traditional administrative structures are equipped to provide. Public institutional management has to learn how to sidestep rigid hierarchies, territorial boundaries, and to be better informed about alternative choices within or without their cultural settings.

In any case, reform has to be indigenous in design and in implementation. The processes have to include a pattern of openness, transparency, inviting and considering different views. Democratic values emphasize clear communication and information, and call for public debates and discussions on major policy questions in mass media, within representative councils, and within public organizations. Always, participatory management is improved with recruitment policies of senior managers that rely on merit rather than patronage and nepotism.

Performance management, accountability, and ethics are among the most important indicators of a capable governance system. Performance matters and is best defined through effective measurement systems. Professional performance measurement seeks to gauge how well a system is accomplishing policy, implementing strategies, and achieving desired outcomes. Practical experience indicates that performance measurement systems that work must be accompanied by clear goals, defined standards, output data, political support, and reliable legal and moral accountability systems. Such performance measurement in public affairs is indispensable for authenticity in negotiating balanced agreements and facing real or potential negative effects of global policies. Since globalism is a fact of contemporary life, Arab public managers have to expand their intellectual horizons, refine their operational methods, improve their communication and negotiation skills, and conform to higher standards of accountability, transparency, and ethics.

2. The Issue of Palestine. The conflict in Palestine remains one of the most complex and long-lasting in modern history. The tragedy is a proof of the failure of Arab governance, the one-sidedness and dishonesty of Western (mostly American) policies towards the Middle East, and the intransigence of religious and political extremism nourished by memories of the Holocaust atrocity committed not by the Palestinians but by the West and in the West.

From the Israeli perspective, their state is a success story; it is a democratic system, multi party system, well developed, high standards of living, in-gathering of over forty percent of Jews in the world, and restitution for anti-Semitic persecution over centuries (Shlaim 2008:11).

From a Palestinian perspective, Israel is a catastrophe for the Palestinian people. The triumph of Zionism cannot drown out the protests

of those who argue that what purported to be the solution to the Jewish problem had created an entirely different one (Khalidi 2008:11).

For most people of the Middle East, including many Israelis, the U.S approach to the issue is a problem in itself. The most vivid example that the U.S. is not an honest broker, and never was, is the speech by President Bush to the Israeli Parliament on the 60th anniversary (May 2008). As Lamis Andoni, Al Jazeera Middle East analyst, reports:

President "Bush had addressed the Israeli parliament, on Israel's 60th anniversary [May 16, 2008] saying the establishment of Israel had been "the redemption of an ancient promise given to Abraham and Moses and David - a homeland for the chosen people Eretz Yisrael." By portraying the creation of Israel as a biblical fulfillment, he bestowed divine legitimacy on the process of its establishment and also cast the Palestinians' narrative, along with their rights, outside of the realm of history.

Not surprisingly, some right-wing Knesset members reacted by hailing Bush as being "more Zionist than Israeli prime minister Ehud Olmer.t" Bush's words punctured a deep place in the Palestinian collective psyche on the day of remembrance of their own dispossession. Bush's bias in favour of Israel is not new and did not come as a surprise to Arabs and Palestinians. But it was his blatant denial of Palestinian history and his unquestioning endorsement of the Zionist vision and perspective that will resound for generations to come.

The above is a vivid illustration of how the aggressive policies of the Israelis, the one-sided pro-Israel American approach, and the weakness of the Palestinians, all contributed to the stalemate. As Siegman (1008:7) points out: Given the overwhelming disproportion of power between the occupier and the occupied, it is hardly surprising that Israeli governments and their military and security establishments found it difficult to resist the acquisition of Palestinian lands. Moreover, the Israeli lobby and its strangle hold on American politics and institutions is documented by John Mearsheimer and Stephen Walt in The Israel Lobby and the U.S. Foreign Policy (2007). The central focus of America's Middle east policy has been its relationship with Israel. For the past four decades, in fact, the United States has provided Israel with a level of material and diplomatic support that dwarfs what it provides to other countries (P. 7). The U.S. has also

undertaken policies in the broader Middle East that reflected Israel's preferences Many policies pursued on Israel's behalf now jeopardize U.S. national security. (P.8)

James Petras describes the Israeli conduct in dealing with the Palestinians as having all the substantive features of genocide. Israel is a highly militarized society given to long-term, large-scale use of state terror; forcing over three million Palestinians into ghettoes; racial ethnic segregation and separation in all spheres of justice, property ownership citizens rights based on blood ties; legalized and quasi-legalized torture and systematic use of collective punishment; perpetual military assault on neighboring Arab states; unilateral extra-territorial, extra-judicial assassinations; chronic and systematic rejection of international law; an ideology of permanent warfare and international paranoia (anti-Semitism everywhere); and an ideology of ethnic superiority (the chosen people) (Petras 2007:82).

While this is not an attempt to analyze the full range of issues, it is to point out the complexity and the imbalance of power that have obstructed progress towards a solution that is fair to both peoples of Palestine (Israelis and Palestinians). The problem is also an illustration of the failure of the international community to prevent the Israeli government, with the U.S. covering-up, from delaying the peace process, buying time to create facts on the ground, blaming the Palestinians under all conditions, and producing one more peace inactive that leads no where.

At the same time, as the Palestinian people suffer brutal occupation, their political leadership has been incompetent, divided, and lacking in strategy and the resourcefulness to achieve it. As Rashid Khalidi (2008:18) sums up the situation: Today we are witness to the spectacle of two feeble and clueless Palestinian political movements, fighting like two cocks on a garbage heap. And this by itself is tragic for the Palestinian people.

Clearly, the Arab world misunderstood the extent of Zionists designs on Palestine, were not prepared to deal with the problem through diplomacy or the use of force, and they relied on others in the West who were more than willing to betray law, ethics, history, and justice.

3. Misunderstanding Other Types of Power

The Arab countries have not understood and genuinely acted upon the power of developing a stable, progressive, and equitable society.

Whereas military power is necessary for the modern state to defend itself, such power is insufficient by itself, as it is unreliable and contemporaneous, particularly for a small developing country. Obviously, certain countries remain committed to continuous development of their military powers as well as their policies of domination and expansion. Huntington claims that the West dominated and colonalized by the application of violence. Still, countries have to explore other alternatives basis of power that are more durable and sustainable. Arab states can benefit greatly from underutilized, perhaps, not understood values of these other sources of power:

The power and quality of governance and civic culture: The least understood by Arab policy makers, is the relationship of power to balanced development. Balanced development of a society is the attainment of quality of life for all citizens in a system of governance that applies principles of justice and manifest unfettered commitment to egalitarian values, irrespective of gender, family, wealth, or any other consideration. Such strength, when emanates from the inside of a system, generates trust and support of the people to their governments and institutions, and ensures stability and continued development.

When conservative elements and extremists in a society oppose democratic values and human rights concerns because they are Western or foreign or a façade for Western attempts to reestablish hegemony over the Islamic world, a clear misunderstanding and misrepresentation of the Arab history. Liberty and justice are not Western or Eastern values, they are universal. The early Arab-Muslim state practiced justice and equal right before the West knew what the terms meant. I hope I am translating correctly what Omar bin Elkattab said thirteen centuries ago: Since when you subjugate people who were born free from their mothers' wombs. This is a foundation of freedom and democracy as any. Thus, building a just society that regards equal rights, allows for citizens representation, applies high standards of ethics and accountability in public decision making, and ensures merit and professionalism in public services is another way to build a powerful state with inner strength and moral influence.

The power of Arab unity: Collective power of the Arab world is misunderstood and underutilized. Arab unity has been an aspiration of the Arab people for a long time. Various attempts to build such unity failed. The League of Arab States has some positive effects, but overall has been a letdown. The Arab world remains fragmented, torn by feuds and conflicts among Arab leaders, and ineffective in global politics. In fact, many people

have written off Arab unity as dead or unachievable. Yet, there are greater similarities among the Arab people than among the Europeans, for example. The Arab world missed opportunities and misunderstood the strategic importance of a collective Arab voice. Policies of divisiveness, mistrust, and feuds weakened the Arab world immeasurably.

This is not a call for revival of the total unification project that advocates unification of 22 Arab countries into one, however desirable this may be. But, Arab thinkers should consider alternatives, guided by what is happening in the world today. Europe, different languages, politics, and a history of very bloody wars, now is the European Union (EU) that is changing world politics and economics. The American hemisphere and the Asian countries also made significant progress in collective actions. Most recently (May 23, 2008) South America created a 12 countries Continental Union,? a Parliament designed as a regional version of the European Union.[1] This Parliament of Latin American countries coordinates policies and establishes a major international economic block. In contrast, the impact and significance of the Arab countries will continue to be marginal in international politics and economics as they remain fragmented and uncoordinated.

Since its establishment, the European Economic Community had viewed the development of trade and economic ties as a vital instrument in its efforts to improve bilateral relations with the Arab world (Miller and Mishrif 2005:1). The Barcelona Conference in November 1995, was one result of European initiatives to establish Euro-Mediterranean Partnership through bilateral agreements. Recognizing the internal Arab feuds and other problems, Europe has been dealing with the so-called Mediterranean countries bilaterally rather than collectively. Another miscalculation by the Europeans is their attempts to bring Israel in through the back door which led to Arab representatives walking out of such meetings. Regardless, the Arab world is missing an opportunity to have a collective voice and integrated economic policies among themselves first and foremost, and this will generate greater return to all far more than each state could ever acquire alone.

5. Globalization Issues and the Arab World.

Globalization has been magnified and disparaged, celebrated and criticized for various reasons and on many grounds. Globalization has

1 .St. Petersburg Times. May 24, 2008). P. 4A.

many dimensions; it is worldwide linkages in many aspects of contemporary living. The impact also varies from country to country and from one function to another. But, we can group the conceptual and practical premises of globalization into three major thrusts:

A. The economic and financial perspective views globalization as being promoted and directed by economic factors: free trade, banking, investment, labor, and transfer of capital (Al-Enezi 2005). The economic perspective gained particular influence or attention with the ascendancy of certain prescriptions promoted by what is known as neo-liberalism or the Washington consensus, affirmed and enhanced by policies of the IMF and the World Bank. In essence, as Richard Falk (1999:1,2) points out, the neo-liberal economic perspective advocates public policies of privatization, minimizing economic regulations, rolling back welfare, reducing expenditures on public goods, tightening fiscal discipline, favoring free flow of capital, strict control on organized labor, tax reductions, and unrestricted currency repatriation. Adherence to this neo-liberal school inevitably results in global competitiveness for economic advantages. In the end, there are winners and losers. Certainly, multinational corporations and economies of industrial countries are primary beneficiaries.

B. The information and technology perspective focuses on technological innovation, and the recent worldwide popularization of electronic tools and products, to portray globalization as driven by information and communication technologies (ICT). The utility and the cumulative effect of ICT are demonstrable as they are almost universal.

C. The comprehensive view employs wide-angle lenses that picture a panoramic view of globalization and the world as intensifying interdependence and integration in culture, economics, the environment, politics, administration, human rights, security, education, and technology. In this regard, globalization transcends distances and borders, and has very ancient roots. Certainly, globalization is not a constant movement in a linear path or a producer of equal or similar benefits to all countries. Reversals and setbacks are frequent as well, and can be formidable. Unilateralist policies and responses whether by isolationists, protectionists, or hegemonists can diminish globalization trends. In recent years, as Edward Said (1993:xii) points out:

Much of the rhetoric of the "New World Order" promulgated by the American government since the end of the Cold War _ with its redolent self-congratulations, its unconcealed triumphalism, its grave proclamations of responsibility all too easily produces an illusion of benevolence when deployed in an imperial setting.

Unilateralism creates and perpetuates inequity and injustice among nations. It instigates new concerns for human rights, and for the ability to reconcile rules of efficiency with rules of fairness. A recent initiative by the U.S. Congress, for example, aims to elevate labor and environmental rights to key components in future trade agreements. The implications to Arab labor laws and employment policies is that increasingly, Arab states have to play by rules that they have little input in their enactments. Actually, the Arab states are large importers and exporters in the labor market. High percentages of workers in the Arab Gulf states are classified as foreign labor. The Arab states are also exporters of labor to Europe and other places, particularly from the Arab states in North Africa.

The consequences of globalization have not been uniform or equitable to all societies. The free market systems helped the expansion of activities for some countries and for the multinational corporations, but did not lift standards of living for all. Income statistics from the U.S. and the UN Development Program, for example, indicate that the combined income of the 400 richest persons in the US is more than the combined national income of 20 African states totaling over 300 million people (Weissman 2003) [1]

Developing countries, often, are not full participants in global advancements. Lacking effective systems of governance with essential administrative capabilities, Arab countries have been unable to enact or enforce adequate safeguards and regulations to protect their environments and the interests of their citizens as industrial countries have done for decades.

The global system itself failed to provide effective and peaceful channels for settling disputes and a framework of fair rules to be implemented by all. The system has to uphold the rule of law on the strong and the weak alike (AHDR 2004:22). Recent international events illustrate the need to create more effective instruments of conflict resolution and arbitration that can buttress the UN not undermine it. Many UN

1 . Weissman cites Internal Revenue Service, Statistics of Income Bulletin, spring 2003, Pub. 1136 (revised 6-03); UN Development Program, Human Development Report 2003 (Pp. 250-253; 278-281).

resolutions have been ignored when opposed by one or two nations, despite overwhelming support by the world community as we have experienced in the case of the Israeli-Palestinian conflict. In addition, globalization had the effect of fostering monopolies and hiding ill-motives of domination and manipulation. Even mass media in the US have not been spared and is now in enduring corporate control, illustrating how manipulation of capital and politics produce ironies of globalization.

Clearly, globalization has generated many challenges, but also created opportunities. It is a triumph for capital investment and for multinational corporate production and marketing. It is an illustration of the superb achievement of technology and communication. And, global cooperation is the only way for resisting global threats to the environment, health, and security of all communities. Yet, all the real and potential benefits of globalization, and a hugely connected universe, are not realizable by the Middle East countries, if not appropriately enabled, organized, and managed.

The Arab countries have to understand the consequences of intersections of local and global dynamics; they have to manage the remarkable discrepancy between the ideal and the real of the fast-changing global context. How to manage global connections in order to enhance the gains and minimize the pains, to use a figure of speech, is the real challenge. And, yes, there will be some pain. According to the Global Competitiveness Report 2006-2007, within the Middle East and North Africa (MENA) region, the Gulf States continue to perform quite well in the overall rankings of the Global Competitiveness Index. Although no Arab country was ranked among the highest 25, few made the list of the highest fifty. Arab resource-rich countries, according to this GCR, have the public finance leverage, but they appear not to have translated it into sweeping improvements in human capital or diversification of economic productivity. Other Arab countries improved less or dropped in rank, due, in part, to worsening government finances and a large debt ratio.

Overall, healthy global competition still eludes Arab economies for many reasons: entrenched monopolies, poor accountability, marginal productivity, and reliance on traditional means of operation. One of the great ironies of conditions in the Arab world today is the limited inter-Arab cooperation that narrowed their markets, and limited their productive capacities, and diminished the international political weight of the region.

Arab countries continue to face the world individually. The most striking evidence of the lack of economic integration among Arab countries is the fact that inter-Arab trade accounts for no more than 7 percent to 10 percent of total Arab foreign trade (AHDR 2002:126).

Arab views of globalization are often based on suspicion and preconceived views that regard globalization as a new ploy for domination by the West. This picture or caricature, simplistically, explains away the subject of globalization as another name for a new type of imperialism and domination. The annual conference of the Arab Thought Forum in Amman, Jordan, 2006, attracted a considerable number of Arab academicians and influential public officials. Several papers presented at the conference by academicians from universities in Egypt, Jordan, Syria, Tunisia, and Yemen, directly or indirectly, cited global developments in negative or cautionary terms. Views expressed linked globalization to a range of factors including capital, corporate interests, and technological advancements. Invariably, however, globalization was regarded as tied to, or aiming at, perpetuating domination by Western powers. One presenter described the situation this way: I can say that Arab intellectuals, who are nationalistically inclined, oppose globalization in general and consider it a new form of hegemony and imperialism (Madhi 2006).

Thus, the overall Arab perceptions of globalization are negative despite its increasing impact on Arab societies. Perhaps, in part, the diversity of views is the result of not having major centers of globalization research and the subject remains marginal in education systems. Moreover, globalization in related public policies appears mostly understated or under-articulated. Whereas knowledge is the foundation of comprehensive development in any society, knowledge has to develop first and foremost from within and then through acquisition and links with knowledge sources worldwide. Certainly, many individual articles, books, or presentations at conferences are available in Arabic. Still, understanding of globalization remains incomplete or deficient. As the Arab states embark on policies and measures to face the new global challenges, they have to ensure accurate education on the subject, encourage objective research, and initiate centers of strategic, global studies that inform and support the development of sound public policies.

6. Political and Intellectual Bias against Arabs-Muslims: Misinformation in the West about the Arab world is not new but remains

lethal. Edward Said has methodically examined Western literature and narratives about Arab-Muslim history and culture and found them largely slanted to justify imperial designs or to substantiate preconceived notions. Long before 9-11, 2001 attack, a British scholar and expert on the Arab world, Peter Mansfield (1976:491) noted:

"Any writer who embarks on an attempt to describe and interpret the contemporary Arab world to Western readers is confronted by a set of formidable difficulties. At the superficial level he encounters a stereotyped vision of the Arab, and of their Islamic religion A more complex problem is that the average educated Westerner is unaware that he suffers from prejudice against the Arab."

Maxime Rodinson (1981: ix) a leading French scholar and a renowned specialist on the Arab people, also recognized the incongruity in Western attitudes. In the preface to his book The Arabs, Rodinson points out the following:

"Can anyone claim to be utterly without interest in the Arab people - even if it takes some spectacularly newsworthy event to arouse that interest? Yet ignorance is as prevalent as discussion. The specialist is often chagrined when he hears or reads statements that are erroneous or at any rate as crude as to be inaccurate or distorted by insertion in a misleading context Indeed, at this moment in history, the Arabs more than almost any other people seem to arouse the most violent of passions."

Current misinformation in the West aims to influence thinking, control the message, and rationalize and promote occupation and recolonization of the Arab-Muslim world. These are few illustrations.

A. Bernard Lewis, a Princeton University historian specialized in Islam, not only supported and encouraged the American invasion of Iraq, but his book What Went Wrong: Western Impact and Middle Eastern Response (2002) has been a major source in what is practically a manifesto for advocates of U.S. military intervention to "establish democracy in the Middle East. "Credited with coining the phrase" clash of civilizations? that was later popularized by Samuel Huntington, Lewis provided historical justification for Washington's unilateralism, and actually emerged as the ?chief ideologue for interventionist policies. Lewis declared that the peoples of the Middle East, meaning Arabs and Iranians, have failed to catch up with modernity and have fallen into "a downward

spiral of hatred and rage," thus, at once, Lewis exonerated American imperial policies and provided a moral imperative for "preemptive strikes" and "regime change" doctrine in dealing with the Arabs (Adoni, 2002).

Also, Lewis offered interesting explanations to what he acknowledges as contemporary Arab "humiliations" -- such as the perceived injustices in Palestine, the sanctions against Iraq, the income disparities between the Christian world and the Muslims, and so forth. Blame for these differences in civilization lay with the Muslim world, and its failure to modernize. "If they can abandon grievance and victimhood," he asserts they can once again make the Middle East, in modern times as it was in antiquity and in the middle Ages, a major center of civilization (Varadarajan, 2003).

B. *Samuel Huntington offers a more substantive analysis his book Clash of Civilizations* (2003); the book's key points are: world cultures and civilizations change over time. Global politics began to be reconfigured along cultural lines. And, culture and cultural identities, which at the broadest level are civilization identities, are shaping the patterns of cohesion, disintegration, and conflict in the post-Cold War world. Thus, he sees a civilization-based world order emerging, and the survival of the West depends on Americans reaffirming their Western identity and Westerners accepting their civilization as unique not universal. Finally, clashes of civilizations are the greatest threat to world peace, and an international order based on civilizations is the surest safeguard against world order.

Huntington makes other claims, but of particular importance and relevance is his central point about the Islamic world. He points out (p. 50) that between the 11th and 13th centuries, European culture began to develop, facilitated by the eager and systematic appropriation of suitable elements from the higher civilizations of Islam and Byzantium, together with adaptation of this inheritance to the special conditions and interests of the West. Then Huntington declares his stark observation: Islamic culture explains in large part the failure of democracy to emerge in much of the Muslim world. He even predicts that the prospects in Muslim republics are bleak (p. 29). Another crucial point he makes is that The West won the world not by the superiority of its ideas or values or religion (to which members of other civilizations were converted) but rather by its superiority in applying organized violence (Huntington 2003:51).

Huntington acknowledges that his book created a storm of reactions by impressed and by outraged people. What matters here is that the book seems to be a broad brush painting with over-drawn generalizations and explanations. As a result, it is unavoidable to have different understanding and different interpretation of its premises and conclusions. Huntington's view of the Muslim world as one homogenous group or culture or civilization is questionable. He sees this Muslim world with bleak prospects of democratization. Actually, the Muslim world consists of different people, with different history, different languages, different value systems, different geographical locations, and, yes, different interpretations of Islamic religion. Many Muslims are secular, not very religious, just like followers of other religions. Some of the Muslim societies made commendable progress on the road to democratization, contrary to Huntington's generalization. The prospect of democratization in some of these countries is not bleak. In reality, some Muslim countries are more democratic than most countries of the developing world (Turkey and Malaysia, for examples). True, some may fit Huntington's labeling and do exhibit radical visions of their faith just like some Christians and Jews.

The central thesis of the book that religion is the major identification of civilization is also problematic. I am not sure how Huntington can explain the invasion of Kuwait by Saddam Hussein, or the War between Iraq and Iran, or the war against Iraq in 1990 with all Arab and many Muslim countries joining the U.S. in fighting Iraq. The common denominator in these three wars is that Muslim states were fighting Muslim states. Similarly, World War I and WW II, were among Christian Western nations. Using the central thesis of Huntington's book, I cannot explain how we can see the world in terms of clashing civilizations based on culture, with religion being the main element, when most of the recent wars were among people of the same religion. As to the thesis that the West won the world by its superiority in applying violence (p. 51), many historical indications point out the limitations of brute force. Perhaps, a more convincing conclusion that the West won more influence for its values, ideas, and knowledge. American technology, information revolution, human rights, the Internet, flow of finance and capital across borders, the American and Western education systems, all have achieved lasting impact far more than the use of violence.

C. An odd genre of distortion is the frequent discussion of Arab or Muslim women in Western mass media only to defame or to score points

against one Arab country or another. Not to illuminate or suggest reform, conditions of Arab women have actually been used to divert attention from the real issues and policies that matter to women. Special interests groups and ideologues use mass media for their own purposes and end up giving greater attention to Muslim women head dresses and garbs than to questions of genuine women rights issues.

As an illustration, conferences are often held on American campuses, organized by the same interest groups, to inflame rather than to inform. Muslim women, their clothes and their servitude to men are regular features in such conferences. Katha Pollitt (2007) reports on one such conference at Columbia University in 2007, titled Awareness (2007:12) adeptly describes the highly emotional propaganda, intended to conflate a variety of groups into one big murderball and to move us to war - yesterday Iraq, tomorrow Iran. Speakers on the Muslim world the like of Rick Santorum, David Horowitz , Ann Coulter, and Sean Hannity evoke ideas as the clash of civilizations, religious apocalypse, implacable enemies, the folly of compromise and Hitler.

As Pollitt (2007:12) points out: The oppression of women in the Muslim world is a major theme among the Islamofascistly aware. The irony is that these people who made careers out of attacking the mildest updates on American's women roles, whether it's working mothers, birth control or even, in the case of Coulter, the right to vote! are championing women rights in the Muslim world. They have shown no concerns for rights, liberties, or opportunities for women anywhere. Islamofascist Awareness people aren't interested in what's actually going on in the Muslim world says Columbian anthropologist Lila Abu-Lughod (quoted in Pollitt, 2007:12). They just use the women question as an easy way to target Muslims. And here is a profound problem not only for Muslim women but for the American public at large when ideologues orchestrate such campaigns of disinformation.

D. Daniel Pipes and his cohorts of what James Petras (2007) calls Israel-First groups provide a ceaseless invective against Arabs and Muslims within the U.S and abroad. Sufficient to cite one example here. Under the heading Daniel Pipes Says All Muslims Must Be Watched, he wrote in the Israeli Jerusalem Post (1/22/03), proposing for the U.S. the following:

There is no escaping the unfortunate fact that Muslim government employees in law enforcement, the military, and the diplomatic corps need to be watched for connections to terrorism, as do Muslim chaplains in prisons and the armed forces. Muslim visitors and immigrants [to the U.S] must undergo additional background checks. Mosques require a scrutiny beyond that applied to churches, synagogues and temples. Muslim schools require increased oversight to ascertain what is being taught to children

In conclusion, the common denominator among those negative predispositions about Arabs and Muslims in Europe and in the U.S is the constant attempt to delegitimize Arab grievances whether against colonial rule or against the usurpation of Palestinian rights and property. The relentless proliferation of such distorted images of the Arabs and Muslims, before September 11, 2001, and more brutally since is a disservice to all sides. No doubt, today, in the U.S. and in Europe, whether a person is in academia, in mass media, in politics, or in any employment, the most restrictive characteristic is being an Arab and or a Muslim.

IV. Arab Issues: Conclusions

As this discussion illustrates, many Arab issues are complex and far-reaching. They involve politics, management, economics, culture, and global connectivity. In this conclusion, I would like to briefly reflect on the issues of culture and demographics. Culture is often blamed as the cause of the present malaise of the Arab world. Among the most widely used terms in social sciences, culture shapes values and attitudes of people in a society even if there is little agreement on exactly what it is. A more deterministic conception, as by Hofstede (1980:21), regards culture as the collective mental programming of the mind which distinguishes the members of one human group from another. A broader and inclusive perspective equates culture with civilization itself (Huntington, 2003). Regardless, culture represents a combination of elements that associate with each other and can be recognized by their effects: customs, habits, norms, values, laws, and faith (Adler, Doktor, and Redding 1984). Thus, culture includes material and spiritual components as well as intellectual and tangible ones. Cultural elements usually are passed from one generation to another, and distinguish one society from another.

The problem with cultural studies of Arab societies has been predisposition to fixed notions that are outmoded or abundantly distorted.

The culture school is open to serious criticisms when it leads to ethnic stereotyping and far-fetched views such as the Muslim way or the Arab way of doing things which cements the idea that attitudes and skills necessary for successful operations in the Arab/Muslim world are inherently different from those needed elsewhere in the world. As Anderson (1995:78) points out: Much of the social science literature treats the Arab world as congenitally defective, democratically challenged as it were, and seek to find biological, cultural, and /or religious causes for this disability. Edward Said documentations of cultural imperialism and orientalism slants remain profoundly relevant and illustrative.

Culture is not a monolithic source of influence, and many cultures may coexist in one society. The extent, and the efficacy, of the cultural norms in shaping political-administrative processes remains an empirical question to be established rather than assumed. In Arab societies, culture influences administrative and political behaviors, but is not the only determiner of such behaviors. True, the particularistic orientation of decision makers in Arab countries is frequently rooted in the value placed on loyalty to kinfolk and other members of the collectivity to which the individual belongs. Hence, widespread nepotism in public service is not treated as corruption; but as a loyalty to family, clan, and friends, and, thus, no attempt is made to hide it. Such attitudes and practices are sustained by cultural norms that place high value on family and clan connections.

In recent years, however, education and enactment of new laws that emphasize merit appointments to public service positions have reduced these particularistic cultural norms of nepotism and cronyism. Today, such behaviors are publicly criticized, opposed, and even regarded as corruptive influences by the Arab public rather than accepted as inherent or unalterable cultural attributes. Incompatible cultural values are being modified by reform proposals consistently advocating merit, competence, ethics, educational attainment, and technical qualification. The support for change and liberalization of the Arab political orders is the highest among the younger generations, enhanced by education and information. In sum, culture is relevant, even decisive in certain issues. It has a great deal of influence on individual and group behaviors and attitudes. But, culture is not a straight jacket that consigns peoples and nations to a stereotyped views, nor is culture so restrictive as to be immune to forces of change and development.

Another challenge not often on the front burner of issues in the Arab world is the demographic factor. This aspect seems to be relegated to lower emphasis in comparison with focus on hot issues of war and peace or even restructuring the authority system and modifying one public policy or another. The issue of demography is compelling and explosive, if ignored. To appreciate the urgency of the issue consider Egypt, the largest Arab states. It had a population of 26 million in 1960 (Hourani 1991:373). Today, Egypt has about 80 million people. Similar increases have taken place in most Arab countries (Morocco, Tunisia, Syria, Iraq) where the rate of increase has accelerated mainly because of improved healthcare and lower mortality rates, particularly among children. Some of the important consequences are: (1) Rapid population increase changed the age distribution. By 1960, more than half of the population is under twenty years of age. (2) The Arab economies have to create millions of jobs to accommodate the new generations of educated people. (3) Other economic and social repercussions include increasing urban congestion due to migration from rural areas to cities in search of jobs and education. Thus, economic, social, and educational implications, in the long run, are incalculable. Only through strategic planning and relevant policy initiatives at an early phase can improve the prospects of managing the potential dilemma. Even in the Arab states of the Gulf, endowed with revenues from oil, the demographic question is of increasing concern where employment needs for the young generation, and continuing the generous programs of subsidies may not be attainable, particularly of oil revenues head in a different direction (Nadia Mohammed, 2003: x).

History of the Arab people evinces resilience in facing good times and bad times. Repeatedly, the Arabs endure invaders and conquerors, but always survived and their heritage of language, religion, and collective consciousness were revived. Today, the Arab people are facing one of the most serious tests of their resilience in modern history. Together, they can survive and prosper. Separately, they will suffer subjugation, even if the methods are a little subtle and more devious than the traditional imperialist mode. Arab strategies of the future have to be mindful of some key issues and to emphasize them in policies and action:

Research and knowledge development: Without a strong and growing knowledge base of their own, Arab countries will be drawn into international knowledge society as passive consumers (AHDR, 2003:163).

Reform of governance: Arab public managers and political leaders have to understand and practice collaborative management among organizations within a country and greater cooperation among Arab states. This also means modifying and abandoning their traditional methods of authoritarian command and control processes. Collaborative public management is a problem-solving approach that reaches beyond one organizational boundary or even cross-culturally. This requires flexible, less hierarchical and, more participatory frameworks in governance. Of course, public managers do better in meeting their collaborative responsibilities in a context of institutional empowerment that allows freedom to act, freedom to acquire new knowledge, and empowerment to utilize effective participation of employees and citizens in decision making.

In dealing with other Arab states, managers and leaders have to sharpen their negotiating and mediating skills and capability to act and to transact globally. The Arab world had endured decades of foreign domination and colonial rule, thus is fully aware of its unfolding external reality. How to compete instead of being dictated to, how to safeguard against real and potential injustice, how to develop and improve institutional capacities to meet the challenges, how to apply strategic planning for a better future, and so many other compelling questions require more serious attention than before.

Issues of accountability and ethics in public affairs must be dealt with courageously, effectively, and truthfully. Such crucial measures enhance the capacity of a governance system to act in the common interests of the country, show results of its performance, and the evidence to prove it.

The role of bureaucracy: During post-independence years, Arab bureaucracies were called upon to maintain law and order, execute decisions of the political leadership, and deliver the day-to-day public services (Jabbra and Jabbra 1989:1). These functions were soon expanded to include responsibilities for national socio-economic development. While these earlier responsibilities continue to be essential and significant, global and domestic developments require restructuring governance and adaptation of the administrative institutions. How well the system of governance (politics and administration) are reaching policy objectives is difficult to answer without data based on regular professional

measurement and evaluation of outcomes. This is particularly important where the many roles and functions of the state have resulted in greater concentration of powers in the hands of the few without equal development of accountability and ethics throughout the system. Effective institutional performance improves the competitiveness of the Arab states and the overall outcomes of public policies. Consistent with the importance of quality performance and integrated Arab policies, one should recognize that strength of a state is not always correlated with presence or absence of military power. Systems can have other types of strength derived from their reformist internal dynamics, engendered by genuine citizen's representation, application of the law, high regard for human rights, ethical and transparent decision making processes, and practicing policies that respect rights of the others.

Balanced social and economic development: Benefits of social and economic development have to shared by all the people, whether an infrastructure project, or education and healthcare, the public needs equal access and equal treatment. People-centered development and not prestige projects is what is needed and what is expected by citizens. The changing demographics of the Arab world will soon generate enormous pressures on public policies that in some countries will be very difficult to cope with.

Finally, within the new context of a globalizing world, the Arab systems of governance have a choice of adapting or losing the game. Unless the Arab states genuinely alter or adapt their political and administrative processes of governance, they will remain disadvantaged or less benefiting by the new global realities. Being a partner in the global order rather than a mere subject has its prerequisites, not the least of which is the further development of competence and ethics in both sectors governance: the political and the administrative. The experience of the Arab states in this regard will greatly inform all developing countries as well serve future generations of the Arab people.

References

Adler, N. R. Doktor, and G. Redding. 1984. From the Atlantic to the Pacific: Cross-Cultural Management Reviewed. Yearly Review of Management: Journal of Management. 122, 295-317.

Adono, Lamis. 2008. Palestinian Memory Cannot be Erased. Aljazeera, May 19, 2008. http://english.aljazeera.net

Adoni, Lamis. Al-Ahram Weekly Online : 12 - 18 December 2002 (Issue No. 616). Located at: http://weekly.ahram.org.eg/2002/616/re4.htm

Al-Enezi, A. 2005. Perception of Kuwaiti Managers at Government and Public Sectors of the Concept, Consequences and Requirements of Globalization. Journal of the Social Sciences. (in Arabic), 33 (3): 595-648.

Anderson, Lisa. 1995. Democracy in the Arab World: A Critique of the Political culture approach. In Rex Brynen, et al, eds. Political Liberalization and Democratization in the Arab World. Boulder, CO: Lynne Rienner Publishers.

Arab Human Development Report 2002, 2003, 2004. New York: UNDP and Regional Bureau of the Arab States.

Falk, R. 1999. Predatory Globalization: A Critique. Cambridge, UK: Polity Press.

Friman, R. Ed. 2007. Challenges and Paths to Global Justice. NY: Palgrave Macmillan.

Fishbein, Jennifer. 2008. Playing Catch-up in Tech. BusinessWeek. (April 28), P. 21.

Grow, Brian, Keith Epstein, and Chi-Chu Tschang. 2008. New E-Spionage Threat. BusinessWeek. April 21, Pp. 33-36.

Hourani, Albert. 1991. A History of the Arab Peoples. Cambridge, MA: The Belknap Press of Harvard University Press.

Heady, Ferrel. 1996. Configurations of Civil Service Systems. In Bekke, H., J. Perry, and T. Toonen, eds. Civil Service Systems in Comparative Perspective. Bloomington, Indiana University Press.

Heady, Ferrel. 2001. Public Administration: A Comparative Perspective. 6th ed. New York: Marcel Dekker.

Hofstede, G. (1993). Cultural constraints in management theories. Academy of Management Executive, 7(1).

Hofstede, G. (1980). Culture's Consequences: International Differences in Work-Related Values. Beverly Hills, CA: Sage.

Huntington, Samuel P. 2003. Clash of Civilizations and the Remaking of World Order. New York: Simon and Schuster.

Hyden, G. 2002. Operationalizing Governance for Sustainable Development, in Jreisat. J. E. (ed.) Governance and Developing

Countries. Leiden, The Netherlands: Brill. Pp. 13-31.

Jabbra, Joseph G. and Nancy W. Jabbra. 1989. Administrative Culture in the Middle East: The Case of the Arab World.? In Jabbra, J. G. and O.P. Dwivedi (eds). Administrative Culture in a Global Context. Canada: de Sitter Publications.

Jreisat, Jamil E. 2006. The Arab World: Reform or Stalemate. Journal of Asian and African Studies. Vol. 41, Nos. 5, 6 (October/ December) Pp. 411-438.

------. 2004. Governance in a Globalizing World. International Journal of Public Administration. Vol. 27, Nos. 13&14. Pp.1003-1009.

------ .2002. Comparative Public Administration and Policy. Boulder, CO: Westview.

------. 1997. Politics Without Process: Administering Development in the Arab World. Boulder, CO: Lynne Rienner.

-----. 1988. Administrative reform in developing countries: a comparative perspective. Public Administration and Development, 8(1):85?97.

Khalidi, Rashid. Palestine: Liberation Deferred. The Nation. (May 26, 2008). Pp. 16-20.

Mansfield, Peter. 1976. The Arab World: A Comprehensive History. New York: Thomas Y. Crowell Co.

Mohammed, Nadia Sayed Ali. 2003. Population and Development of the Arab Gulf States. UK: Ashgate.

Miller, Rory, and Ashraf Mishrif. 2005. The Barcelona Process and Euro-Arab Economic Relations:1955-2005. Middle East Review of International Affairs. Vol. 9, N0.2, (June).

Nakib, K., and Palmer, M. (1976). Traditionalism and change among Lebanese bureaucrats. International Review of Administrative Sciences, XL11(1):15 - 22.

Nye, J. S. Jr. and J. D. Donahue (eds.) Governance in a Globalizing World. Brookings Institution Press.

Palmer, M. Al-Hegelan, A.R., Abdulrahman, M.B., Leila, A. and Yassin, E.S. (1987). Bureaucratic rigidity and economic development in the Middle East: a study of Egypt, the Sudan and Saudi Arabia. International Review of Administrative Science, 53:241-257.

Petras, James. 2007. Rulers and Ruled in the US Empire. Atlanta, GA:

Clarity Press.

Pollitt, Katha. 2007. David Horowitz, Feminist The Nation. (November 19).

Rodinson, Maxime. 1981. The Arabs. (Translated by Arthur Goldhammer). The University of Chicago Press.

Said, Edward W. 1993. Culture and Imperialism. NY: Alfred A. Knopf.

Serageldin, Ismail. 1996. Liberating the Arab Mind: Essential Task for the Arab Renaissance. Mideast Monitor. Vol. 11 (Winter).

Shlaim, Avi. 2008. A Somber Anniversary. The Nation. May 26, 2008). PP. 11-16.

Spyer, Jonathan. 2006. Failure and Longevity: The Dominant Political Order of the Middle East. The Middle East Review of International Affairs. Vol. 10, No 2, (June).

Thompson, V. (1964). Objectives for development administration. Administrative Science Quarterly, IX:91-108.

UNDP. Program on Governance in the Arab Region (POGAR). http://www.pogar.org/

Varadarajan, Tunku. 2003. Lewis of Arabia. The Wallstreet Journal. (September 23)

Waterbury, J. 1994. Potential for Political Liberalization in the Middle East Pp.23-47 in G. Salame (ed.) Democracy Without Democrats (London: I. B. Tauris).

Walters, Timothy N. Alma Kadragic, and Lynne M. Walters. 2006. The Middle East: Is Development Sustainable in the United Arab Emirates. The Middle East Review of International Affairs. Vol. 10, No. 3, (September).

Jabbra, J. G. and O.P. Dwivedi. 2004. Globalization, Governance, and Administrative Culture. International Journal of Public Administration. Vol.27 (13&14): 1101-1129.

Jabbra, J. G. and O.P. Dwivedi. Eds. 1988. Public Service Accountability. West Hartford: CT.

Keohane, R. and J. S. Nye. 2000. Introduction, in Nye and Donahue, eds. Governance in a Globalizing World. Washington, D. C: The Brookings Institution Press.

Madhi, Ahmad. 2006. Contemporary Arab Thought in a Fast-Changing World. Unpublished paper presented at the Annual Conference of the

Arab Thought Forum on Arab Thought in a Fast-Changing World, held in Amman, Jordan, May 8-9, 2006.

Mearsheimer, John J. and Stephen M. Walt. 2007. The Israel Lobby and U.S. Foreign Policy. NY: Farrar, Straus, and Giroux.

McCormick, B. L. 2007. Contingent Ironies of Globalization: Rupert Murdoch, Patrimonial Politics, and Patriotism. In Friman, Richard. Ed. Challenges and Paths to Global Justice. NY: Pelgrave Macmillan. Pp.119-134.

McGuire, M. 2006. Collaborative Public Management: Assessing What We Know and How We Know It. Public Administration Review. (Special Issue, Supplement to Volume 66): 33-43.

Michalski, W. R. Miller and B. Stevens. 2001. Power in the Global Knowledge Economy and Society. In Governance in the 21st Century. Ed. Secretary General, OECD, Paris, France: P. 7.

O?Leary, R. C. Gerard, and L. B. Bingham. 2006. Introduction to the Symposium on Collaborative Management. Public Administration Review. (Special Issue, Supplement to Volume 66): 6-9.

Peters, J. 2007. Rising Exports Putting Dent in Trade Gap. The New York Times. (May 14).

Rosell, S. A. 1999. Renewing Governance. Ontario, Canada: Oxford University Press.

Siegman, Henry. 2008. Tough Love for Israel. The Nation. (May 5).

St. Petersburg Times. Democrats Put Stamp on US Trade Agreements. (May 7, 2007), P. 7A.

St. Petersburg Times. Socialists End Conference, Oppose Unilateralis. October 30, 2003, 13A.

UNDP, Regional Bureau for Arab States, Program on Governance in the Arab Region (POGAR). 2000.. http://www.pogar.org/

Weissman, R. Grotesque Inequality: Corporate Globalization and the Global Gap between Rich and Poor. Multinational Monitor 2003, 24, 7&8 (July/August). 9.

✷✷✷✷

القضايا العربية بين حسن التقدير وسوء الفهم

د. جميل جريسات

ملخص البحث

إن الوطن العربي يقف على تقاطع مصيري تاريخياً حيث يواجه العديد من القضايا الداخلية والخارجية وتحديات قد تؤدي إلى مستقبل أفضل أو الانزلاق في منعطفات خطيرة. يتمتع عدد قليل من المناطق في العالم بمصادر بشرية ومادية غنية ومواقع استراتيجية وعمق تاريخي وثراء ثقافي مثل الدول العربية.

ويبين التاريخ أن الدولة العربية قد تمتعت بقدرة متميزة على استيعاب الثقافات الأخرى وترويج القيم الإيجابية مثل الأخلاق والعدالة والحرية. لكن عندما فقد العرب وحدتهم وتماسكهم فقد فقدوا قوتهم وفعاليتهم في الحكم وسقطوا فريسة للاستعمار. ومع بزوغ فجر الاستقلال، ورثت الحكومات العربية وسائل السيطرة: الجيوش والشرطة و البيروقراطية التي مكنت الحكومات المركزية من توسيع حكمها وتمركزه. واتسعت نشاطات حكومات ما بعد الاستقلال لتشمل حفظ النظام لإدارة سياسات التطوير الشاملة وتوسيع دور الدولة بشكل كبير. فقد فهم الوطن العربي الحاجة للتطوير وقد أحرز بالفعل تقدماً ملحوظاً في بعض المجالات. لكن التحديات الحالية والمستقبلية بالغة الأهمية، فهي تهدد مستوى العيش والأمن والاستقرار في الدول العربية. إن محاولات شرح أو فهم أسباب الأزمة العربية الحالية تبرز في الغالب الكثير من المفاهيم التقليدية المتوقعة. ولا يوجد عامل واحد يفسر المشاكل أو يقود إلى الحل. بينما يستمر تشويه الصورة العربية والتشكيك في حقوق العرب من قبل أعدائهم، و العرب أنفسهم أساؤوا فهم وتشخيص إدارة قضاياهم ونطرح فيما يلي بعض القضايا الرئيسة:

- **الحكم والتطوير المؤسسي**: يعد إصلاح الحكم السياسي والإداري من أصعب التحديات التي تواجه الدول العربية. فعلى مدراء القطاع العام العرب والقادة السياسيين أن يفهموا وأن يمارسوا الإدارة التعاونية وعليهم أن يعدّلوا الأساليب التقليدية للحكم السلطوي. تشكل الإدارة العامة التعاونية أسلوباً لحل المشاكل متجاوزاً الحدود التنظيمية. إن الإدارة العامة الفعالة هي إدارة شفافة، تخضع للمحاسبة وهي إدارة أخلاقية. والإنجاز المؤسسي الفعال يحتاج إلى التغيير المستمر المبني على تطوير المعرفة والبحث. سوف تتحول الدول العربية إلى دول مستهلكة غير فعالة في مجتمع المعرفة الدولي إن لم تعتمد على قاعدة متنامية أساسية للمعرفة.

- **سوء فهم أنواع أخرى من القوة**: لم تفهم الدول العربية ولم تستطع أن تطور مجتمعاً مستقراً متطوراً. رغم أن القوة العسكرية ضرورية للدفاع عن الدولة، فإن مثل هذه القوة غير كافية إن لم تدعم بأساس آخر من القوة أكثر استمرارية مثل القوة النابعة من التطوير المتزن واتباع مبادىء العدالة والالتزام الكامل بقيم المساواة، بغض النظر عن الجنس أو العائلة أو الثروة. ويمكن لمثل هذه القوة الداخلية أن تولد الثقة والدعم من الشعوب، وأن تدعم السلطة الأخلاقية للحكم، ويمكن لها أن تضمن الاستقرار والتطور المستمر. ويرتبط نوع آخر من القوة بعامل الوحدة العربية. إن القوة المتكاملة للوطن العربي قد أسيء إدارتها أو أهمل استغلالها، فقد كانت وما زالت الوحدة العربية مصدر إلهام للشعوب العربية لكن معظم المحاولات لبناء هذه الوحدة كان مصيرها الفشل. فيبقى الوطن العربي مجزءاً تمزقه التناحرات والخلافات وبالتالي فاقداً لأهميته ودوره في السياسة الدولية.

- **القضية الفلسطينية والاحتلال الأجنبي لبعض الأراضي العربية**: يبقى الصراع في فلسطين واحداً من أكثر الصراعات تعقيداً وديمومة في التاريخ الحديث. فالمأساة هي عبارة عن مثال حي لفشل وعدم عدالة السياسات الغربية. فالقضايا واضحة للشعوب العربية، فأن يكون الشخص عربياً أو مسلماً هو سبب كاف للتمييز العنصري و التقييد لهذا الشخص في الغرب وهذا الوضع يحتاج إلى فهم عميق ومعالجة فعالة.

- **العولمة**: إن العولمة عبارة عن روابط عالمية بآثار مختلفة، ففي الوضع العالمي الجديد، فإن الأنظمة العربية لديها الخيار بأن تتأقلم أو تخسر اللعبة. فإذا لم تتفهم الدول العربية

الوضع وتغير من سياستها الإدارية فإنها ستبقى مهمشة في الساحة العالمية. فلكي تكون الدول جزءاً من النظام العالمي هناك متطلبات عليها القيام بها ومنها تطوير القطاع السياسي والإداري.و يواجه الوطن العربي الكثير من القضايا ولديه القليل من الحلول ظاهرياً.

يطمح هذا البحث إلى توليد نقاش عميق والمساهمة في مزيد من التحليل لهذه القضايا، وهذا ضروري من أجل التوجه للحلول الإيجابية. فإدارة التغيير الجدية بحاجة إلى تفهم أعمق ومعالجة واضحة للمشاكل التي تواجه الدول العربية. ولذلك فالنقاش العام وتبادل الآراء الرسمي وغير الرسمي مهم جداً من أجل اتخاذ القرارت.

✱✱✱✱

Arab issues: understanding and Misunderstanding

Jamil Jreisat, Professor

Abstract

Department of Government and International Affairs University of South Florida Tampa,FL, 33620-8100 USA

Abstract

The Arab world today is at a critical juncture in history, facing many internal and external issues and challenges that could lead to a brighter future or cause sliding into perilous paths. Few regions of the world possess such remarkable human and material resources, strategic locations, historical depth, and cultural richness as the Arab world. Nevertheless, few regions have underutilized or mismanaged their national assets as the Arab countries did.

History indicates that the first organized Arab state had demonstrated an outstanding capacity in assimilating other cultures and promoting positive values of ethics, justice, and liberty. When the Arabs lost unity and cohesiveness, they lost strength and effectiveness of governance, and became occupied by others.

With independence, Arab governments inherited the means of control: armies, police, and bureaucracies that allowed the central governments to extend their rule and bolster centralization tendencies. Activities of governments in the post-independence time began to extend beyond the maintenance of law and order to manage comprehensive development policies, expanding the role of the state, considerably.

The Arab world understood the need for development and actually made significant progress in certain areas. But current and future challenges are grave; they threaten standards of living, security, and stability of each country. Attempts to clarify or define causes of current Arab dilemmas often bring out many preconceived notions and dismissive judgments. There is no single factor that explains the stalemate or illuminates solutions. While distortion of the Arabs and de-legitimization of their grievances by their adversaries are constant, the Arabs themselves often misunderstand, misdiagnose, and mismanage their issues. These are some key areas of concern:

Governance and Institutional Development. Reforming governance (political and

administrative) is among the most formidable challenges facing the Arab states. Arab public managers and political leaders have to understand and practice collaborative management, and modify traditional methods of authoritarian control. Collaborative public management is a problem-solving approach that reaches beyond one organizational boundary. Effective public management is accountable, transparent, and ethical. Also, effective institutional performance is attainable through constant change grounded in vibrant, relevant, and reliable research and knowledge development. Without a significant and growing knowledge base, Arab countries will be relegated to mere passive consumers in the international knowledge society.

Misunderstanding Other Types of Power. The Arab countries have not understood nor genuinely acted upon the power of developing a stable, progressive, and equitable society. Whereas military power is necessary for defending the state, such power is insufficient if notreinforced with other basis of power that is more durable and sustainable such as the power that emanates from a balanced development, from applying principles of justice, and from manifesting unfettered commitment to egalitarian values, irrespective of gender, family, or wealth. Such inner strength generates trust and support of the people, enhances the moral authority of governance, and ensures stability and continued progress. Another source of power is linked to Arab unity. Collective power of the Arab world is grossly underutilized and poorly managed. Arab unity has been an aspiration of the Arab people but various attempts to build such unity failed. I he Arab world remains fragmented, torn by feuds and conflicts, hence, ineffective in global politics.

The Issue of Palestine and Foreign Occupation of Other Arab Lands. The conflict in

Palestine remains one of the most complex and long-lasting in modem history. The tragedy is a living illustration of political failures and dishonest Western policies. The issues are well-known to the Arab people. One consequence that needs better understanding and more effective action is the fact that being an Arab or a Muslim in a today's Western society is the most restrictive and a cause of troubling prejudice.

Globaliwtion. Globalization is worldwide linkages with varied impacts. Within the new context of a globalizing world, the Arab systems of governance have a choice of adapting or losing the game. Unless the Arab

states understand and adapt their political and administrative processes, they will remain disadvantaged or less benefiting by the new global realities. Being a partner in the global order rather than a mere subject has its prerequisites, not the least of which is the further development of competence and ethics in both sectors of politics and administration.

The Arab world is facing many issues with few apparent solutions. This presentation aspires to stimulate thoughtful discussion and, hopefully, contribute to further articulation and analysis of the issues. Such process is imperative for discerning possible directions for improvement. Actually, serious change initiatives necessitate greater understanding and clearer articulation of the problems facing the Arab countries. Accordingly, public debates as well as official deliberations are vital for rational public decision making.

✱✱✱✱

رئيس الجلسة

شكرًا أستاذنا. الموضوع الحقيقة شاسع وكبير وحيوي، وقابل للحوار والنقاش وإبداء الرأي، فيه الكثير من النقاط التي أثيرت، لكن الوقت داهمنا والوقت أقل بكثير مما تستحق هذه الأوراق وهذه الأبحاث. نتمنى أن نتابع هذه الموضوعات عندما تنشر هذه الأبحاث. باسمكم جميعًا أشكر الأساتذة، الدكتور الحسان بوقنطار والدكتورة أُنْس دباش، والدكتور جميل جريسات.

ملاحظة: (لم يسمح الوقت لإجراء مداخلات في نهاية الجلسة)

✱✱✱✱

الجلســـة الثالثة

محـور: حوار الثقافات طريقة إلى حل القضايا

رئيسة الجلسة: د. زهرة حسين

أحييكم أحسن تحية في هذا الصباح الجميل وأرحب بكم في هذه الجلسة الثالثة من مؤتمر حوار الحضارات والتعايش بين الثقافات والأديان: عالم اليوم عالم الثقافات والمصالح. محور جلسة اليوم هو حوار الحضارات كطريقة لحل القضايا، وبالنيابة عن الأكاديميين في الجامعة والناس المهتمة بقضايا السلام والتعايش أحيي مؤسسة البابطين على هذا الجهد الثمين في التقريب بين الحضارات والثقافات وإتاحة هذه الفرصة للناس المهتمة أن تتناقش مع هذه القضايا وتأخذ هذا الموضوع المهم نحو خطوات عملية نتواصل فيها، ولربما أتت مع العولمة ثقافة السلام والحوار والتعايش وإيجاد المشتركات التي من شأنها أن تفضي إلى مصلحة الجميع. متحدثو اليوم ثلاثة من الأساتذة الأفاضل وهم من كبار المتخصصين في العلوم الإنسانية، أرحب بالدكتور عبدالله الجسمي من الكويت، والدكتور ماسيمو باكيغالوبو من جامعة جنوا في ايطاليا والدكتور باتريك باراندر من جامعة رادنج في بريطانيا. أرحب بالمتحدثين الثلاثة أولاً ثم بعد ذلك نفتح باب الحوار والمناقشة. نبدأ جلسة اليوم بالدكتور عبدالله الجسمي، فليتفضل بتقديم ورقته حول منطلقات أساسية لتعميق حوار الحضارات.

د. عبدالله الجسمي

شكرًا دكتورة زهرة وأسعد الله صباحكم.

****

منطلقات أساسية لتعميق حوار الحضارات(*)

د. عبد الله الجسمي

الحوار ظاهرة من الظواهر الصحية في أي مجتمع من المجتمعات فالأفراد والمجاميع والدول وغيرها عندما تدخل في حوار مع بعضها البعض فذلك مؤشر على إمكانية الوصول إلى نتائج يمكن أن تساهم في الحد من الكثير من الخلافات والاختلافات بين مختلف الأطراف في العالم. فمن يتصفح تاريخ الإنسانية سيجد بأن الحروب والاقتتال وغيرها من مظاهر العنف كانت اللغة السائدة منذ العالم القديم وحتى نهايات القرن العشرين وإن اختلفت الوسائل والأهداف. فعلى الرغم من التطورات العلمية والتكنولوجية والثقافية التي حدثت في تاريخ البشرية إلا أن نزعة الهيمنة والقوة مازالت تتحكم إلى حد كبير في عالم الإنسان. ولقد وصلت البشرية إلى مرحلة من التطور الثقافي والفكري الذي يجعل العقلاء فيها يسعون إلى اتباع وسائل حضارية للعلاقة بين الشعوب والدول المكونة لعالم اليوم، ولعل خير وسيلة لذلك هي الحوار. فالحوار هو البديل لأساليب القوة والعنف الذي يمكن من خلاله تحقيق أرضية مشتركة بين الشعوب والثقافات المختلفة.

وستناقش هذه الورقة موضوع «حوار الثقافات» الذي يعد من الموضوعات التي تستقطب الاهتمام في أنحاء مختلفة من العالم وسيتم تقسيمها إلى أربعة أجزاء. يتناول الجزء الأول الأسباب التي تدفع بالاهتمام في حوار الثقافات خصوصاً في العقدين الأخيرين، ثم استعراض العوامل التي تساهم في تعزيز ونجاح حوار الثقافات والعوامل الأخرى التي تعيقه. ويتناول الجزء الثالث الأدوات النظرية لحوار الثقافات التي تتجسد في المنهج والمنطق وكيفية الوصول للحقيقة. أما الجزء الأخير فيحلل حوار الحضارات كمفهوم والعناصر التي تكونه.

لماذا حوار الثقافات؟

قبل الحديث عن حوار الثقافات وما يتضمنه من جوانب تتعلق بطبيعته وإيجابياته أو العوائق التي قد تعترضه تجدر الإشارة إلى قضية هامة وهي السؤال الذي تم اختياره

(*) اختار الباحث عبارة «حوار الثقافات» عنوانًا لهذه الورقة.

عنواناً لهذا الجزء من البحث وهو: لماذا حوار الثقافات؟ وما هي أهمية التركيز على الثقافة في عملية الحوار مع الآخر؟ في ظل عالم يتجه إلى العولمة وتنتشر فيه الثقافة الاستهلاكية بين شعوب المعمورة. والإجابة على السؤال أعلاه نعرج على الأسباب التي دفعت لبروز حوار الثقافات والتي يمكن تلخيصها في ما يلي:

أولاً: نهاية الحرب الباردة

شهد العالم في معظم عقود القرن العشرين صراعاً بين قطبين أساسيين هما المعسكر الرأسمالي الغربي والمعسكر الاشتراكي الشرقي في ما عرف بالحرب الباردة التي كانت حرباً تم فيها استخدام جميع أنواع الأسلحة ما عدا الأسلحة النووية. وقد كان جوهر الصراع إيديولوجياً خصوصاً من قبل المعسكر الاشتراكي الذي كان يستند على الماركسية كأساس عقائدي في بناء النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي والقيمي. وقد انتشر الفكر الاشتراكي في معظم بقاع العالم سواء كدول أو كحركات تحررية تسعى للثورة على واقعها وتحويله إلى دول اشتراكية. وكانت ردة فعل الدول الرأسمالية كبيرة حيث رأت في الفكر الاشتراكي خطراً عليها. ولم يكن في ظل الصراع بين الشرق والغرب إمكانية للحوار لكون الطرفين يمثلان نقيضين لا يقبل أحدهما بالآخر، وتميز المعسكر الشرقي بالطرح الإيديولوجي العقائدي الجامد واليقين المطلق بصحة الأفكار الاشتراكية قابله اعتقاد مماثل بقيم الرأسمالية والديمقراطية الغربية. ولكن مع انهيار المعسكر الاشتراكي في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن الماضي وانتصار المعسكر الغربي تلاشى طابع الصراع الإيديولوجي وبرزت ظاهرة (العولمة) كبديل لحالة الصراع السابقة مع تفرد الأطراف الغربية خصوصاً الولايات المتحدة في قيادة العالم. وأصبحنا أمام واقع وعالم جديدين يتطلب وضع أسس جديدة للعلاقة ما بين الأطراف المختلفة فيهما والتي أصبحت بالتدريج تمثل تكتلات اقتصادية أو سياسية[1]. وهنا تأتي مسألة الحوار بديلاً عن حالة الصدام والصراع السابقة بين القوى المتباينة في الفكر والمنطلقات السياسية والاقتصادية.

---

1 - Graw Likowski, Krzystof, Some General Remarks on The Dialogue Among Civilizations, Dialogue and Universalism, Vol XII, No. 11, 12, 2002, p.27.

ثانياً: تراجع الإيديولوجيا

لم يكن انهيار المعسكر الاشتراكي سياسياً واقتصادياً فقط بل مثل سقوط الإيديولوجيات كأداة فكرية في صياغة الواقع وبناء نظام سياسي واقتصادي واجتماعي مبني على الفكر النظري. فقد ثبت بأن النظرة الإيديولوجية أصبحت نظرة خيالية ومثالية للواقع حيث كانت تصور الواقع بكل مقوماته ومشكلاته من نظرة أحادية تكاملية وتطرح نفسها كبديل للواقع المخالف لها. وتراجع الإيديولوجيا يعني أيضاً تراجع الفكر الذي كان يمثل وسيلة نظرية أو فكرية تجمع أناسًا من مختلف الثقافات والقوميات والطوائف وغيرها لتمثل بديلاً عن الأطروحات السابقة التي تعتبر عامل تفرقة بين شرائح اجتماعية من شعب معين، أو بين شعوب العالم المختلفة. فقد كان انتشار الفكر اليساري وخصوصاً بعد الحرب العالمية الثانية في العالم أداة توحيد بين قوى من شعوب مختلفة وجدت نفسها في فكر أممي تجاوز القوميات والثقافات الخاصة للشعوب. لكن بعد انهيار المعسكر الاشتراكي وإيديولوجيته اختفى الرابط الذي كان يوحد شعوبًا وقوميات مختلفة في دول المعسكر الاشتراكي وكذلك قوى أخرى من دول العالم الثالث والذي كان بديلاً فكرياً لثقافاتها ومعتقداتها، فعادت تلك الشعوب لثقافاتها الأصلية وعادت معها نزعة القوميات والثقافات المكونة لها على السطح وأصبحت بديلاً عن الأفكار التوحيدية. ولعل أسطع مثال على ذلك ما حدث في الاتحاد السوفيتي بعد تفككه، إذ ظهرت الصراعات القومية والعرقية بين الشعوب التي كانت يومًا ما تحمل جنسية واحدة وأخذت تنكفئ على ثقافاتها الخاصة وتحيي العديد من مظاهرها التي قمعت إبان الحكم الشيوعي. وقد ظهرت مظاهر متطرفة في التعبير عن القومية والثقافة الخاصة بها وصل بعضها لدرجة العنف والاقتتال مع القوميات الأخرى.

إن تراجع الإيديولوجيا عن الساحة العالمية كعامل من العوامل التي تطرح فكراً توحيدياً أعاد مرة أخرى دور القوميات والثقافات لتكون بديلاً لها. ونظراً لوجود العديد من الثقافات التي تختلف جوهرياً عن بعضها البعض يشعر العديد ممَّن ينتمون إلى ثقافات مختلفة وكأنهم في حالة صراع مع الثقافات الأخرى. من هنا جاءت فكرة حوار الثقافات

لتحل محل الصراع أو الصدام الذي يمكن أن يحدث بين شعوب العالم المختلفة بكل أطياف ثقافاتها كي توجد حالة من التعايش السلمي بينها وتقلل من اختلافاتها وتنمي الجوانب الإيجابية في ما بينها.

ثالثاً: غياب الفلسفات الشمولية

ألقت التحولات التي حدثت في الفلسفة منذ نهايات القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بظلالها أيضاً في هذا السياق. فحتى القرن التاسع عشر كان التفكير الفلسفي يأخذ طابعاً شمولياً بمعنى يعطي نظرة شمولية للحياة من جانب فكري واحد يتم تفسير العالم وما يجري فيه من خلالها. وقد تربع الفيلسوف الألماني هيجل على قمة التفكير الفلسفي في القرن التاسع عشر الذي مثل مذهبه المثالي ذروة الأفكار الفلسفية الشمولية المطلقة، لدرجة أن من جاء من بعده من الفلاسفة كان إما مؤيداً له أو مناقضاً لأفكاره في المضمون لا الشكل. وأفضل مثال على ذلك الفيلسوف كارل ماركس. هذا الطابع الشمولي أيضاً كان ذا طابع توحيدي ويأخذ أبعاداً سياسية واجتماعية وثقافية. لكن كان للثورة التي قام بها العديد من الفلاسفة خصوصاً الأنجلوسكسونيين أمثال البراجماتيين في أميركا والتحليليين في بريطانيا، فحدث تحول نوعي في طابع التفكير الفلسفي الذي تحول من الواحدية الميتافيزيقية إلى التعددية القائمة على الواقعية الجديدة ومن الكليات إلى الجزئيات ومن الاهتمام بالوجود ونظرية المعرفة إلى التركيز على الفعل واللغة والمنطق، حيث هيمن التحليل اللغوي على معظم القرن العشرين. والتحول من النظرية الواحدية المطلقة إلى التعددية أحدث تحولاً في مفهوم الحقيقة الفلسفية والحقيقة بشكل عام إذ تحولت إلى واقعة ممكنة التحقق أو متعينة أيضاً أي تحولت إلى مسألة نسبية نظراً لكونها متعينة وتتشكل في الواقع. وقد كان للتركيز على الفعل كأساس لبعض الفلسفات أو بعض التيارات في بعض الاتجاهات الفلسفية أثره في ربط الفعل بالثقافة وتفسير الأفعال ضمن الأطر الثقافية التي تنتمي لها ولكونها في النهاية تعبر عن جوانب ثقافة نسبية تعبر عن خصوصيات الشعوب وقيمها.

لقد نتج عن غياب التفكير الفلسفي ذي الطابع الشمولي أن قاد إلى، إن جاز التعبير، تشظي الثقافة، فالتعددية الفلسفية ونظيرتها التعددية السياسية خلقت واقعًا جديداً تمثل

في وجود واقع سياسي وفكري يقوم على تعددية ثقافية داخل المجتمع الواحد خصوصاً إذا ارتكز على الأفكار السياسية. وهذا بشكل عام يعكس طابع تيار ما بعد الحداثة الذي تعبر عنه الاتجاهات الفلسفية والفكرية التي تمت الإشارة إليها سابقاً.

رابعاً: العولمة

المنحى الذي يأخذه العالم اليوم نحو العولمة، الظاهرة التي مازالت في طور التبلور ولم تأخذ شكلها النهائي بعد، شكل هاجساً قوياً لمعظم شعوب المعمورة نتيجة للمؤثرات الثقافية التي أخذت تنتشر في أنحاء متفرقة من العالم خصوصاً الثقافة الاستهلاكية التي أخذت تلاقي صدىً قوياً عند الفئات الشابة لمختلف الشعوب. وقد دفع ذلك الكثير ممن يريدون الاهتمام بثقافتهم والحفاظ عليها وعلى هويتهم باتخاذ مواقف منها. فقد كان لتطور وسائل الاتصالات ونقل المعلومة الأثر الأكبر في التأثير على الثقافات الأخرى والتي تم استخدامها من القوى المؤثرة عالمياً سواء أكانت سياسية أم اقتصادية. فقد ساهمت بنشر الثقافة الاستهلاكية التي أزاحت جانباً قيم وعادات عدد من الشعوب ونشرت ثقافة (التشيؤ)، أي حولت النظرة إلى العالم وما فيه إلى نظرة شيئية بما فيها الإنسان الذي أصبحت قيمته بما يقتنيه من أشياء. وأمام السيل العارم من الأفكار والقيم التي ينقلها الصوت والصورة وغيرها برزت ظاهرة الانعزال الثقافي في مواجهة ثقافة العولمة الاستهلاكية السائدة. وهناك بعض النقاط التي يمكن الإشارة إليها مهدت لفرض موضوع حوار الثقافات كحاجة ملحة للواقع العالمي الجديد وهي:

أولاً: المواجهة التي تحدث حالياً هي بين ثقافات محلية لها جذورها وقيمها ومعتقداتها من مئات السنين ولربما أكثر، وثقافة عالمية استهلاكية لها قيمها ومفاهيمها الخاصة. هذه الثقافة لا تمثل فكراً أو ذات طابع إيديولوجي، وهنا تكمن سهولة انتشارها ومن ثم تهديدها للثقافات الأخرى. فلو كانت تمثل معتقدات أو اطروحات فكرية لتصادمت مع الثقافات الأخرى ومعتقداتها وقيمها التي تعبر عنها، لكن هناك ثقافة قائمة على الاستهلاك بالدرجة الأولى وبالتالي استطاعت اختراق الحواجز الثقافية في مختلف بقاع العالم.

ثانياً: قاد ما سبق إلى المواجهة والانعزالية واتخاذ البعض مواقف حادة تجاه الثقافة الاستهلاكية وغيرها من ثقافات أخرى، خصوصاً للدول الصناعية والغنية، وأصبحت تنظر لتلك الثقافات على أنها خطر يهدد ثقافة ومعتقدات شعوبها، وبالتالي تأتي مسألة محاربتها بشتى الوسائل على جدول أولويات من يريد الحفاظ على ثقافته وهويته الوطنية. وقد نتج عن ذلك مظاهر من التطرف والأصولية وتم استخدام الوسائل المسموح وغير المسموح بها في عملية مواجهة الثقافات الأخرى.

ثالثاً: ساهمت مسألة تجاوز الحدود بين العديد من الدول والارتباط باقتصاد معولم في تقليص دور الدولة الوطنية أو القومية وجعل جانباً كبيراً من قراراتها الاقتصادية وأحياناً السياسية بيد قوى خارجية اقتصادية، كالشركات متعددة الجنسيات، وهذا أثر بدوره على الثقافة الوطنية والقومية لتلك الشعوب مما ساهم بمحاولات العديد من القوى والأطراف المحلية للعمل على المحافظة على هويتها الثقافية أمام زحف ثقافي تسانده التكنولوجيا، حوّل العالم إلى قرية صغيرة وجعل انتقال الأفكار وكافة المؤثرات الثقافية سهلاً بين الجميع.

كل ما سبق يعزز مسألة الحوار بين الثقافات لأن عالم اليوم الصغير لابد وأن تتعايش دوله وشعوبه بسلام ولابد من قبول الآخر وقيمه ومعتقداته وثقافته، فإذا كانت هناك اختلافات ثقافية ودينية وعرقية فهناك موضوعات عديدة مشتركة تمس الجميع وأصبحنا في عالم يتجه نحو العولمة فلابد من الحوار لحل قضايانا المشتركة والتغلب عليها من جهة والتعايش مع بعضنا البعض من جهة أخرى.

العقبات التي قد تقف أمام حوار الثقافات

هنالك بالطبع عقبات كثيرة تقف أمام إيجاد أرضية سليمة لحوار الثقافات بعضها يتعلق بعوامل خارجية مثل السياسة والمصالح الاقتصادية وغيرها وبعضها الآخر يتعلق بطبيعة الثقافات نفسها. فهناك ثقافات يخلق طابعها إشكاليات في الحوار مع الآخر أو الآخرين، وسيتم التركيز هنا على العقبات التي تتعلق ببعض الثقافات والتي تخلق صعوبات في تحقيق أرضية مشتركة للحوار الثقافي مع الثقافات الأخرى.

أولاً: هل توجد ثقافة خالصة في عالم اليوم؟

عالم اليوم الذي نعيشه بعد التطور الحضاري الذي شهدته الإنسانية لم يعد من الممكن أن نجد فيه ثقافة خالصة ونقية يؤمن بها جميع أفراد المجتمع المتمثل في أمة ما من الأمم. فلو نظرنا إلى مثالين وهما الثقافة الغربية والعربية سنجد بأننا لا يمكن أن ننظر إليهما من منظور ثقافي واحد فقط. فالثقافة الغربية تقوم بالأصل على التعدد والتنوع الفكري والديني والفلسفي وتحتوى معظم الدول الغربية اليوم على أقليات عرقية ودينية مختلفة تشكل مع الثقافة الأصلية للدول التي تعيش فيها خليطاً متنوعاً من الاعتقادات والقيم والممارسات المختلفة. علاوة على ذلك التنوع السياسي الفكري وأبعاده الثقافية التي تخلق تبايناً في مواقف ونظرة الأحزاب والتيارات المختلفة من الأمم والشعوب والثقافات الأخرى.

أما بالنسبة لواقعنا العربي فالثقافة العربية ليست نقية أو خالصة هي الأخرى، إذ تتضمن مجموعة من الثقافات المختلفة فهناك ثقافة الصحراء والقبيلة وهناك ثقافة الريف وأخيراً ثقافة المدينة. صحيح أن هناك بعض القيم والعادات المشتركة إلا أنه توجد اختلافات في قيم وعادات أخرى، والمجتمع العربي اليوم يعيش في تحولات كبرى ويقع تحت مؤثرات ثقافية خارجية حيث تتأثر شرائح كثيرة فيه بمؤثرات ثقافية مختلفة خصوصاً الغربية، ويمر في حالة من عدم الاستقرار الثقافي بسبب سرعة تلك التحولات. من هنا فإن الحديث عن ثقافة واحدة ومتجانسة أصبح غير واقعي إن لم يكن مستحيلاً في عالم اليوم القائم على التعددية الفكرية والثقافية.

والأمر الهام الذي يطرح نفسه هنا هو إذا كان هناك تنوع أو تعددية ثقافية داخل المجتمع الواحد أو الثقافة القومية العريضة هل من الممكن قيام حوار ثقافي مع الثقافات الأخرى؟ والإجابة قد تكون بنعم أو لا. تكون بنعم في حال وجود حوار بين الشرائح الثقافية المختلفة في القومية أو الأمة الواحدة والذي يجعلها تتعايش مع بعضها البعض ضمن إطار اجتماعي وثقافي عام، ويمكن بذلك أن تتحاور مع الآخرين. أما الثقافات التي لا يوجد بين شرائحها الثقافية المختلفة حوار خصوصاً إذا كانت تتضمن اختلافات على

أسس قبلية أو عرقية أو طائفية كما هو حاصل في مجتمعنا فإن ذلك سيعكس نفسه على طبيعة الحوار مع الآخرين. إذ كيف نطالب بوجود حوار مع الثقافات الأخرى بينما يغيب هذا الحوار في ما بيننا؟! يضاف إلى ذلك في أي وجه ثقافي ممكن أن تتحاور ثقافة مع أخرى في ظل التنويع الثقافي الموجود داخل الأمة أو القومية الواحدة؟ هذه التساؤلات لا بد وأن تؤخذ بالحسبان في حال طرح إشكالية حوار الثقافات.

ثانياً: الأسس التي تقوم عليها الثقافة

كل ثقافة أياً كانت لابد وأن تقوم على أسس فكرية وتعكس طريقة التفكير السائدة في مجتمع ما وبناء على تلك الطريقة من التفكير تشكل المظاهر الثقافية المختلفة. ولا شك بأن التفاوت الثقافي الذي نشهده بين الثقافات يعود إلى طبيعة الأسس التي تقوم عليها كل ثقافة. فلو رأينا الثقافة الأوربية وكذلك الثقافة الإسلامية في العصر الوسيط سنجد بأن الديانة وطريقة التفكير الدينية كانت الأساس الذي انطلقت منه كل ثقافة. ولعل أسطع مثال على ذلك المظاهر الفنية المختلفة التي تميزت بها كل من الحضارتين. وعليه فإن الأسس التي تنطلق منها الثقافات المختلفة تلعب دوراً في تسهيل أو تعقيد الحوار الثقافي بين الثقافات. وهنالك مثالين على اختلاف الأسس والمنطلقات الثقافية وهما الثقافة الغربية والثقافة العربية. سنجد في الثقافة الغربية بأن المرتكز الأساسي لها هو العلم الذي شكل جوانب مختلفة من حياة الإنسان الغربي وطريقة تفكيره ومن ثم ثقافته. فهناك سمات مثل الواقعية والروح التجريبية والتفكير العلمي تميز الجوانب التي يتم التعامل فيها مع الواقع وكذلك الجانب المتعلق بالأبعاد الفكرية مثل حقوق الإنسان والديمقراطية والتعددية الفكرية والحريات الشخصية وغيرها. في المقابل نجد الثقافة العربية تقوم على أسس مختلفة منها العادات والتقاليد الاجتماعية، المفاهيم القبلية والطائفية، ومنطلقاتها الفكرية ذاتية الطابع ويغلب عليها التفكير العاطفي لا العقلاني أو العلمي ويتم التعامل مع الواقع بطريقة عاطفية تغلب عليها التمنيات الذاتية ويغيب عنها في نفس الوقت مظاهر الحرية وحقوق الإنسان والتعددية الفكرية والحريات العامة والشخصية.

نحن إذاً أمام ثقافتين مختلفتين في الأسس والمنطلقات وطريقة التعامل مع الواقع والمظاهر الفكرية الناتجة عنها وبالتالي ستواجه عملية الحوار بين ثقافتين من نمطين مختلفين عقبات كثيرة، إذ قد لا توجد أرضية كبيرة مشتركة بينهما من حيث الموضوعات أو القضايا التي تشكل نقاط اتفاق بل تغلب عليها نقاط الاختلاف، وبالتالي قد يعرقل ذلك نجاح عملية الحوار بينهما. كما أن المسألة لا تتعلق بالأسس والمنطلقات بل بالأدوات والمناهج والأساليب المستخدمة في كل ثقافة للوصول للحقيقة والتعامل مع الواقع والقضايا أو المشكلات التي تواجهها الثقافات المختلفة وكيفية التعامل معها وتفاعلها مع ثقافات العالم الأخرى وسنتطرق للمزيد من التفاصيل حول ذلك لاحقاً.

ثالثاً: الثقافة القائمة على الأطروحات القومية والعرقية

تمثل الثقافة التي تنطلق من أطروحات قومية أو عرقية إحدى عقبات نجاح الحوار بين الثقافات. فالمنطلقات العرقية أو القومية غالباً ما ينتج عنها ثقافة شوفينية أو عنصرية لا يمكن أن تتقبل الأفراد المنتمين لأعراق أو قوميات أخرى خصوصاً إذا انتشرت فيها الأفكار التي تصنفها في أعلى المراتب بين الشعوب. هذا النمط من الثقافة يتميز بفكرة الإقصاء أو الإلغاء ولا يمكن أن يخلق حواراً ثقافياً يتعلق بقيم ولا مفاهيم تلك الثقافة مع الثقافات الأخرى التي هي بالأصل ما يميز قومية معينة عن قومية أخرى.

رابعاً: الثقافات المنغلقة على نفسها

هناك نمطاً من الثقافات تتميز بالانغلاق على الذات والانعزالية وكأن الأفراد الذين ينتمون لتلك الثقافة يعيشون لوحدهم في العالم. وهذا النمط من الثقافة يعكس طريقة التفكير التي ترى في الثقافات الأخرى خطراً عليها وتتعامل مع أفكارها على أنها غزو ثقافي، بل وترى العالم وما يجري فيه من تطورات تهديداً لها ولكيانها وبالتالي تسعى لعزل نفسها عن المؤثرات الخارجية ويتم توريث أفكارها للأجيال المتعاقبة وبطريقة عقيمة وتفتقر لأيٍّ من مظاهر التجديد أو التطوير.

خامساً: تسييس الحوار الثقافي وأهدافه

هناك العديد من الأطراف في عالم اليوم تسعى لتسييس حوار الثقافات وأهدافه وتحويله من حوار ثقافي إلى سياسي مبطن أو ذي أهداف سياسية واضحة الهدف منه جر بعض الثقافات إلى مواقف وقيم الثقافات الأخرى تحت حجج وذرائع مختلفة، خصوصاً إذا كان هناك خصومة ذات طابع عرقي أو ديني أو حضاري بين الثقافات المختلفة. كما أن البعض خصوصاً في ثقافات الشعوب الصناعية والمتقدمة يعمل على استلاب الثقافات الأخرى للشعوب المغلوبة على أمرها وبدلاً من أن يحاورها ثقافياً يسعى لجعلها تابعة ثقافياً له.

خامساً: هنالك تساؤل هام حول الأفراد الذين يناط بهم الحوار بين الثقافات المختلفة ويتلخص ذلك في السؤال التالي: من يحاور من؟ ومن هم الأشخاص المؤهلون للحوار وما هي تخصصاتهم؟ هل هم السياسيون؟ أم الاقتصاديون أم علماء الاجتماع؟ هل هم الفلاسفة أو المفكرون أم المثقفون؟ وإلى أي اتجاهات فكرية أو مدرسية ينتمون؟ وهل يحق لأيٍّ منهم محاورة الآخرين نيابة عن المجتمع أو الشرائح الاجتماعية والاتجاهات الفكرية الأخرى حتى وإن كانوا يختلفون معها؟ هذه أسئلة لابد من طرحها للوصول إلى من المخول أن يحاور الآخرين ومدى الشرعية التي يتمتع بها لتمثيل ثقافة المجتمع بكافة فئاته وشرائحه.

سادساً: قد يكون وجود الدولة يشكل عائقاً أمام إحداث حوار ثقافات حقيقي بين الثقافات المختلفة. والمقصود بذلك أن قيادات الدول تتعامل مع الآخرين وفق رؤية سياسية أو اقتصادية وأحياناً عسكرية معينة وتحركها المصالح بالدرجة الأولى والتحالفات مع من يتفق معها في السياسات لا في الفكر أو الثقافة، كالصين على سبيل المثال أثناء الحرب الباردة والتي كانت الأقرب فكراً وثقافة للمعسكر الاشتراكي ولكنها أقرب سياسياً واقتصاديا للمعسكر الرأسمالي. وهذه المسألة تعكس نفسها على الحوار بين الثقافات والذي أصبح يخضع لسياسات الدولة ومصالحها.

سابعاً: الحوار الثقافي لا يمكن أن يكون أحادي الاتجاه بمعنى عندما تكون حضارة أي أمة أو ربما دولة كبيرة متقدمة على الدول الأخرى من النواحي الاقتصادية والعلمية وغيرها يجب أن لا تتعامل مع الثقافات الأخرى التي تمثل الدول الأدنى منها قوة أو قدرة

اقتصادية على أنها أدنى منها ثقافياً وفكرياً وتفرض عليها ثقافتها وقيمها، بل يجب أن تتفهم الأطر الثقافية لمن هو أقل منها مكانة وتتعامل مع قيمها ومفاهيمها بطريقة عقلانية وموضوعية لا فوقية أو متعالية. في المقابل لابد وأن تفهم جميع الأطراف طبيعة الثقافات المختلفة وأن يكون هناك رغبة لطرح تساؤلات حول الأفكار التي تحملها كل ثقافة على حدة من حيث الخلفية التي تستند عليها والمنظور الذي ترى به العالم[1] ومدى واقعيتها وملاءمتها لروح العصر وثقافته العامة.

العوامل التي تساعد على حوار الثقافات

إذا كانت هناك عقبات أمام حوار الثقافات فهناك بالتأكيد عوامل أخرى تساهم في تعزيز الحوار بين الثقافات ويمكن إيجازها أبرزها في ما يأتي:

أولاً: هنالك اليوم الكثير من القضايا المشتركة بين شعوب العالم المختلفة خصوصاً بعد نزوع العالم نحو العولمة. فالمشكلات التي تعاني منها الشعوب أصبحت مشكلات عالمية ولم تعد تقتصر على دولة أو أمة أو قارة ما. فالعولمة تعني في جانب منها بأن المشكلات أصبحت عالمية مثل تلوث البيئة، الأمراض المختلفة، الانفجار السكاني، تناقص الموارد الطبيعية، وغيرها. وحل هذه المشكلات يستدعي أيضًا جهداً عالمياً مشتركاً بين شعوب ودول العالم. فعلى سبيل المثال مشكلة التلوث كمشكلة عالمية تحتاج إلى جهد وعمل مشترك بين الجميع وفي حال غياب العمل والتنسيق المشترك لحل هذه المشكلة فإنها ستستعصي على الحل ولعل أبرز مثال على ذلك موقف الولايات المتحدة الأميركية من بعض الاتفاقيات المتعلقة بحماية البيئة الذي يعيق حل مشكلة التلوث على المستوى العالمي. لقد خلق النزوع نحو العولمة أرضية للحوار حول القضايا المشتركة العامة التي نتجت عن التطورات العلمية والتكنولوجية وإن كان معظمها ذا طابع مادي إلا أن لها أبعاداً ثقافية عند معظم شعوب المعمورة.

ثانياً: انتشار الأنظمة الديمقراطية في معظم أنحاء المعمورة ووجود حركات منادية بالديمقراطية وحقوق الإنسان في الدول غير الديمقراطية. وهذا يعني أن معظم شعوب

1. Ibid.

العالم تسير تقريباً على نفس النظام الديمقراطي وتحمل قيماً مشتركة مثل حقوق الإنسان والقيم ذات البعد الإنساني وثقافة تقوم على التسامح والحوار وهذا بلا شك يوفر أرضية صلبة لإقامة حوار ثقافات بين الشعوب والثقافات المختلفة.

ثالثاً: دفعت التطورات التي حدثت في المجتمعات إلى النزوع نحو الواقعية في التفكير فلقد كانت الكثير من الشعوب ترى في نفسها شيئاً مميزاً خصوصاً بعد انتشار فكرة القومية بوجهها الشوفيني في معظم فترات القرن العشرين. هذه النظرة تقلصت مع نهاية القرن العشرين وأصبحت الكثير من الشعوب تفكر بواقعية الأمر الذي بدد الكثير من الأوهام بتفوق أمة على غيرها وبالتالي ثقافة على غيرها، كما أن عالم اليوم وفي ظل النزوع نحو العولمة جعل من الشعوب ترتبط مع الشعوب الأخرى أكثر من قبل خصوصاً في الجانب الاقتصادي بحيث أصبحت اقتصاديات الدول مترابطة تقريباً، وفي حال انتعاش الاقتصاد أو تراجعه تتضرر جميع الدول والشعوب المنضوية في إطار اقتصادي معين، هذا غير الروابط الأخرى التي أدخلت الشعوب في علاقات مشتركة على العكس من السابق عندما كانت تعيش في أقاليم شبه منعزلة تقريباً.

رابعاً: لم يعد هناك تنوع حضاري في عالم اليوم حتى هذه اللحظة ولربما إلى المستقبل القريب. فهناك حضارة عالمية واحدة تسعى معظم شعوب العالم إلى تبني قيمها وأسلوبها الاقتصادي ألا وهي الحضارة الغربية الرأسمالية. والقيم التي تسعى إليها معظم شعوب العالم هي قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان واحترام التعددية الفكرية والثقافية وغيرها. فالحضارات التي قامت في العالم القديم وقبل عصر النهضة الأوربية اتسمت بتنوعها الديني والثقافي لأنها كانت تمثل معتقدات وشعوبًا مختلفة[1] . لكن عالم اليوم يتحكم فيه العلم والتكنولوجيا بالدرجة الأولى وأصبحت الطريقة التي تدار بها الدول تقريباً واحدة وهي النظام الديمقراطي القائم على قاعدة التعددية السياسية وبالتالي فشعوب العالم تتجه غالبيتها الساحقة لمحاكاة نموذج حضاري واحد وإن اختلفت طرق الوصول إليه.

---

١ – محمود أمين العالم. صراع ثقافات أم تعدد حضارات (حوار) الثقافة العربية أسئلة لتطور المستقبل، مجموعة من المؤلفين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ١، ديسمبر ٢٠٠٣، ص ص ١٩٨، ١٩٩ .

مفهوم الحوار ومتطلباته

هناك عدة تعاريف لمفهوم «الحوار» تمثل اتجاهات فكرية مختلفة ولسنا هنا بصدد الخوض في تفاصيل تلك التعاريف لكن يوجد تعريف يكاد يعطي المفهوم حقه وما يتضمنه من أدوات نظرية وهدف نهائي. يشير مالكورزاتا باوليز Malqorzata Pawlisz في تعريفه للحوار إلى ما يلي، « مصطلح الحوار يعني محادثة بين شخصين أو طرفين على الأقل. وقد جذب براونسكي الإنتباه إلى المعنى الحالي للمفهوم عبر تصوره كمنهج وعملية وموقف اجتماعي. والمنهج يصف نماذج من الاتصال الإنساني تمارس من أجل الفهم المشترك والتواصل والتعاون» [1]. والإضافة التي نراها في التعريف الآخر « لميكولاج ونيارسكي» الذي يصنف الحقيقة كهدف للحوار إذ يقول « يهدف الحوار إلى المحادثة والفهم المتبادل لوجهات النظر كوسيلة للتعاون من أجل البحث عن الحقيقة وحماية القيم الإنسانية العامة والعمل من أجل تحقيق العدالة والسلام»[2].

وبالنظر إلى التعريفين السابقين نجد بأن عملية الحوار تعني تبادل الأفكار والمعلومات بين فردين أو أكثر حول موضوعات معينة والهدف منها بالنهاية هو الوصول إلى قناعات مشتركة إن أمكن للموضوعات التي تم التحاور بشأنها. والحوار وسيلة للتواصل بين الأفراد والجماعات ولابد أن يقوم على أسس معينة أبرزها وجود منهج يستخدم في الحوار ومبنى في نفس الوقت على أسس منطقية. فالمنهج أداة هامة للحوار إذ يمكن من خلاله أن تطرح الأفكار والمفاهيم المطروحة للنقاش بطريقة منهجية وتكمن أهمية ذلك في ما يلي:

أ - يتميز المنهج بطرح الأفكار والآراء بصورة متسقة تخلو من المتناقضات. فالمنهج أداة تنظيم لكيفية طرح الأفكار بصورة متسلسلة تترتب من خلالها الأفكار من حيث الأهمية والتحليل.

---

1 - Pawlisz, Malgorzata, The Idea of Intercultural Dialogue Evolution And Contemporary Applications, Dialogue and Universalism, Vol. XII, No. 11, 12, 2002, p.43.

2 - Winiarski, M., quoted from Dialogue and Universalism, Vol. XII, 2002, p.44.

ب - يعتبر المنهج أداة للربط بين الأفكار وتسلسلها المنطقي، بمعنى وجود مفاهيم وقيم وأفكار متعددة تخص ثقافة ما لابد من أن تنتظم وترتبط مع بعضها البعض بصورة منطقية من أجل تقديمها بصورة متماسكة تغيب عنها الثغرات التي يمكن أن تضعف من قدرة المتحاور. وفي حال غياب المنهجية عن الحوار سيتسم بالعشوائية وعدم الاتساق والتركيز والانتقال من فكرة إلى أخرى من دون نتيجة.

ج - من أبرز ميزات المنهج أنه يجعل من المعرفة مسألة مستقلة عن الإنسان. فالمناهج المستخدمة في الوصول إلى المعرفة أو النقاش أو التحليل لها كيانها الخاص وأسسها المنطقية التي تبنى عليها، ويمكن لأي شخص استخدامها في الوصول إلى المعرفة أو تحليلها. وبالتالي يستطيع من يستخدمها الوصول إلى نفس النتائج في حال المناهج التجريبية والعقلية التي تقوم على منطق معين. وهذا يعني في النهاية إمكانية أن تكون المعرفة والنتائج التي يتم التوصل إليها من خلال المناهج المختلفة على درجة كبيرة من الموضوعية وتقليص دور الذات إلى حد كبير فيها. وهذه المسألة هامة في حوار الثقافات لأن الثقافات المختلفة تقوم أغلبيتها على معايير قيمية ومفاهيم ذاتية وفي حال تحقق قدر كبير من الموضوعية في الحوار سيتم الوصول إلى نتائج مشتركة يمكن أن تؤدي إلى نجاح الحوار وتحقيق الأهداف المرجوة منها.

وتأتي قضية الوصول إلى الحقائق الموضوعية كواحدة من أهم أهداف الحوار. فالأطراف المختلفة التي تدخل في حوار للثقافات يكون لكل طرف منها تصوره للحقيقة ينطلق من الأساس الذي تبنى عليه الثقافات المختلفة. وسيتم تفصيل ذلك لاحقاً إذ يجب أن تكون هناك مرونة وتفهم من خلال الأطراف المتحاورة بحيث إذا تم كانت هناك حقائق مقنعة لدى طرف لابد وأن يأخذها الطرف الآخر بعين الاعتبار. يضاف إلى ذلك صلة الحقيقة الوثيقة مع المنهج. فالحقائق التي يتم التوصل إليها والتي يمكن أن تعتمد من قبل الكثيرين هي القائمة على الجوانب التجريبية والعقلية أما الأنماط الأخرى مثل الحقائق الحدسية أو الذاتية فلا يمكن أن يعول عليها كثيراً. والفارق بين الاثنين هو المنهج الذي على صلة مباشرة مع الحقيقة. فالحقائق التي يمكن التوصل إليها عن طريق المناهج

التجريبية والعقلية هي التي يمكن التعويل عليها وبذلك تكون المناهج المستخدمة في الحوار، لابد وأن توصل إلى حقائق معينة بين الأطراف المتحاورة.

ثالثاً: يأتي التحليل المنطقي كواحد من أهم أدوات الحوار على الإطلاق. ويمكن تحديد أهميته في ما يلي:

أ - رأينا الأهمية التي يحتلها المنهج في الحوار. ولا شك بأن أي منهج يقوم على أسس منطقية ترتبط بين أجزائه وفي نفس الوقت المعرفة الناتجة عنه والتي ترتبط منطقياً بالأسس التي يقوم عليها المنهج.

ب - يلعب التحليل المنطقي دوراً هاماً في القدرة على الإقناع وإيجاد التبريرات المنطقية لما يدعيه المتحاورون وما يقدمونه من أفكار وحجج لتعزيز أفكارهم وموقفهم الفكري من القضايا موضع الحوار. وتبرز الأهمية القصوى للمنطق في عملية الحوار بأن معظم القضايا المتعلقة بالثقافة ليست مادية بل فكرية وذاتية. والفكر وتعبيراته اللغوية تقوم على المنطق وبالتالي تأتي الحجج المنطقية وإقناع الآخر منطقياً بديلاً عن الأدلة المادية والتجريبية التي تفتقر إليها بعض المفاهيم الثقافية لكونها غير مادية. لذا يكون الإقناع المنطقي المستند إلى حجج منطقية هو الوسيلة المثلى لإيجاد أرضية مشتركة بين المتحاورين وتحقيق فهم مشترك بينهم في القضايا التي تشكل محوراً للحوار.

ج - يتميز المنطق أيضًا بكونه الأرضية التي تقف وتستند عليها الخلفية الفكرية للأفراد والمجتمعات التي تعبر عن ثقافاتهم السائدة. فكل طريقة تفكير لها منطق معين تقوم عليه. فإذا نظرنا إلى الأفراد أو الثقافات التي تفكر بطريقة خرافية أو غائية أو غيبية أو علمية... إلخ سنجد بأن كل طريقة تفكير تقوم على أسس منطقية معينة تمثل القاسم المشترك بين جميع المنضوين تحت لواء ثقافة ما من حيث الفهم والتعقل والتواصل والتعبير واليقين والصواب والخطأ وغيره من مفاهيم وقيم تندرج تحتها. وأية طريقة للتحاور بين الثقافات لا تتفهم كل ثقافة المنطق الذي تقوم عليه الثقافة الأخرى في حال أراد أي طرف توصيل ما يريد بطريقة سلسلة وتقوم على الفهم المتبادل.

يشكل ما سبق ذكره الجوانب النظرية للحوار والذي يمكن أن تستخدم للحوار بين الثقافات. وتمثل محاولة لاستبعاد المعايير الذاتية وتحيز كل فئة لثقافتها. فاستخدام المنهج والاعتماد على المنطق والحجج المنطقية يعتبران من الأدوات النظرية والمجردة التي تحقق قدراً كبيراً من الموضوعية وتقلل إلى حد كبير نسبة الجوانب الذاتية في الحوار، وقد تفضي في نهاية المطاف إلى وجود موضوعات مشتركة ينظر لها بطريقة جديدة بين الأطراف المتحاورة تسهم في أن تمد جسور التفاهم بين الثقافات المختلفة.

حول مفهوم حوار الثقافات

نقدم في هذا الجزء من الورقة محاولة لتفسير مفهوم حوار الثقافات بمعنى ماذا يعني أن تقوم ثقافة بمحاورة ثقافة أخرى؟ ما هي طبيعة الحوار الذي يدور بينهما وكيف تنظر أو تتحاور ثقافات ذات طابع فكري مختلف عن بعضها البعض؟ سنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة من خلال طرح مجموعة من العناصر التي تشكل لب حوار الثقافات وكمدخل للبدء في عرض المفهوم نشير إلى ما طرحه جانزر كيزنسكي «Janusq Kuczynst كتصور للحوار حيث وصف الحوار بأنه « طريقة جديدة من التفكير».[1] وهو مصيب في ذلك إلى حد كبير. فعملية التحاور التي قد تحدث بين أفراد ينتمون لنفس الثقافة أو البيئة الاجتماعية قد تتماشى مع طريقة التفكير السائدة في المجتمع الذي يعيشون فيه ولا يحتاجون إلى طريقة مختلفة من التفكير. لكن المسألة تختلف عندما يتم التحاور بين الثقافات المختلفة لأن كل ثقافة لها نمطها الخاص من التفكير والذي يميزها عن غيرها والذي ينتج في نفس الوقت قيمها ومفاهيمها الثقافية. لذا يقتضي حوار الثقافات طريقة مختلفة من التفكير يمكن من خلالها أن تتحاور ثقافات مختلفة عن بعضها البعض من حيث المعتقدات والأسس الفكرية والمادية التي تقوم عليها الثقافة. وهذه الطريقة المميزة من التفكير لابد وأن تتوافر بها مجموعة من العناصر التي تحقق النجاح لهذا الحوار وتساعد

1 - Mitias, M., and Al Jassmi, A, Intercultural Dialogue, Dialogue and Universalism, Vol. VIX, No.3-4, 2004, p.

على الوصول إلى قواسم مشتركة بين الثقافات المختلفة. ويمكن تحديد عناصر حوار الثقافات بما يلي:

(١) شمولية الحوار

(٢) فهم الآخر

(٣) تصور الحقيقة. وسنتناول العناصر الثلاثة بشيء من التفصيل:

(١) شمولية الحوار

لابد وأن يكون طابع الحوار بين الثقافات شمولياً وليس انتقائياً أي يجب أن لا يقتصر على مظاهر معينة بطريقة انتقائية من ثقافة ما ويتم إهمال العناصر الأخرى التي يمكن أن تكون محور خلاف أو يصعب إيجاد أرضية مشتركة حولها. فغياب الشمولية في الحوار سيحوله إلى حوار جزئي حول قضايا محدودة ولن يخلق فهماً شاملاً لطبيعة الثقافات التي تحاور بعضها البعض الآخر. يضاف إلى ذلك عدم اقتصار الحوار على فئة معينة من ممثلي الثقافة أي يجب أن لا يقتصر على سياسيين أو اجتماعيين أو مفكرين فقط بل يجب أن يشمل مختلف الفئات التي تساهم في إنتاج الثقافة في مجتمع ما. وهذا يساهم في إعطاء صورة عامة وشاملة عن طبيعة الثقافة ومظاهرها المختلفة ويوسع من دائرة الحوار، فكلما اتسعت دائرته كلما كان هناك إمكانية إيجاد أرضية مشتركة أكبر والتوصل إلى فهم أعمق للثقافات المختلفة.

وشمولية الحوار التي تنتج عن إشراك أكبر قدر ممكن من فئات المجتمع ستؤدي في نهاية الأمر إلى إشراك أكبر قدر ممكن من قطاعات المجتمع وستتحقق أهدافه عندما تنتشر بين العامة ويكون هناك فهم عام لطبيعة الثقافات الأخرى بالإضافة إلى طبيعة الموضوعات التي شكلت محور اهتمام مشترك بين الثقافات المتحاورة.[1] وتأتي قضية نشر الموضوعات بين العامة كقضية أساسية، فالحوار ونتائجه يجب عدم اقتصارهما على

1 - Ibid.

النخب فقط، لأن ذلك لن يحقق النتائج المرجوة منه بل يجب أن تنشر نتائجه بين العامة حتى يمكن أن يقال بأن نتائج عملية الحوار كانت ناجحة وحققت الأهداف التي قامت من أجلها. أما في حال تعلق الأمر بالنخبة فقط فلن تحقق عملية الحوار أهدافها الحقيقية.

ب. فهم ثقافة الآخر

عملية الفهم من دون شك مسألة في غاية الأهمية لخلق حوار ناجح بين الثقافات وبدونها لا يمكن أن تتم أو أن تنجح عملية الحوار. وتستند عملية الفهم إلى العناصر التالية:

أ - عندما تتحاور ثقافة مع أخرى لابد أن يعي القائمون على الحوار ضرورة فهم الثقافة المراد محاورتها ومعرفة الجوانب المختلفة فيها ومظاهرها المختلفة. ففي حال فهم ثقافة ما يمكن تحديد الموضوعات المراد إجراء الحوار حولها وطريقة تحليلها وفهمها ضمن إطارها الثقافي. وفي حال إجراء حوار بين ثقافات لا يفهم بعضها الآخر ولا يوجد موضوعات محددة للحوار فلن تقوم لهذا الحوار قائمة ولن يتحقق من ورائه شيء يذكر.

ب - تقتضي عملية الفهم تحديداً فهم الأفكار السائدة في ثقافة ما. ويمكن هنا أن نشير إلى الحوارات التي كان يقيمها سقراط مع الأثينيين حيث عرف منهجه في الحوار «بالتهكم والتوليد»، إذ كان يشير لتلاميذه إلى أن الهدف الرئيسي من التحاور مع الآخرين هو فهم أفكارهم أو الأفكار التي يطرحونها ويتناولونها مع العامة [1]. وفهم الأفكار مسألة جوهرية لبدء الحوار أو بالأحرى هي جوهر عملية الحوار واستمراره والوصول في النهاية إلى نتيجة ما.

كما أن المسألة لا تقتصر على فهم فكرة معينة فقط أي فهم الفكرة بشكل مجرد، فهذا الفهم عندما يختص بفهم أفكار في ثقافة ما يعد قاصراً. والفهم الصحيح للفكرة يأتي من خلال ترابطها مع غيرها من أفكار أي تفهم من خلال سياقها الثقافي مع بقية

1 - Ibid.

الأفكار والمفاهيم التي تشكل ثقافة ما. وهذه المسألة في غاية الأهمية. فالثقافة لا يمكن أن ينظر إليها بجزئية ولا يمكن عزل فكرة ما أو حدث ما وفعل ما عن سياقه وعلاقته مع بقية الأفكار والأفعال الأخرى. فالثقافة وحدة عضوية متكاملة ولا يمكن تجزئتها أو بتر أجزاء أو أفكار منها لأنه لا يمكن أن تفهم الأفكار أو المفاهيم أو غيرها بشكل صحيح بالطريقة المجزأة.[1]

ج - وعملية الفهم لا تقتصر فقط على فهم الثقافة بأبعادها أو أفكارها في ظل سياقها الثقافي بل يجب أن تتعدى إلى ما هو أبعد من ذلك والذي له أهميته الكبرى في فهم النتاج أو السلوك الثقافي وقيمه في ثقافة ما. وهذا الأمر يتعلق في فهم طريقة التفكير التي تتحكم في ثقافة ما. ففهم طريقة التفكير لأية ثقافة هي مفتاح لفهم واستيعاب قيمها ومظاهرها المختلفة. فلو نظرنا إلى طرق التفكير المختلفة سنجد بأنها تعكس المفاهيم والقيم والإبداعات الثقافية المتصلة بها. فعلى سبيل المثال طريقة التفكير الدينية المسيحية التي سادت في العصور الوسطى عكست نفسها على جميع المظاهر الثقافية والفكرية في أوروبا آنذاك إذ نجد بأن القيم والفنون والآداب والفلسفة وغيرها من مظاهر الثقافة والفكر كانت دينية الطابع. وينسحب ذلك على الثقافات التي تنطلق اليوم من طرق علمية في التفكير. لذا تأتي عملية فهم طريقة التفكير كعامل أساسي في فهم الثقافة أو الثقافات الأخرى.

ثالثاً: الحقيقة

للحقيقة حصة ليست بالسهلة من حوار الثقافات. فهي محور الاختلافات بين الثقافات والمعتقدات والأفكار الفلسفية والإيديولوجية. فمفهوم الحقيقة يعد من المشاكل الفلسفية الكبرى التي ينتج عنها ذلك الكم الكبير من التنوع في المدارس والاتجاهات الفلسفية والفكرية، فكل يرى الحقيقة من تصوره الفلسفي. والثقافات ليست بعيدة عن ذلك. فكل ثقافة تحتوى على تصورات معينة للحقيقة أو الحقائق السائدة فيها بعضها متوارث وبعضها الآخر تخلقه الظروف المستجدة. وهناك من يرى أفكاره وثقافته هي الصواب ويرفض الآخر وبعضها يمتلك مرونة واستعداداً لفهم الثقافة الأخرى. ولكي يحقق الحوار الثقافي أهدافه المرجوة لابد أن تتوافر به مجموعة من التصورات حول «الحقيقة» يمكن إيجازها في ما يلي:

---

1 - Ibid.

أ - الحقيقة ليست ملكاً لأحد: على شعوب المعمورة الإقرار بأن الحقيقة ليست ملكاً أو حكراً على شعب من الشعوب. فهي ليست ملكاً لأحد على الإطلاق، والشعوب أو الثقافات التي تدعي احتكار الحقيقة أو امتلاكها فهذه تعيش أوهامًا محضة ولا تدرك أو تعي ما جري ويجري في تاريخ البشرية. فإذا كانت الحقيقة ملكاً لشعب ما فهذا يعني بأن كل فرد من هذا الشعب أو الثقافة يملك الحقيقة والادعاء بامتلاك الحقيقة يعني أن الآخرين على خطأ وقد يؤدي بالنهاية إلى إلغاء الآخر أي إلغاء الثقافات الأخرى وفي نفس الوقت تسمو هذه الثقافة على أية ثقافات أخرى العالم.

والادعاء باحتكار الحقيقة يعني محاولة فرضها على الآخرين الذين يجب أن يتبعوا نموذج الثقافة الحقة ويعني في نفس الوقت بأن الحوار الثقافي مسألة لا طائل من ورائها لأنه لن يفضي إلى قناعات أو أرضية مشتركة بين الأطراف بل إلى تبعية ثقافة لأخرى وهذا ليس حواراً بل مسخ.

ب - الحقائق التي تتعلق بالأمور الثقافية لابد من الإقرار بأنها نسبية. فكل ثقافة ترى الحقيقة من التصورات والمفاهيم والمعتقدات السائدة فيها في نظرتها للعالم والواقع المعاش وعلاقة أفرادها ببعضهم البعض. والحقائق المستندة على الثقافة تكون حقائق ذاتية الطابع وليست موضوعية مثلما هو الحال في الحقائق العلمية ذات الطابع المادي المستقل عن الإنسان. وكمثال على نسبية الحقيقة لن نفقد مقارنة بين الثقافات المختلفة بل داخل ثقافة معينة نفسها لنتبّين بأن الحقائق بها غير ثابتة بل متغيرة ونسبية. فثقافات شعوب المعمورة تمر بمراحل مختلفة وتحدث فيها تطورات تغيّر من مفاهيم ومعتقدات وقيم سادت فيها في فترة زمنية معينة يتم التخلي عنها في فترة لاحقة. واستجدت أمور وقضايا ومفاهيم تسود بعد ذلك يعتقد بصدقها لكن يحدث لها ما حدث لسابقتها. ولعل أبرز مثال يمكن الإشارة إليه هو الموقف من المرأة في المجتمع العربي قبل مئة عام وكيف أصبح الوضع الآن. فما كان يقيناً سائداً عن المرأة قبل قرن تغير حالياً بشكل كبير وسنجد تغيرات لاحقة في المستقبل تختلف عن الوضع الحالي.

لذا من المفترض أن تقر الأطراف التي تشترك في حوار للثقافات بأنه لا وجود لحقيقة مطلقة ولا توجد حقائق لا تخضع للنقاش والجدل والنقد، فالحقائق نسبية وقابلة للتغير.

ج – مثلما أن الأفكار والأفعال والممارسات يجب أن تفهم من سياقها الثقافي ولا تفهم بمعزل عنه، فكذلك الأمر بالنسبة للحقائق المتعلقة بثقافة ما. فالحقيقة يجب أن لا تفهم بشكل مفرد بل من خلال سياقها الثقافي لأن محاولة عزلها من سياقها قد يؤدي إلى الالتباس واللغط في فهمها وإعطاء فكرة خاطئة عنها.

د– هنالك مسألة مهمة لابد من أخذها بعين الاعتبار وتتعلق بكيفية الوصول إلى الحقيقة، بمعنى لابد من فهم الطريقة أو الطرق التي تسود ثقافة ما للوصول لليقين فيها حتى يتم معرفة الأساس الذي تقوم عليه حقائقها. فمعرفة طريق اليقين الذين يؤدي بالنهاية للإيمان بحقيقة أو حقائق ما يمكن من خلالها فهم العقلية التي تسود في ثقافة ما وفهم الكيفية التي يتم فيها تفسير الحقائق وفهمها ومن ثم التعامل معها أو نقدها وتحليلها وتبيان عما إذا كانت صادقه أم لا .

ولا يفوت أن نذكر بأن اليقين وطريقة الوصول إليه تعتبر مسألة مفصلية للتمييز بين الثقافات. فهناك ثقافات تقوم على اليقين الذاتي الذي يركز على قيم ذاتية وهناك ثقافات أخرى يقوم فيها اليقين على أسس موضوعية. ففي حالة اليقين الذاتي نجد بأن الذات الإنسانية هي اللاعب الأساسي فيها وتسود فيها قيم ذاتية تطغى على أية أمور أخرى. ويتميز اليقين الذاتي بافتقاره للأدلة الموضوعية التي تبرهن على صحة قيم أو مفاهيم أو حقائق ذاتية تسود في تلك الثقافة. أما في حالة اليقين الموضوعي فسنجد بأن هذا النمط ينتشر في الثقافات التي تقوم على أسس مادية ويلعب اليقين العلمي ذو الطابع الموضوعي المدعم بالأدلة والبراهين دوراً هاماً في تشكيل طريقة حياة وقيم ومفاهيم المجتمع. وبالتالي تساهم عملية فهم كيفية الوصول لليقين في كيفية سير الحوار والتعامل مع الثقافات المختلفة.

هـ - اكتشاف الحقائق. قد يكون الادعاء باكتشاف الحقائق أمراً غير مألوف في حوار الثقافات الذي يتميز بالجوانب الذاتية لا الفيزيائية لكن هناك مجال بالفعل أن ينتج عن الحوار حقائق جديدة يمكن اكتشافها من خلاله [1]. ويعود ذلك إلى كون كل ثقافة، كما سبقت الإشارة، ترى الحقيقة من رؤيتها الخاصة وفي حال التحاور مع أخرى يمكن أن تتم عملية تقويم لبعض الحقائق أو الوصول إلى قناعات مشتركة تؤدي لحقائق جديدة تكون حلاً وسطاً لاختلافات وجهات النظر أو طريقة رؤية الوقائع والأمور في العالم. وهناك مثال على هذه المسألة يتلخص في تأثر عدد لا بأس به من المثقفين العرب بثقافة التنوير الأوروبية خصوصاً الذين درسوا في أوروبا إبان فترة النهوض الثقافي العربي فخلال معيشتهم واحتكاكهم هناك تلقنوا الأفكار التنويرية ومزج الكثير منهم بينها وبين القيم الثقافية العربية وانتهى بهم الأمر إلى الحفاظ على الكثير من القيم لكن ضمن رؤية تختلف عن سابقتها فقد اكتشفوا حقائق جديدة مكنتهم من إعادة النظر في العديد من مظاهر ثقافتهم الأصلية.

تبقى الحقيقة عن أكثر الموضوعات إثارة للجدل فقد شكلت محوراً للصراع بين العديد من الأطرف في مسيرة الإنسانية وظن الكثير من الشعوب إلى زمن قريب أنها المالك الوحيد لها فألغت الآخر بوسائل مختلفة. لكن شئنا أم أبينا فمن يعتقد نفسه بأنه المحتكر الوحيد للحقيقة فهو يعيش في بحر من الأوهام وقبل أن يخدع الآخرين فهو يخادع نفسه وبحر الأوهام يسبح فيه المرء بكل حرية لكنه لا يمكن أن يلمس الواقع أو يقف عليه. وإذا كان لنا وصف للحقيقة فهي كالزئبق الذي كلما أراد أن يقبض عليه الإنسان بيده انزلق عنه !

✱✱✱✱

1 - Ibid.

منطلقات أساسية لتعميق حوار الحضارات

د. عبد الله الجسمي

ملخص البحث

الواقع الذي يعيشه الإنسان في ظل عالم ينزع نحو العولمة جعل من العالم كما يقال قرية صغيرة وأصبح هناك ترابط كبير في اقتصاديات الشعوب وهذا يعني ترابطًا في مصيرها المشترك. كما أن قضايا الإنسان أصبحت عالمية ولم تعد محصورة في دولة أو إقليم معين والمشكلات التي يعيشها أيضاً بحيث لا يمكن أن تحل إلا بمجهود عالمي، وهذا يقتضي التكاتف وتوحيد الجهود من أجل تحقيق ذلك، وهذا لن يتم إلا من خلال الحوار.

ولا يقف الأمر عند المشكلات والقضايا ذات الطابع المادي بل تتجاوزها إلى الأمور الفكرية والثقافية. فطالما مصير الجميع أصبح مشتركاً فلابد من تجاوز الاختلافات الثقافية والفكرية ووضعها في إطارها السليم، وأن لا تكون عقبة أمام تحقيق المصالح العامة للشعوب والبشرية ككل فهناك العديد من مظاهر التطرف والتفكير الأصولي التي أدت إلى إلغاء الآخر واستخدمت فيها أساليب مختلفة من التعبير عن هذه الطرق من التفكير وصل بعضها إلى العنف والقوة، فهذه الأساليب لن تجدي نفعاً ولن تحل المشاكل بين الفرقاء أيًا كانت عقائدهم أو ثقافاتهم أو إيديولوجياتهم

لقد وصلت البشرية إلى مرحلة متقدمة من النضج بعد تاريخ حافل من الاقتتال والحروب التي لم تؤد إلا للدمار والخراب، فتلك الشواهد تعتبر دروساً هامة لشعوب العالم أجمع التي لا يمكن أن تحل خلافاتها عبر استخدام منطق القوة بل من خلال الحوار والوسائل السلمية والإصغاء لصوت العقل، فطالما أصبح مصير البشر مشتركاً فما من وسيلة أمامهم لمواجهة هذا المصير سوى الحوار.

****

Bases of Enhancing Dialogue of Cultures

Dr. Abdullah Al-Jasmi

Abstract

The reality is, human beings live in a world that is steered by globalization and it resembles that of a small village. There is a big correlation with the nation's economics and shared destiny. Furthermore, the human issues turned to be international and not limited to one state or specific territory as well as the crisis which are not easy to solve without global cooperation. This leads to solidarity and intensifying the efforts to achieve the desired goals, through the dialogue.

Actually the matter goes beyond the financial matters to culture and thought. If the destiny is shared then all must overcome the cultural differences and setting them in the right way. There should be no obstacles against the high advantages of the nations and humanity as a whole. A great deal of extreme phenomena and racism that led to others cancellation used different methods to express this expiative way of thinking to the extent of using violence. By and large, these behaviors will not solve the problems among the disputed parties, no matter to which party or ideology they belong.

Humanity has reached an advanced stage of consciousness after a long time of wars which led to destruction. Those events are important lessons to be learned by all nations where force cannot be used to solve problems, but through dialogue and listening to the voice of the other. The Humanity shares the same destiny, so, there is no other means instead of dialogue.

رئيسة الجلسة

نشكر الدكتور عبدالله الجسمي على هذه الورقة المتميزة والتي أعطت بانوراما حول عالم اليوم، وكيف أنه عالم لاتوجد فيه ثقافات سوبر وأخرى غير سوبر، وكذلك تطرقت الورقة إلى المنحى العام وهو وجود نظام حضاري علمي قائم على التعددية السياسية، وربما يبدو أن هذا هو الأفضل، وكذلك قدم الدكتور مرئياته حول أسس الحوار نظريّاً والعوامل التي تفضي إلى اتساق الحوار، واختتمها بضرورة استخدام المنطق في الحوار وكيف أن الحوار بذاته طريقة جديدة للتفكير، شكرًا للدكتور عبدالله لمشاركتك ورؤيتك الفلسفية معنا اليوم.

المتحدث الثاني في هذه الجلسة هو البروفسور ماسيمو باكيغالوبو. فليتفضل.

Deeper Dialogues – Present and Past, East and West

Massimo Bacigalupo
(University of Genoa, Italy)

We are here as international scholars to debate contemporary issues in a social and literary context, and our gathering, generously sponsored by the Foundation of Abdulaziz Saud Al-Babtain, is itself an instance of dialogue between civilizations and cultures. Dialogue has been defined as "the duty to understand the reasons of others", and can only be nurtured by mutual respect, and agreement on essential principles like freedom of thought and belief as long as it does not harm other persons. Nevertheless, in the age of globalization, dominated by the market economy, we have witnessed a crisis of ethics. It is difficult to educate the young in a society where wealth and power appear to be the only goals, and where gross economic injustice exists. Western governments have been content with enforcing some general principles of conduct, delegating the family and sometimes the church as conveyors of traditional values. In the 21st century there is tension and these models are no longer functioning as they used to. Cultural values are conveyed by the media, like films, television and the internet. Though much of the material thus presented is trivial or even anti-educational, to some extent cultural values are maintained and confirmed by these means. Popular programs and movies have mostly scenarios that are ethically satisfactory to the audience. Good is rewarded, evil is punished. In the meantime people, individuals, face the complex task of making a life and mostly prove their resilience and independence. For example, blogs have become a common means of keeping a journal and communicating with friends. These blogs, from people in all walks of life, are easily accessible, and are fascinating examples of how people process experience. How they live with their moods and tensions, and what makes them happy: family, friends, work, a good book or a good meal. There is of course a danger that the unlimited exposure offered by the World Wide Web may lead to passive or active voyeurism – one thinks of the website called Second Life, in which users are encouraged to live out their dreams vicariously, or of the quantity of pornography easily

available to young and old. All one can say it that is as surprising today as in the past that most people manage to keep a good sense of reality and can shrewdly judge the world and themselves.

One would imagine, given the strangeness of the world we face day to day, that madness and nervous breakdowns should be widespread. But this is not the case.

It so happens that an individual is born in the year, say, 1950. Wherever this occurs, he or she will fit in, thanks to the adults nurturing him, and will find his place in the world. If he is lucky, he can look forward to 70 years or more of life, in which he will have countless experiences, will be bored and excited, healthy and sick, humiliated and admired... Of course, the same human being could have been born with the same mental and physical equipment one thousand years earlier, in the year 950. He probably would have a more difficult and shorter life in front of him, perhaps he would have died in infancy or at age 30, nevertheless he would also have found his way, and seen the world around him/her as more or less natural, more or less capable of change for the better. This proves the extraordinary adaptability of mankind to circumstances, its capacity to negotiate between acceptance of the milieu and individual needs.

A pessimist might take it as proof that even under the most insane regime, like the one portrayed by George Orwell in 1984, or some totalitarian regimes of the recent past, an individual might adjust and somehow believe that the world could not be any different. Fortunately, however, it has become more and more difficult to indoctrinate mankind with a single version of the truth. One only has to look elsewhere to hear a totally different story being told. This should encourage us to make individual decisions, and to sympathize with those voices among thousands that speak to our deeper feelings and needs.

The world in the 21st century is still polarized, divided, between rich and poor societies, and this leads to the increasing phenomenon of migration, especially from Africa and Eurasia to Western Europe. Some of these emigrants travel by boat under desperate circumstances. Are they victims of the information they can now access, which tells them that in another country they will be able to live better than at home? In any case migration is as old as human history. Apparently all of America was colonized in prehistoric times by people crossing the Bering Strait to Alaska, and of course modern America is the product of a migration and colonization only a

few centuries old. Even more recently, many Europeans migrated to North and South America in search of work and independence. So even 100 years ago people in remote European villages or in Russia heard that there was work to be had across the Ocean, and were able to find passage, and were often exploited in the New World.

Migrations can be violent or colonial, but they can also be peaceful and bring new life to a culture, as is the case with America and Europe. African, Eastern and South American immigrants in Italy, though they often have to take menial jobs, are becoming increasingly essential to the economy, for example in the care of the aged. In my home town, on the northern Mediterranean near the port of Genoa, there are many retired people who either need help for their daily living or at least benefit by speaking to immigrants selling their wares on the streets. The relation is cordial. The immigrants are young and mostly friendly. The old people in modern society often feel redundant and are thankful for the sympathy extended to them.

This is of course the bright side of a coin that has darker aspects. For example many African and Eastern European women are brought to Western Europe to become prostitutes and are exploited mercilessly. They have to buy their freedom and pay for their passage by working for a number of years for their exploiters. In some cases they are able to survive the ordeal and to lead regular lives and perhaps make a home for themselves.

All of these phenomena are constantly developing under our very eyes. Sometimes we don't know about them until we happen to visit a part of town we don't usually go to, and then we realize that whole worlds exist unknown to us. There is an element of fascination in the play of these forces, economics, societies, individuals... A poet or writer could go into these lives and present them as complex mirrors of our world. In fact, some of the most gifted film-makers and novelists of recent years address the subject of minorities and emigration, and these films can reach a large audience.

In my university we have courses in "Intercultural communication" and students often write their theses on one of the immigrant communities and gather case histories. Another important aspect is the presence in schools of the children of immigrants, who sometimes do not know the language of their adoptive country. Our university courses in Intercultural studies are supposed to provide graduates with information that will allow them to work in these schools with special students, teach Italian as a foreign language, understand the attitudes of the immigrants, conduct a dialogue. About ten

years ago we also introduced Arabic as part of intercultural studies, so that graduates will be better able to work in one of our largest immigrant communities. Just a few steps from my office there are rooms used as a mosque.

E-learning, that is, teaching and grading students through digital means, is surely a way of reaching across different cultures, and should be implemented whenever possible. Once the "digital divide" has been overcome, information and training are made instantly available everywhere and students can access the latest finding in their field of study. Potentially, e-learning can reach entire societies, creating possibilities for development that were unthinkable until recently. Though personal contact with educators remains essential, e-learning is a major path towards bridging cultural differences and creating a truly international classroom and dialogue. The young who have been educated in this way will be obviously more open to entertain other views and to overcome hostility and prejudice through debate. When I was a child, youngsters were encouraged to find a correspondent of their age group in another country, to exchange letters, stamps, and so on. I used to write to a boy in Fresno California and have often wondered what has become of him. The people that communicate by computer today have evolved entire "virtual" communities, and mostly this should have a positive effect. Recent research has shown that computer literacy does not inhibit real-life exchanges in one's immediate circle, and even reading and studying by traditional means, on the pages of a book made of paper. Thus, to return to my university in Genoa, some of our e-courses attract many students from other countries, with whom the instructor is permanently in contact though they may live thousands of miles away.

To some extent societies can direct long-term developments in population and behavior, but the rapid changes of the last decades show that some pressures are beyond control. One of these is increasing migration and the consequent interracial society – a society which slowly becomes more tolerant, adjusts, changes. Another is the emergence of new economic factors and powers. For example, at present we have several hundred Chinese students in my home university, taking courses in English, Italian, architecture, economics and so on. We all know that China will have an ever-increasing importance in the 21st century. Perhaps a single Chinese city puts up more buildings in a given period than a whole European country. This leads to far-reaching changes in the world economy, and these can not be fully controlled. Just like 3000 years ago, when the Indo-Europeans

"invaded" Europe without so much as a by-your-leave, so today we are witnessing other movements of population. Like the sea, humanity seems to be always in a state of flux and change, though we as individuals live in the illusion of permanence and stability (if and when we are lucky).

On the face of it, dialogue is always a possibility. Today most literate people for example know how to use the computer program Windows or how to employ a search engine like Google. I suppose this can be taken to mean that cognitive processes are very similar throughout mankind. So much so that there is a risk of uniformity, of everyone thinking along the lines of a few computer programs. But one could retort that a program is like the alphabet or a numerical system. These are also shared in various forms by most of mankind, and are the foundation of all dialogue. If even the deaf communicate satisfactorily by sign language, I'm sure that human beings can share information at a mature level, i.e., beyond the childish bragging of the stronger against the weak. Economic exploitation is also a form of power game, though concealed. It should be the goal of international organizations to control hostile exploitation just like other forms of collective violence, for example genocide.

I find that with my Chinese students communication is real. I still have to completely understand why they have chosen to study in Italy and how they will benefit from their period abroad. But they appear to take their studies very seriously and are slowly learning how to make their way in our university system, different as it surely is from their own. In communication it is important to take into account people's aims. These, as with my students, are not always easy to comprehend. Perhaps they are partly unknown even to ourselves. With time things often explain themselves, and probably it is a useful principle not to judge too quickly but watch the unfolding of social processes. Admission of incomplete understanding of another's priorities is a factor in transparency.

Strange as it may seem, we are often helped by formality of behavior in overcoming barriers. Every society has its code of manners, and often these codes are mutually comprehensible. So when my Chinese student wants to express (for example) "friendly deference", her attitude comes across very well. On the other hand, I have had some British students who after a year in Genoa would address me in the first person, familiarly. I don't personally care much for formality, but I told one of them that after one year in Italy she should at least have learned not to say "ciao" (hi!) to her professor.

Recently I witnessed an amusing scene in a train compartment. A North-African was sitting in the window seat and an older man got in and showed him his reservation and asked him to give him the window seat. The man, who was probably illiterate, began saying (in Italian) "No understand, No understand" (he had his feet up on the seat in front of him, which is (or was) not supposed to be proper behavior). Again, the Italian showed him the reservation and repeated several times his request. The African gestured at the other empty seats in the compartment as if saying, Why can't you sit on one of those? But the Italian repeated his request implying that he needed to travel in the window seat. "No understand". At this point the unexpected happened. The Italian began addressing the African in Arabic, leaving him nonplussed. Vanquished, he walked out of the compartment not without an insult in good Italian addressed to his fellow-traveller. The older man then explained to us that he had spent many years in Egypt, where he had become fluent in Arabic. Watching this little scene I thought that the African was strangely without manners. Would his behavior be condoned in his home country? Or was he only misbehaving, having acquired the bad manners of the new milieu? Perhaps he was used to a society were good manners were enforced by punitive means, and lost his bearing in the new context. The case of my Chinese students is inevitably different, since they are not illiterate but university graduates. With them I seem to share a code of manners and behavior, though (unlike them) I do not understand their language.

China is a society of many languages and many people, with an extraordinary culture. In the annals of the Dialogue of Civilizations an important place should be assigned to Matteo Ricci, a Jesuit priest of the late 1500s who lived most of his life in China and in order to convert the Chinese to Christianity took on a Chinese name and many Chinese customs, and spoke of God as the Supreme Being. In a recent exhibition of the Chinese emperors' palace I have seen portraits of the imperial family done by later missionaries, like the Milanese painter Giuseppe Castiglione, who also became confidants and important officials at court. Matteo Ricci was criticized in Europe for "adapting" Christianity rather than imposing it in its "original", but the Chinese remember him as a great figure. He was an example of openness and dialogue from which we can learn.

When I was myself a student, in 1969, I travelled across the Middle East starting from Istanbul and proceeding to Iran, thence to Afghanistan, Pakistan and India. I travelled mostly by bus. The people I met were mostly

friendly. They sometimes spoke to me of religion, for example I remember a man on a train in Pakistan speaking of the one God of all men in ecumenic fashion. And I remember some Hindus amusingly bragging about their sexual powers, that we poor Westerners could hardly equal. It was a pleasant trip and when I got to Peshawar in Pakistan I remember putting up in what was still an English-style college, with peacocks walking around on the well-groomed lawn. Nowadays when I read of Peshawar in the news it is because soldiers have been killed or a bomb has exploded in a market, and I wonder about the change and perhaps deterioration of the world I had seen forty years ago. Then dialogue seemed possible, though surely in Iran the semblance of tranquillity was maintained at huge cost. Events have taken another turn. Human folly? Historical forces that can't be controlled? Rising nationalisms and fundamentalisms? I shall leave the answer to the historian, though I'm sure there will be many different opinions. History is always settled many years after the event. We can only witness the changes and guess at their meaning.

I shall briefly mention some historical examples of cultural dialogue. In Italy, in particular in Sicily, we have many monuments of the Arab presence, and one of the classics of Italian prose is Michele Amari's Storia dei Musulmani in Sicilia (1872), which is said to be an indispensable source. The emperor Frederick II of Sicily (1194-1250), who was German by birth, has often been praised for his capable diplomacy with the Sultan, and for bringing together scholars and poets of different backgrounds at his court in Palermo. He himself was a poet, and the poems written at his court were the beginning of the Italian and European lyric. The invention of the sonnet form dates from that circle. Just a little later, Dante Alighieri wrote the master poem of Italian literature, La divina commedia, the Arabic sources of which have often been studied. In his travels in the other world Dante meets among others Ibn Sina or Avicenna, and Ibn Rushd or Averroes , "che il gran comento feo". As is well-known, Averroes wrote a Commentary on Aristotle and was studied in Italy and France in Dante's time. The Divine Comedy is a poem rich in thought and philosophy which owes much to Aristotle, his Arab explicators, and of course to Thomas Aquinas, another Aristotelian. For me Dante is important, as for all Italians, and for many readers of other countries, because of his fascination with people of all kinds, the souls he meets in the other world and who tell him their lives. He is also a brilliant observer of nature – the hoarfrost in the morning after a cold night, the big circle around the moon. Dante is an intercultural phenomenon, belonging to

an era where (somewhat perhaps as for me in 1969) it was possible to travel through the known world without too many dangers. People communicated then as now, in universities, academies and studies where books were written and copied. All readers of English love the quatrains of Omar Khayyam as translated by Edward Fitzgerald, and take them perhaps too simplistically as an example of a mature world view, aware of the brevity of life and of its pleasures, among them "a book of verses underneath a bough", "a jug of wine", and "Thou", that is a lovely and beloved lady. Max Beerbohm, the English caricaturist, made a wonderful cartoon of Omar in the wilderness with the jug, the bough, the book, and Thou, revealing the complacent sentimentality of Fitzgerald's translation, which belongs to the late-19th century version of Orientalism (an earlier example is the Prince Regents Palace in Brighton). Of course the English had much first-hand contact with Muslim countries because of their colonial expansion, and this explains the vogue of Orientalism over several centuries. Yet Fitzgerald's Khayyam has been seen as an example of dialogue, even possession, of one poet by another, by as sophisticated a reader as Jorge Louis Borges, of Argentina. Borges was a poet, and made allowance for dreams beyond the social forces that often dictate cultural forms. Borges liked a good story, even if it was not quite true. One of these is the Khayyam/Fitzgerald brotherhood. Another great admirer of Fitzgerald's Rubaiyat was the poet Ezra Pound, so much so that he named a son Omar. The American Pound produced in The Cantos a long poem which chooses eclectically from all cultures and historical periods known to him. Since Pound was interested in economics, he even goes into Muslim monetary practices ("Melik & Edward struck coins-with-a-sword"), and since he often attacked "Usury" as the source of all evil, meaning economic exploitation, international finance etc., he was happy to cite prescriptions against usury from Muslim sources. (These Arab themes in Pound have been studied by Professor Mohammed Shaheen of Jordan.) Another great passion of Pound was China, and he filled his poem with Chinese characters which were like coats of arms, to battle the enemies of poetry and good living. So in his somewhat perverse way Pound is a new Edward Fitzgerald, incorporating other traditions and setting them in relation, quite certain that we can learn from all these characters and works. Another hero of his is an Italian Renaissance prince, Sigismondo Malatesta, who flourished around 1450 and built in his native Rimini a church-tomb, the Tempio Malatestiano, in which he incorporated elements from East and West. I would like to compare it to the Taj Mahal at Agra, another beautiful temple-tomb. Like an Eastern prince, Sigismondo made war but loved to

sponsor the best artists of his time to make his name famous through the ages and erect a monument to himself and his lady, whose name was Isotta, and whose magnificent tomb is in the Tempio. (Just as the Mughal emperor Shahjahan built the Taj Mahal in memory of his favorite wife, Mumtaz Mahal, about one century after Sigismondo's Tempio.) I recently visited this intercultural monument, which was badly damaged during World War II, but has been carefully restored and is a magnificent document of one man's ambition, which also led to the cultivation and dissemination of culture. Sigismondo's brother endowed the Biblioteca Malatestiana in nearby Cesena, one of the oldest and most beautiful libraries in Italy. Pound's Malatesta Cantos are deposited in it, as an example of cultural transmission through the centuries. As with Borges, a dream or myth prevails on the more prosaic reality. Like Edward Fitzgerald, Malatesta was self-serving in his monumental ambition, and so in fact was Pound. And probably Frederick II when he made peace in the Mediterranean of his day.

This does not keep us from taking the best view of these historical projects, faulty though they may be. As Shakespeare's Hamlet says: "Use every man after his desert, and who will scape whipping? Use them after your own honor and dignity. The less they deserve, the more merit is in your bounty" (II.2.516). Shakespeare's is a plea for generosity. Men in general may be undeserving of indulgence and benefits, but by conferring them without keeping a strict account we are stimulating their best faculties. Perhaps this is a lesson also for the dialogue we have in mind. The best person to speak to is he who gives freely of his experience, out of overabundance. Probably this is what we feel of the great artists, and the saints. We are dazzled by the world they create and to which they introduce us. Think of Homer, Dante, Shakespeare, Tolstoi. Society has created them and society is perpetuated through them. They make possible a dialogue not only in the present but between us and our past, which would otherwise be forgotten.

A striking image of this is to be found in William Wordsworth's great poem The Prelude, an autobiography in which he depicts his solitary youth in the countryside and his thrilling experiences during the French Revolution. In the section called "Books" he recounts a dream, in which he sees "an Arab of the Bedouin tribe" who travels through the desert on a dromedary, carrying a shell and a stone, as if escaping from a deluge. The rider tells the dreamer that the stone is science, i.e., all that man has learned of nature, while the shell is poetry and music, and that these, being the greatest products of mankind, have to be preserved at all cost. He's going to

bury “those two books” for future ages to profit from. Wordsworth was a Romantic poet and in this passage he is considering the ultimate fate of mankind, the fact that all will be destroyed and silence will reign supreme in an empty universe. The Bedouin preserving man’s two great “books” reminds me of those satellites that have been sent into space carrying examples of human culture engraved on platinum. Some containers have also been buried containing trivial and significant objects, from Shakespeare’s plays to a Beatles song. Even Sigismondo, whom I spoke of earlier, buried coins with his profile under the columns of his Tempio. In any case, it is quite impossible to preserve an eternal memory, and mankind is destined to live in the present and know only the era in which it happens to breathe. Yet why did Wordsworth choose a Bedouin as the figure with the mission of carrying the best products of mankind to a safe place during the Deluge? (Of course the underlying myth is Noah’s ark.) Usually the Bedouin, as a nomad, is not associated with stationary monuments. However he is a warrior, suggesting strength and determination, and is used to confronting a life-threatening environment and creating a world for himself within it. Perhaps Wordsworth is affirming that culture can be communicated and passed on from generation to generation, people to people, and that this is also an imperative, the transmission of this heritage, the awareness of man’s achievement. It may all end in the great void and the Deluge, yet human society is an amazingly complex creation. It is our responsibility to create and preserve the means of communication between this rich past and the present, and between human cultures which are essentially unified. I hope to be able to travel again when old through the countries I visited as a student, and admire the peacocks in Peshawar and while sitting there perhaps read Dante’s Divine Comedy as I did in 1969.

✷✷✷✷

حوار أكثر عمقاً، الحاضر والماضي، الشرق والغرب

ماسيمو باكيغالوبو
جامعة جاناوا (ايطاليا)

ملخص البحث

هذا البحث يناقش التغيرات في المجتمع الغربي والثقافة الغربية في العقود الخيرة: أزمة الاعتقاد الديني، والدور المحير والذي يمكن أن يكون ايجابياً- لوسائل الإعلام، وظاهرة الهجرة. وإن التعليم الجامعي في ايطاليا قد استجاب لهذه التغيرات بتقديم مواد دراسية مرتبطة بموضوع الحوار الحضاري ومثل هذه المواد يمكن أن تحفز الطلبة الخريجين على الاتصال مع المهاجرين من ثقافات ولغات مختلفة، وقد عُدّل التعليم الجامعي لاستقبال العدد الكبير من الطلبة القادمين من بلاد بعيدة مثل الصين. في نفس الوقت يتم حاليّاً تطوير بعض المواد الدراسية من خلال استخدام التعليم الإلكتروني (شبكة الإنترنت)، وهو مجال سريع التطور ويساهم جديّاً في تعميق التفاهم العالمي وتحسين التعليم الدولي بشكل عام.

ويذكر البحث أن أساس التفاهم هو استخدام لغة واحدة. ولغة الحاسوب الآلي يمكن أن تلعب دوراً كبيراً. ومهما كانت مخاطر التوحيد، فإن برامج الحاسوب يمكن أن تشبّه بأبجدية أساسية أو بلغة الإشارة والتي يمكن أن تربط بين شعوب العالم. هناك أيضاً لغة الجسد والتي إلى حد ما تخترق الحواجز الثقافية. فعلى سبيل المثال مفهوم الصداقة يمكن التعبير عنه من شخص ياباني إلى شخص أوروبي والعكس صحيح.

وغالباً ما نعزو سوء التفاهم أو التصرف الشاذ إلى نواحي شخصية أو فردية. لذلك يجب أن نسعى إلى إيجاد أنماط مشتركة للثقافة الإنسانية. فبالرغم من أن الحوار بين الحضارات هو أكثر فعالية اليوم، فهناك أمثلة كثيرة من الماضي تؤكد أن كثيراً من الشعوب قد تمكنت من العيش بسلام معاً والتعلم من بعضها بعضاً. فكان للعرب تأثير مهم على

الثقافة الأوروبية خاصة عندما كانت هذه الأخيرة أكثر انفتاحاً وتقبلاً للثقافات واللغات الأخرى. وخير مثال على ذلك الحضارة الأندلسية، والتي أوجدت آثاراً معمارية وأدبية خالدة أثّرت بدورها على اللغات الأوروبية المختلفة، فنجد كلمات عربية مثل (سكر، و شراب، ومخزن) مستخدمة في اللغات الأوروبية حتى اليوم.

وكان لبعض الإيطاليين دور مهم في الحوار الحضاري، بداية مع (ماركو بولو) الذي سافر إلى الشرق الأقصى والداعية (ريكي) الذي عاش في الصين في نهاية القرن الخامس عشر بهدف نشر قيم الدين المسيحي، وهو يعد من المعلمين العظماء في الحضارة الصينية. أما فيما يتعلق بالأخذ من الحضارات الأخرى، فإيطاليا وخاصة (سيسيليا) قد استفادت من الحضارة العربية، فقد تمكن الإمبراطور فريدريك الثاني من إحراز السلام مع سلطان عربي، والمؤلف المشهور (دانتي) صاحب الكوميديا الإلهية قد تأثر بالأدب العربي، والكتّاب الإنجليز مثل (فتس غيرلد) و (عزرا باوند) كتبا أعمالاً جمعت بين الغرب والشرق، (وفتس غيرلد) تأثر بشكل كبير بـ (عمر الخيام،) و(عزرا باوند) أعجب بأمير النهضة (مالاتستا) الذي بنى لحبيبته (ريميني) معبد (قاس) وكما فعل (شاه جاهان) عندما بنى (تاج محل) في (أغرا). أيضاً و(وليام ووردزورث) أحد أهم الشعراء البريطانيين قد اختار رجلاً بدوياً كرمز للرجل الأخير الذي يحب أن يحفظ الثقافة الإنسانية. وبناءً على ذلك يمكن للإنسان أن يدرك أهمية التعامل مع الخلافات وبناء التفاهم بين الحضارات.

✱✱✱✱

Deeper Dialogues – Present and Past, East and West

Massimo Bacigalupo

(University of Genoa, Italy)

Abstract

My paper discusses changes in Western culture and society in the last decades: the crisis of belief, the ambiguous but possibly positive role of the media, the phenomena of migration. University teaching in Italy has responded by offering courses in "intercultural communication", which prepare graduates to communicate with immigrants from different linguistic and cultural backgrounds. It has also adjusted to a new influx of university students from more and less remote countries, for example China. Concurrently, courses are being developed to reach students through a virtual classroom (e-learning), which is a rapidly growing field leading to better international education and understanding. At the basis of communication is a shared language and today computer programs have enormous currency. Whatever the dangers of uniformity, programs can be compared to a basic alphabet or sign-language, and can instantly connect people that in earlier times would have lived as on different planets. There is also a body-language, which to some extent can cross cultural barriers. "Friendliness" can be easily communicated to a European by an African or a Japanese, and vice versa. When manners and codes of behavior break down, we attribute this rather to personal idiosyncrasies or to a fault in the social fabric. So an argument can be made for a common pattern of all human culture. Though intercultural dialogue is more frequent today, there are numerous instances in the past. These remind us that in other times different communities have been able to live amicably together and learn from each other. Arab influence on modern Europe has been extensive especially when it has been most open and tolerant of other cultures and languages. For example, the multi-cultural and peaceful Arab-Andalusian civilization created architectural and literary monuments, and influenced the major European languages with an influx of Arabic words, which, like "azure" or

"syrup", "magazine" and "racket", are still being used today. Some Italians have played important roles in intercultural communication, beginning at least with Marco Polo who travelled to the Far East. Some Jesuits like Matteo Ricci who lived in China in the late 1500s and chose to be assimilated in order to communicate Christian values are venerated by present-day Chinese among their great teachers. On the receiving side, Italy, especially Sicily, has benefited from Arab culture, and emperor Frederick II of Sicily was able to negotiate peace with the Sultan. Even Dante's Divine Comedy is indebted to Arab literature. Among writers in English, the Victorian Edward Fitzgerald and the Modernist Ezra Pound wrote works that bring together East and West. Fitzgerald worshipped and recreated Omar Khayyam, Pound admired the Renaissance prince Sigismondo Malatesta, who ambitiously built a church-tomb-temple for himself and his lover in Rimini, just as Shah Jahl built the Taj Mahal in Agra. One of Britain's major poets, William Wordsworth, chose a Bedouin as a symbol of the Last Man whose task is to preserve human culture from the Deluge. In the face of this apocalyptic image, men can better realize how important it is to compose their differences, in the small arena in which they struggle.

****

رئيسة الجلسة

نشكر البروفسور باكيغالوبو على هذه الورقة المتميزة والتي تتطرقت إلى القيم الثقافية وانتشارها، وإلى علاقة الاستقطاب الدولي بالهجرة وهو يعني تجربتهم في جامعة جنوا لتعزيز الحوار الثقافي، وتحدث كذلك عن أهمية التعليم الإلكتروني لتعزيز هذا التواصل الثقافي، وقدّم نماذج جميلة حقيقة للتواصل الحضاري في الأندلس وبين الإمبراطور فردريك الثاني وعلاقته بسلطان اسطنبول، وتحدث أيضًا عن هجرة القوالب الفنية الجمالية شعرًا ومعمارًا فله كل الشكر على هذه الورقة.

المتحدث الثالث هو البروفسور جون باتريك باراندر. فليتفضل.

THE ROLE OF INTELLECTUALS AND CIVIL SOCIETY INSTITUTIONS IN THE DIALOGUE OF CIVILIZATIONS AND CULTURES

Patrick Parrinder

(University of Reading, UK)

'The other kinds of men, the other lives' Ursula K. LeGuin, The Left Hand of Darkness

In this paper I will give some grounds for questioning the concept of a 'dialogue of civilizations', along lines suggested by Edward W. Said among others. I will discuss the role of intellectuals in cultural dialogue while referring more briefly to the function of civil society institutions in enabling and promoting dialogue. I will, however, begin and end with two portrayals of a 'dialogue of civilizations' in modern fiction, the first dialogue resulting in failure and the second in eventual success. The ways in which novelists imagine inter-civilizational dialogues can tell us a great deal about the nature and possibilities of cultural dialogue.

I

In E. M. Forster's novel A Passage to India (1924) there are two major characters who stand out as 'intellectuals' and as vehicles for the author's ideas: Cyril Fielding, the English principal of the Government College at Chandrapore, and Dr Aziz, a Muslim surgeon at the city's hospital. The friendship between the two men is at the mercy of events beyond their control, and the dialogue between them ends in bitterness and estrangement. In the final pages Forster describes a political quarrel followed by an attempted reconciliation, which at this particular time and place, India under the British Raj, is judged to be impossibly premature. Here is the novel's much-quoted ending:

'Why can't we be friends now?' said [Fielding], holding [Aziz] affectionately. 'It's what I want. It's what you want'.

But the horses didn't want it they swerved apart; the earth didn't want it, sending up rocks through which riders must pass single file; the temples, the tank, the jail, the palace, the birds, the carrion, the Guest House, that came into view as they issued from the gap and saw Mau beneath: they didn't want it, they said in their hundred voices, 'No, not yet,' and the sky said, 'No, not there.'

The forces driving Aziz and Fielding apart are represented as being of a metaphysical and transcendental order, as the 'hundred voices' of the earth and sky; but we must read this as a poetic metaphor for something more concrete, the deferment if not the absolute failure of a human relationship. Many of Forster's critics have suggested that it is the personal, not political and historical, tensions between Aziz and Fielding that prevent their reconciliation. Others most recently, Mohammad Shaheen in E. M. Forster and the Politics of Imperialism (2004) have vigorously maintained that the novel's ending is an unmistakably political statement. Certainly it seems bizarre to reduce these inanimate voices to something merely personal.

The quarrel set out in the immediately preceding paragraphs is over Indian independence. Aziz looks forward to the time when '"India shall be a nation! No foreigners of any sort! Hindu and Moslem and Sikh and all shall be one!"', adding that it will mean '"driving every blasted Englishman into the sea"' (324). Fielding mocks at this aspiration, suggesting that it means bringing a great civilization down to the ranks of second-rate modern nations such as Guatemala and Belgium. National sovereignty, he asserts, is a tarnished nineteenth-century ideal, an undignified goal for the heirs of the Indian empire.

E. M. Forster was clearly opposed to British imperialism and we can do him the justice of recognizing that it is the Indian, not the British heritage of civilization that his character means to invoke. Fielding is speaking in the context of a dialogue between civilizations (ancient Indian and modern British), not of a crude political struggle. Nevertheless, he is at this point a representative of the imperial government of Anglo-India, and Aziz is right to detect condescension and an assumption of superiority in his remarks. What neither character (nor, of course, Forster himself) could know was that the British would leave India only two decades after this novel was

published thus vindicating Aziz but that in the convulsions of national independence the subcontinent would be carved up into two, and ultimately three, nation-states divided on communal and religious lines. This perhaps half vindicates Fielding, since Aziz dreams of a multicultural nation uniting Hindus, Muslims and Sikhs.

Nevertheless, to discuss A Passage to India in the context of a 'dialogue of civilizations' (rather than simply a dialogue of cultures) reveals the difficulties, indeed the built-in contradictions of this concept. Aziz is a Muslim, but he stands at the end of the novel as a spokesman for Indian, not Islamic civilization. His idea of civilization is catholic and ecumenical although, as we shall see, the term has been used by some intellectuals in our own time to denote religious or faith-based communities. Neither Aziz nor Fielding doubts that the issue dividing them is between Indians and British, between Asia and Europe, between East and West, although Forster clearly indicates the deep cultural tensions between Hindus and Muslims in India. If there is a dialogue between two civilizations in A Passage to India, then the Indian or 'Oriental' civilization spans different cultures and different faiths; indeed, historically speaking, India was united under Muslim rule before it came under British rule. As we shall see, the idea that Asia in general, and the Indian subcontinent in particular, are divided between contending faith-based civilizations is a product of post-imperial revisionism and has little or no relevance to the centuries of Islamic and British imperialism. Forster neither anticipates nor endorses such a notion.

Before we leave A Passage to India we should notice certain other features of the dialogue of civilizations portrayed in the novel. First of all, it gets minimal support from the institutions of civil society (such as they are) in provincial British India. Forster has not chosen to represent one of the great imperial cities, nor does he tell us where Aziz has studied to become a doctor. Chandrapore has no museum or library, no significant institution of higher education (since Forster takes very little account of the Government College), and no place apart from private houses where Aziz and Fielding can meet socially. The English settlers in the city are all servants of the colonial administration, with the line between civilians and military personnel being very difficult to draw. Only in the courtroom, where there are a certain number of Indian barristers and magistrates, is there a

recognition that the letter of the law, at least, treats Indians and Europeans equally.

The second feature of dialogue in A Passage to India is that is varies sharply between kindness and mutual interest on the one hand, and suspicion and violent anger on the other. Forster has provided for this in his main plot, which shows a young Englishwoman taking Aziz for a friend but then baselessly and hysterically accusing him of attempted rape. Anger is present throughout the novel. If it ends with a quarrel it begins, almost, with Aziz sharply telling off Mrs Moore, a visiting English lady, for entering a mosque without removing her shoes. Since she has in fact taken off her shoes (this is presumably obscured by the long skirts she is wearing), Aziz's anger rapidly turns to embarrassment and, as he gets to know Mrs Moore better, to a kind of reverence.

Aziz is not just as a medical doctor but a man of wide intellectual interests, given to reciting Persian, Urdu and Arabic poetry among a group of friends who include the Cambridge-educated Hamidullah. Fielding, by contrast, finds no intellectual companionship among the English community in Chandrapore and eventually becomes an outcast. Both characters are portrayed as 'victims of the system', but they also represent contrasting notions of the intellectual in society. Aziz belongs to a highly educated nationalist group among the subject population, while Fielding is a marginalized, dissenting outrider to the ruling class. Neither, however, is an intellectual in the sense that Forster himself was one: a novelist, journalist and broadcaster, and a forceful advocate of specific, non-denominational values and ideals with a long record of speaking out in public for what he believed in. Forster, in other words, possessed a kind of cultural authority that is quite foreign to Aziz and Fielding (except insofar as they are fictional mouthpieces for his ideas). This lack of intrinsic authority in Aziz and Fielding is also related to their fictional setting in provincial India. Chandrapore is not Delhi or Kolkata, nor is it London or Cambridge, and the title A Passage to India doubtless a journey away from the metropolitan centre which is the source of Forster's own intellectual standing. To the extent that the novel shows the dialogue of civilizations in a non-metropolitan setting it also simplifies the possibilities of dialogue and

reduces its dimensions, turning it, in effect, into something that can be mistaken for a mere story of personal maladjustment between two individuals.

II

I will now look more generally at the three key terms in this discussion, 'intellectuals', 'civilization' and 'dialogue'. In saying that Forster exemplifies the cultural authority of the intellectual (or if we prefer the 'public intellectual' or 'metropolitan intellectual'), I have in mind the three senses of the noun 'intellectual' enumerated by the cultural historian Stefan Collini in his book Absent Minds (2006). We speak of intellectuals in a sociological sense that is, of a class of people with a common level of education pursuing certain professions (notably what are sometimes called the liberal or learned professions). Alternatively, 'intellectual' is used in a subjective sense to describe a person possessing mental attributes such as studiousness, critical detachment, readiness to argue about general ideas, and so forth. Thirdly and this is the usage Collini endorses an intellectual is someone who has achieved a certain cultural standing and who 'deploy[s] an acknowledged intellectual position or achievement in addressing a broader, non-specialist public'. Intellectuals, that is, are defined by the authority they attain. Their cultural position is not necessarily 'oppositional', to use the term much favoured by Edward Said, but their task is to think and speak critically and, above all, to generalize or, in Collini's words to 'bring a broader perspective to bear' (62). This function of critical generalization outside the realms of a narrow professionalism should guide our discussion of the intellectual's role in cultural dialogues.

Critical thinking implies disagreement not necessarily with the dominant opinion in society, though there is a strong association between intellectuals and social or political dissidence but certainly with other intellectuals. The role of intellectuals in Collini's terms is to argue in public, and this means or should mean that their natural pursuit is to engage in dialogue; moreover, dialogue in its classic, philosophical sense (of which more below) confers intellectual status on those who take part in it. The function of civil society institutions is to provide public forums to facilitate dialogue the forums so patently lacking in Forster's Chandrapore. I will now attempt to display my

own intellectual credentials by thinking critically about 'civilization' in relation to dialogue.

The definition of 'civilization' in the Oxford English Dictionary highlights the term's ambiguity:

3. (More usually) Civilized condition or state; a developed or advanced state of human society; a particular stage or a particular type of this.

Should we speak of civilization in the singular or in the plural? There is a long tradition of speaking of it in the singular, as the most developed or advanced state of human society as a whole: human civilization, we can now say, is a worldwide, global phenomenon. This has led writers, especially in the twentieth century, to emphasize the essential unity of civilization. For example, James Harvey Robinson, author of the article on 'Civilization' in the 1957 edition of Encyclopedia Britannica, calls it 'a single, unique and astonishing achievement of the human species'. Robinson is writing explicitly from a secular, scientific perspective in which 'civilization is no longer contrasted with "rusticity", "barbarity" or "savagery", but with man's purely animal heritage.' Yet at the same time Robinson uses 'civilizations' in the plural to denote specific episodes in the past. The idea that human history tells of the rise and fall of successive civilizations takes us back to the last in the quoted subset of dictionary definitions, 'a particular stage or a particular type' of advanced human society. The differentiation here is either chronological (a particular historical stage) or classificatory (a type), with the latter raising the possibility that two or more different civilizations may be contemporaneous and, therefore, in a position to engage in dialogue. Under what conditions might this be possible?

Until recently it was broadly taken for granted that civilizations, if they were to be considered as distinct entities, must be virtually isolated from one another, so that mutual influence was minimal. In this sense, separate civilizations must belong to the past, since the requirement of cultural isolation is surely impossible in today's globalized world. From a European perspective the model of a distinct civilization was that of the Aztecs, destroyed at first contact with their Spanish conquistadors, or of ancient China visited by a Marco Polo once or twice in a century. The dream of a world federation of civilized nations took hold in the late nineteenth century

and became more urgent as conflicts between the European empires gave rise to the two twentieth-century world wars. The Communist revolutions in Russia and China were taken as confirming the essential unity of modern civilization even as that civilization became split into two armed camps threatening one another with destruction. The establishment of the United Nations after the Second World War created civil institutions, such as UNESCO and the World Health Organization, which were designed to bring into being, and to minister to, this single world civilization.

With the end of the Cold War between the Western powers and the Soviet Union in 1989, convergence into a single capitalist world order seemed to be achieved; but at this very moment the premise of a unified global civilization began to be questioned, not least in the capitalist heartland of the United States. The term 'clash of civilizations', attributed to the right-wing American scholar Bernard Lewis, was elaborated into a theory of global politics in Samuel P. Huntington's The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order (1996). Huntington's map of what he called the 'major civilizations' showed the contemporary world as being divided not on political or ideological but on broadly religious lines. At least seven uneasily coexisting 'major civilizations' were distinguished, the Western (in effect, Protestant and European Catholic), the Orthodox, Muslim, Hindu, Chinese, Japanese, and (much more startlingly) the Latin American worlds. He also questioned whether the Buddhist territories and the area of sub-Saharan Africa should count as separate civilizations. The growing hostility of radical Islamists to the West lent Huntington's theory a certain credibility, much enhanced after the destruction of the World Trade Center on September 11, 2001. Other thinkers, however, had been quick to respond, and the former President of Iran, Mohammad Khatami, floated the idea of a 'Dialogue among Civilizations'. This was eagerly taken up, especially among the UN agencies, with the result that the events of 9/11 took place in what had officially been named as the Year of Dialogue among Civilizations.

How can the United Nations, an organization whose very raison d'être is the premise of a single global civilization, come to promote this notion of a dialogue among civilizations? I shall argue that the proponents of this idea continually elide the distinction between 'civilizations' and 'cultures', and that they also invoke basic presumptions of global civilization even when

they appear to be denying them. A case in point is the philosopher Hans Köchler, whose 1997 article 'Philosophical Foundations of Civilizational Dialogue' is widely available on the Internet. (The existence of the global Internet, by the way, is one of the many reasons for believing that we actually inhabit a single world civilization.) Köchler, in his defence of intellectual dialogue, uses the terms 'civilization', 'cultural system' and 'cultural community' interchangeably. Moreover, he recommends dialogue between civilizations (or communities or systems) as a vindication of 'the value of cultural freedom as being something that is common to all human beings': 'Cultural freedom has to be regarded as a universal human right that is at the roots of man's self-definition as a rational being'. Here 'cultural freedom', 'human rights' and our 'rational being' are all seen as universal human entities extending beyond the limits of the particular 'civilizations' that are exhorted to engage in dialogue. But it is equally the case that the ideas of cultural freedom, human rights and rationality are in fact constitutive of civilization as Köchler implicitly defines it. There is one overarching civilization comprehending and containing the many.

This is the point at which to recall that Huntington's original 'clash of civilizations' thesis was much ridiculed, and rightly so; and the attempt to turn it inside out, from conflict to dialogue or from incitement to war to encouragement to peace, does not succeed in cancelling its self-contradictions. Nobody will doubt the good intentions involved in substituting dialogue for conflict, or as Winston Churchill would have said jaw jaw for war war, but good intentions need the support of clear thinking. Edward Said bitterly attacked Huntington on several occasions, and notably in an article published immediately after 9/11. Here he maintains that there can be no inherent opposition between the civilizations of Islam and the West, since Islamic learning was present at the foundation of modern Europe. The 'clash of civilizations' idea is, he says, simply a gimmick. This argument had deep personal relevance for Said, since Huntington's map of conflicting civilizations effectively delegitimizes cultural hybridity of all kinds. In this starkly divided world reminiscent of George Orwell's Oceania, Eurasia and Eastasia, there is no place for an American Muslim or an Arabic Christian. Either looks dangerously close to becoming the enemy within. In other parts of the world, Huntington's faith-based classifications have the

effect of insulting whole nations (for example, Greece with its deep-rooted cultural determination to be considered part of Western, not Slavic Europe), and flattering reactionary political groupings such as Islamist terrorists, Hindu nationalists and American born-again Christians. Promoting a 'dialogue' between such people is not the most obvious or promising route towards a peaceful and unified world.

The error both of Huntington and his supporters and of the advocates of civilizational dialogue is that they either deliberately ignore the distinction between civilizations and cultures, or think that it is unimportant and can be overlooked. Cultures are unitary formations, centred on one or more categories of exclusive identity such as language, religion, ethnicity, class or nation. The term 'culture' can be applied to smaller and smaller entities; 'culture' divides where 'civilization' joins different units together. The idea of civilization claims universality in its very essence. Civilizations are by their nature imperial and extensive; they typically include speakers of several languages, separate regional and national jurisdictions, and the institutions of different religious faiths. At most there will be a dominant language or lingua franca and a dominant religion, as well as broadly similar systems of education and professional practice and a general level of technology that is held in common. This last point is crucial, since in the definition of civilization education, technology, government and professional and bureaucratic institutions are quite as important as religion.

In any advanced civilization there is an elaborate social order separating the governors from the governed, and the armed forces from the sphere of civilian life, thus providing the space in which civil society institutions can develop. Closely linked to these are the ideals of cultural freedom, human rights and rationality invoked by Hans Köchler. Without such basic conceptions of freedom and justice all dialogue is meaningless a mere shouting-match although even to shout at one's opponent one must have a strong if possibly misguided sense of what is rational and fair. Dialogue at its most productive is the philosophical engagement between opposing points of view that became, in the hands of Socrates and Plato, one of the classic modes of educational experience. The philosophical dialogue, like the Platonic Academy and (ultimately) the Islamic and modern universities to which it gave rise, is itself a civilizing process. The very existence of

dialogue testifies to civilization, and while it lasts the speakers are participating in civilization. A dialogue, as opposed to a mere conversation, cannot take place between a civilized person and a barbarian, since dialogue involves the recognition of equal status (however conventional and temporary) among the participants. A 'dialogue between civilizations' is therefore a joining together of civilizations, and indeed it presupposes such a joining together. In our modern global civilization, where we all have so much in common, to claim that religious difference, for example, amounts to a separation between civilizations is an exercise in mystification or nostalgia. The difference is cultural, not civilizational. It remains true nevertheless that thinking about the nature of dialogue between civilizations is a highly instructive and revealing way of approaching our intercultural and inter-faith dialogues.

III

Of all literary genres, the one most consistently concerned with dialogues between civilizations and also, alas, with wars between civilizations is science fiction. Faced with the societies on different planets and the different kinds of intelligent life-form supposedly revealed by space exploration, we cannot doubt that it is civilizations, not cultures, that are brought into mutual relationship.

Science fiction is popular entertainment literature, but at its best it is also highly educational. The worlds it portrays are fantastic and speculative, but they may have the effect of illuminating our familiar world from an unaccustomed angle. In the words of the literary theorist Darko Suvin, the results are both estranged and cognitive. Science fiction appeals to its readers' sheer curiosity their sense of wonder but the curiosity is also reflexive, telling us things about ourselves that we did not know before. Where the fictional setting involves space travel, we can call this a process of learning from other worlds a process that is intrinsic to the dialogue between civilizations in any context. Moreover, these worlds are not created by the novelist in a vacuum or out of nothing, since every science-fiction story involving contacts between civilizations bears some relationship, however distant, to the nature and problems of intercultural dialogue on Earth.

Political allegory of various kinds is very common on science fiction, and, given the predominance of American writers in the genre for most of the twentieth century, distorted reflections of (for example) the conquest and settlement of the Western states, the Cold War, the Vietnam War and, most recently, the confrontations between US imperialism and Islamist militancy are legion. Some of this literature is disturbingly militaristic, while other writers present what seem to be radical critiques of US values and policy. There is one point, however, on which nearly all writers of interplanetary science fiction are agreed, and this is that earth (often referred to by the Latin name of Terra) must be united in order for humanity to venture into space. The human characters in these stories are representatives of Terra, not of specific nationalities, and often they profess allegiance to a larger federation of intelligent worlds to which Terra now belongs. Such protagonists are normally human beings who have left the Earth behind and have little intention of returning assuming, indeed, that they could return, since many science-fiction writers foresee manmade ecological disasters that will render our planet uninhabitable.

In terms of dialogue between civilizations the crucial type of science-fiction narrative is the 'first contact' story, where humans or humanoids are brought into relationship with a previously unknown form of extraterrestrial intelligence which may be either friendly or violently hostile. I shall analyse one very well-known example of a first contact story, The Left Hand of Darkness (1969) by the American novelist Ursula K. LeGuin. In this novel, set in an indefinite future, Earth is a member of the League of Known Worlds or Ekumen, a peaceful federation in some ways reminiscent of the United Nations. The Left Hand of Darkness tells how a previously unknown civilization on the planet Gethen was persuaded to join the Ekumen.

It so happens that all the civilizations in LeGuin's imaginary universe are humanoid, since the inhabited worlds were experimentally 'seeded' from a single planet, Hain, in the distant past. Each 'human' species has its own distinctive characteristics. The most striking difference on Gethen is that there is only one fixed gender, with individuals taking on sexual features (which may be either male or female) during regular periods of 'kemmer' or sexual arousal, while remaining effectively neutered for the rest of the time.

It is this aspect of the Gethenians that the first Envoy or ambassador from the Ekumen, the Terran Genly Ai, finds most difficult to accept. His isolation on Gethen is complete, since he has come there alone. The Ekumen's policy is to enter into dialogue with a new world by sending a single Envoy, since one individual cannot be construed as a threatening presence, and not only will the new world be changed by his coming, but equally important he will be changed by it.

The story shows the growth of a difficult but, in the end, intimate alliance between Genly Ai and the prime minister of Karhide (one of the two contending nations of Gethen), whose full name is Therem Harth rem ir Estraven. Their relationship seems at first to go disastrously wrong: Estraven is dismissed as prime minister and declared a traitor by Karhide's autocratic king, he becomes a fugitive in the 'enemy' nation of Orgoreyn, and Genly, visiting Orgoreyn, is arrested and imprisoned in a labour camp reminiscent of the Siberian gulags. Estraven rescues him from prison and the pair make a hazardous journey together across the polar icecap to the borders of Karhide, where Estraven, still branded a traitor, is shot down by the frontier guards. Nevertheless, their exploit becomes legendary and Genly Ai, for reasons we need not go into, succeeds in persuading both nations to agree to join the Ekumen.

The novel ends with Genly's visit to the provincial manor house which Estraven left behind to pursue a political career in Ehrenrang, the capital of Karhide. Estraven is one of the very few 'intellectuals' on Gethen, so that he, unlike his deeply suspicious and narrow-minded colleagues, is able to accept the Envoy's professions of goodwill at face value: the others regard their visitor as either a liar or a spy. Estraven is now dead, but it is in the final scene that the rich potential of a dialogue between civilizations can be most fully grasped:

Esvans Harth rem ir Estraven was an old man, past seventy, crippled by an arthritic disease of the hips. He sat erect in a rolling-chair by the fire. His face was broad, much blunted and worn down by time, like a rock in a torrent: a calm face, terribly calm.

'You are the Envoy, Genry Ai?'

‘I am. . . . I was with your son in the months before his death. I was with him when he died. I’ve brought you the journals he kept. And if there’s anything I can tell you of those days ‘

No particular expression showed on the old man’s face. That calmness was not to be altered. But the young one with a sudden movement came out of the shadows into the light between the window and the fire, a bleak uneasy light, and he spoke harshly: ‘In Ehrenrang they still call him Estraven the Traitor.’

The old lord looked at the boy, then at me.

‘This is Sorve Harth,’ he said, ‘heir of Estre, my sons’ son.’

There is no ban on incest there, I knew it well enough. Only the strangeness of it, to me a Terran, and the strangeness of seeing the flash of my friend’s spirit in this grim, fierce, provincial boy, made me dumb for a while. When I spoke my voice was unsteady, ‘The king will recant. Therem was no traitor. What does it matter what fools call him?’

The old lord nodded slowly, smoothly. ‘It matters,’ he said.

‘You crossed the Gobrin Ice together,’ Sorve demanded, ‘you and he?’

‘We did.’

‘I should like to hear that tale, my Lord Envoy,’ said old Esvans, very calm. But the boy, Therem’s son, said stammering, ‘Will you tell us how he died? Will you tell us about the other worlds out among the stars the other kinds of men, the other lives?’

Although the intimacy between Genly and Estraven was forged when they were thrown together as outcasts and fugitives crossing the ice, this last meeting with Estraven’s family is made significant by its formal and institutional context. Genly Ai has been given recognized diplomatic status he is ‘my Lord Envoy’ and the Domains or provincial manor-houses are, we have been told, the principal social institution of Karhide, which is a deeply feudal kingdom. The strong sense of aristocratic lineage in this scene is something that Genly has not previously encountered on Gethen. The characters speak as individuals but also in accordance with their roles in a stable, long-established social order.

What will strike the reader first, as in any intercultural or civilizational dialogue, are the difficulties of translation. The 'old lord', like all other Gethenians, cannot pronounce the Envoy's name correctly; hence the spelling 'Genry Ai'. Genly for his part is still liable to be taken aback by the strangeness of Gethenian sexuality. The narrative language, however, cannot fully register this strangeness. Esvans Harth is referred to as an 'old man', and Sorve as a 'boy' and his 'sons' son'. Properly speaking, the nouns used should have been gender-free. Moreover Sorve is the product of incestuous relations between Estraven and his elder 'brother'. At this point the passage turns on the placing of an apostrophe (something that can only be represented in writing, not in speech), since Esvans's words are rendered not as 'my son's son', which would be normal in English, but 'my sons' son', signifying both Gethenian sexuality and incest. Accurate translation is the first necessity of dialogues between civilizations and cultures. It can also be argued that one of the crucial (though much neglected) functions of civil society institutions lies in commissioning, disseminating and guaranteeing access to sensitive, scholarly translations.

And yet, however expert the translators, we can never entirely eliminate the possibility of misunderstanding. When young Sorve speaks angrily of 'Estraven the Traitor', we are reminded of the sacrifices Estraven has made as a result of his belief in the Envoy's mission; but we are also reminded of numerous instances of irritation, anger and mutual incomprehension earlier in the novel, and of how it took both the utmost intellectual integrity and a shared physical ordeal (the crossing of the icecap) for Genly and Estraven to overcome them. Their intimacy could only grow slowly and painfully, and now that Estraven is dead it is not obvious that it will have any lasting effect, however favourable the political outlook. Gethen may join the Ekumen but it remains a very remote world, and we do not know if any genuine mutual understanding has been achieved. The Envoy has come to Gethen and will leave it again, while Estraven seems to have no political successors. This is why Sorve, a character who does not appear until the final pages, has such a decisive role in the novel's conclusion. It is he who embodies the fundamental quality that intellectuals can bring to the dialogue of

civilizations: curiosity, the intense desire and determination to embrace otherness, to learn and to know what is outside our own limited and narrow environment.

Genly views his visit to his friend's childhood home as a duty and a kind of pilgrimage. He has come to offer Estraven's family the things to which they have a right: the story of their kinsman's death, the account of his legendary journey, and the journals which constitute his legacy. If these things were all that his hosts asked of him, he would have nothing to complain of but his visit would have been a failure. There would have been no dialogue, since the loss of a father and a son would have been all that these people cared about. The depth of their grief would be understandable, but it would strike the outsider as self-enclosed and a little self-indulgent. Above all, it would have been unworthy of Estraven, who gave his life for the sake of Genly and his mission. We would feel that Estraven had been right to desert his home for the capital and its tyrannies, since here at least was a wider form of life. This is why everything finally hangs on the 'grim, fierce, provincial boy' who shows something of Estraven's spirit, and whose sudden outburst expresses his need to share Genly Ai's knowledge of what it means to be a universal citizen.

Like Forster's Chandrapore, LeGuin's ending deep in the provinces allows her to present a simplified version of civilizational dialogue, since Sorve himself is not an intellectual and the most we can say is that he clearly has an intellectual vocation. He will not rest until he learns about the 'other worlds', the 'other kinds of men', the 'other lives'. He embodies the heady excitement of youth as it discovers the sheer love of knowledge, and we know that with people like him growing up on Gethen there will be a rapid end to the planet's isolation. That unique civilization will become part of a wider civilization. In one sense, at the end of The Left Hand of Darkness the dialogue of civilizations is all in the future, but in another sense it is almost over. Gethen is destined to become simply a different culture, not a civilization separate from, and caring nothing about, civilizations elsewhere. It is not in the nature of intellectuals in any civilization to remain satisfied with a state of isolation from, and ignorance of, the other worlds of men. They must have knowledge; they engage in dialogue because it is unthinkable, given the opportunity, to avoid it.

E. M. Forster, A Passage to India (Harmondsworth: Penguin, 1961), p. 317. Subsequent page references in text.

Stefan Collini, Absent Minds: Intellectuals in Britain (Oxford: Oxford University Press, 2007), p. 47. Subsequent page references in text.

Hans Köchler, 'Philosophical Foundations of Civilizational Dialogue' [1997], http://hanskoechler.com/civ-dial.htm

Edward W. Said, 'The Clash of Ignorance' [2001], http://www.thenation.com/doc/20011022/said

Ursula K. LeGuin, The Left Hand of Darkness (London: Panther, 1973), p. 202.

دور المفكرين ومؤسسات المجتمع المدني
في حوار الثقافات والحضارات

د. باتريك بارندر

ملخص بحث

إن العلاقات الثقافية بين الغرب والشرق قد اعتبرت من قبل (صاموئيل هينغنتون) وآخرين، على أنها صراع حضارات، لكن كلمة «حضارات» في المفهوم التقليدي تعني كليات منفصلة عن بعضها البعض، ولذلك أعتقد أن الدعوة إلى «الحوار بين الحضارات» المرتبط مع بعض وكالات الأمم المتحدة هو شبه تناقض لفظي، فاحتمالية الحوار بحد ذاتها تعني حضارة موحدة بغضّ النظر عن التحديات الناتجة عن الحوار بين الثقافات، فالثقافات تفكك وتقسم ما توحده الحضارة. وبالرغم من ذلك، من خلال التفكير بطبيعة واحتمالات الحوار الثقافي، فمن المفيد النظر إلى تجربة الروائيين وتصورهم لفكرة الحوار بين الحضارات. يناقش البحث الحالي مثالاً روائياً: رواية فوستر «رحلة إلى الهند» (١٩٢٤) ، ورواية ليغن «يد الظلام اليسرى» (١٩٦٩).

يقدم (فوستر) مثالاً لمحاولة فاشلة للحوار بين ممثل بريطانيا وممثل الهند عند لحظة تاريخية معينة مرتبطة بنهاية «راج» حاكم الهند، فيحدث الحوار بين أفراد مهمشين دون سلطة أو دعم من أي مؤسسة مدنية بمضمون عاطفي وفكري. على النقيض من ذلك فإن رواية الخيال العلمي لـ (ليغن) تمثل صعوبة نمو الألفة والصداقة الحميمة بين الأشخاص القادمين من كواكب مختلفة، فكلا الطرفين لديهما السلطة: أحدهما سفير، والآخر سياسي، لكن الحوار بينهما شديد العاطفة، ويثمر هذا الحوار عبر المنفى والغضب. وكلا النصين يشيران إلى أن التهميش والتورط العاطفي قد يكونان ضروريين للوصول إلى الحوار الحقيقي، ويشير النصان أيضاً إلى أن الفضول الفكري مدعوماً من المؤسسات الاجتماعية المناسبة يمكن أن يؤدي إلى نمو في معرفة وتفهم الآخر، والذي يعد شرطاً أساسياً لتوحيد الحضارات.

****

The Role of Intellectuals and Civil Society Institutions in the Dialogue of Civilizations and Cultures

Patrick Parrinder

(University of Reading, UK)

Abstract

Cultural relations between East and West have been characterized by Samuel P. Huntington and others as a 'clash of civilizations'. Noting, however, that in traditional terminology 'civilizations' considered as distinct entities must be virtually isolated from one another, I argue that the call for a 'dialogue among civilizations' associated with some UN agencies is close to a contradiction in terms. The very possibility of dialogue testifies to a unifying civilization, whatever the challenges posed by dialogue between different cultures. Cultures divide where civilization unites. Nevertheless, in thinking about the nature and possibilities of intercultural dialogue it is helpful to look at how novelists have imagined the idea of a dialogue between civilizations. This paper considers two major fictional examples, beginning with E. M. Forster's A Passage to India (1924) and ending with Ursula K. LeGuin's The Left Hand of Darkness (1969).

Forster portrays a failed attempt at dialogue between representatives of Britain and India at a particular historical moment towards the end of the Raj. The dialogue is unsupported by any civil institutions, it takes place between marginalized individuals who lack authority, and it has a highly emotional as well as intellectual content. LeGuin's science-fiction novel, by contrast, shows the difficult growth of intimacy between two individuals belonging to different planets. They are both persons of authority—one an ambassador, the other a political leader—but their dialogue is deeply emotional and only comes to fruition through shared experiences of dispossession, danger, and exile. Both texts therefore suggest that marginalization and a strong emotional engagement may be necessary to achieve a level of genuine dialogue. They also show that the intellectual curiosity driving the dialogue inevitably leads, if the social institutions surrounding it are favourable, towards a growth of knowledge and understanding of the other which is a necessary condition of a unified civilization.

رئيسة الجلسة

نشكر الدكتور باراندر على هذه الورقة القيمة والتي قدّم فيها رؤية نقدية حول مفهوم حوار الثقافات كمفهوم يجادل النظرة التي قدمها هينغنتون حول صراع الحضارات، وتحدث عن الفرق بين مفهوم الثقافة ومفهوم الحضارة، وكذلك عن دور الأدباء كممثلين للمثقفين، وأعطانا نموذجًا عن رواية واقعية، الطريق إلى الهند، ورواية أخرى من الخيال العلمي...

****

المداخـــــلات

رئيسة الجلسة: د. زهرة حسين:

نفتتح الآن المداخلات والأسئلة. نبدأ المداخلة الأولى والدكتورة أسماء محمد زيادة.

د. أسماء محمد زيادة:

بسم الله الرحمن الرحيم، تحية لكم أيها الضيوف الكرام، مداخلتي أتوجه بها إلى الأستاذ عبدالله الجسمي؛ أتساءل كمثقفة مسلمة أو كمثقفة عربية تنتمي إلى الحضارة العربية الإسلامية أريد أن أخرج بشيء أمسكه في يدي، أتحرك به في دنيا الحضارات فيما بيننا. أكد الأستاذ على قضية أنه لم تعد هناك حضارات سوبر في وقتنا الحاضر، لكن كمقارنة بين الحضارات، أريد أن أطرح قضيتين أساسيتين، القضية الأولى قضية المقارنة بين الحضارات السابقة للحضارة العربية الإسلامية بل والمعاصرة واللاحقة، لعلنا نتفق جميعًا أن كل حضارة في الدنيا كانت وليدة فكرة مسيطرة على هذه الحضارة، كل ما نتج عنها من فكرة، وثقافة، كان وليد هذه الفكرة، كفكرة الخلود في الحضارة الفرعونية، وكفكرة إعلاء شأن العقل في الحضارة اليونانية وإعلان شأن القوة في الحضارة الرومانية ولم تكن الحضارة الإسلامية بدعًا في هذا المجال بل هي أيضًا وليدة فكرة، لكن فكرة الحضارة العربية الإسلامية كانت ماذا؟ كانت عقيدتها هذا القرآن الذي نزل من السماء إلى الأرض، وكل فكرة على وجه الأرض كانت جزئية ومعبرة أو ملبية لحاجة واحدة من حاجات الإنسان، بينما كانت الفكرة العربية الإسلامية فكرة شاملة وسطية متوازنة وهي فكرة ربانية، هذه المسألة لا أريد أن أقول نحن سوبر أو الحضارة العربية الإسلامية حضارة فوق الحضارات، لكن أريد أن أقول هل ينبغي عليّ كي أثبت أنني الآن متحضرة ومتفاعلة مع العولمة وما نحن فيه الآن، أن أخلع أجمل ما أزدان به في حضارتي وهو أنها حضارة ربانية وإلهية وإنسانية وعالمية، وجاءت مشروعًا لكل إنسان على وجه الأرض لتثبت للآخر أننا جميعًا نتحدث في ميزان واحد، شكرًا.

رئيسة الجلسة:

شكرًا، والآن مع الدكتور نبيل فولي محمد.

د. نبيل فولي محمد (مصر):

أحيي الدكتور عبدالله على مداخلته ونحن نعده من الأقلام التي نصغي إليها ونحترمها، ولكن ليسمح لي بالاختلاف معه مع احترامنا لكتاباته، أولاً: أطلق القول بأن صبغ الثقافة بصبغة عقائدية عائق من معوقات الحوار، والإطلاق هناك يحتاج إلى تعليق، لأنه ليست المشكلة في أن تكون الثقافة مصبوغة بصبغة عقائدية أو غير مصبوغة، ولكن ما طبيعة هذه العقيدة وماذا تمليه؟ لابد أن هناك خلافًا بين عقيدة تقول مثلاً «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا»، وبين عقيدة أخرى تناقض هذا، لاشك أن هناك خلافًا بين عقيدة تقول «قل تعالوا إلى كلمة سواء» وعقيدة لاتقول بهذا، هناك نقطة أخرى، الأستاذ صور لنا الحوار بين الحضارات على أنه حوار لإثبات أنا الصواب أم هو؟ وليس هذا هو غرض الحوار في رأيي، غرض الحوار أن يفهمني الآخر كما أنا، وأن أفهمه هو كما هو، على هيئته التي هو عليها، ولهذا أندهش لحشر المنطق في الحوار مع الآخر، والمعروف عند الجميع، أن المنهج ينتزع من طبيعة الموضوع الذي يدرسه، فأنا لا اخترع منهجًا من رأسي، فالحوار إنما يعني هو مناقشة حول المعطى الحضاري والثقافي والأيديولوجي لكل طرف من طرفيه، فأنا أتناقش هنا حول شيء كبير جدًا ربما يكون له جانب تجريبي، وجانب عقلي وجانب نقلي، وجانب حسي، فكل جانب يُعالج بطريقة مناسبة له، فحينما أقول أن الغرب يحاورون بمنهج تجريبي، هذا كلام يبدو عامًا بشكل كبير، فنسأل أي منطق نطبق في الحوار، المنطق الصوري الآرسطي، أي التحليل أم المنطق الإسلامي الذي يَعْني آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن من الوقوع في الخطأ، المنطق هو انسجام التفكير مع نفسه، تبدو المسألة في حاجة إلى نظر أكثر لكي تكون هذه الورقة أكثر إفادة إن شاء الله.

رئيسة الجلسة:

شكرًا الدكتور نبيل، والآن الدكتور أحمد صابر.

أحمد صابر[1] (المغرب):

شكرًا لكم جميعًا. لدي سؤالان، الأول للسيد ماسيمو باكيغالوبو؛ وهو: هل كانت الهجرة الأمريكية مسالمة أو سلمية، أنا لديّ شك في ذلك، فالهجرة الأمريكية خصوصًا في بدايتها في القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر. فالملايين من الأفارقة تمّ نقلهم إلى ما يسمى بالعالم الجديد، وهذا من وجهة نظري خطأ تاريخي يجب أن يصحح.

السؤال الثاني للسيد باراندر: لنتحدث بشكل أكاديمي، بما أننا نتحدث عن الحوار بين الحضارات، أعتقد أن الثقافات والحضارات لا تتحاور، وإنما البشر هم الذين يتحاورون، واليوم والأمس هما خير مثال على ذلك، أعتقد أنه يجب علينا التوقف لدرجة ما عن ارتكاب هذه الأيديولوجيات الضبابية التي أتت مباشرة بعدما سُمّي بالعالم الجديد، والاستعمار اليوم هو استعمار عالمي جديد.

رئيسة الجلسة

شكرًا دكتور أحمد، والآن الدكتور عزت خطاب.

د. عزت خطاب[2] (السعودية)

أود أن أسأل السيد باراندر عن دور الأدب في الحوار بين الحضارات والثقافات المختلفة، ألا تعتقد اليوم أنه مع سيطرة اللغة الإنجليزية في العالم تسهل عملية الحوار؟ والنقطة الثانية هي في الحقيقة أن العديد من طلاب العالم الثالث يذهبون إلى الغرب ويتحدثون عن ثقافاتهم الشخصية، وهم لا يتحدثون فقط بل يتصرفون أيضًا بطريقة مختلفة وهذا يساعد في الحوار. أتذكّر عندما كنت في الولايات المتحدة الأمريكية وكنت مستضافًا من قبل عائلة هناك، نشأ حوار بين عائلتي وتلك العائلة المضيفة في عدة أوجه من وجوه الحياة.

(١، ٢) تحدث كل منهما بالإنجليزية، ترجمة أ. محمد زقريط.

النقطة الأخيرة هي أننا إذا تناولنا كتاب مثل (ألف ليلة وليلة) وبداياته في القرن الثامن عشر الذي وضع الغرب في ذهنية مفتوحة حول الشرق، وكما تعلمون أن هذه الكتاب قد أثر في الثقافة الغربية. إني على ثقة بأن الأدب في ذاته ومن خلال وظيفته يعطي صورة مؤثرة في الآخر أفضل من تعلم اللغة، وشكرًا.

رئيسة الجلسة

شكرًا، والآن الدكتور كبا عمران

د. كبا عمران (غينيا)

شكرًا، بسم الله الرحمن الرحيم، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، بعد الشكر لمؤسسة البابطين، عندي تعليق قبل السؤال، الأستاذ عبدالله الجسمي أشار في ورقته إلى أن الحقائق الثقافية نسبية لأنها ذاتية وليست موضوعية، ثم أشار أيضًا أنه علينا أن نستخدم المنهج المنطقي في الأسس المنهجية، إذًا فكيف يكون هناك منهج منطقي وهو يقتضي أن تكون هناك موضوعية، ولم نصل إلى حقائق موضوعية في الحوار. نقطة ثانية: أشار أنه لا بد أن تكون هناك قدرة لمن يقومون بالحوار، ونحن تحدثنا بالأمس كثيرًا أن العولمة أثّرت في الثقافة، والثقافة أصبحت تجارة، والحوارات الآن شاملة، فهو يقصد هنا شريحة من المجتمع ولايقصد جميع أنواع الحوارات بين البشر. والسلام عليكم.

رئيسة الجلسة

الدكتور مصطفى آمدي، تفضل.

د. مصطفى آمدي (المغرب)

بسم الله الرحمن الرحيم، سؤالي موجه إلى الدكتور ماسيمو الذي تحدث عن حوار اللغات والمصطلحات العربية الموجودة في القواميس الإسبانية، هذه المصطلحات عانت شيئًا من العنصرية فمدة ٨ قرون لاتعطي العدد القليل الموجود الآن، نعرف بأن

الكلمات لا تسجل في القواميس حينما تذهب الآلات، مثلاً كلمة (ناعورة) ليست موجودة في الإسبانية بالصورة التي كانت عليها في السابق، هذا يدفعنا إلى سؤال الأكاديميات، أكاديمية اللغة الإسبانية مثلاً شعارها هو (ليمبيا، فيخا، ليبسبندر) يعني أنها تظهر اللغة، توثق الكلمات وتمنح الازدهار للغتها، سؤالي هو، لماذا هذه العنصرية؟ أول حوار أظن هو حوار اللغات وشكرًا.

رئيسة الجلسة:

شكرًا للدكتور مصطفى والآن الكاتبة الدكتورة سهام ترجمان.

د. سهام ترجمان (سورية)

الشكر للسادة المحاضرين على المحاضرات القيمة جدًا. من حسن حظي أني كنت زميلة لهانفري في الولايات المتحدة في عام ١٩٨٢ - ١٩٨٣ وحضرت عيد الاستقلال الأمريكي في شوارع نيويورك، واكتشفت رغم النظام الأمريكي الموحد والإداري المنظم أن الشارع الأمريكي يغصّ بالفلكلور الشعبي للشعوب المتواجدة المهاجرة إلى أمريكا، كانت أعلام الصين وإيطاليا والإسبان والأزياء الشعبية بالشوارع، والدليل إنه يوجد بنيويورك City Italy, CHINA City وهذا يدل أن الحضارة الأصلية لجذور الشعوب لايمكن أن تمحى أو تلغى، وأرفض فكرة الحضارة الإنسانية الواحدة، لابد من التعدد، كوني سورية أفتخر بأننا في سورية لا نعترف بكلمة حوار بين المسيحيين والمسلمين فنحن نعيش معًا في جانب واحد، والبيوت إلى جانب بعضها البعض، العائلات متزاورة ومحبة لبعضها، أتى الغرب إلى الشرق من أجل الثروات، فالغرب كان يحلم بكنوز الشرق، وأتى لا ليعطي قيمًا وديناً للشعوب الشرقية، بل ليأخذ الأرض والثروات. وأرفض فكرة أن العولمة تؤثر على تقاليدنا وثرواتنا وهويتنا العربية.. وشكرًا.

رئيسة الجلسة:

شكرًا دكتورة سهام، والمداخلة الأخيرة من الدكتور عبدالله جوب.

د. عبدالله جوب:

بسم الله الرحمن الرحيم، السلام عليكم ورحمة الله، جزيل الشكر إلى منظم هذه الدورة الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين وإلى الأخ الدكتور عبدالله الجسمي لبحثه العميق، ولعلمه النفيس، حيث أشار في عرضه إلى طبيعة الحوار وضرورته ومشاكله.. إلا أنه – من وجهة نظري – لم يقترح الحلول الشرعية لتطبيق مبادئ هذا الحوار بحيث يبدو على رأيه في الحوار شيء نظري مثالي، وبعبارة أخرى، الدكتور عبدالله كشفَ مرض العالم والأدوية لعلاجه، ولكن لم يبين كيف يجب أن يتعاطى العالم هذه الأدوية، والدليل على ذلك، تعرف بعض الدول الحقائق المتفق عليها، ولكن ليس للعالم سبيل لإرغامها تطبيق هذه الحقائق، والسلام عليكم.

رئيسة الجلسة:

شكرًا للدكتور عبدالله جوب، نعطي المجال الآن إلى الأساتذة المحاضرين ليردوا على أسئلة المداخلات. يتفضل الدكتور عبدالله الجسمي.

د. عبدالله الجسمي:

أبدأ بشكل سريع بالملاحظة التي بدأها الأستاذ الفاضل الدكتور عبدالله جوب والتي قال فيها إنني تكلمت عن الحوار ولم أُعط حلولاً. يجب أن نميز؛ أولاً: الورقة تناقش مفهوم حوار الثقافات ولا تعطي حلولاً، ولا تعطي لك مضمونًا، لا تتكلم عن مضمون حوار الثقافات أو غيره، المفهوم نفسه من ناحية فلسفية أو من ناحية فكرية كأداة ممكن أن تستخدم في الحوار أو موضوعات تستخدم في الحوار بين الثقافات.

وعلى السريع أرد على الملاحظات، فلم أقل حضارات (سوبر) قلت ثقافات سوبر، وبإمكانكم العودة إلى النص المنشور في الكتاب، وفرق بين الحضارة والثقافة.

العالم اليوم، فيه حضارة واحدة، نقول ما الحضارة الثانية؟ ما فنونها ونتاجها الثقافي؟ توجد حضارة أو نموذج حضاري غربي.. العالم كله يسير نحو هذا النموذج..

دول ديموقراطية تأخذ بالتعددية الفكرية والسياسية وتأخذ بالعلم والعلوم والمناهج العلمية والتفكير العلمي والعقلاني.. ما النقيض؟ أو ما العكس؟ هذا سؤال نطرحه؟

صحيح أن الحضارات السابقة، كانت منطلقاتها واحدة، وهي الدينية بما فيها الحضارة المسيحية في العصر الوسيط، كل الحضارات كانت تنطلق من منطلقات دينية، باستثناء الحضارة اليونانية والحضارة الغربية المعاصرة، والتي جذورها تمتد إلى اليونان، الثقافة اليونانية كانت ثقافة تعددية، قادها الفلاسفة، الذين طرحوا الكثير من الموضوعات والاتجاهات الفكرية المختلفة، وسار عليها من بنى الحضارة الغربية المعاصرة من العصر الحديث حتى اليوم.

والحضارة الغربية حضارة تعددية، متنوعة، فيها قبول للآخر، وتحاور معه، وتداول للسلطة، وفيها مظاهر كثيرة، لكن لنسأل أنفسنا هل نحن بالفعل نمارس الحوار فيما بيننا؟ حوار عقلاني.. حوار منطقي..؟ أنا أشك! الحوار عندنا يكاد يكون معدومًا بدءًا من المؤسسة الاجتماعية الصغيرة الأسرة، وانتهاءً بالمؤسسة السياسية.

فإذًا يجب أن نكون على قدر من الحوار فيما بيننا إذا أردنا أن نتحاور مع الآخرين.

كيف نأمر بالمعروف وننسى أنفسنا؟ كيف نطلب من الآخرين أن يحاورونا ونحن في الغالب لا يوجد حوار حقيقي داخل مجتمعاتنا، فالمسألة يجب أن لا ننظر إليها من زاويتنا فحسب، وننظر إلى الحضارات الأخرى على أنهم ضدنا وأنهم يحاولون أن يلغوا هويتنا.

مرّ العالم كله في مراحل متغيرة.. وفيه حضارات سادت ثم بادت، فالعالم متغير متنوع. بالنسبة للجوانب العقائدية، لا أقصد عندما أقول إن هناك عقبات في الحوار، أن هذه العقبات تمنع الحوار، العقبة لا تمنع الحوار.

مثلاً، شخص لديه صعوبات في النطق.. لكن ينطق يتكلم، نأخذ منه بعض الكلمات، فالاختلاف في التنوع العقائدي والديني والقومي والعرقي وغيره لا يعني أن تلغي الحوار لكن قد يكون عقبة.

أيضًا في داخل كل مجتمع هناك مظاهر للتطرف، والأصولية موجودة في كل مكان في العالم. ليس فقط في المجتمعات العربية، حتى في المجتمعات الغربية، ومنها أمريكا فيها حركات أصولية كثيرة.

بالنسبة للأستاذ الذي علّق على المنهج المنطقي.. لا يوجد منهج اسمه المنهج المنطقي، كل منهج يقوم على أسس منطقية.. وشكراً.

رئيسة الجلسة

شكرًا دكتور عبدالله، والآن البروفيسور باكيغالوبو. تفضل.

د. باكيغالوبو

تحدث بالإنجليزية (وفي ما يلي ترجمة لما قاله[1]): إنني أتفق وبشكل كامل مع ما قاله زميلاي المتحدثان اللذان أشارا بشكل لائق إلى عدة نقاط وردت في حديثهما، فعندما تحدثت عن الأنواع المختلفة من المهاجرين، فقد عنيت المفهوم العام لهذه الأنواع، فبعضهم مثير للعنف، وبعضهم الآخر مسالم، ولم أرغب بالخوض في التفاصيل وعندما تحدثت عن العلاقات الأكثر سلمية بين أوروبا وأمريكا كنتُ أقصد المهاجرين من مئات السنين، حيث الملايين من الأوروبيين من جنوب وشرق أوروبا ذهبوا إلى أمريكا، فهذا النوع على سبيل المثال كان مسالمًا، وأنشأ ثقافات متعددة في بوتقة واحدة وهي (البوتقة) كلمة قديمة استخدمت في هذا السياق، والكلمات في بعض الاحيان تحمل معاني أخرى، حيث إننا لا نستطيع التكلم بشكل دقيق عمّا نعنيه في بعض الأحيان.

والكلمات التي تحدثت عنها مثال لذلك، فاللغة لها معنى عام، ففي قريتي مثلاً ما زلت أستخدم كلمات على صلة باللغة العربية.

---

(١) تحدث بالإنجليزية، ترجمها إلى العربية الباحث بالمؤسسة أ. محمد زقريط.

د. باتريك باراندر

تحدث بالإنجليزية وفيما يلي ترجمة لما قاله[1]:

أتوجه بالشكر إلى السادة الذين طرحوا الأسئلة القيمة، لقد أتينا هنا من أجل الحوار وسنستمر بذلك، إن النقاط التي سمعتها كانت جميعها إيجابية، وأود أن أعلق على نقطتين أثارهما بعض المتحدثين حيث قالوا إن الأدب هو الذي يعطي الانطباع إلى العالم الآخر، وهذا شيء مهم جدًا من وجهة نظري، فيمكن أن نلقي نظرة على الأدب الكلاسيكي و(ألف ليلة وليلة)، والكتّاب المعاصرون مثل هؤلاء الذين تمت الإشارة إليهم وآخرين.

أود القول أيضًا؛ يبدو وبطريقة ما أن المتناظرين انتقلوا بشكل سلسٍ من فكرة الحوار إلى تعدد الثقافات، وهذا بالنسبة لي جانب مهم في جميع مجتمعاتنا في العالم الحديث.

وأن فكرة تنوع الثقافات تتعرض إلى هجوم في العديد من البلاد في الشرق الأوسط وبريطانيا...

فيجب علينا النهوض بالقيم والاحترام المتبادل والتسامح، أعتقد أن الشِّعر هو أداة جيدة في ذلك والأدب وخصوصًا الرواية.

وإن مستقبل الأدب متصل في تصوير التنوع الثقافي في المجتمع والجوانب القوية منه.

رئيسة الجلسة

شكرًا لك دكتور باراندر وشكرًا لحضوركم ولحسن الاستماع، ونشكركم على المداخلات والأسئلة التي طرحتموها، ونتمنى أن يستمر الحوار بينكم وبين الأساتذة الباحثين في فسحة الاستراحة.

****

(١) تحدث بالإنجليزية، ترجمها إلى العربية أ. محمد زقريط.

المحتوى

- التصدير، الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين ٣

● دورة معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين

- الإعداد للدورة ٥
- إصدارات الدورة ٧
- برنامج حفل افتتاح دورة معجم البابطين ٩
- برنامج الأنشطة المصاحبة للدورة ١٠
- كلمة الرعاية ١٦
- كلمة الضيوف/ دولة الأستاذ فؤاد السنيورة، رئيس وزراء لبنان ٢٢
- كلمة رئيس مجلس الأمناء: الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين ٢٩
- كلمة الفائزين: الشاعر هارون هاشم رشيد ٣٤
- القصيدة الفائزة: الشاعرة نبيلة الخطيب ٣٩

● رسائل وكلمات

- رسالة سمو الأمير الحسن بن طلال رئيس منتدى الفكر العربي ٤٥
- كلمة صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل رئيس مؤسسة الفكر العربي ٤٨
- كلمة رئيس مجلس الأمناء في المؤتمر الصحفي بمناسبة انعقاد الدورة الحادية عشرة للمؤسسة ٥٠
- كلمات من القلب: الأستاذ عبدالعزيز السريع - الأمين العام ٥٢

- رسالة السيد فؤاد بوزير، وزير المالية السابق في إندونيسيا ٥٤
- الرجل والمشروع، الدكتور محمد صالح الجابري - عضو الهيئة الاستشارية للمعجم ٦٩
- كلمة الدكتورة حسناء القنيعير - عضو مجلس الأمناء ٧٠
- كلمة حول المعجم، الدكتور محمد شاهين - عضو مجلس الأمناء ٧٢
- كلمة الأستاذ محمد بن صالح النعيم (البابطين وأبعاد جهوده تجاه الشعر والشعراء) ٧٤
- مدعوو الدورة الحادية عشرة ٧٦
- الأمسيات الشعرية ٧٩
- الحفلان الفنيان ٨٠

● أصداء دورة معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين

- في الإعلام العربي والأجنبي ٨١

الجلسة الأولى (محور الثقافات الحاكمة اليوم)

- المشهد الثقافي العالمي الراهن والثقافات السائدة فيه
  ■ أ. هدى الدخيـــــل ٩١
  ■ د. أنتونيو فريندو ١٢٣
- قراءة نقدية ورؤية مستقبلية للمشهد الثقافي العالمي
  ■ د. هشام مصباح ١٤١
  ■ د. جوزيف مايلا ١٦٧
- المداخلات ١٨٣

الجلسة الثانية (محور صراع المصالح وتأثيره في المشهد الثقافي العالمي)

- المصالح وتأثيرها في المشهد الثقافي العربي والعالمي

■ د. الحسان بوقنطار ٢٠١

- مداخلة فخامة الرئيس البوسني د.حارث سيلاجتيش ٢٣١

■ د. أُنْـــس دبــاش ٢٣٥

● القضايا العربية بين حسن التقدير وسوء الفهم

■ د. عبدالرزاق قسوم ٢٥٥

■ د. جميل جريسات ٢٨٤

الجلسة الثالثة (محور الثقافات طريقة إلى حل القضايا)

- منطلقات أساسية لتعميق حوار الحضارات

■ د. عبدالله الجســـمي ٣٢٥

■ د. ماسيمو باكيغالوبو ٣٤٩

- دور المفكرين ومؤسسات المجتمع المدني في حوار الثقافات

■ د. باتريـك بارانـــدر ٣٦٣

- المداخلات ٣٨٣

- المحتوى ٣٩٥

✱✱✱✱